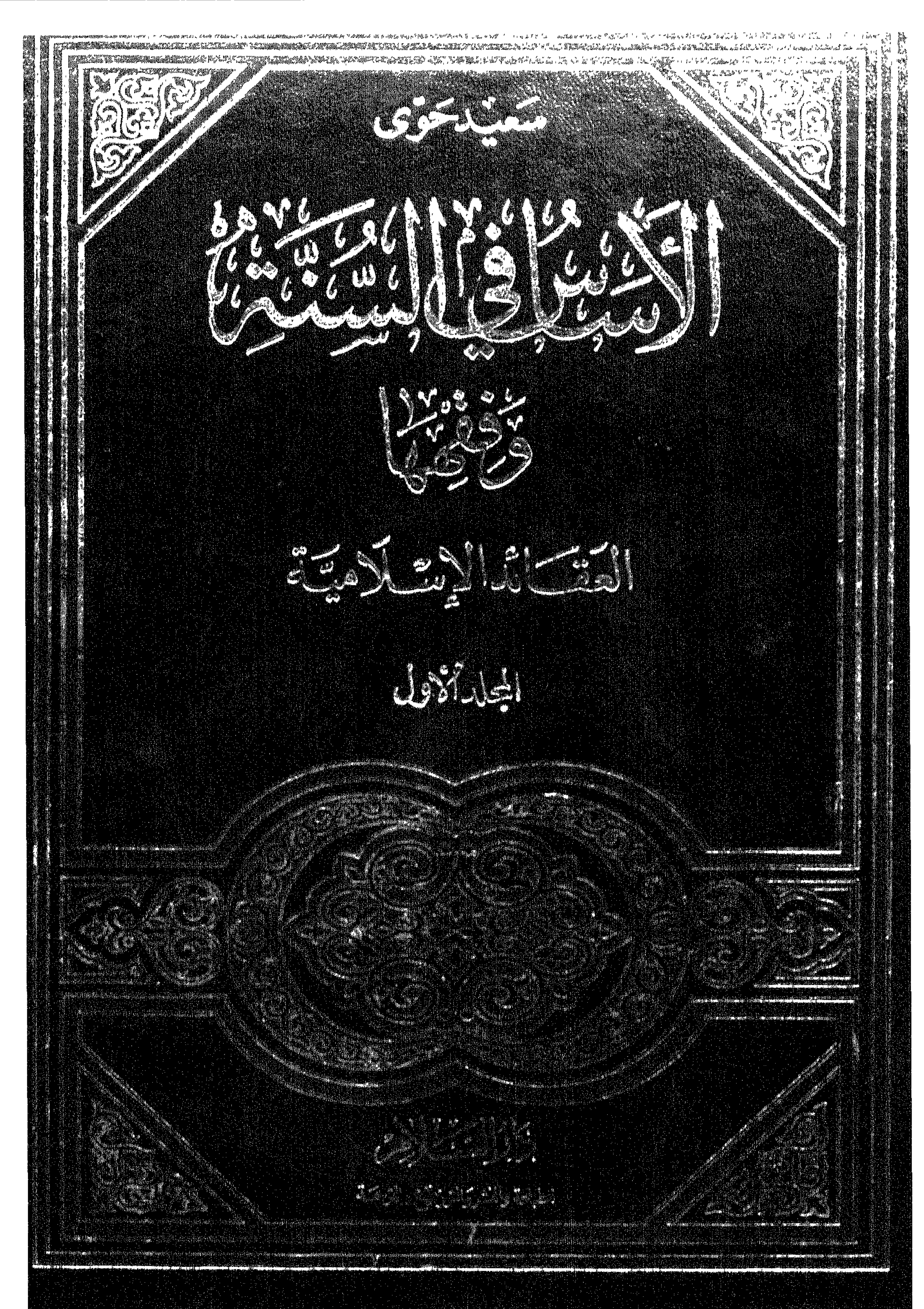

سعيد حوى
الأساس في السنة
وفقهها
العقائد الإسلامية
المجلد الأول
دار السلام








الأساس في السنة
وفقهها
العقائد الإسلامية

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع
لصاحبها
عبد القادر محمود البكار
120 شارع الأزهر - ص.ب 161 الغورية
ت : 932820-2704280-2741578 فاكس : 2741750

الطبعة الثالثة 1417هـ - 1996م

سَعيد حوّى

الأساس في السنة

وفقهها

المجلد الأول

القسم الثاني

العقائد الإسلامية

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه

ربنا تقبل منا، إنك أنت السميع العليم

راجع هذا القسم ودققه

فضيلة أخينا الشيخ

عبد الحميد الأحدب

حفظه الله

مقدمة

كان القسم الأول من هذا الكتاب في السيرة وقد حاولنا في ذلك القسم أن نعطي تصورًا عن السيرة النبوية ، وعما هو ألصق بها ، واعتبرنا ذلك هو المدخل لبقية أقسام هذا الكتاب ، وجعلنا الأقسام اللاحقة في : العقائد ، والعبادات ، والحياتيات ، وتحرير الرقيق ، والحكم .

فالقسم الثاني إذن في العقائد ، وهي أهم مضمونات الرسالة النبوية .

لقد بعث الله محمدًا ﷺ بالتوحيد ، والقيام بحقوق الربوبية ، وبمسؤولية الإنسان أمام الله عز وجل .

فالإله واحد ؛ وعلى الإنسان أن يقوم بواجب التعبد له ، والعبودية له ، وذلك هو المظهر الأول لقبول التوحيد ، فمن قَبِل التوحيد والعبادة والعبودية فإنه مجازى بالجنة ، ومن رفض ذلك فإنه مجازى بالنار .

ويدخل في التوحيد : توحيد الذات ، والصفات ، والأفعال ، وأن الرب واحد ، وأنه هو صاحب الحق في التشريع ، والأمر والحكم ؛ وهذا يقتضي عبادةً وتسليمًا .

ويدخل في العبادات : ما اشتهر أنه عبادة من صلاة وزكاة ، ويدخل فيها التسليم له سبحانه في كل ماشرع ، وطاعته في كل ما افترض وأوجب ، سواء في ذلك ما كان علمًا على عبادته ، أو ما كان من أعلام شريعته ، وهذه هي العبودية .

وقد جعلنا ما هو أدخل في العقائد في هذا القسم ، وماهو أدخل في العبادة في القسم الثالث ، وما هو أدخل في العبودية في القسمين الرابع ، والخامس .

والأقسام كلها في النهاية توحيد وعبادة وعبودية ، وسوابق لذلك أو لواحق له ، ولكن تسهيل العرض جعلنا نضع ما هو أخص بقسم من الأقسام الخمسة بجانب بعضه .

وبالله نستعين ونبدأ الكلام عن قسم العقائد .

* * *

لم تكن كلمة العقائد مستعملة زمن النبوة ، فهي اسم مستحدث للتعبير عما يعقد عليه القلب فيعتقده ويجزم به ، فإذا أخذنا هذا الاصطلاح ، وبنينا عليه ، فإننا نستطيع أن نقول : هناك العقائد الإسلامية في وضعها الفطري في زمن النبوة ، وهناك العقائد كما استقر عليها التأليف ، فالعقائد في وضعها الفطري زمن النبوة كانت الأساس الذي يكمله العمل بالإسلام ، ويدخل فيها جانبان : الجانب الأول في الرسالة ، والجانب الثاني هو الذي له علاقة بالغيبيات التي أخبرنا عنها الوحي الصادق ، ويتداخل الجانبان أحياناً ويتكاملان ، ورمز ذلك كله النطق بالشهادتين .

أما العقائد كما استقر عليها التأليف ، فقد شملت هذه الأمور ، وزادت عليها ، بأن دخل فيها ما اضطرته عملية الصراع بين أهل الإسلام وأهل الأديان ، وبين أهل الحق والصواب من جهة ، وأهل الباطل والخطأ من غير أهل السنة والجماعة من جهة أخرى ، ومن ههنا أدخلوا في بحث العقائد - كما استقر التأليف فيها - وصف الإسلام والإيمان ، وما يدخل في كلٍ ، ومباحث الإلهيات ، والنبويات ، والسمعيات ، وما يدخل في كلٍ ، ويأخذ الكلام عن الحقائق الغيبية التي لا يدركها الإنسان إلا عن طريق الوحي حيزاً كبيراً من هذا العلم ، ويدخل في هذا العلم الحديث عن التصورات الكلية في الشريعة والتكليف .

والناس بالنسبة للإسلام والإيمان والشريعة : إما مسلم مؤمن ملتزم ، وإما مسلم مؤمن مقصّر مذنب ، فالأول تقي ، والثاني عاصٍ أو فاسق ، وهناك متظاهر بالإسلام غير مؤمن به فذلك المنافق ، وهناك الكافر ، وهناك المسلم المخطئ في الفهم أو في العمل ، فذلك المبتدع ، وقد تصل البدعة إلى الكفر ، وقد لا تصل ، فالأول مرتد ، والثاني ضال ، وقد يرتد مسلم عن الإسلام أصلاً ، أو قد يقول أو يفعل ما هو رِدّة ، ومن ثم دخل في أبحاث العقائد نواقض الإسلام .

ومن وفاة رسول الله ﷺ إلى قيام الساعة ستحدث أحداث أخبر عنها رسول الله ﷺ ، والإيمان بها جزء من الإيمان بنبوته ، وبعض هذه الأمور وقع ، وبعضها لم يقع بعد ، وبعضها يكون قبيل الساعة بقليل ، وبعضها يسبقها بزمن ، ومن ثم تدخل هذه الأمور في باب العقائد .

وفي مسرى تاريخ الأمة الإسلامية وجدت فرق إسلامية انشقت عن جسمها ، وخرجت عن الفهم الفطري للنصوص ، وطرحت هذه الفرق آراء شاذةً أو كافرة ، وتبنت مواقف خاطئة ، وأصبح الحديث عن آرائها ومواقفها جزءًا من علم العقائد .

وهناك تصورات خاطئة ، وتصورات يترتب على السكوت عنها لوازم ضارة ، يُتحدث عنها عادة في علم العقائد كذلك ، ومبنى الحديث في العقائد على النصوص ، ولكن للحكم العقلي والعادي محلاً في شريعتنا ، فاقتضى ذلك كلامًا عن الاثنين في أبحاث العقائد ؛ لمعرفة محل التجارب البشرية ، والأحكام العقلية في هذا الدين ، وهكذا دخل في أبحاث العقائد الكلام عن الحكم العقلي والشرعي ، والعادي ، وأنها لاتتناقض .

هذه كلها مباحث تجدها مع غيرها في كتب العقائد ، وقد أصبحت بطون هذه الكتب هي موطن البحث فيها .

* * *

وفي العادة فإن البشر يصلون إلى كثير من المعاني عن طريق التأمل والتجربة والممارسة ، والله عز وجل وصف الكافرين بقوله : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [1] . وقال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح : « أنتم أعلمُ بأمر دنياكم » [2] مثل هذه الأمور دور الشريعة فيها التوجيه والتسديد والترشيد ، لكن هناك أمورًا تعرف ، أولا تستقيم ، أو لا تتأكد إلا من خلال الوحي ، وتبيان مثل هذه الأمور هي الوظيفة الكبرى للرسل عليهم الصلاة والسلام ، ومن ذلك ماافترضه الله على عباده وكلفهم به .

ومن ذلك وضع الأمور في مواضعها على مقتضى الحكم ؛ فلا تنحرف الحياة الإنسانية عن المسار الصحيح ؛ كترشيد الإنسان في استثمار الكون ، والحياة الاقتصادية ، والعلاقات الجنسية ، والعلاقات الاجتماعية ، ومن ذلك الحقائق التي لا يمكن للإنسان أن يعرفها إلا عن طريق الوحي ؛ كالمغيبات ، وما أعده الله للمؤمنين والكافرين .

---

(١) الروم : ٧ .

(٢) رواه مسلم (٤ / ١٨٣٦) ٤٣ ـ كتاب الفضائل ٣٨ ـ باب وجوب امتثال ماقاله شرعاً عن عائشة وأنس .

تفصيل هذه المعاني وأمثالها هي الوظيفة الكبرى للرسل عليهم الصلاة والسلام ، نجد مصداق ذلك في قوله تعالى :ـ ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسولاً مِّنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا ﴾ : فمعرفة آيات الله التي تدل على ذاته مما جاء به الوحي . ﴿ وَيُزَكِّيكُمْ ﴾ : فتزكية الأنفس على ما تقتضيه معرفة الله والعبودية له مما جاء به الوحي .ـ ﴿ وَيُعَلِّمُكُم الْكِتَابَ ﴾ : الذي أنزله ، ويتضمن ما افترضه الله على خلقه ، وذلك مضمون القرآن والكتب السماوية ـ ﴿ وَالحِكْمَةَ ﴾ : وهي وضع الأمور في مواضعها عل مقتضى الكتاب ، وهذا الجانب تكفّل به الكتاب والسنة .ـ ﴿ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونوا تَعْلَمُونَ ﴾ [(١)] : أي مما لاتستطيعون معرفته إلا عن طريق الوحي .

ومن ههنا كان التعرف على الآيات ، وعلى ما تزكو به الأنفس ، وعلى الفرائض والمكتوبات ، وعلى الحكمة في الكون ، أو في التصرفات ، أو في التصورات ، أو في العلاقات ، أو في السياسات ، وكان التعرف على ما لايعرفه الإنسان إلا من طريق الوحي ، كل ذلك يدخل في مباحث العقائد ، بل إنه لهو الأهم ، وهو الذي ينبغي أن يشتغل به الدعاة ؛ لأن أعظم ما في الدين هو هذا : آيات الله ، والواجبات ، والحكمة ، وما لايعرف إلا عن طريق الوحي .

ومن ههنا تعلم خطأ بعض من يدعون إلى الإسلام فيغفلون التركيز على هذه الأمور ، ويتحدثون عن نواحٍ أخرى لا تصبُّ في هذا البحر .

* * *

وإذا كان كل ما في الإسلام مبناه على الاعتقاد الحق ، فالاعتقاد الحق مبناه على الإيمان الجازم بالله وبالرسول ﷺ ، ومبنى الإيمان بالله : يقوم على معرفة آثاره وآياته التي تدل عليه ، ومبنى الإيمان بالرسول ﷺ: يقوم على معرفة الدلائل التي تدل على أنه رسول حقًا ، وقد دخل ذلك في أبحاث العقائد ، وقد جرت عادة كُتّاب العقائد ـ كما ذكرنا من قبل ـ أن يركّزوا على ماجرى فيه خلاف بين أهل السنة والجماعة ، وبقية الفرق الإسلامية ، ومن

---

(١) البقرة : ١٥١ .

ههنا فقد حكم التأليفَ في العقائد ذكرُ وجهات النظر المطروحة ؛ كأثر عن هوى ، أو الرد على هوى ، فقد وجدت آراء مبتدعة وأهواء متفرقة ، فاقتضى ذلكم ردودًا ومناقشات ، وغلب ذلك كله على التأليف ، تأمل صحيح البخاري مثلاً ، فإنك تجد الكثير من عناوين كتابه لها علاقة بقضية هي محل بحث في عصره ، والكتب التي خصّت العقائد في التأليف غلب عليها هذا الحال، ومع هذا التوسع في موضوعات كتب العقائد فقد أخرج الأقدمون من دائرة أبحاثهم قضايا اعتبروها ألصق بعلوم أخرى كبحث الحاكمية ، وأنها لله وحده ، فقد ربطت بعلم أصول الفقه الذي لا يدرسه إلا الخاصة ، ومن ههنا وجد الكتاب الإسلاميون المعاصرون شيئًا من الفراغ حاولوا أن يملأوه ؛ فوجد ما يسمى ـ في جيلنا ـ بكتب التصورات الإسلامية .

وإذ كنت أعتبر أن دراسة العقائد كما استقر عليها التأليف لابد منه للمسلم ، فقد جعلني هذا أركّز في هذا القسم على ما كان محل تركيز في عصر النبوة ، وإن كان القسم مليئًا بما اعتاد عليه كتاب العقائد قديمًا وحديثًا أن يدخلوه في كتبهم ، بل لا تكاد مسألة رئيسية من مسائل العقائد إلا وفي هذا القسم حديث عنها ، ومع ذلك فإنني أنصح إخواني المسلمين أن يدرسوا العقائد في كتبها ، فإنّ هذا الكتاب ركّز على المسائل الاعتقادية التي كانت محل التركيز الأقوى في الهدي النبوي .

كان التركيز الأقوى في عصره عليه الصلاة والسلام على توحيد الله ، وعلى الإيمان بالرسول ﷺ ، وعلى الإيمان باليوم الآخر ، وعلى الإيمان بالغيب ، وعلى التسليم لله ورسوله ﷺ بالإسلام .

وكان عنوان الدخول في الإسلام بقبول الشهادتين ، والنطق بها ، والقيام بأعمال الإسلام ، والكينونة مع الجماعة ، وكان يقف في مقابل ذلك : كفر ، ونفاق ، وجاهلية ؛ ولذلك فإنني سأخص هذا وأمثاله مما هو محل تركيز في عصر النبوة بمزيد عناية ، وقد جعلت هذا القسم في ثلاثة أبواب :

الباب الأول : معالم عقدية .

الباب الثاني : الإيمان بالغيب .

الباب الثالث : مباحث عقدية .

وأدخلت في الإيمان بالغيب : أركان الإيمان الستة ؛ وما يعتبر من الغيوب ، وأدخلت في الباب الأول : المعالم الكبرى التي تعتبر نقاط علام في موضوع العقـائـد ، وأدخلت في البـاب الثالث: بعض الأبحاث التي هي ألصق بالجانب الاعتقادي .

* * *

البَابُ الأولُ

معالم عقدية

وفيه :

تمهيد وفصول



تمهيد

الإنسان في هذا العالم الكبير لا ينقضي منه العجب ، وما خفي منه فذلك أعجب ، والعالم الذي يعيش فيه الإنسان أكثر عجبا ، ومع أنه أكثر عجبًا فإنه خلق من أجل هذا الإنسان : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [1] . ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [2] فكان الإنسان بهذا التسخير قطب دائرة الوجود .

اقرأ عن الكون تدخل في دائرة الدهشة ، مليارات السنين الضوئية ، أعداد هائلة من المجرّات ، مجموعات شمسية كبيرة ، أنواع من الإشعاعات ، وأنماط من توضعات الكهارب الصغيرة ، وإشارات فضائية متنوعة ، وخصائص عجيبة لكل نجم ، ولكل كوكب ، ولكل مذنّب ، وهذه الأرض في محلها لا ينقضي منها العجب ، ولا ينقضي مما فيها العجب وكل ذلك مسخّر للإنسان .

واقرأ عن هذا الإنسان تجد كتب علم النفس تبلغ الآلاف ، وهي تشمل ملاحظات مجردة عن نفس الإنسان دون أن تعرف كنهها ، واقرأ عن التشريح تجد آلاف الصفحات ، وهي تسجل حقائق وملاحظات عن جسم الإنسان وأعضاء الإنسان وغدد الإنسان ، واقرأ ثبت الأمراض المعروفة تجد الآلاف ، حتى إنه شخّص حتى الآن من أمراض الوراثة وحدها حوالي ألف وخمسمائة ، واقرأ تأثير الأغذية والأدوية تجد ما لا تستطيع له إحصاءً ، واقرأ عن أخلاق الإنسان ، وعلاقات الإنسان ، واجتماعيات الإنسان ، وأديان الإنسان ، والأنظمة التي اخترعها الإنسان ، والحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية مما له علاقة بالإنسان تجد عجبًا ، أما إذا وصلت إلى حياة الإنسان ، وروح الإنسان ، وقلب الإنسان ، ومشاعر الإنسان ، فتلك عوالم مجهولة مع كثرة آثارها .

فكما أن الذات الإلهية تعرف بآثارها ، ولا يحاط بها علمًا ، فهذه النفخة التي خلقها الله

---

(١) البقرة : ٢٩ .

(٢) لقمان : ٢٠ .

سبحانه وبثّها في الإنسان تعرف بآثارها ، ولا تدرك ولا يحاط بها : ﴿ وَنفخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ (١) .

أَبَعْدَ ذلك كله يعجب الإنسان أن يرسل الله لهداية الإنسان ؟!

﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ * وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴾ (٢) .

﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ (٣) .

أفبعد هذا التركيب المدهش للإنسان يعجب الإنسان أن يكلّفه الله ، ويحمّله مسؤولية ، ويجعل له حياة أخرى ، وقد خلقه هذا الخلق ، وخلق له هذا الخلق :

﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدىً ﴾ (٤) .

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴾ (٥) .

إنّ من تأمل لم يعجب ، فإذا جاء الواقع يصدق التأمل لم يبق إلا التسليم ، فهذه قوافل الرسل تترى : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ ﴾ (٦) .

ولقد كذب من لا عقل له ولا إنصاف ولاتدبر ، فإن أهل العقول آمنوا ، وحملوا رسالات الله عز وجل : ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ (٧) .

وعلى فترة من الرسل وبعد مرحلة من التيه والضياع ، وبعد تصميم على الضلال عند كل فرقة من فرق الضالين بعث الله محمدا ﷺ :- ﴿ يَاأَهْلَ الكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ

(١) الحجر : ٢٩ .
(٢) النجم : ٥٩ ـ ٦١ .
(٣) يونس : ٢ .
(٤) القيامة : ٣٦ .
(٥) المؤمنون : ١١٥ ، ١١٦ .
(٦) المؤمنون : ٤٤ .
(٧) الأنعام : ٨٩ .

عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾ (١) .

لقد بُعِثَ محمدٌ - ﷺ - في مرحلة لا أمل أن ينبثق من الضلال الذي وقعت فيه الأمم هدى : ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ * رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾ (٢) . فالجميع مستمرون على الضلال ، فكان لا بد من رسول يوقف هذا الاستمرار ، ويعطي للناس الهداية .

لقد أُمِرَ كل رسول لله بإقامة الدين وعدم التفرق فيه :

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَ مَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (٣) .

وعند بعثة رسول الله ﷺ - لم يكن دين قائم ؛ فالتوحيد رأس الدين تغير ، ولم تعد نتيجة لذلك عبادة في الأرض ، ولا عبودية ،والتفرق حاصل :

﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إلا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ (٤) .

ومن سنة الله عز وجل ألا يستأصل المختلفين في الدين :

﴿ وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ (٥) .

وهكذا ضاع الدين ، وحدث التفرّق ، ولم يبق يقين :

﴿ وَإِنَّ الَّذِين أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴾ (٦) .

لقد ضاع الدين واليقين ، وفي هذه الأجواء بعث الله محمدًا ﷺ وأمره :

﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ

---

(١) المائدة : ١٩ .
(٢) البينة : ١ - ٣ .
(٣) الشورى : ١٣ .
(٤) الشورى : ١٤ .
(٥) الشورى : ٢ .
(٦) الشورى : ١٤ .

كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَ بيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [(١)] .

فمن حاج بعد ذلك فحجته مرفوضة ومهزومة :

﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ [(٢)] .

وإذا جعل الله عز وجل كتاب هذا الدين محفوظًا فلا حجة لأحد ألا يقيم الدين ، ولا حجة لأحد يتفرق في الدين ، والأمر واضح ، وعلينا أن نفهم هذا الدين فلانتفرق ، فبدون علم نزيغ ، وبدون قلب سليم نتفرق .

وهذا الكتاب الذي بين يدينا فيه كل مايحتاجه فهم الدين الذي بعث به محمد ﷺ . والسنة شارحة ومفصلة :

- فقد بعث الله محمدًا ﷺ بالإسلام ، دينه الذي لا يقبل دينًا غيره ، وأنزل عليه القرآن كتابًا لهذا الدين ، مبيّنًا له ومفصلاً فيه ، وجعل الله رسوله ﷺ مبينًا لهذا القرآن ، وشارحًا بالقدوة والحال ، والكلمة والفعال ، ومن ثم كان الكتاب والسنة هما أصليْ هذا الدين .

-وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة لتصف هذا الدين وما يدخل فيه وما يخرج منه على الكمال والتمام ، وجاءت نصوص هي بمثابة المعالم الكبرى في الإسلام ؛ ليعلم من يريد الإسلام مايعني انتماؤه للإسلام ؛ وما هي المطالب الكبرى فيه : من توحيد ، وصلاة ، وزكاة ، وصوم ، وحج ، وجهاد ، وأمر بمعروف ونهي عن منكر ، وما هي المحظورات الكبرى فيه : من شرك ، وزنى ، وشرب خمر ، ...

- وجعل الله دينه منسجمًا مع العقل والقلب والروح ، واحتياجات الجسد في الأمر والنهي والتكليف ، فكان هذا الدين هو دين الفطرة ، الدين الذي ينسجم مع حكمة الخلق ، ومع تركيب الإنسان .

---

(١) الشورى : ١٥ .

(٢) الشورى : ١٦ .

- وقَبِل بعض الناس هذا الدين فكان من المسلمين ، وبتصديقه بهذا الدين وقبوله له أصبح من المؤمنين ، الذين دخلوا في دائرة الخطاب بوصف الإيمان ؛ ومن ثم جاءت النصوص لتوضح ماذا يدخل في دائرة الإيمان ، وماذا يطالب به أهل الإيمان من عقائد ، وأعمال ، وتكاليف ، ومقامات ، فكان هذا النوع من النصوص مكملاً للنصوص التي وصفت الإسلام ، وجاءت نصوص تصف الإيمان مطابقة للنصوص التي وصفت الإسلام ؛ لأن الإيمان والإسلام يتطابقان أحيانًا ، ويدل كل منهما على مفهوم يكمل الآخر أحيانًا .

- فالإسلام بمعناه الكامل : هو إسلام القلب، والجوارح ، لله تعالى بهذا الدين ، بنصوصه ، وبعقائده وتكاليفه ، والإيمان بمعناه الكامل : هو تصديق القلب بنصوص هذا الدين ، وتصديق السلوك لهذا التصديق ، فالإسلام والإيمان من هذه الحيثيّة متطابقان .

- وأحيانًا يراد بالإسلام : عمل الجوارح بالطاعة ، وبالإيمان : التصديق القلبي ، وانشراح الصدر بنور الإيمان ؛ حتى يرى القلب الأشياء بنور هذا الدين ، فههنا الإسلام والإيمان يتكاملان ، فالإسلام بهذا المعنى أثر الإيمان العقلي ، ويوصل إلى الإيمان القلبي : ﴿ **قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ** ﴾ [1] .

- إنه بمجرد أن يقبل الإنسان الإسلام ويدخل في عداد المؤمنين به فإنه يطالب بأمر ونهي ، أو بفعل وترك ، ومجموع مايطالب به مباشرة كفرائض ونوافل حوالي سبعين شيئًا هي مايسمى بشعب الإيمان ، وكثير من الشعب تعني المطالبة بها : الكف عما يناقضها ، فالمطالبة بالتوحيد تعني الكف عن الشرك ، وليس كل مانهي عنه يقابل شيئًا مأمورًا به ، وهكذا تتوسع دائرة المنهيات حتى تشمل أمورًا كثيرة ، منها ما يسمى كبيرًا من الذنوب ، ومنها ما يسمى صغيرًا من الذنوب .

- ودوائر التكليف الرباني أوسع من هذا الذي ذكرناه ، فقد يقوم الإنسان بكل شعب الإيمان وينتهي عن الكبائر والصغائر ، ومع ذلك يكون مقصّرًا في التكليف ، لأن دوائر التكليف أوسع من مجرد هذا وهذا .

---

(١) الحجرات : ١٤ .

ـ وكأثر عن القيام بالتكليف يتحقق الإنسان بالصفات العليا التي أثنى الله على أصحابها : التقوى ، والإحسان ، والإيمان ، والإسلام ، والشكر ، والتوكل ، والصبر ...

ـ وبرفض الإسلام ، أو بالتقصير في تكاليفه ، أو بعدم التحقق بمقاماته ، أو بالانحراف الاعتقادي أو العملي عنه ، أو باعتقاد ما ليس منه على أنّه منه ، أو بعمل ما يتناقض معه على أنه منه : يستحق الإنسان وصفًا قبيحًا على حسب بشاعة الجرم : الكفر ، النفاق ، الضلال ، العصيان ، الفسوق ، الابتداع ، المروق من الدين ، الردة ، الزندقة ، وعلى حسب القيام بالتكليف يكون للمؤمن وزنه ودرجته ورتبته : من صِدّيقية ، وشهادة ، وصلاح ، وربانية ، وربِّيَّة ، وللمؤمن ما يستحقه بفضل الله وكرمه ، وما يتكرم به الله عز وجل أعظم ، وللآخرين مايستحقونه من عقاب معنوي ومادي ودنيوي وأخروي .

ـ وشيء عادي ـ والرسول ﷺ يدعو إلى الإسلام فيصفه أو يربي على الإيمان فيفصله ـ أن تتعدد النصوص ، فأحوال المدعوين متعددة ، وأحوال المؤمنين ليست واحدة ، فهذا عرف شيئًا فأتقنه ، وغاب عنه شيء فجهله ، فهذا يعرف على المجهول ، ومجهول إنسان قد يختلف عن مجهول آخر ، وما وصل إليه الصف الإسلامي اليوم غير ماوصل إليه بالأمس ، والتكليف في زمن الرسول ﷺ كان متدرجًا ، كل ذلك يجعلنا أمام نصوص كثيرة ، تصبّ كلها في بحر واحد ، وتنبثق عن نور واحد ، ولكنها تلاحظ حالات شتى بعضها متشابه ، وبعضها متداخل ، وبعضها متكامل ، والرسول ﷺ كان يواجه جاهلية متعددة الصور ، ذات عقائد خاطئة ، فينبثق عنها عبادات وسلوكيات خاطئة ، فصحّح المسار ، وقطع الطريق على العودة إلى الجاهلية . وفي الباب معالم عقدية تتحدث عن بعض ماذكرناه وغيره معه .

وقد جعلنا الفصل الأول في : العقل ، والجسد ، والقلب ، والروح ، والنفس ، وهي المعالم الكبرى في الإنسان ، وإثباتها هو الأساس في التكليف ؛ فلا تكليف إلا بعقل ، والجسد بما حوى هو المكلف ، وللقلب تكليفه ، وللنفس تكليفها ، وللروح أحوالها ، وقد اقتصرنا في هذا الفصل على ذكر النصوص التي تثبت هذه العوالم وتفصلّ في معاني إطلاقها .

* * *

فصول الباب الأول

الفصل الأول
في:
الجسد والروح والعقل والقلب والنفس
وفيه:
مقدمة وفقرات

الفقرة الأولى : نصوص في الجسد
الفقرة الثانية : " " الروح
الفقرة الثالثة : " " العقل
الفقرة الرابعة : " " القلب
الفقرة الخامسة : " " النفس



مقدمة الفصل

في الإنسان جانب غيبي أخبرتنا عنه نصوص الكتاب والسنة ، وهذا الجانب الغيبي يعرفه الإنسان من آثاره ، وبعضه يحس به إحساسًا ، حتى إن إنكاره يكون إنكارًا للمحسوس ، فالإنسان يميز به بين العاقل وغير العاقل ، ويحس بمطالب النفس والجسد ، ويحس في قلبه الذي في صدره بكثير من المعاني ، وأهل الإيمان لهم إحساساتهم القلبية النامية ، وهناك فارق بين حياة الجنين قبل نفخ الروح ، وبعد نفخ الروح فيه ، فمتى نفخت الروح فيه تبدأ الحركة ، هذه القضايا التي نرى آثارها جاءت نصوص كثيرة تتحدث عنها ، فأصبحت من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة ، مما لايسع مسلمًا أومسلمة أن ينكرها ، وإن كان يسع المسلم أن يجهل تفصيلات فيها ، أو تحديدات لمعانٍ دقيقة للنصوص في شأنها .

وإنها لإحدى معارك عصرنا الإيمانية : الصراع مع الذين يفسرون كل ما في الإنسان ، وكل مايجري للإنسان أو على الإنسان ، بالمادة والمادية ، فكل شيء عندهم في الإنسان مرتبط بآلية المادة ، وإفرازاتها ، وقد سرى ذلك إلى بعض أبناء المسلمين ؛ فصاروا يفسرون القلب بأنه الدماغ ، وهم بذلك ينكرون أن يكون للمسلم قلب مرتبط بالقلب الحسي ، له وظائفه الإيمانية ، وهو محل الإلهام ، ومحل الإشراق ، وهومحل الكفر والنفاق ، وأصبح هؤلاء يميلون إلى تأويل ماورد عن الجانب الغيبي في الإنسان بأنواع من التأويلات .

والإسلام يعطي للتجربة البشرية مداها ، وللبحث العلمي مداه ، ولكن هل استطاع الإنسان أن يجيب جوابًا جازمًا على كل الأسئلة التي لها علاقة في الإنسان ، أو أن الإنسان لا زال مجهولاً .

وفي كل الأحوال فنصوص الإسلام القطعية الثبوت ، القطعية الدلالة ، لا يمكن أن تتناقض مع حقيقة علمية فالأصل الأصيل أن يسلم المسلم للنصوص كلها ، فكيف إذا كانت النصوص في أمور غيبية تشهد لها آثارها ؟!

إنه لمن فساد التصورات ، ومن المكفرات ، إنكار الروح ، أو القلب ، أو النفس ، أو العقل ، أو الجسد ، ثم إن هذا الإنكار يترتب عليه فساد عريض ، فالتربية التي لا تلحظ

القلب ، أو العقل ، أو الجسد ، أو النفس ، أو الروح ، تربية فاشلة ، ومن هٰهنا يكون لهذا البحث أهمية كبرى في العقائد والسلوك .

إن الإنسان جسد وروح قال تعالى : ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾ [١] . نرى ذلك واضحًا عند الموت حيث تفارق الروح الجسد فيتوقف كل شيء ، هذه الروح إذا خالطت الجسد تسمى نفسًا فقد قال تعالى : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها ﴾ [٢] . فالروح التي تقبض حين الوفاة سماها الله عز وجل نفسًا ، وتطلق كلمة النفس على أكثر من معنى كما سنرى .

وفي هذا الإنسان المؤلف من الروح والجسد ، أو من النفس والجسد ، شيئان لهما الأهمية الكبرى هما : العقل ، والقلب ، فالعقل : هو محل إدراك الخطاب فحيثما وجد كان التكليف ، والقلب : هو محل القبول للتكليف ، فهو صاحب القرار في القبول والرفض .

والظاهر من التجربة ، ومن النصوص ، ومن الإحساسات ، ومن الأذواق ، أن العقل الذي هو محل إدراك الخطاب مقره الدماغ ، وأن القلب الذي هو محل القرار في القبول والرفض مقره الصدر ، فله تعلق بالقلب الصنوبري الذي يضخ الدم : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأبصارُ وَلَكِن تَعْمَى القلوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [٣] ، ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللهِ ﴾ [٤] .

وللدماغ تكليفه : وهو أن يفكر فيربط الأسباب بمسبباتها ، ويربط الأدلة بمدلولاتها ؛ ليصل إلى الحقيقة ، وللقلب تكليفه : وهو أن يقبل الإسلام الذي أوصل إليه العقل ، وأن يستنير بنور الإسلام ، وللنفس تكاليفها في التزكية ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [٥] .

والتكليف في النهاية للإنسان المؤلف من الروح والجسد ، فهو المكلف أن يجعل جسمه ونفسه وعقله وقلبه على مقتضى أمر الله عز وجل .

* * *

(١) الحجر : ٢٩ .
(٢) الزمر : ٤٢ .
(٣) الحج : ٤٦ .
(٤) الزمر : ٢٢ .
(٥) الشمس : ٧ ـ ١٠ .

إن النصوص تتحدث عن جسد : « إنّ لجسدك عليك حقا »[١] . وعن روح : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾[٢] وتتحدث عن نفس :﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾[٢] . وتتحدث عن قلب . « إن في الجسد مضغة إذا صلَحت صَلَحَ الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب »[٣] . وتتحدث عن عقل : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

وأحيانا تتحدث النصوص عن النفس وتريد بها الذات كلها : الجسم والعقل والقلب والروح : ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾[٤] . وأحيانًا تتحدث عن القلب وأنه محل العقل : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾[٥] .

وأحيانًا تشعر النصوص بأن المراد بالنفس الذات متلبسة بحالة قلبية : ﴿ يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾[٦] ﴿ أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[٧] .

والإنسان يحس بأن محل التفكير الدماغ ، والدراسات المعاصرة وقفت بالنسبة للإنسان أمام مجهولات كثيرة ، فلقد تبين أنه لو فقد الإنسان قسمًا كبيرًا من مخّه فإنه لايفتقد ذاكرته ، ولم تزل أبحاث الذاكرة في دائرة المجهول ، والماديون ينكرون الروح أصلاً ، والكافرون لا يحسون بقلوبهم التي هي محل الكفر والإيمان ، فهم يتكلمون بعيدين عن الجانب الغيبي في الإنسان ، وكما ذكرنا من قبل فقد تأثر بعض المسلمين بأفكار غير إسلامية ، حتى زعم بعضهم أن المراد بالقلب في الاصطلاح الشرعي هو الدماغ ، وهذا شيء له خطورته في العقيدة والتربية والسلوك ، فهو إنكار لشيء تتواطأ عليه النصوص ، محددة له أنه في الصدر : ﴿ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[٧] ﴿ يَجْعَلْ صَدْرَه ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾[٨] ، ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ ﴾[٩] . كل ذلك يقتضي كلامًا ضمن الحدود التي لا بدّ منها ، فالمؤمن مكلّف بالإيمان بأن له عقلاً هو محل إدراك الخطاب ، وبهذا العقل تقوم عليه الحجة ، ومكلّف أن يؤمن بأن له قلبًا عليه أن

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم .
(٢) الإسراء : ٨٥ .
(٣) رواه مسلم .
(٤) الكهف : ٧٤ .
(٥) الحج : ٤٦ .
(٦) الفجر : ٢٧ .
(٧) الحج : ٤٦ .
(٨) الأنعام : ١٢٥ .
(٩) الزمر : ٢٢ .

يصدق به وأن ينوره ، وأن له نفسًا عليه أن يزكّيها ، وأن لـه روحًا ركّبها الله عز وجل بهذا الجسد : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ [١] ، ونصوص الكتاب والسنة متعاضدة متضافرة على تأكيد هذه المعاني ، ولكن التداخل في الوظائف والتكليف يجعل أحيانًا الكلام عن هذه المعاني متداخلاً في النصوص وفي كلام الناس ، والمسلم مكلّف بالجملة بالإثبات ،ولا يكلف كل مسلم بمعرفة كل النصوص ، وحمل كل نص على المراد الدقيق منه .

إن الإيمان بالقلب والنفس لها آثارهما في التربية والسلوك ، فبينما ينبغي أن يكون مركز اهتمام المسلم قلبه ونفسه ، وإذا به في حالة الإنكار يتوجه إلى الفكر والدماغ ، وبينما يحس المؤمن إحساسًا ذوقيًا بقلبه ومقاماته فمن توكُّل وخوف ورجاء ومحبة ، إذا بهذا المُنْكِر يفقد هذا كله .

* * *

إن عصرنا جعل أكثر الناس علمًا هم أكثر الناس تواضعًا ؛ فمن عرف ضآلة بعض الإفرازات في الجسد ، وضخامة تأثيرها ، ومن عرف ضآلة حجم بعض الأشياء في الدماغ ، وضخامة تأثيرها . ومن عرف أنه لو جمعنا كل أجهزة العالم من (التليفون والتلغراف والرادار والتلفزيون) ثم صَغّرناها إلى مثل حجم الدماغ فإنها لاتبلغ بمجموعها أن تؤدي وظائف الدماغ ، ومن عرف فكرة التسجيلات والمسجّلات والطاقة الكهربائية والذرية ينبغي أن يزداد تواضعًا ؛ فيسلم لمن يعلم ومن أعلم من الله !!

﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾ [٢] .

﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إلا قَلِيلاً ﴾ [٣] .

وعَوالم القلب والروح والعقل والجسد والنفس ليس مثل المسلم على بصيرة فيها . ونحن سنستعرض في هذا الفصل بعض نصوص الكتاب والسنة ، وفيهما العلم الذي يحكم على كل علم . وفيما بين يدي ذلك نقول :

---

(١) الحجر : ٢٩ .

(٢) الكهف :٥١ .

(٣) الإسراء : ٨٥ .

تطلق كلمة القلب على معنيين : القلب الحسي الذي يشترك فيه الإنسان والحيوان ، وعلى قلب آخر مقرُّه ذلك القلب ، وهو مرتبط به نوع ارتباط ، وهو محل الإيمان والكفر والنفاق ، ومركز ظهور العواطف ، وهو بالنسبة للإنسان محل القرار والإرادة ، فهو محل التردد ، والشك ، والإقدام ، والإحجام .

وللإنسان دماغ هو محل التفكر ، والمحاكات ، وقد يكون محل خزن المعلومات ، وهو محل إدراك الخطاب ، وهو مخزن الحواس ومركز الإحساس ، ومنظّم الجملة العصبية إلى غير ذلك من المهام ، وهناك الروح التي تعطي الجسد والقلب والدماغ الحياة .

* * *

عندما يكون الإنسان جنينًا في بطن أمه في المرحلة الأولى فإن حياته تكون تبعًا لحياة أمه ، وإنما تكون له شخصيته المستقلة منذ نفخ الروح فيه ، فعندما تُنْفَخ الروح عندئذ تكون له حياته المستقلة نوع استقلال ، والروح في أصل خلقتها عارفة بالله ، منطبعة بها البدهيات ، والقلب الغيبي حين نفخ الروح في الجسد يكون على الفطرة ، فهو نور خالص ، والدماغ يكون جاهزًا للتلقي وتخزين المعلومات ، هكذا حال الطفل أول ولادته .

* * *

عندما تحل الروح في الجسد تصبح أسيرة هذا الجسد ، وبالتالي تتحكم فيها مطالب الجسد ، وتفكير الدماغ وقرار القلب والبيئة ، كا أن القلب تتحكم فيه مطالب الجسد ، وتفكير الدماغ ، وتأثير النفس بمطالب الجسد ، والروح بعد التلبس بالجسد تسمى نفسًا ، وبقدر ماتسيطر عليها الشهوات يصبح القلب أسيرًا لها، وبقدر مايستنير القلب يمكن أن يؤثر في النفس ، فيستقيم أمر الجسد ، ومن ههنا فإن هناك صراعًا بين الخير والشر في ذات الإنسان ، إما أن يسيطر العقل أو القلب أو الروح أو النفس أو الجسد ، وبين ذلك صور فإذا تطهَّر القلب وتنور فعندئذ تكون الروح في وضعها الأول وضع العبودية ؛ فتظهر فيها الأخلاق العليا كلها ، وإلا فإنها تنتكس .

ومن العوامل المضلة المؤثرة :

أولاً : التلقين .

ثانيًا : جواذب الدنيا .

ثالثًا : مطالب الجسد وغرائزه .

رابعاً : الشيطان ووساوسه .

ومن العوامل الهادية :

أولاً : الإيمان بالله ورسله والتلقي عنهما .

ثانيًا : الفكر الاستدلالي والبناء عليه .

ثالثًا : الذكر .

رابعًا : العلم والمعرفة الصحيحان .

خامسًا : بذل الجهد ومجاهدة النفس .

سادسًا : البيئة المساعدة .

والعقل هو مناط التكليف ، وهو الجهة التي يدرك فيها الإنسان فحوى الخطاب ، وهو وسيلة الإنسان للمعرفة وهو مفطور على معانٍ ، فعنده بدهيات مستقرة ، وله قوانين مغروسة ، وهو يصل إلى المعرفة من خلال التعليم والاستقراء أو الاستنتاج ، ومن هٰهنا وجد علم المنطق الاستقرائي والاستنتاجي ، فأن يتعرف الإنسان على علم المنطق للتعرف على قوانين العقل ، وعلى ماهو بدهي ، وعلى ضوابط الاستنتاج الصحيح ، والاستقراء الصحيح ، فهذا القدر لاحرج فيه . وحَمْلَةُ بعض العلماء على نوع من المنطق لايدخل فيها ماذكرناه . وهذا النوع يوجد عند الجن من لحظة الولادَة ، فهم مكلفون من تلك اللحظة ، أما عند الإنسان فإنه يتكامل شيئًا فشيئًا ، ومن هٰهنا فلا تكليف يحاسب عليه الإنسان إلا بعد البلوغ ، أما ماقبل ذلك فله أحكامه .

* * *

ويطلق العقل في الشريعة على شيئين :

أولاً : على ما هو مناط فهم الخطاب ، وإذا وجد فقد أصبح الإنسان مكلفًا ضمن شروط .

ثانيًا : على قبول خطاب الشارع والعمل به وذلك هو العقل الشرعي .

وعلى هذا يحمل قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [١] . ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَيَعْقِلُونَ ﴾ [٢] ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَيَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ [٣] .

والقلب يطلق في الشريعة : على العقل الشرعي ، وعلى القلب الحسي ، وعلى القلب المرتبط بالقلب الحسي ، وهو محل الإيمان والكفر ، وعليه يحمل قوله تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [٤] ﴿ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِم ﴾ [٥] ﴿ فَإِنَّهَا لاَتَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [٦] .

والنفس تطلق في الشريعة : على الذات كلها جسدًا وروحًا ، وتطلق على الروح وحدها ، وتطلق على الدم ، وتطلق على مطالب الروح المتأثرة بمطالب الجسد المذمومة .

وتسمى الروح إذا خالطت الجسد نفسًا ، وها نحن نذكر لك بعد هذا البيان بعض النصوص التي تناسب عنوان هذا الفصل ، ومضمونه الذي تحدثنا عنه في هذه المقدمة ، مبتدئين بذكر بعض النصوص التي تتحدث عن الجسد ، للإشعار ببعض الواجبات الجسدية ، وببعض حقوق الجسد ، ومن مثل ذلك يعرف وضع الجسد في الإسلام : حقوقه ، وواجباته ، وكمالاته ، وضرورة رعايته ، لا كما تحاول مِلَلٌ أخرى أن تعذّبه أو تحرمه من ضرورات مباحة .

---

(١) الملك : ١٠ .
(٢) الحشر : ١٤.
(٣) الأعراف : ١٧٩ .
(٤) البقرة : ١٠ .
(٥) البقرة : ٧ .
(٦) الحج : ٤٦ .

الفقرة الأولى : نصوص في الجسد

قـال تعـالى : ﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَـاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَـةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ (١)

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ (٢) .

١ ـ * روى البخاري عن عبدِ الله بن عمرو بن العاصِ رضي الله عنهما ، قـال لي رسولُ الله ﷺ : « يا عبدَ اللهِ أَلَم أُخْبر أنـكَ تَصومُ النهـار ، وتقومُ الليل ؟ » فقلت : بلى يارسول الله ، قال : « فلا تَفْعلْ ، صُمْ وأَفطِرْ ، وقمْ ونم ، فإنَّ لِجسدِك عليك حقّـا ، وإنَّ لِبَدنكَ عليك حقًا ، وإنَّ لزوجكَ عليك حقًا ، وإنَّ لِزَورِكَ عليـك حقّـا ، وإنَّ بحسبْكَ أنْ تصُومَ كل شهر ثلاثةَ أيام ، فإنَّ لك بكُلِّ حَسنـةٍ عَشْرَ أمثـالِهـا ، فإذَن ذلك صيامُ الدَّهرِ » . فَشَدَّدْتُ فَشُـدِّدَ عَلَيَّ ، قلتُ : يـارسولَ الله : إنِّي أجِـدُ قُوَّة ، قال : « فصُمْ صيامَ نَبيِّ الله داودَ عليه السلام ولا تَزِدْ عليه » . قلتُ : ومـا كان صيـام نبي الله داود عليـه السلام ؟ قال : « نصفُ الـدَّهر » ، فكان عبدُ الله يقول بعـد مـاكَبر : ياليتَني قَبلتُ رُخصة النبيِّ ﷺ .

٢ ـ * روى الترمـذي عن أبي هريرةَ رضي الله عنـه قـال : قـال رسول الله ﷺ : « إن أول مايُسْأَلُ عنه يومَ القيامةِ ـ يعني : العبد ـ من النعيم ، أنْ يُقَالَ : أَلَم نُصِحَّ لـك جِسْمَكَ ؟ ونُروِكَ من الماء البارِدِ ؟ »

---

(١) البقرة : ٢٤٨ . (٢) المنافقون : ٤ .

١ ـ البخاري (٤ / ١٧) ٣٠ ـ كتاب الصوم ٥٥ ـ باب حق الجسم في الصوم .

ومسلم (٢ / ٨١٢) ١٣ ـ كتاب الصيام ٣٥ ـ باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به .

إن لزَوْرك عليـك حقـاً . أي لزوارك وضيوفـك . والزَّوْر : الزائر وهو في الأصل مصـدرٌ وُضِعَ موضعَ الاسم . وقـد يكون الزَّوْر جمع زائر .

٢ ـ الترمذي (٥ / ٤٤٨) ٤٨ ـ كتاب تفسير القرآن ٨٩ ـ باب ومن سورة التكاثر .

وقال : هذا حديث غريب . وإسناده قوي .

وابن حبان ـ الإحسان (٩ / ٢٢٨) .

٣ - * روى الترمذي عن عبيدِ اللهِ بنِ محصَنٍ رضي الله عنه ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « مَنْ أصبَحَ منكم آمِنًا في سِربه ، مُعافًى في جَسَدِهِ ، عندهُ قُوتُ يومِه ، فكأنَّما حِيزَتْ لهُ الدنيا بحَذافيرِها » .

٤ -* روى الترمذي عَنْ أبي بَرْزَةَ الأسْلَمِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْئَلَ عَنْ عُمرِهِ فِيما أَفْنَاهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلاَه » .

٥ - * روى البخاري عن أبي هريرةَ قَالَ : قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ « نحنُ الآخرون السابقونَ يومَ القِيامةِ ، أُوتوا الكتابَ من قَبلنا وَأُوتيناهُ مِن بعدِهم ، فهذا اليومُ الذي اختلَفوا فيه فهدانا اللهُ ، فغداً لليهودِ ، وبعد غدٍ للنصارَى » فسكتَ ثم قال « حَقٌّ على كلِّ مُسلمٍ أن يَغتَسِلَ في كلِّ سَبعةِ أيامٍ يومًا يَغسِلُ فيه رأسَهُ وجَسَدَه » .

٦ - * روى الترمذي عن بلالٍ ، وأبي أُمامةَ ، رضي الله عنهما ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « عليكم بقيام الليلِ ، فإنه دأبُ الصالحين قبْلَكم ، وإنَّ قِيامَ الليل قُرْبَةٌ إلى الله ، ومَنهاةٌ عن الإثم ، وتكفيرٌ للسيئات ، ومَطْرَدة للدَّاء عن الجسد » .

---

٣ - الترمذي (٤ / ٥٧٤) ٧ - كتاب الزهد باب ٣٤ . وقال . هذا حديث حسن غريب ، ورواه أيضًا ابن حبان في صحيحه . واختلف في تحسينه والراجح أنه حسن .

(آمناً في سربه) أي : في نفسه ، يقال : فلان واسع السرب أي : رَخِيُّ البال وروي بفتح السين ، وهو المسلك والمذهب .

(الحذافير) : عالي الشيء ونواحيه ، يقال : أعطاه الدنيا بحذافيرها ، أي : بأسرها ، الواحد حذْفارٌ .

٤ - الترمذي (٤ / ٦١٢) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ١ - باب في القيامة . وقال : هذا حديث حسن صحيح. وهو كما قال .

٥ - البخاري (٢ / ٣٨٢) ١١ - كتاب الجمعة ١٢ - باب هل على من لم شهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم ؟ .

٦ - الترمذي (٥ / ٥٥٢) ٤٩ - كتاب الدعوات ١٠٢ - باب في دعاء النبي ﷺ .

والمستدرك (١ / ٣٠٨) وصححه ووافقه الذهبي . وهو حديث حسن . ورواه أحمد والبيهقي .

٧ - * روى الترمذي عَن عَائشَـةَ قَـالَتْ : كَـانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقولُ : « اللّهُمَّ عَـافِنِي فِي جَسَـدِي ، وعَـافِنِي فِي بَصَرِي ، واجْعَلْـهُ الْـوَارِثَ منِّي ، لا إلـهَ إلا اللهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ ، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ » .

٨ - * روى مسلم عن عثمان بن أبي العـاصِ الثقفي الطـائفي رضي الله عنـه أنـه شكا إلى رسولِ الله ﷺ وجعاً يَجِدُهُ في جَسده مُنْذُ أَسْلَمَ ، فقال له : « ضَعْ يدَكَ على الـذي يَـأْلَمُ من جَسَـدك ، وقُـل : بـاسمِ اللهِ ، ثـلاثَ مرات ، وقُـلْ سَبْـعَ مَراتٍ : أَعـوذُ بـالله وقُدْرَتِهِ من شَرِّ ماأجِدُ وأُحَاذِرُ » .

وعند الموطأ [1] « بعزة الله وقدرته من شرِّ ماأَجِـدُ » قـال : فقلتُ ذلـك ، فـأذهبَ اللهُ ماكان بي ، فلم أزَلْ آمُرُ بها أهلي وغيرَهم .

٩ - * روى البخاري عن عروَة عن عائشةَ ، « أن النبي ﷺ كان إذا أَوَى إلى فِراشِـهِ كل ليلة جمع كَفيـه ثم نفثَ فيهما فقرأَ فيهما ﴿ قُل هو الله أَحَـد ﴾ و﴿ قل أعوذ بربِّ الفَلَق ﴾ و ﴿ قل أعوذُ بربِّ الناس ﴾ ثم يمسح بهما مااستطاع من جَسَدِه ، يَبـدأُ بهما على رأسِـهِ ووجهـه وماأَقبلَ من جسده ، يفعَل ذلك ثلاثَ مراتٍ .

١٠ - * روى البخـــاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَـــالَ : قَـــال : رَسُـولُ اللهِ ﷺ « لاَ تَحاسَدُوا ، وَلا تَنَاجَشُوا وَلا تَبَـاغَضُوا ، وَلا تَـدَابَرُوا ، ولايَبِع بَعْضُكُمْ عَلَى

---

٧ - الترمذي (٥ / ٥١٨) ٤٩ - كتاب الدعوات ٦٧ - باب منه .

وقال : هٰذا حَديثٌ حَسَنٌ غَرِيب . قَالَ : سَمِعْتُ مُحَمَّدًا يقُولُ : حَبِيبُ ابْنُ أَبِي ثَـابتٍ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ شَيْئاً، واللهُ أَعْلَم .

وقال محقق الجامع : لهذا الحديث شواهد بالمعنى يقوي بها ، منها حديث أبي داود رقم ٥٠٩ بإسناد حسن .

(واجعله الوارث مني) أي : أبقه صحيحاً سليماً .

٨ - (٤ / ١٧٢٨) ٣٩ - كتاب السلام ٢٤ - باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء .

(١) الموطأ (٢ / ٩٤٢) ٥٠ - كتاب العين ٤ - باب التعوذ والرقية في المرض .

٩ - البخاري (٩ / ٦٢) ٦٦ - كتاب فضائل القرآن ١٤ - باب فضل المعوذات .

١٠ - البخاري طرفًا منه في (١٠ / ٤٨١) ٧٨ - كتاب الأدب ٥٧ - باب ماينهي عن التحاسد والتدابر .

ومسلم (٤ / ١٩٨٦) ٤٥ - كتاب البر والصلة والآداب ١٠ - باب تحريم ظلم المسلم وخـذلـه واحتقـاره ودمـه وعرضـه وماله .

بَيْعِ بَعْضٍ . وَكُونُوا ، عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا . الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ . لا يَظْلِمُهُ ، وَلا يَخْذُلُهُ ، وَلا يَحْقِرُهُ . التَّقْوَى هَا هُنَا » وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ « بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ . كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ . دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ » .

١١ - * روى البخاري ومسلم عن عائشةَ رضي الله عنها ، أن النبيَّ ﷺ كان إذا اغتسلَ من الجَنَابة : بَدَأَ فغسل يديه ، ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة ثم يُدْخِل أصابعَه في الماء ، فيُخَلِّلُ بها أُصُولَ شَعْرِه ، ثم يَصُبُّ الماءَ على رأسه ثلاثَ غُرَفٍ بيديه ، ثم يُفِيضُ الماءَ على جِلْدِهِ كلِّه .

وفي رواية [(١)] ثم يُخلِّل بيديه شعره ، حتى إذا ظن أنه قد أروَى بَشَرتَه ، أفاضَ الماءَ عليه ثلاثَ مرات ، ثُمَّ غَسَل سائر جسده .

وقالت : كنت أغتسلُ أنا ورسولُ الله ﷺ من إناء واحد ، نغترف منه جميعًا [(٢)] .

١٢ - * روى مسلم عن عثمانَ بنِ عَفانَ رضي الله عنه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « من توضَّأ فأحسنَ الوُضُوءَ ، خرجتْ خطاياهُ من جَسَدِهِ ثم تَخْرُجُ من تحتِ أظْفَارِه » .

١٣ - * روى أبو داود عن جابرِ بن عبد الله رضي الله عنهما ، قال : خَرَجْنَا في سَفَرٍ ، فأصاب رجلاً منا حَجَر فَشَجَّه في رأسه ، فاحتلمَ ، فسأل أصحابَه : هل تجدون لي رُخصة في التيمم ؟ فقالوا : مانَجِدُ لك رُخصة وأنت تَقْدِرُ على الماء ، فاغتسل فمات ، فلما قَدِمْنا على

---

١١ - البخاري (١ / ٣٦٠) ٥ - كتاب الغسل ١ - باب الوضوء قبل الغسل .

ومسلم (١ / ٢٥٣) ٣ - كتاب الحيض ٩ - باب صفة غسل الجنابة .

البخاري (١ / ٣٨٢) ٥ - كتاب الغسل ١٥ - باب تخليل الشعر .

(١) ، (٢) البخاري : الموضع السابق .

١٢ - مسلم (١ / ٢١٦) ٢ - كتاب الطهارة ١١ - باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء .

١٣ - أبو داود (١ / ٩٣) كتاب الطهارة باب في المجروح يتيمم . وهو حديث حسن وله شواهد .

فشجَّه : شجَّ رأسه : إذا ضربه بشيء فكسره وفتحه .

رسول الله ﷺ وأُخْبِرَ بذلك ، قال : « قَتَلوه قَتَلَهم الله ، ألا سألوا إذا لم يعلموا ، فإنما شِفَاء العِيِّ السؤالُ ، إنما كان يكفيه أن يتيمَ وَيعْصِرَ ــ أو يَعصِبَ ، شك موسى ــ على جُرْحِهِ خِرْقة ، ثم يَمسحَ عليها ، ويَغْسِلَ سَائرَ جسدِهِ » .

* * *

الفقرة الثانية : نصوص في الروح

قال تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلاً ﴾ [1] ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ﴾ [2] ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [3] والمراد : روح خلقها ونسبها إلى ذاته تشريفاً كما نقول : بيت الله .

ومن نصوص السنة في الروح :

١٤ - * روى مالك عن كعب بن مالك رضي الله عنه كان يُحَدِّثُ أن النبيَّ ﷺ قال : « إنما نَسَمَةُ المؤمن طيرٌ يَعْلَقُ في شَجَرِ الجنة ، حتى يَرْجِعَهُ اللهُ في جَسَدِهِ يوم يَبْعَثُهُ » .

قال القرطبي وغيره : هي روح المؤمن الشهيد .

وقال بعضهم : المراد بالحديث أعم من أن يكون المراد بذلك أرواح الشهداء وحدهم فقد يعطي الله عز وجل هذه الخصوصية لغيرهم .

١٥ - * روى أحمد وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : « ما مِن أحدٍ يُسَلِّم عليَّ إلا رَدَّ الله تبارك وتعالى عليَّ رُوحي حتى أَرُدَّ عليه السلام »

---

(١) الإسراء : ٨٥ .	(٢) الحجر : ٢٩	(٣) السجدة : ٩ .

١٤ - الموطأ (١ / ٢٤٠) ١٦ - كتاب الجنائز ١٦ - باب جامع الجنائز .

والنسائي (٤ / ١٠٨) ٢١ - كتاب الجنائز ١١٧ - باب أرواح المؤمنين .

وابن ماجة (٢ / ١٤٢٨) ٣٧ - كتاب الزهد ٣٢ - باب ذكر القبر والبلى . وإسناده صحيح .

النَّسَمة : الروح والنفس ، و« يعلق » : أي يأكل .

١٥ - أحمد في مسنده (٢ / ٥٢٧)

وأبو داود (٢ / ٢١٨) كتاب المناسك باب زيارة القبور . وإسناده حسن .

١٦ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : « الأرواح جُنُود مُجَنَّدَةٌ ، فما تَعَارفَ منها ائتلَفَ ، وماتَنَاكَر منها اختلفَ » .

وفي رواية (١) يَرفَعُهُ قال : « الناسُ مَعَادنُ كمعادن الذَّهب والفضَّة ، خيارُهم في الجاهلية خيارُهم في الإسلام إذا فَقِهُوا ، والأرواحُ جنودٌ مجنَّدَةٌ .... الحديث » .

١٧ - * روى البخاري ومسلم عن رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ ؛ أَنَّ حُذَيفةَ حَدَّثَهُمْ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « تَلَقَّتِ الْمَلائِكَةُ رُوح رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَقَالُوا : أَعَمِلْتَ مِنَ الْخيرِ شيْئاً ؟ قَالَ : لا . قَالُوا : تَذَكَّرْ . قَالَ : كُنْتُ أُدينُ النَّاسَ . فَآمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا الْمُعْسِرَ وَيَتَجَوَّزُوا عَنِ الْمُوسِرِ . قَالَ : قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : تَجَوَّزُوا عَنْهُ » .

١٨ - * روى أحمد وأبو داود عن عليِّ بنِ شَمَّاخ ـــ وقيل : شماس ، قال : شَهدتُ مروانَ يسألُ أبا هريرةَ : « كيف سَمِعْتَ رسولَ الله ﷺ يُصَلِّي على الجنَازةِ ؟ قال أبو هريرةَ : سَمِعْتُه يقول: « اللهم أنت ربُّها ، وأنت خَلَقْتَها ، وأنت هديتَها إلى الإسلام وأنت قَبَضْتَ روحَها ، وأنت أعلمُ بسِرها وعلانِيَتِها ، جئنا شُفَعَاءَ ، فاغفر لها » .

١٩ - * روى أحمد وأبو داود عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، قال : سمعتُ رسولَ الله

---

١٦ - البخاري (٦ / ٣٦٩) ٦٠ - كتاب الأنبياء ٢ - باب الأرواح جنود مجندة .

ومسلم (٤ / ٢٠٣١) ٤٥ - كتاب البر والصلة والآداب ٤٩ - باب الأرواح جنود مجندة .

(١) مسلم في نفس الموضع السابق .

١٧ - البخاري (٤ / ٣٠٧) ٣٤ - كتاب البيوع ١٧ - باب من أنظر موسراً .

ومسلم (٣ / ١١٩٤) ٢٢ - كتاب المساقاة ٦ - باب فضل إنظار المعسر .

(وأنظر) : الإنظار : الإمهال والتأخير .

(الجواز) : في الشيء : المساهلة والتجاوز فيه .

١٨ - أحمد في مسنده (٢ / ٢٥٦) .

وأبو داود (٣ / ٢١٠) كتاب الجنائز باب الدعاء للميت .

وذكره الحافظ ابن حجر في أمالي الأذكار وقال : هذا حديث حسن .

١٩ - أحمد في مسنده (٢ / ٣٢٣)

وأبو داود (٤ / ٢٧٥) كتاب الأدب باب في النهي عن البغي . وإسناده حسن .

أوبقت : أوبقه يوبقه إذا أهلكه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ﷺ يقول : « كان في بني إسرائيلَ رجلان مُتواخيان ، أحدُهما مُذنبٌ والآخَرُ في العبادة مُجتهدٌ ، فكان المجتهدُ لا يزالُ يرى الآخر على ذَنب ، فيقول : أقْصِر ، فوجده يوماً على ذنب ، فقال : أقْصِر ، فقال : خلِّني وربي أبُعثْتَ عليَّ رَقيباً ؟ فقال له : واللهِ لا يغفرُ اللهُ لكَ ــ أو قال : لا يُدخلُك الجنة ــ فقبضَ اللهُ أرواحَهما ، فاجتمعا عند ربِّ العالمين ، فقال الربُّ تعالى للمُجْتَهد : أكنتَ عَلى مافي يدي قادراً ؟ وقال للمُذنب : اذهبْ فادخُل الجَنَّةَ برحمتي ، وقال للآخر : اذهبوا به إلى النار » قال أبو هريرةَ : تكلَّم والله بكلمةٍ أوبَقتْ دُنْياهُ وآخِرَتَه » .

٢٠ - * روى مسلم عن مسروق رحمه الله ، قال : سألنا عبدَ الله بنَ مسعودٍ عن هذه الآية ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الذينَ قُتِلُوا في سَبيلِ اللهِ أمْوَاتاً بَلْ أحْيَاءٌ عِندَ ربِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (١) فقال : أما إنَّا قد سألْنَا عن ذلك رسولَ الله ﷺ ؟ فقال : « أرواحُهم في جوف طَيرٍ خُضْرٍ ، لها قناديلُ مُعَلَّقَةٌ بالعرش ، تَسْرحُ من الجنةِ حيثُ شاءَتْ ، ثم تأوي إلى تلكَ القناديلِ فاطَّلعَ إليهم ربُّهم اطلاعَةً ، فقال : هل تَشتَهُونَ شيئاً ؟ قالوا : أيَّ شيءٍ نَشْتَهي ونحن نَسْرَحُ من الجنة حيثُ شِئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاثَ مراتٍ ، فلما رَأوا أنَّهم لم يُترَكوا من أن يُسألوا ، قالوا : يارب ، نُريدُ أن تَرُدَّ علينا أرواحنا في أجسادِنا حتى نُقتل في سبيلك مرة أُخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجةٌ تُرِكوا » .

أقول : إن كينونة أرواحهم في أجواف الطيور من زيادة الإكرام ، فالطيور بالنسبة لهم كالسيارة أو الطائرة لراكبها .

٢١ - * روى مسلم عن أبي هُرَيْرَةَ . قَالَ : « إذَا خَرَجَتْ رُوحُ الْمُؤمِنِ تَلَقَّاهَا مَلَكَانِ يُصْعِدَانِهَا قَالَ حَمَّادٌ : فَذَكَرَ مِنْ طِيبِ رِيحِهَا ، وَذَكَرَ الْمِسْكَ .

---

٢٠ - مسلم (٣ / ١٥٠٢) ٣٣ - كتاب الإمارة ٣٣ - باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة .

(١) آل عمران ١٦٩ .

٢١ - مسلم (٤ / ٢٢٠٢) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ١٧ - باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، وإثبات عذاب القبر ، والتعوذ منه .

(ريطة) : الريطة ثوب رقيق . وقيل : هي الملاءة . وكان سبب ردّها على الأنف بسبب ما ذكر من نتن ريح روح الكافر .

قَالَ : وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاء : رُوحٌ طَيِّبَةٌ جاءتْ مِنْ قِبَلِ الأَرْضِ . صَلَّى اللهُ عَلَيْكِ وَعَلَى جَسَدٍ كُنْتِ تَعْمُرِينَهُ . فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ . ثُمَّ يَقُولُ : انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الأَجَلِ .

قال : وإنَّ الكَافِرَ إذا خَرَجَتْ رُوحُهُ ـ قال حَمَّادٌ وذَكَرَ مِنْ نَتْنِهَا ، وذَكَرَ لَعْنًا ـ وَيَقُولُ أهلُ السَّمَاء : رُوحٌ خَبِيثَةٌ جاءت من قِبَلِ الأَرْضِ . قالَ فَيُقالُ : انْطَلِقُوا بِهِ إلى آخِرِ الأَجَلِ .

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَرَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَيْطَةً ، كَانَتْ عَلَيْهِ ، عَلَى أَنْفِهِ ، هَكَذَا .

٢٢ ـ * روى مسلم عن أمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قالت : دَخَلَ رسولُ الله ﷺ على أبي سلمةَ ـ وقد شَقَّ بصرهُ ـ فأَغْمضَهُ ، ثم قال : « إنَّ الروحَ إذا قُبض تَبعَه البصرُ » فَضَجَّ ناسٌ من أهله ، فقال : « لا تَدْعُوا على أنفسكم إلا بخير ، فإنَّ الملائكة يؤمِّنون على ماتقولون » ثم قال : « اللهم اغْفر لأبي سَلمةَ ، وارفع درجتَهُ في المهديين ، واخْلُفْهُ في عَقِبِه في الغابِرين ، واغفر لنا وله يارب العالمين ، وافْسَحْ له في قبره ، ونَوِّر له فيه » .

٢٣ ـ * روى الترمذي عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، قال : قالوا : يارسول الله متى وَجَبَتْ لك النبوةُ ؟ قال : « وآدمُ بين الروحِ والجسد » ، والمرادُ : أن آدم عليه السلام كان بَعدُ ترابًا لم يُصوَّر ولم يُخلَق .

٢٤ ـ * روى البخاري ومسلم عن عبدِ اللهِ بن مسعودٍ رضي الله عنه ، قال : حدثنا

---

٢٢ ـ مسلم (٢ / ٦٣٤) ١١ ـ كتاب الجنائز ٤ ـ باب في إغماض الميت والدعاء له ، إذا أُحضر .
وأبو داود (٣ / ١٩١) كتاب الجنائز ـ باب تغميض الميت .

٢٣ ـ الترمذي (٥ / ٥٨٥) ٥٠ ـ كتاب المناقب ١ ـ باب في فضل النبي ﷺ . وقال : حسن صحيح غريب .

٢٤ ـ البخاري (١١ / ٤٧٧) ٨٢ ـ كتاب القدر باب : ١ .
ومسلم (٤ / ٢٠٣٦) ٤٦ ـ كتاب القدر ١ ـ باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه .
وأبو داود (٤ / ٢٢٨) كتاب السنة ١٧ ـ باب في القدر .
والترمذي (٤ / ٤٤٦) ٣٣ ـ كتاب القدر ٤ ـ باب ماجاء أن الأعمال بالخواتيم . وقال : حسن صحيح .

٣٩

رسولُ الله ﷺ وهو الصادقُ المصدوقُ : « إن خلقَ أحَدِكم يُجمعُ في بطنِ أُمِّـهِ أربعين يوماً ، ثم يكون عَلَقةً مثلَ ذلك ، ثم يكون مُضغة مثل ذلك ، ثم يَبْعَثُ الله إليـه مَلكاً بأربع كلمات : بكَتْبِ رزقهِ وأجله وعَمَله ، وشَقيٌّ أو سعيـدٌ ، ثم يَنْفُخُ فيـه الروحَ ، فوالذي لا إله غيرُهُ ، إنَّ أحدَكم ليَعْملُ بعمل أهل الجَنـةِ ، حتى مـا يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ ، فيسبِقُ عليه الكتـابُ فَيَعملُ بعَملِ أهلِ النـار فيَـدْخُلُها ، وإن أحدَكم لَيَعْمَل بعمل أهل النار حتى مـا يكونُ بينـه وبينهـا إلا ذراعٌ ، فيَسبق عليه الكتابُ فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخُلُها » .

* * *

الفقرة الثالثة : نصوص في العقل

قال تعالى ﴿ أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه ﴾ (١) .

المراد بالعقل هنا العقل الذي هو محل إدراك الخطاب .

﴿ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ماكنا في أصحاب السعير ﴾ (٢) .

﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها إلا العالمون ﴾ (٣) .

﴿ أفانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ﴾ (٤) .

﴿ أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ﴾ (٥).

المراد بالعقل بالنصوص الأربعة الأخيرة العقل الشرعي ومقره القلب .

ومن نصوص السنة في العقل :

٢٥ - * روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : خرج رسولُ الله ﷺ في أضْحَى - أو فطر - إلى المصلّى ، فمرَّ على النساء ، فقال : « يامَعشرَ النساء ، تَصدَّقْنَ ، فإني أُريتُكنَّ أكثرَ أهل النار » فقُلْنَ : لِمَ يارسولَ الله ؟ قال : « تُكْثِرنَ اللَّعنَ ، وتَكْفُرْن العشيرَ ، مارأيتَ من ناقصات عقل ودينٍ أذْهبَ لِلُب الرجل الحازم من إحداكن » قُلْنَ : ومانُقْصان عقلِنا وديننا يارسول الله ؟ قال : « أليس شهادةُالمرأة منكن مثلَ نصفِ شهادةِ الرجل ؟ » قُلْنَ : بلى ؟ قال : « فذلك من نقصان عقلها أليس إذا حاضت لم تُصَلِّ ولم تصمْ » ؟ قُلْنَ : بلى ، قال : « فذلك من نُقْصانِ دينها » .

---

(١) البقرة : ٧٥ .
(٢) الملك : ١٠ .
(٣) العنكبوت : ٤٣ .
(٤) يونس : ٤٢ .
(٥) الحج : ٤٦ .

٢٥ - البخاري (١ / ٤٠٥) ٦ - كتاب الحيض ٦ - باب ترك الحائض الصوم .
تكفرن العشير : تجحدن إحسان أزواجكن .

فائدة :

المرأة بالنسبة للعقل التكليفي الذي هو محل إدراك الخطاب كالرجل ، إلا أنها تختلف عن الرجل في مقدار التكليف وفي طبيعته نوع اختلاف بسبب تركيبها الذي يتناسب مع دورها الحياتي ، فهي من هذه الحيثية ينقص دينها وعقلها عن دين الرجل وعقله .

٢٦ - * روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يُعيدُ الكلمةَ ثلاثاً ، لتُعْقَلَ عنه .

* * *

٢٦ - الترمذي (٥ / ٦٠٠) ٥٠ - كتاب المناقب ٩ - باب في كلام النبي ﷺ وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب ، وهو كما قال .

الفقرة الرابعة : نصوص في القلب

١ - في أن القلب الإيماني محله الصدر .

قال تعالى : ﴿ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ (١) .

﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ﴾ (٢) .

﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضَيِّقاً حَرَجًا كأنما يصَّعَّد في السماء ﴾ (٣) .

﴿ وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ﴾ (٤) .

﴿ ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه ﴾ (٥) .

﴿ وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر ﴾ (٦)

ومن نصوص السنة النبوية :

٢٧ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إياكم والظَّنَّ ، فإنَّ الظَنَّ أكذبُ الحديثِ ، ولا تحَسَّسُوا ، ولا تَجسَّسُوا ، ولا تَنَافسُوا ، ولا تحاسدُوا ، ولا تَبَاغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عبادَ الله إخواناً كما أمَرَكم ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلِمُه ، ولا يَخْذُلُهُ ، ولا يَحْقِرَهُ ، التقوى ها هنا ، التقوى ها هنا ، التقوى ها هنا — ويشير إلى صدره — بَحسْب امرئ من الشَّرِّ : أن يَحقرَ أخاه المسلم ، كلُّ المسلم على المسلم حرامٌ : دمُه ، وعِرْضُه ،

---

(١) الحج : ٤٦ .
(٢) الزمر : ٢٢ .
(٣) الأنعام : ١٢٥ .
(٤) الأحزاب : ١٠ .
(٥) الأحزاب : ٤ .
(٦) غافر : ١٨ .

٢٧ - البخاري (١٠ / ٤٨١) ٧٨ - كتاب الأدب ٥٧ - باب ماينهى عن التحاسد والتدابر .

ومسلم (٤ / ١٩٨٦) ٤٥ - كتاب البر والصلة ١٠ - باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله .

ومالَهُ ، إن اللهَ لا ينظر إلى أجسادِكم ، ولا إلى صُورِكم ، ولكن ينظر إلى قلوُبكم وأعمالكم » .

٢ ـ في بعض نصوص تتحدث عن القلب

من نصوص الكتاب في القلب :

قال تعالى : ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ [١] .

﴿ وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم ﴾ [٢] .

﴿ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ﴾ [٣] .

﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ [٤] .

﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم ﴾ [٥].

﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾ [٦]

﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً ﴾ [٧] .

﴿ وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ﴾ [٨] .

﴿ ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم ﴾ [٩] .

﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ [١٠].

﴿ وألف بين قلوبهم ﴾ [١١] ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله إلا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ [١٢] .

---

(١) الشعراء : ٨٨ ، ٨٩ .
(٢) الفتح : ٤.
(٣) الصافات : ٨٣ ، ٨٤ .
(٤) الحديد : ٢٧ .
(٥) ق : ٣٣ .
(٦) الحجرات : ٧ .
(٧) ق : ٣٧ .
(٨) الأنفال : ٣ .
(٩) التغابن : ١١ .
(١٠) الأنفال : ٦٣ .
(١١) الحج : ٣٢ .
(١٢) الرعد : ٢٨ .

﴿ فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم ﴾ [١] .

﴿ والذين يؤتون ماآتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون ﴾ [٢] .

﴿ ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾ [٣] .

﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل من الحق ﴾ [٤] .

﴿ أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ﴾ [٥]

وقال تعالى ﴿ سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب ﴾ [٦] .

﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ [٧]

﴿ ختم الله على قلوبهم ﴾ [٨] .

﴿ في قلوبهم مرض ﴾ [٩] .

﴿ كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون ﴾ [١٠]

وقال تعالى : ﴿ قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزّله على قلبك ﴾ [١١] .

﴿ نزَل به الروحُ الأمين على قلبك لتكون من المنذِرين ﴾ [١٢] .

---

(١) الحج : ٥٤ .
(٢) محمد : ٢٤ .
(٣) المؤمنون : ٦٠ .
(٤) البقرة : ٧ .
(٥) الزمر : ٢٣ .
(٦) البقرة : ١٠ .
(٧) الحديد : ١٦ .
(٨) المطففين : ١٤ .
(٩) المجادلة : ٢٢ .
(١٠) البقرة : ٩٧ .
(١١) آل عمران : ١٥١ .
(١٢) الشعراء : ١٩٣ ، ١٩٤ .

ومن نصوص السنة في القلوب

٢٨ - * روى مسلم عن الأَغَرّ المزني رضي الله عنه ، قال : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : « إنه لَيُغَانُ على قلبي ، حتى استَغفر الله في اليوم مائة مرة » .

قال ابن الأثير :

لَيُغَانُ على قلْبي : أي : لَيُغَطَّى ويُغشى ، والمراد به : السَّهْوَ ، لأنه كان ﷺ لا يزال في مزيدٍ من الذِّكرِ والقُرْبة ودوام المراقبة ، فإذا سها عن شيء منها في بعض الأوقات ، أو نسيَ ، عَدَّهُ ذَنبًا على نفسه ففزِعَ إلى الاستغفار .

أقول :

« قال بعضهم مفسرًا هذا الحديث ناسبًا هذا التفسير إلى رؤيا رأى فيها رسول الله ﷺ ، فذكر رسول الله ﷺ في المنام « « أنه غين أنوار لا أغيار» و لا شك أن نوع الغين الذي يقع لقلب - رسول الله ﷺ غير ما يمكن أن يتوهمه بعض الناس من كون هذه الحالة حالة نقص في حقه عليه الصلاة والسلام ، إلا أن في الحديث تحريضًا للمؤمنين أن يراعوا قلوبهم ويكثروا من الاستغفار لجلائها » .

٢٩ - * روى البخاري ومسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : حدَّثنا رسول الله ﷺ حديثين ، قد رأيتُ أحدهما ، وأنا أَنْتَظِرُ الآخَرَ ، حَدَّثنا أنَّ الأمانة نزلت في جَذر قلوب الرِّجال ، ثم نزل القرآن ، فعلِمُوا من القرآن ، وعلموا من السُّنَّةِ . ثمَّ حدَّثنا عن رَفْعِ الأمانة ، فقال : ينامُ الرَّجُلُ النومَةَ ، فَتُقْبَضُ الأمانةُ من قلبه ، فيظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوكْتِ ، ثمَّ ينامُ النَّومَة ، فَتُقْبَضُ الأمانةُ من قلبه ، فيظَلُّ أَثرُهَا مِثْلَ أَثَرِ المجْلِ ، كَجَمْرٍ

---

٢٨ - مسلم (٤ / ٢٠٧٥) ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ١٢ - باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه .

٢٩ - البخاري (١١ / ٣٣٣) ٨١ - كتاب الرقاق ٣٥ - باب رفع الأمانة .

ومسلم (١ / ١٢٦) ١ - كتاب الإيمان ٦٤ - باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب .

(جَذْر) : الشيء ، بفتح الجيم وكسرها : أصله .

(الوَكت) : النُّقطةُ في الشيء من غير لونه .

(المَجْلُ) : غِلَظُ الجلدِ من أثر العمل ، وقيل : إنما هي النَّفاطات في الجلد . =

دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ ، فَتَراه مُنْتَبِرًا ، وليس فيه شيءٌ ـ ثم أَخَذَ حصى فـدحْرجَـهُ على رجْلِهِ ـ فيُصبحُ النَّاسُ يتبـايَعون ، فلا يكاد أَحـدٌ يُؤدِّي الأمـانَـة ، حَتَّى يُقـال : إنَّ في بني فلانٍ رَجُلاً أمينًا ، حتى يُقالُ للرجلِ : ماأَجْلَدَه ، ماأَظْرفَهُ ، ماأَعْقَلَهُ ، وما في قلبـه مِثْقَـالُ حبَّةٍ من خَردلٍ من إيمـان ، ولقـد أتى عليَّ زمـانٌ ومـا أبـالي أيكُم بـايعْتُ لئِن كان مُسلمًـا ليَرُدَّنَّه عليَّ دينُهُ ، وإن كان نَصْرانِيًا أو يَهوديًا ليَرُدَّنه عليَّ ساعيه ، وأما اليومَ فما كنتُ أبايع منكم إلا فلانًا وفلانًا .

قال ابن التين : الأمانة : كل مايخفى ولا يعلمـه إلا الله من المكلف ، وعن ابن عبـاس : هي الفرائض التي أمروا بها ونهوا عنها ، وقـال أبو بكر بن العربي : المراد بـالأمـانـة في هـذا الحديث الإيمان ، وتحقيق ذلك فيما ذكر من رفعها أن الأعمال السيئـة لاتزال تضعف الإيمـان حتى إذا تناهى الضعف لم يبق إلا أثر الإيمـان وهو التلفـظ بـاللسـان والاعتقـاد الضعيف في ظاهر القلب ، فشبهه بالأثر في ظاهر البدن ، وكنى عن ضعف الإيمان بـالنوم ، وضرب مثلاً لزهوق الإيمان عن القلب حالاً بزهوق الحجر عن الرجل حتى يقع بالأرض . (م) .

قال صاحب التحرير : معنى الحديث أن الأمانة تزول عن القلوب شيئًا فشيئًا فـإذا زال أول جزء منهـا زال نورهـا وخلفتـه ظلمـة كالوكت ـ وهو اعتراض لون مخـالف للّـون الـذي قبلـه ـ فـإذا زال شيء آخر صـار كالمجل ـ وهو أثر محكم لايكاد يـزول إلا بعـد مـدة ـ وهـذه الظلمـة فوق التي قبلهـا ، ثم شبـه زوال ذلـك النـور بعـد وقـوعـه في القلب وخروجـه بعـد استقراره فيه واعتقاب الظلمة إياه بجحر يدحرجه على رجله حتى يؤثر فيهـا ثم يزول الحجر ويبقى التنفط .

= (فنفط) : يقال : نفطت يده نفطاً ، من باب تَعب ، ونفيطاً إذا صار بين الجلد واللحم ماء .

(مُنتبرًا) المُنْتَبِرُ : المنتفخ وليس فيه شيء ، وكل شيء رفع شيئًا ، فقد نَبَرهُ ومنه اشتقَ المنبرُ .

(ساعيـه) السَّـاعي : واحـد السُّعـاة ، وهم الولاة على القوم ، يعني أنَّ المسلمين كانوا مُهْتمين بـالإسلام ، فيحتفظـون بالصدق والأمانة ، والملوك ذوو عدْل ، فما كنتُ أبالي مَنْ أُعامِل : إن كان مسلمـاً ردّه إليَّ بـالخروج عن الحق عَمَلُهُ بمقتضي الإسلام ، وإن كان غير مُسلِمٍ أنصفني منه عامله .

٣٠ ـ * روى البخـاري ومسلم عن عليّ بن الحسين رضي الله عنهما أنَّ صَفيَّـةَ زَوجَ النبي ﷺ ورضي الله عنها قـالت : كان النبيُّ ﷺ مُعْتكفًا ، فـأتيتـه أزورُهُ لَيْلاً ، فحـدَّثْتُـهُ ، ثم قُمتُ لأنْقلِبَ ، فقام معي ليقْلِبني ، وكان مسكنُها في دارِ أُسامَـةَ بن زيـد ، فمرَّ رجلان من الأنصار ، فلمَّا رأيـا النبي ﷺ أسرعـا ، فقـال النبي ﷺ : « على رِسْلِكُمَـا ، إنَّهـا صفيـةُ بنتُ حُيَيّ » . فقالا : سُبْحان اللهِ ، فقـال : « إنَّ الشيطـان يجري من ابن آدم مَجْرَى الدمِ ، وإنِّي خشيتُ أن يَقْذِفَ في **قلوبكما** شرًّا » ـ أو قال : شيئًا ـ .

٣١ ـ * روى الترمذي عن ثوبان رضي الله عنـه قـال : لما نزلت : ﴿ **والـذين يكنِزون الذَّهَبَ والفِضَّةَ ولا ينفقونها في سبيل الله** ﴾ [(١)] كُنَّا مع رسولِ اللهِ ﷺ في بعضِ أسفـارِهِ ، فقال بعضُ أصحابه : أُنزلت في الذهب والفضة ، فلو علمنا : أيُّ المـال خيرٌ فنتَّخـذه ، فقـال رسول الله ﷺ : « أفْضَلُهُ : لِسانٌ ذَاكرٌ ، وقلبٌ شاكرٌ ، وزوجةٌ صالحـةٌ تُعينـه على إيمانه » .

٣٢ ـ * روى البخـاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنهما : عن النبي ﷺ قـال : « كُتِبَ على ابن آدمَ نصيبُهُ من الزِّنا ، مُدْرِكٌ ذلـك لامَحـالـة ، فـالعينـان زِنَـاهُما النَّظَرُ ، والأُذُنَان زِناهُمَا الاستماعُ ، واللِّسـانُ زِنَاه الْكلامُ ، واليَدُ زِنـاهـا الْبَطْشُ ، والرِّجْـلُ زِنـاهـا الْخُطَـا ، والْقَلْبُ يَهـوى ويتَمنَّى ، ويُصَـدِّقُ ذلـك الْفَرْجُ أو يُكَذِّبُهُ » .

---

٣٠ ـ البخاري (٤ / ٢٧٨) ٣٣ ـ كتاب الاعتكاف ٨ ـ باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد .
ومسلم (٤ / ١٧١٢) ٣٩ ـ كتـاب السلام ٩ ـ بـاب بيـان أنـه يستحب لمن رؤى خـاليـاً بامرأة ... أن يقـول هـذه فلانة ...

٣١ ـ الترمذي (٥ / ٢٧٧) ٤٨ ـ كتاب تفسير القرآن ١٠ ـ باب ومن سورة التوبة وقال : هذا حديث حسن .
(١) التوبة : ٣٤ .

٣٢ ـ البخاري (١١ / ٥٥٢) ٨٢ ـ كتاب القدر ٩ ـ باب ﴿ **وحرامٌ على قرية أهلكناها** ﴾ .
ومسلم (٤ / ٢٠٤٦) ٤٦ ـ كتاب القدر ٥ ـ باب قدر على ابن آدم حظه من الزنى وغيره .

٣٣ - * روى أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رَضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ الْعَبْدَ إذا أخْطَأَ خَطِيئَةً ، نُكِتَت في قلبه نُكْتَةٌ ، فإذا هو نَزَعَ واستَغْفَرَ وتابَ ، صُقِلَ قلبهُ ، وإنْ عاد ، زِيدَ فيها ، حتى تَعْلُوَ قَلْبَهُ ، وهو الرَّانُ الذي ذكره الله » ﴿ كلا بل رانَ على قُلُوبهم ماكانوا يكسبُون ﴾ [1] .

٣٤ - * روى أبو داود والحاكم ، عن عبدِ الله ، قال : كنا لاندري مانقول إذا جلسنا في الصلاة ، وكان رسول الله ﷺ قد عُلِّم ، فذكر نحوه ، قال شريك : وحدثنا جامع - يعني ابن شداد - عن أبي وائل عن عبد الله ، بمثله ، قال : وكان يعلمنا كلمات ولم يكن يُعَلِّمَناهُنَّ كما يعلمنا التشهد : اللهم أَلِّفْ بين قلوبنا ، وأصلح ذات بيننا ، واهدنا سبل السلام ، ونَجِّنَا من الظلمات إلى النور ، وجنِّبْنَا الفواحش ماظهر منها وما بطن ، وبارك لنا في أسماعنا ، وأبصارنا ، وقلوبنا ، وأزواجنا ، وذرياتنا ، وتب علينا ؛ إنك أنت التواب الرحيم ، واجعلنا شاكرين لنعمتك ، مُثْنِينَ بها ، قابليها وأتِمَّهَا علينا .

٣٥ - * روى الترمذي عن شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ ، قال : قلتُ لأمِّ سلمةَ رضي الله عنها : ياأمَّ المؤمنين ، ماكان أكثرُ دُعاء رسولِ الله ﷺ إذا كان عندَكِ ؟ قالت : كان أكْثَرُ دُعائه : يامُقَلِّبَ القُلوبِ ثَبِّت قلبي على دِينك ، قالت : فقلتُ له : يارسولَ الله ، ماأكثَرَ دُعاءَكَ بهذا ؟ قال : « ياأُمَّ سلمةَ ، إنه ليس آدَميٌّ إلا وقلبُه بين إصْبَعيْنِ من أصابع الله ، فمن شاء أقام ، ومن شاء أزَاغَ » .

---

٣٣ - أحمد في مسنده (٢ / ٢٩٧) .

والترمذي (٥ / ٤٣٤) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ٧٥ - باب « ومن سورة المطففين » وقال : حديث حسن صحيح .

وابن ماجه (٢ / ١٤١٨) ٣٧ - كتاب الزهد ٢٩ - باب ذكر الذنوب .

(نكتَ) النَّكْتُ : الأثر في الشيء .

(الرانُ) رَان على قلبه ، أي : غطَّى ، وقيل : غلبَ .

(١) المطففين : ١٤ .

٣٤ - أبو داود (١ / ٢٥٤) كتاب الصلاة باب التشهد .

والمستدرك (١ / ٢٦٥) وقال : صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا .

٣٥ - الترمذي (٤ / ٤٤٨) ٣٣ - كتاب القدر ٧ - باب ماجاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن وقال : حديث حسن صحيح .

أزاغ : الزيغ : الميل عن الاعتدال .

٣٦ - * روى البخاري عن عبدِ الله بنِ عَمرو رضي الله عنهما ، قال : أكثر ما كان النبي ﷺ يحلف : لا ، ومُقَلِّبِ القلوب .

٣٧ - * روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضيَ الله عنهما ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إن قُلُوبَ بني آدمَ كلَّها بين إصبعين من أصابع الرحمنِ ، كقلب واحدٍ ، يُصَرِّفهُ حيث يشاء » ثم قال رسولُ الله ﷺ : « اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القلوب ثَبِّتْ قلوبَنَا على طاعتك » .

٣٨ - * روى النسائي عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : كان رسولُ الله ﷺ يقول : « اللهم اغْسلْ خَطَايَاي بماء الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ ، ونَقِّ قَلْبِي من الخطايا كما نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ منْ الدَّنَسِ » .

٣٩ - * روى الترمذي عن عبدِ الله بنِ عمرَ رضي الله عنهما ، قال : صَعِدَ رسولُ الله ﷺ المنبر ، فنادى بصوتٍ رفيعٍ ، فقال : « يامَعشرَ مَنْ أسلم بلسانه ولم يُفْض الإيمانُ إلى قلبه ، لاتُؤذُوا المسلمين ، ولا تُعَيِّروهم ، ولا تَتَّبِعُوا عوراتِهم ، فإنه من تَتبَّع عورة أخيه المسلمِ تَتبَّع اللهُ عورته ، ومن تتبَّع الله عورتَهُ يفْضَحْهُ ولو في جوف رَحْله » قال نافعٌ ، ونظر ابنُ عمرَ يومًا إلى الكعبة، فقال : ماأعْظَمكِ وأعظمَ حُرمَتكِ ، والمؤمنُ أعظمُ حُرمة عندَ الله منكِ .

٤٠ - * روى الترمذي عن عبدِ الله بنِ عُمرَ رضي الله عنهما ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ الله تعالى جعل الحقَّ على لسانِ عمرَ وقلبِه » . قال : وقال ابن عمر : ما نزل بالناس أمرٌ قط ، فقالوا فيه ، وقال فيه عمر - أو قال : ابن الخطاب شَكَّ خارجةُ - إلا نزل

---

٣٦ - البخاري (١١ / ٥١٣) ٨٢ - كتاب القدر ١٤ - باب يحول بين المرء وقلبه .

٣٧ - مسلم (٤ / ٢٠٤٥) ٤٦ - كتاب القدر ٣ - باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء .

٣٨ - النسائي (١ / ٥١) ١ - كتاب الطهارة ٤٩ - باب الوضوء بماء الثلج . وإسناده حسن .

(بماء الثَّلج والبَرَد) : تخصيص الثلج والبَرَد تأكيد للتطهير ومبالغة فيه ، لأن الثلج والبَرَد ماءان مفطوران على خلقتها ، لم يُستعملا ولم تَنَلْهما الأيدي ، ولم تخضْها الأرجلُ .

٣٩ - الترمذي (٤ / ٣٧٨) ٢٨ - كتاب البر والصلة ٨٥ - باب ما جاء في تعظيم المؤمن وقال : حسن غريب . وإسناده حسن .

وابن حبان : الإحسان (٧ / ٥٠٦) وأبو يعلى بإسناد حسن .

٤٠ - الترمذي (٥ / ٦١٧) ٥٠ - كتاب المناقب ١٨ - باب في مناقب عمر بن الخطاب . وقال : حديث حسن غريب من هذا الوجه .

فيه القرآن على نحو ماقال عمر .

٤١ ـ * روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يَخرجُ من النار من كان في **قلبه** مثقالُ ذَرَّةٍ من الإيمان » قال أبو سعيد : فمن شك فليقرأ ﴿ **إن الله لايظلم مثقال ذرّة** ﴾ [1] .

٤٢ ـ * روى البخاري عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، قال : قلتُ : يارسولَ الله مَنْ أسْعَدُ الناس بشَفاعتِك يوم القيامة ؟ قال : « لقد ظننتُ أن لايسألني عن هذا أوّلَ منك ، لما رأيتُ من حِرْصِكَ على الحديث ، أسعدُ النَّاسِ بشفاعتي يومَ القيامة من قال : لاإله إلا الله ، خالصًا مُخْلِصًا من **قلبه** » .

٤٣ ـ * روى النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، قال : « لا يجتمعُ غُبارٌ في سبيل الله ودُخَانُ جهنَّم في جوفِ عبدٍ أبداً ، ولا يجتمع الشُّح والإيمان في **قلب** عبدٍ أبداً » . وفي أخرى « في قلبِ مسلمٍ » في الموضعين .

٤٤ ـ * روى مسلم عن حُذَيفَةَ بن اليَمان رضي الله عنه قال : كنا عند عمر فقال : أيكم سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يذكُر الفِتَنَ ؟ فقال قوم : نحن سمعناه ، فقال : لَعَلَّكم تَعْنُون فتنةَ الرجلِ في أهله وجاره ؟ قالوا : أجل ، قال : تلك يُكَفِّرها الصلاةُ والصيام والصدقة ، ولكن أيُّكم سمع النبي ﷺ يذكر التي تموج موجَ البحر ؟ قال حذيفة : فأَسْكَتَ القومُ ، فقلت : أنا ، قال : أنت لله أبوك ، قال حذيفة : سمعت رسولَ الله ﷺ : يقول : « تُعْرَض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا ، فأيُّ قلبٍ أُشْرِبَها نُكِتَ فيه نُكتةٌ

---

٤١ ـ الترمذي (٤ / ٧١٤) ٤٠ ـ كتاب صفة جهنم ١٠ ـ باب منه . وقال : هذا حديث حسن صحيح . وإسناده صحيح .

(١) النساء : ٤٠ .

٤٢ ـ البخاري (١ / ١٩٣) ٣ ـ كتاب العلم ٣٣ ـ باب الحرص على الحديث .

٤٣ ـ النسائي (٦ / ١٣) ٢٥ ـ كتاب الجهاد ٨ ـ فضل من عمل في سبيل الله على قدمه .

والترمذي (٤ / ١٧١) ٢٣ ـ كتاب فضائل الجهاد ٨ ـ باب ماجاء في فضل الغبار في سبيل الله . وقال : حديث حسن صحيح وهو كما قال .

٤٤ ـ مسلم (١ / ١٢٨) ١ ـ كتاب الإيمان ٦٥ ـ باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً .

أُشرِبها : أشرب القلب هذا الأمر : إذا دخل فيه وقَبِلَهُ وسكن إليه كأنه قد شَرِبه . =

سوداءُ ؟ وأيُّ قلب أنكَرها نُكِتَ فيه نكتةٌ بيضـاءُ ، حتى تصيرَ على قلبين : أبيضَ مثل الصَّفا ، فلاتَضره فِتنةٌ ، مادامتِ السمواتُ والأرضُ ، والآخرُ : أسودُ مُرْبادًا ، كالكـوزِ مُجَخِّيًـا ، لايعرف معروفًـا ، ولايُنكِرُ مُنكَرًا ، إلا مـاأُشْرِبَ من هـواه » قـال : وحـدَّثتـه : أن بينـك وبينها بـابًـا مُغْلقًـا ، يُـوشِـك أنْ يُكْسَرَ قـال عمر : أكسرًا ؟ لاأبالك ، فلو أنه فُتِحَ ؟ لعله كان يُعادُ ، قال : لا ، بل يُكْسَرُ ، وحدَّثتـه أن ذلـك البـابَ رجلٌ يقتل أو يموتُ ،حديثًا ليس بالأغاليـطِ . قـال ربْعـيٌّ : فقلـت : يـاأبـا مـالـك ـ هو سعد بن طارق ـ مأسودُ مرباداً ؟ قال : شِدة البياض في سوادٍ ، قلت : فما الكوز مُجخيًا ؟ قال : منكوسا .

(كالحصير عَودًا عودًا) قال الحميدي : في بعض الروايات « عَرْضَ الحصير » والمعنى فيها : أنها تحيط بالقلوب كالمحصور المحبوس ، يقال : حصره القوم : إذا أحاطوا به ، وضيقوا عليه ، قال : وقال الليث : حصير الجَنْب : عِرْق يمتد معترضًا على الجَنْب إلى نـاحيـة البطن ، شَبَّـه إحاطتَها بالقلب بإحاطة هذا العِرق بالبطن ، وقوله « عَوْدًا عَوْدًا » :
أي مرَّة بعد مرة ، يقول : عاد يعودُ عودة وعَوداً .

أقول :

هناك روايات تذكر بدل العَود العُودَ ويترتب على ذلك اختلاف في شرح الحصير وسيمر معنا الحديث مرة أخرى .

٤٥ ـ * روى البخـاري ومسلم عن أبي إدريسَ الخـولانيِّ ، أنـه سمِعَ حـذيفـةَ بن اليمان يقولُ : كان النـاسُ يَسـألونَ رسـولَ الله ﷺ عن الخير ، وكنتُ أسـألُـه عنِ الشرِّ مخـافَـة أن يُدركَني ، فقلتُ : يارسولَ الله ، إنا كنَّا في جاهلية وشر ، فَجاءنا الله بهـذا الخير ، فهل بعـدَ

= نكِتَ فيه نكتة سوداء : أي أثر فيه أثرًا أسودَ ، وهو دليل السخط ولذلك قـال في حـالـة الرضى : نَكت فيـه نُكْتـةً بيضاء ، حتى تصير القلوب على قلبين . أي على قسمين .

مرباداً : المرْبادُ والمُربدُ : الذي في لونه رُبْدة ، وهي بين السواد والغُبرة .

كالكوز مجخياً : المُجَخّي : المائل عن الاستقامة والاعتدال هـاهنـا ، وجَخّي الرجل في جلوسـه : إذا جلس مستوفزاً ، وجَخّي في صلاته : إذا جافى عضديه عن جوفه ورفع جوفه عن الأرض وخَوى .

٤٥ ـ البخاري (١٣ / ٣٥) ٩٢ ـ كتاب الفتن ١١ ـ باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة . =

هـذا الخير من شر ؟ قال : « نعم » . قلتُ : وهل بعـد ذلـك الشرّ من خير ؟ قال : « نعم وفيه دَخَن » . قلتُ وما دَخَنهُ ؟ قال : « قومٌ يَهدونَ بغير هَـدْيي ، تَعرفُ منهم وتُنكر » ، قلتُ : فهـل بعـدَ ذلـك الخير من شرٍّ ؟ قـال : « نعم ، دُعـاةٌ على أبـوابِ جهنم ، مَن أجابهم إليها قذَفوه فيها » . قلتُ : يارسولَ الله ، صفهم لنا ، قال : « هم من جِلدَتنـا ، ويتكلمون بـألسنَتنـا » . قلتُ : فما تـأمرني إنْ أدركني ذلـك ؟ قـال : « تَلـزمُ جمـاعـةَ المسلمين وإمـامَهم » قلتُ : فـإن لم يكنْ لهم جمـاعةٌ ولا إمـام ؟ قـال : « فـاعتزِلْ تلـكَ الفِرَقَ كلَّها ، ولو أن تَعضَّ بأصل شجرة حتى يُدركَك الموتُ وأنتَ على ذلك » .

ولمسلم [١] نَحْوَه ، وفيـه قلتُ : « مـا دَخنُـهُ ؟ قـال : « قـوم لا يستنُّـون بِسُنَتي ، وسيقوم فيهم رِجَـالٌ قُلوبُهم قلوبُ الشيـاطين في جُثمان إنْس » ، قلت : كيف أصنـع يـارسولَ الله إن أدركتُ ذلـك ؟ قـال : « تَسْمَعُ وتُطيـع ، وإن ضُربَ ظَهرُك ، وأُخـذ مالُكَ ، فاسمع وأطع » .

٤٦ ـ * روى الترمـذي عن أبي هريرةَ ، وعبـدِ اللهِ بنِ عمرَ رضي الله عنهم ، قـال أبو هريرة : قـال رسـولُ الله ﷺ : « يكـون في آخر الـزمـان رجـالٌ يَخْتِلُونَ الـدُّنيـا بـالـدِّين ، يَلبسُـون للنـاس جلودَ الضَّـأنِ من اللِّين ، ألسِنَتُهم أحلى من العسـل وقلُوبهم قُلُوبُ الذِّئـاب ، يقول الله تعـالى : أبي يَغْتَرُّونَ ، أم عليَّ يَجْتَرِئونَ ؟ فبي حَلَفْتُ ، لأبعَثَنَّ على أُولئك منهم فِتنَةً تَدَعُ الحليمَ حَيْرَان » .

وروايةُ ابن عمرَ أخصر من هذه ، قال : قال النبيُّ ﷺ : « إن الله قال : لقد خلقتُ خلقًـا ألسِنتُهم أحلى من العسلِ ، وقُلـوبُهم أمرُّ من الصَّبر ، فبي حلفتُ : لأُتيحَنَّهُم فتنةً تدعُ الحليمَ منهم حيران ، فبي يغترون ، أم عليَّ يجترئون » ؟ .

= ومسلم (٣ / ١٤٧٥) ٣٣ ـ كتاب الإمارة ١٣ ـ باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين .

مسلم (٣ / ١٤٧٦) في نفس الموضع السابق .

٤٦ ـ الترمذي (٤ / ٦٠٤) ٣٧ ـ كتاب الزهد ٥٩ ـ باب حدثنا سويد ... وقال حسن غريب . وهو حديث حسن .

(يَخْتِلُون) : الخَتْلُ : الخِدَاعُ .

(يَجْتَرِئُون) : الاجتراء : الجسَارَةُ على الشيء .

(لأُتيحنَّهم) : أتَاحَ الله لفلان كذا ، أي : قَدَّرَهُ له .

=

٤٧ ـ * روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، قال : قال رسولُ الله : « غِلَظُ القلوب والجَفاءُ : في المشرق ، والإيمانُ في أهل الحجاز » .

٤٨ ـ * روى مسلم عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه ، قال : كان رسولُ الله ﷺ يَمسحُ مَناكِبنا في الصلاة ، ويقول : « اسْتَووا ، ولاتَختِلفوا فتختلفَ قلوبُكم ، لِيَلِني منكم أُولو الأحلامِ والنُّهى ، ثم الذين يَلُونهم ، ثم الذين يلونهم » .
قال أبو مسعود : فأنتم اليومَ أشدُّ اختلافًا .

٤٩ ـ * روى أبو داود والنسائي عن أبي الجَعْد الضَّمْري رضي الله عنه ، وكانت له صُحْبَةٌ : أن رسولَ الله ﷺ قال : « من تَرَكَ ثَلاثَ جُمَعٍ تهاونًا بها طَبَعَ الله على قلبه » .

وعند الترمذي [(١)] « من تركَ الجمعةَ ثلاثَ مرَّاتٍ تَهاوُنًا بها طَبَعَ اللهُ على قلبه » .

٥٠ ـ * روى مسلم عن أبي إدريس الخَوْلاني رحمه الله ، عن أبي ذَرٍّ ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال :ـ فيما روي عن الله تبارك وتعالى ـ أنه قال : « ياعبادي إني حَرَّمتُ الظُّلْمَ على نفسي ، وجعلتُه بينكم مُحرَّمًا ، فلا تَظَالموا ،ياعبادي ، كُلُّكم ضالٌّ إلا منْ هدَيتُه ، فاسْتَهدُوني أَهْدِكم ، ياعبادي ، كُلُّكم جائع إلا من أطعمتُهُ ، فاستطعِموني أُطْعِمْكم ، ياعبادي ، كُلُّكم عارٍ إلا منْ كَسوْتُه ، فاستكْسُوني أكْسُكمْ ، ياعبادي ، إنكم تُخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفِرُ الذُّنوبَ جميعًا ، فاستغفروني أغفِرْ لكم ، ياعبادي ، إنَّكم لَنْ تبلغُوا ضَري فَتَضُروني ، ولن تبلغوا نَفْعي فَتنفعوني ،

---

٤٧ ـ مسلم (١ / ٧٣) ١ ـ كتاب الإيمان ٢١ ـ باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه .

٤٨ ـ مسلم (١ / ٣٢٣) ٤ ـ كتاب الصلاة ٢٨ ـ باب تسوية الصفوف وإقامتها .

٤٩ ـ أبو داود (١ / ٢٧٧) كتاب الصلاة باب التشديد في ترك الجمعة .

والنسائي (٣ / ٨٨) ١٤ ـ كتاب الجمعة ٢ ـ باب التشديد في التخلف عن الجمعة .

وإسناده حسن ، حسنه الترمذي وغيره ، وصححه جماعة ، وهو حديث صحيح بشواهده .

(١) الترمذي (٢ / ٣٧٣) كتاب الصلاة باب ماجاء في ترك الجمعة من غير عذر.

(طَبَعَ اللهُ على قلبهِ : الطَّبْعُ وَالختمُ واحدٌ ، والمراد : أنه بتركه الجمعةَ قد أُغْلِقَ قلبُهُ وخُتِمَ عليه ، فلا يَصِلُ إليه شيء من الخير .

٥٠ ـ مسلم (٤ / ١٩٩٤) ٤٥ ـ البر والصلة ١٥ ـ باب تحريم الظلم .

ياعبـادي ، لو أنَّ أوَّلكم وآخِرَكم وإنْسَكم وجِنَّكم ، كانوا على أتْقَي قلب رجلٍ واحـدٍ منكم ، مـازاد ذلـك في مُلْكي شيئًـا ، يـاعبـادي ، لـو أنَّ أوَّلكم وآخِرَكم وإنسَكم وجِنَّكم ، [كانـوا] على أفجر قلب رجـلٍ واحـدٍ منكم ، مـانقص ذلـك من مُلْكي شيئًا ، ياعبادي ، لو أنَّ أوَّلكم وآخِرَكم ، وإنسَكم وجِنَّكم ، قاموا في صعيـدٍ واحـدٍ ، فسألوني ، فأعطيتُ كُلَّ إنسـانٍ مسـألتَـهُ ، مـانقص ذلـك ممـاعنـدي إلا كما يَنْقُص المِخْيَـطُ إذا أُدخِـل البحرَ ، يـاعبـادي ، إنمـا هي أعمـالُكم أُحصيهـا لكم ، ثم أُوفِّيكم إيَّاها ، فمن وَجَدَ خيرًا فَلْيَحْمَدِ الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يَلُومَنَّ إلا نَفْسَهُ » .

٥١ ـ * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : دخلنـا مع رسولِ الله ﷺ على أبي سَيْف القَيْن ، وكان ظِئْرًا لإبراهيمَ ، فـأخـذ رسـولُ الله ﷺ ابنَـه إبراهيم ، فَقَبَّلَهُ وَشَمَّه ، ثم دخلنا عليه بعدَ ذلك ، وإبراهيمُ يجودُ بنفسِهِ ، فَجَعَلَتْ عينا رسولِ الله ﷺ تَذْرِفان ، فقال ابنُ عوف : وأنتَ يارسول الله ، فقال : « يـاابنَ عوف ، إنَّهـا رحمـةٌ » ثم أتْبَعَها بـأُخْرى ، فقـال : « إنَّ العينَ تـدمعُ ، والقلبَ يَخشعُ ، ولا نقولُ إلا مـا يُرضي ربَّنا ، وإنا بِفراقِكَ ياإبراهيمُ محزونون » .

٥٢ ـ * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرَ رضي الله عنهما قـال : اشتكى سعـدُ بنُ عُبادة شكوى لـه ، فـأتـاه رسولُ الله ﷺ يعودُه مع عبـد الرحمن بنِ عوفٍ ، وسعـدِ بن أبي وقـاصٍ ، وعبـدِالله بنِ مسعـودٍ ، فلمـا دخـل عليـه وجـدَهُ في غَشِيَّـةٍ ، فقـال : قـد قَضَى ؟ فقـالـوا : لا ، يـارسـول الله ، فبكى رسـولُ الله ﷺ ، فلمـا رأى القـومُ بُكاءَ النبيِّ ﷺ وسلم بَكَوْا ، قـال « ألا تسمعون ؟ إنَّ الله لايُعَـذِّبُ بِـدَمْعِ العَيْنِ ، ولا بِحُـزن القلب ، ولكن يعذِّبُ بهذا ـ وأشار إلى لسانه ـ أو يرحمُ » .

---

٥١ ـ البخاري (٣ / ١٧٢) ٢٣ ـ كتاب الجنائز ٤٣ ـ باب قول النبيِّ ﷺ إنا بك لمحزونون .

ومسلم (٤ / ١٨٠٧) ٤٣ ـ كتاب الفضائل ١٥ ـ باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك .

(الظِّئر) : المرأة التي ترضع ولد غيرها بالأجرة ، وزوج المرضعة يُسمّى ظِئْراً .

(يجود بنفسه) : جاد المريض بنفسه : إذا قارب الموت ، فكأنه سمح بخروج روحه .

٥٢ ـ البخاري (٣ / ١٧٥) ٢٣ ـ كتاب الجنائز ٤٤ ـ باب البكاء عند المريض .

ومسلم (٢ / ٦٣٦) ١١ ـ كتاب الجنائز ٦ ـ باب البكاء على الميت .

٥٣ ـ * روى البخاري ومسلم عن عائشةَ رضي الله عنها ، قالت : جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ ، فقال : إنكم تُقَبِّلُونَ الصِّبيان ، ولا نُقَبِّلُهم ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « أوَ أَمْلِكُ لك أن نَزَعَ اللهُ الرحمةَ من قلبك ؟ » .

٥٤ ـ * روى الترمذي عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ يومًا لأصحابه : « مَنْ يأخُذُ [عَنّي] هؤلاءِ الكلماتِ فَيعْمَلُ بِهِن ، أو يُعَلِّمُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ ؟ » قال أبو هريرة ، قلتُ : أنا يارسولَ الله ، فأخذ بيدي وَعَدَّ خَمْسًا ، فقال« اتقِ المحارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ الناسِ ، وارضَ بما قسم الله لك تكنْ أغنى الناس ، وأَحْسِنْ إلى جارِكَ تَكُنْ مُؤمِنًا ، وأَحِبَّ للناس ماتُحبُّ لنفسك تكن مُسْلِمًا ، ولا تُكْثِر الضحكَ ، فإن كَثْرَةَ الضحكِ ، تُميتُ القلب » .

٥٥ ـ * روى البخاري ومسلم عن النُّعْمانِ بن بشير رضي الله عنه ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول ـ وأهوى النعمانُ بإصبعيه إلى أذُنَيه ـ « إنَّ الحلال بَيِّن ، وإن الحرامَ بَيِّن ، وبينهما أمور مشتبهاتٌ ، لا يعلمهن كثيرٌ من الناس ، فمن اتَّقى الشبهاتِ ، استبرأ لدينه وعرضِهِ ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحِمى ، يُوشك أن يَرْتَعَ فيه ، ألا ولكلِّ مَلِكٍ حِمي ، ألا وإنَّ حمى الله محارِمُهُ ، ألا وإنَّ في الجسد مُضْغَةً ، إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسدُ كُلُّه ، وإذا فسدت فَسَدَ الجسدُ كُلُّه ، ألا وَهي القلبُ » .

٥٦ ـ * روى مسلم عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه ، قال طارقُ بنُ شِهاب : أولُ من بدأ بالخُطْبةِ يوم العيدِ قبلَ الصلاةِ مروانُ ، فقام إليه رجُلٌ فقال : الصَّلاةُ قبل الخُطبة ، قال : قد تُرِك ماهنالك ، فقال أبو سعيد ، أمَّا هذا فقد قَضى ماعليه ، سمعتُ

---

٥٣ ـ البخاري (١٠ / ٤٢٦) ٧٨ ـ كتاب الأدب ١٨ ـ باب رحمة الولد وتقبيله .

ومسلم (٤ / ١٨٠٨) ٤٣ ـ كتاب الفضائل ١٥ ـ باب رحمة النبي ﷺ الصبيان .

٥٤ ـ الترمذي (٤ / ٥٥١) ٣٧ ـ كتاب الزهد ٢ ـ باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس .

وقال : هذا حديث غريب . وهو حديث حسن .

٥٥ ـ البخاري (١ / ١٢٦) ٢ ـ كتاب الإيمان ٣٩ ـ باب من استبرأ لدينه .

ومسلم (٣ / ١٢١٩) ٢٢ ـ كتاب المساقاة ٢٠ ـ باب أخذ الحلال وترك الشبهات .

٥٦ ـ مسلم (١ / ٦٩) ١ ـ كتاب الإيمان ٢٠ ـ باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان .

رسـولَ الله ﷺ يقـول : « من رأى منكم مُنكَرًا فلْيُغيره بيـده ، فـإن لم يَستطِـعْ فبلسانِه ، فإن لم يَستطِعْ فبقلبه ، وذلك أضعفُ الإيمان » .

٥٧ - * روى مسلم عن عبدِ الله بن مسعود رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « مَـامِنْ نبي بعثَـهُ اللهُ في أُمَّـةٍ قَبْلي ، إلا كانَ لـه من أُمَّتـهِ حَوَاريُّون ، وأصحـابٌ يأخذون بسُنَّته ، ويَقتدون بأمره ، ثم إنَّها تَخْلُفُ من بعـدهم خُلوفٌ يقولون مـالا يفعلون ، ويفعلون مالا يُؤمَرون ، فمن جَاهدهم بيدِهِ فهو مؤمن ، ومن جَـاهَـدَهُمْ بلسانه فهو مؤمن ، ومن جَاهدهم بقلبـه فهو مؤمن ، ليس وراءَ ذلـك من الإيمـان حَبَّةُ خَردل » .

٥٨ - * روى البخـاري ومسلم عن جُنْـدَب بن عبـد الله رضي الله عنـه قـال : قـال النبي ﷺ : « اقْرَؤوا القرآنَ مَا ائتَلَفَتْ عليه قُلُوبُكُم ، فَإذَا اخْتَلَفْتُمْ فقُومُوا عنه » .

٥٩ - * روى مسلم والترمذي عَنْ حَنْظَلَـةَ الأُسَيِّـدِيِّ قَـالَ : وَكَـانَ مِنْ كُتَّـابِ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ : لَقِيَنِي أَبو بَكْرٍ فَقَـالَ : كَيْفَ أَنْتَ ؟ يَـاحَنْظَلَـةُ ! قَـالَ قُلْتُ : نَـافَقَ حَنْظَلَـةُ . قَالَ : سُبْحَـانَ اللهِ ! مَـاتَقُولُ ؟ قَـالَ قُلْتُ : نَكُونُ عِنْـدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ : يُـذَكِّرُنَـا بِـالنَّـارِ وَالْجنَّةِ ، حَتَّىٰ كَأَنَّـا رَأْيَ عَيْنٍ . فَـإِذَا خَرَجْنَـا مِنْ عِنْـدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ : عَـافَسْنَـا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلادَ وَالضَّيْعَاتِ . فَنَسِينَا كَثِيرًا . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَوَاللهِ ! إِنَّا لَنَلْقَىٰ مِثْلَ هٰذَا . فَـانْطَلَقْتُ أَنَـا وَأَبُو بَكْرٍ ، حَتَّىٰ دَخَلْنَـا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ . قُلْتُ : نَـافَقَ حَنْظَلَـةُ . يـارَسُولَ اللهِ !

---

٥٧ - مسلم في نفس الموضع السابق .

(الحواريون) : جمع حواري وهم الخاصة والأصحاب والناصرون .

(الخلوف) : جمع خَلْف : وهو القرن من الناس .

وقد جرت العادة أن تطلق كلمة خَلْف على من يخلف غيره بسوء .

وبعضهم يقول : خَلَف صدق بالتحريك ويسكن الآخر في السوء للتفريق .

وبعضهم جعلها سواء في التحريك والتسكين .

٥٨ - البخاري (٩ / ١٠١) ٦٦ - كتاب فضائل القرآن ، ٣٧ - باب اقرؤا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم .

ومسلم : ((٤ / ٢٠٥٣) ٤٧ - كتاب العلم ، ١ باب النهي عن متشابه القرآن .

٥٩ - مسلم (٤ / ٢١٠٦) ٤٩ - كتاب التوبة ٣ - باب فضل دوام الذكر والفكر .

والترمذي (٤ / ٦٦٦) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ٥٩ - باب حدثنا بشر بن هلال ... =

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « وَمَاذَاكَ ؟ » قُلْتُ : يَارَسُولَ اللهِ ! نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ . حَتَّىٰ كَأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ . فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ ، عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ . نَسِينَا كَثِيرًا . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَىٰ مَا تَكُونُونَ عِنْدِي ، وَفِي الذِّكْرِ ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَىٰ فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ . وَلٰكِنْ ، يَاحَنْظَلَةُ ! سَاعَةً وَسَاعَةً » ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .

وفي رواية لمسلم (١) عَنْ حَنْظَلَةَ . قَالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ . فَوَعَظَنَا فَذَكَّرَ النَّارَ . قَالَ : ثُمَّ جِئْتُ إِلَى الْبَيْتِ فَضَاحَكْتُ الصِّبْيَانَ وَلَاعَبْتُ الْمَرْأَةَ . قَالَ فَخَرَجْتُ فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ . فَذَكَرْتُ ذٰلِكَ لَهُ . فَقَالَ : وَأَنَا قَدْ فَعَلْتُ مِثْلَ مَاتَذْكُرُ . فَلَقِينَا رَسُولَ اللهِ ﷺ . فَقُلْتُ : يَارَسُولَ اللهِ ! نَافَقَ حَنْظَلَةُ . فَقَالَ« مه » فَحَدَّثْتُهُ بِالْحَدِيثِ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَأَنَا قَدْ فَعَلْتُ مِثْل مَا فَعَلَ فَقَالَ : « يَاحَنْظَلَةُ ! سَاعَةً وَسَاعَةً . وَلَوْ كَانَتْ تَكُونُ قُلُوبُكُمْ كَمَا تَكُونُ عِنْدَ الذِّكْرِ ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ ، حَتَّىٰ تُسَلِّمَ عَلَيْكُمْ فِي الطُّرُقِ » .

٦٠ ـ * روى أحمد عن عبدِ الله بن مسعودٍ رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « مَن كَثُر هَمُّهُ فليقُل : اللهمَّ إني عبدُك وابنُ عبدِكَ ، وابن أَمَتِك ، وفي قَبضَتِك ، ناصيتي بيدِك ، ماضٍ فيَّ حُكمك ، عَدْلٌ فيَّ قضاؤك ، أسألُك بكلِّ اسمٍ هو لك ، سَمَّيتَ به نفسَك ، أَو أنزلْتَهُ في كِتَابِك ، أو استأثرتَ به في مكنُون الغيب عندَك : أن تجعل القرآن ربيعَ قلبي ، وَجَلاء هَمِّي وَغمِّي ، ماقالها عبدٌ قطُّ إلا أذهَبَ الله غَمَّه ، وأبدله به فرجًا » .

٦١ ـ * روى الترمذي عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ماقال

= (المعافسة) : المعالجة والممارسة والملاعبة .

(الضيعات) : المعايش .

(١) مسلم في نفس الموضع السابق .

٦٠ ـ أحمد في مسنده (١ / ٣٩١) وذكره رزين وصححه ابن حبان . وهو حديث صحيح .

المستدرك (١ / ٥٠٩) وقال : صحيح . ووافقه الذهبي .

٦١ ـ الترمذي (٥ / ٥٧٥) ٤٩ ـ كتاب الدعوات ١٢٧ ـ باب ودعاء أم سلمة وقال حديث حسن .

عبدٌ : لاإله إلا الله ، مخلصًا من قلبه ، إلا فتحت له أبوابُ السماء ، حتى يُفضيَ إلى العرش ماٱجتنَب الكَبَائر » .

٦٢ - * روى مسلم عن عبدِ الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « مَنْ بَايَعَ إمَامًا فَأعْطاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وثَمرَةَ قَلْبه ، فَلْيُطِعهُ مَااستطاعَ ، فَإنْ جَاء آخرُ يُنازِعُهُ فَاضْرِبوا رقَبَةَ الآخر » .

قُلتُ : أنت سَمِعْتَ هذا من رسولِ الله ﷺ ؟ قال : سَمِعَتْه أذُنَايَ ، وَوَعَاهُ قَلبي ، قلت : هذا ابنُ عَمِّكَ مُعاويَةُ يأمُرنَا أن نَفْعَل ونَفْعَل ؟ قال : أطِعْهُ في طَاعَةِ الله ، واعْصِه في مَعصيَةِ الله .

أقول : (المراد بالبيعة هنا التي تعطي لأمير المؤمنين ، ولأهل العدل من السلاطين ، وليست المراد بذلك البيعات التي تعورف عليها عند الشيوخ وأمثالهم ممن ليس لهم سلطان نافذ على الرعية) .

٦٣ - * روى البخاري ومسلم عن سَهْلِ بنِ سعدٍ الساعديِّ رضي الله عنه ، قال : لما جاءَت امرأةٌ إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : يارسول الله ، جئتُ أهبُ نفسي لك ، فنظر إليها رسولُ الله ﷺ ، فصعَّدَ النظر فيها وصَوَّبَه ، ثم طأطأ رسولُ الله ﷺ رأسَهُ ، فلما رأتِ المرأةُ أنه لم يَقْضِ فيها شيئًا جلستْ ، فقامَ رجلٌ من أصحابِه ، فقال : يارسولَ الله ، إن لم يكن لك بها حاجةٌ فزوِّجْنيها ، فقال : « فهل عندك من شيء ؟ » فقال : لا والله

---

٦٢ - مسلم (٣ / ١٣٧٢) ٣٣ - كتاب الإمارة ١٠ - باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول .

وأبو داود (٤ / ٩٦) كتاب الفتن باب ذكر الفتن ودلائلها .

(صَفْقَةَ يده) : كِنَايَةٌ عن البيعة والعهد ، وذلك : أنَّ العادة في التَّبايُع والبيعة : أنْ يطرح المشتري يده في يد البائع ، وكذلك عند البيعة ، ويَصفقَ أحدهُما يَده على الآخر ، هذا هو الأصل .

(ثمرةَ قلبه) : كنايةٌ عن الإخلاص فيما عاهده عليه والتزمه له .

٦٣ - البخاري (٩ / ١٣١) ٦٧ - كتاب النكاح ١٤ - باب تزويج المعسر .

ومسلم (٢ / ١٠٤٠) ١٦ - كتاب النكاح ١٣ - باب الصداق .

والموطأ (٢ / ٥٢٦) ٢٨ - كتاب النكاح ٣ - باب ماجاء في الصداق والحباء .

وأبو داود (٢ / ٢٣٦) كتاب النكاح - باب التزويج على العمل يعمل .

والترمذي (٣ / ٤٢١) ٩ - كتاب النكاح ٢٢ - باب ماجاء في مهور النساء . وقال : حسن صحيح .

يـارسول الله ، فقـال : « اذهب إلى أهلِـك فـانظر : هـل تجـدُ شيئًـا ؟ » فـذهب ، ثم رَجَعَ ، فقال : لا والله ، ماوجدتُ شيئًا ، فقال رسولُ الله ﷺ : « انظُرْ ولو خاتَمًـا من حديد » فذهب ، ثم رجع فقال : لا ، والله يارسول الله ، ولا خـاتَمًـا من حـديـد ، ولكن هـذا إزاري ـ قـال سهـل : مـالـه رداء ـ فلهـا نصفـه ، فقـال رسـولُ الله ﷺ « مـاتصنـعُ بـإزارك ؟ إنْ لبِستَـهُ لم يكن عليهـا منـه شيءٌ ، وإن لَبِسَتْـهُ لم يكنْ عليـكَ منـه شيءٌ » فجلس الرجلُ حتى إذا طـال مجلِسُـهُ قـامَ ، فرآه رسـول الله ﷺ مُـوَلِّيـا ، فـأمر بـه فَدُعِي ، فلما جاء قـال : « مـاذا معـك من القرآن ؟ » قـال : معي سورةُ كـذا ، وسورةُ كذا ـ عَدَّدها ـ قال : « تقرؤهنَّ عن ظهر قلبك ؟ » قال : نعم ، قال : « اذهب ، فقد ملَّكْتُكَها بما معك من القرآن » .

٦٤ ـ * روى الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لما كان يومُ الحديبية خرج إلينـا نـاس من المشركين ، منهم سهيـل بن عمرو ، وأنـاسٌ من رؤسـاء المشركين ، فقـالـوا : يارسول الله ، قد خرج إليكَ ناس من أبنائنا وإخواننا وأرقَّائنا ، وليس بهم فِقْهٌ في الـدِّين ، وإنما خرجوا فِرَارًا من أموالنـا وضيـاعنـا ، فـارددْهم إلينـا ، فـإن لم يكن لهم فِقْـهٌ في الـدين سَنُفَقِّهُهُم ، فقال رسولُ الله ﷺ : « يامعشر قريش ، لَتَنْتَهُنَّ أو لَيَبْعَثَنَّ الله عليكم من يَضْرِبُ رِقَابَكُم بالسيف على الـدِّين ، قـد امتَحَن اللهُ قلوبهم على الإيمـان » قـال أبو بكر وعمر :مَن هو يـارسول الله ؟ قـال : « خـاصِفُ النَّعل » وكان قـد أعطى عليًّـا نعلَـه يخصِفُهـا ، ثم التفت إلينـا عليٌّ فقـال : قـال رسـولُ الله ﷺ : « من كَـذَبَ عليَّ متعمِّـدًا فليتبوأْمقعدَهُ من النار » .

٦٥ ـ روى البخاري ومسلم عن أبي ظَبْيـانَ حُصَيْنِ بن جُنْـدَب قـال : سمعت أسـامـةَ بن زيـد يقول : بعثنـا رسـولُ الله ﷺ في سريَّـةٍ ، فَصبَّحنـا الحُرَقَـاتِ من جهينـة ، فـأدركتُ

---

٦٤ ـ الترمذي (٥ / ٦٣٤) ٥٠ ـ كتاب المناقب ٢٠ ـ باب مناقب علي بن أبي طالب .

وقال : هذا حديث صحيح غريب .

(يخصفها) : خَصَفَ النعل يخصِفها : إذا خرزها .

٦٥ ـ البخاري (١٢ / ١٩١) ٨٧ ـ كتاب الديات ٢ ـ باب قول الله ومن أحياها .

مسلم (١ / ٩٦) ١ ـ كتاب الإيمان ٤١ ـ باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال : لا إله إلا الله .

رجلاً ، فقال : لاإله إلا الله ، فطعنتُه ، فوقع في نفسي من ذلك ، فذكرتُه للنبيِّ ﷺ ، فقال رسولُ الله ﷺ : « أقال لا إله إلا الله وقتلتَهُ ؟ قال : قلتُ : يارسولَ الله ، إنما قالها خوفًا من السِّلاح ، قال : « أفلا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ ، حتى تعلم أقالها ، أم لا ؟ » فما زال يكرِّرُها عليَّ ، حتى تمنيتُ أني أسلمتُ يومئذ ، قال : فقال سعدٌ : وأنا والله لاأقتلُ مسلمًا حتى يَقْتُلَه ذو البُطين - يعني : أسامة - قال : فقال رجلٌ : ألم يقل الله : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتى لا تكونَ فِتْنَةٌ ويَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله ﴾ [1] ؟ فقال سعدٌ : قد قاتلْنا حتى لا تكونَ فتنةٌ ، وأنتَ وأصحابُك تريدون أن تقاتِلوا حتى تكونَ فتنةٌ .

٦٦ - * روى أبو داود عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : بَعَثَني رسولُ الله ﷺ إلى اليمن قاضيًا ، فقلت : يارسولَ الله ، تُرْسِلُني وأنا حَدَثُ السِّن ، ولا عِلْمَ لي بالقضاء ؟ فقال : « إن الله سَيَهْدِي قلبكَ ، ويُثَبِّتُ لسانَكَ ، فإذا جلس بين يديك الخَصْمان ، فلا تَقْضِيَنَّ حتى تَسْمعَ من الآخرِ ، كما سمعت من الأولِ ، فإنه أحْرَى أن يتبين لك القضاءُ » قال : فما زِلتُ قاضيًا ، أو ما شككتُ في قضاء بعدُ .

وأخرجه الترمذي [2] ، قال : قال لي رسولُ الله ﷺ : « إذا تقاضى إليك رجلان فلا تقض للأول ... » وذكر الحديث .

٦٧ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « قال الله عز وجل : أعدَدْتُ لِعباديَ الصالحين ما لا عَيْنٌ رأَتْ ، ولا أُذُنٌ سمِعَتْ ، ولا خَطَر على قلب بشر » واقرؤوا إن شئتم : ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لهم

---

(١) الأنفال : ٣٩ .

٦٦ - أبو داود (٣ / ٣٠١) كتاب الأقضية باب كيف القضاء .

وأخرجه الترمذي . قال : قال لي رسول الله ﷺ : « إذا تقاضى إليك رجلان ، فلا تقضي للأول ... » وذكر الحديث وقال : هذا حديث حسن وهو كما قال .

(٢) الترمذي (٣ / ٦١٨) ١٣ - كتاب الأحكام ٥ - باب ماجاء في القاضي لا يقضي بين الخصمين حتى يسمع كلامهما . وقال : حسن . وهو كما قال .

٦٧ - البخاري (١٣ / ٤٦٥) ٩٧ - كتاب التوحيد ٣٥ - باب قول الله تعالى ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ .

ومسلم (٤ / ٢١٧٤) ٥١ - كتاب الجنة .

والترمذي (٥ / ٣٤٦) ٤٨ - كتاب التفسير ٣٣ - باب ومن سورة السجدة . وقال : حسن صحيح .

منْ قُرَّةِ أَعْيُن ﴾ (١) .

٦٨ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أولُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الجنة صُوَرُهم على صورة القمر ليلةَ البدر ، لا يَبْصُقُون فيها ، ولا يَمْتَخِطُونَ ، ولا يَتَغَوَّطون ، آنيتهم فيها الذَّهَبُ ، أمشاطُهم من الذهب والفِضةِ ، ومَجامِرُهم الألُوَّةُ ، ورَشْحُهُمُ المِسْكُ ، ولِكُلِّ واحدٍ منهم زوجتان ، يُرَى مُخُّ سُوقِهما من وراء اللحم من الحُسْن ، لا اختلافَ بينهم ، ولا تَباغُضَ ، **قُلُوبُهُمْ قلبٌ** واحدٌ ، يَسبِّحُون اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًا » .

تعليق :

أكثرنا من الأحاديث ، وأكثرنا من ذكر النصوص التي تتعلق بالقلب لأننا نرى أن علم إصلاح القلب على مقتضى الهدي النبوي قد طوى الكثيرون بساطَه ، وقلّ العارفون به ، فكثرت أمراض القلوب وظهرت كثير من القلوب المريضة التي تتحدث عنها النصوص من مثل قلوب الشياطين وقلوب الذئاب والقلوب التي هي أمرّ من الصبر ، كما أن قضية القلب في المفهوم الفطري للنصوص قد طرأ عليها ماطرأ ، وهذا كله يستدعي علاجًا وذكرًا وتذكيرًا وحسن تطبيب ولذلك أكثرنا النقل عن القلوب ثم إن أشياء كثيرة ستمر معنا لها صلة بموضوع القلب فاقتضى ذلك التنويه بهذا الموضوع في أوائل قسم العقائد .

وكما أننا أكثرنا من النصوص في موضوع القلب فسنذكر الكثير منها في موضوع النفس لأن تزكية الأنفس على مقتضى الشريعة من أهم مابعث به الرسل عليهم الصلاة والسلام .

* * *

---

(١) السجدة : ١٧ .

٦٨ - البخاري (٦ / ٣٦٢) ٦٠ - كتاب أحاديث الأنبياء ١ - باب خلق آدم وذريته .

مسلم (٤ / ٢١٨٠) ٥١ - كتاب الجنة ٧ - باب في صفات الجنة وأهلها .

(مَجامِرُهم) : جمع مُجْمَر وهو مايُتَبَخَّرُ به .

(الأَلُوَّةُ) : العود . أي يتبخرون بالعود الطيب الرائحة .

الفقرة الخامسة : نصوص في النفس

تطلق كلمة النفس في اصطلاحات الشارع وفي خطـابـات النـاس وفي كلام المؤلفين على معانٍ متعددة ، ويَلتبس نتيجة لذلك على كثير من الناس المراد بالنفس حينما تستعمل .

ونحن يهمنـا في هـذا الكتـاب أن نلفت النظر إلى المرادات الرئيسيـة لكلمـة النفس في اصطلاحات النصوص .

ومن ها هنا فسنذكر النصوص التي وردت في النفس تحت العناوين التالية :

١ ـ نصوص في النفس ويراد بها الذات .

٢ ـ نصوص في النفس ويراد بها الروح .

٣ ـ نصوص في النفس ويراد بها الروح بعد تلبسها بالجسد وطاعتها للأهواء .

٤ ـ نصوص في النفس ويراد بها القلب .

١ - نصوص في النفس ويراد بها الذات

قال تعالى : ﴿ واتقوا يومًا لا تجزي نفس عن نفس شيئًا ﴾ (١) .

﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا ﴾ (٢) .

﴿ ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾ (٣) .

﴿ أنه من قتل نفسًا بغير نفسٍ أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعًا ﴾ (٤) .

ومن النصوص النبوية :

٦٩ - * روى ابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ رُوح القُدُسِ نَفَثَ في رُوعي أنه لن تَمُوتَ نفسٌ حتى تستكمل رِزقَها و أجَلَها .

٧٠ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاس حتَّى يقولوا : لا إله إلا الله ، فمن قال : لا إله إلا اللهُ ، فقد عَصَمَ مني نفسَه ومالَهُ إلا بحقِّهِ ، وحسابه على الله » .

وفي رواية : « حتَّى يشهَدوا أن لا إله إلا الله ، ويؤمِنُوا بي ، وبما جئْتُ به ، فإذا فَعلوا ذلك عَصموا منِّي دماءَهم وأموالَهم إلا بحقِّها ، وحسابهم على الله » .

---

(١) البقرة : ٤٨ ، ١٢٣ .
(٢) آل عمران : ٣٠ .
(٣) النساء : ١ .
(٤) المائدة : ٣٢ .

٦٩ - ابن ماجه (٢ / ٧٢٥) ١٢ - كتاب التجارات ٢ - باب الاقتصاد في طلب المعيشة .

وقال في الزوائد : إسناده ضعيف ، لأن فيه الوليد بن مسلم وابن جريج وكل منهما كان يدلس ، وكذلك أبو الزبير. وقد عنعنوه . لكن لم ينفرد المصنف من حديث أبي الزبير عن جابر . فقد رواه ابن حبان في صحيحه بإسنادين عن جابر ا.هـ .

ذكره رزين وأخرجه ابن حبان والحاكم وهو حديث صحيح .

(روحُ القدس) : جبريل عليه السلام .

(الرُّوع) : القلب والعقل . (نَفَثَ في رُوعي) : أي نفث في خَلَدي وبالي .

٧٠ - البخاري (١٣ / ٢٥٠) ٩٦ - كتاب الاعتصام باكتاب والسنة ٢ - باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ .

مسلم (١ / ٥٢) ١ - كتاب الإيمان ٨ - باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله .

النسائي (٥ / ١٤) ٢٣ - كتاب الزكاة ٣ - باب مانع الزكاة .

٧١ ـ * روى أبـو داود عن عـائشـة رضي الله عنهـا ، قـالت : بَعَثَ رسـولُ الله ﷺ إلى عثمانَ بْنِ مَظْعُونٍ : « أَرَغِبْتَ عن سُنَّتي ؟ » فقال : لا ، والله يارسول الله ، ولكن سُنَّتَكَ أطلُبُ ، قال : « فإنّي أنامُ ، وأُصَلّي ، وأصومُ ، وأُفْطِرُ ، وأَنْكِحُ النِّساءَ ، فـاتَّقِ الله ياعُثْمانُ ، فـإنَّ لأَهْلِـكَ عليـك حقّـا ، وإنَّ لِنَفْسِـكَ عليـك حقّـا ، فَصُمْ وأَفْطِرْ ، وصَلِّ ونَمْ » .

٧٢ ـ * روى مسلم عن محمدِ بن عمرو بن عطاءٍ رحمه الله قال : سَمَّيتُ ابنَتي بَرَّةَ ، فقالت لي زيْنَبُ بنتُ أبي سَلَمَةَ : إنَّ رسـول الله ﷺ نهى عن هـذا الاسم ، وسُمِّيَتْ بَرَّة ، فقـال رسول الله ﷺ : « لا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ الله أَعلم بـأهـل البِرِّ منكم » فقـالـوا : بِمَ نُسَمِّيهـا ؟ فقال : « سموها زينبَ » .

٧٣ ـ * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قـال : قـال رسول الله ﷺ « مـا يَزَالُ البلاءُ بالمؤمِنِ والمؤمِنة ، في نَفْسه وولدهِ ومالـهِ ، حتى يلقى الله ومـا علَيْـه من خطيئةٍ » .

٧٤ ـ * روى البخاري عن عبدِ الله بن هشامٍ رضي الله عنه ، قـال : كُنّـا مع النبيِّ ﷺ وهـو آخـذٌ بيـدِ عمرَ بنِ الخطـاب ، فقـال لـه عُمَر : يـارسـولَ الله ، لأنتَ أَحَبُّ إليَّ من كل شيءٍ ، إلا نَفْسي ، فقال النبيُّ ﷺ : « لا والـذي نَفْسي بيـده حتى أكونَ أحبَّ إليـكَ من نَفْسِكَ » فقـال لـه عُمَرُ : فـإنّـه الآن ، [والله] لأنت أحبُّ إليَّ من نَفْسي ، فقـال لـه النبيُّ ﷺ : « الآن ياعمرُ » .

---

٧١ ـ أبو داود (٢ / ٤٨) كتاب الصلاة باب مايؤمر به من القصد في الصلاة .
ورجاله ثقات إلا أن فيه عنعنة ابن إسحاق ، لكن يشهد له أحاديث صحاح .

٧٢ ـ مسلم (٣ / ١٦٨٨) ٣٨ ـ كتاب الآداب ٢ ـ باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن .
وأبو داود (٤ / ٢٨٨) كتاب الأدب ٧١ ـ باب في تغيير الاسم القبيح .

٧٣ ـ الترمذي (٤ / ٦٠٢) ٣٧ ـ كتاب الزهد ٥٦ ـ باب ماجاء في الصبر على البلاء .
وقال : هذا حديث حسن صحيح وهو كما قال .

٧٤ ـ البخاري (١١ / ٥٢٣) ٨٣ ـ كتاب الأيمان والنذور ٣ ـ باب كيف كان يمين النبي ﷺ .

٧٥ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، قال : قام رسولُ الله ﷺ حين أنزل الله عز وجل : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ قال : « يامعْشَرَ قُريشٍ ـ أو كلمة نحوها ـ اشْتَرُوا أنفسَكم ، لاأُغْني عَنْكم مِنَ اللهِ شيئًا يابني عبدِ مَنَافٍ ، لا أُغْني عَنْكم مِنَ اللهِ شيئًا ، ياعباسُ بنَ عبدِ المطلب ، لا أُغْني عنك من الله شيئًا . وياصفيَّةُ عمَّةَ رسُول الله ، لا أُغني عَنْكِ مِنَ اللهِ شيئًا . ويافاطمةُ بنْتَ محمَّدٍ سَلِيني ماشِئْتِ مِنْ مالي ، لا أُغني عنْكِ من اللهِ شيئًا » .

وفي رواية نحوه (١) ، ولم يذكر فيه « يا بني عبدِ مناف » وذكر بدله : « بني عبد المطلب » .

٧٦ ـ * روي الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقد سئل : بأيِّ شَيء بُعِثْتَ في الحَجَّةِ ؟ قال : بُعِثْتُ بِأَرْبَعٍ : لا يطوفَنَّ بالبيت عُريانٌ ، ومن كان بينه وبينَ النبي ﷺ عَهْدٌ ، فهو إلى مُدَّتِه ، ومَنْ لم يكن له عهدٌ ، فأجَلُهُ أرْبَعَةُ أشْهُرٍ ، ولا يَدْخلُ الجنَّةَ إلا نفسٌ مُؤْمنةٌ ، ولا يجتمع المشركون والمؤمنون بعد عامهم هذا » .

٧٧ ـ * روي أبو داودَ عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « إن الشَّيطَانَ حَسَّاسٌ لَحَّاسٌ ، فاحذَرُوهُ على أنفسكم ، من بَاتَ وفي يَدِهِ ريحُ غَمَرٍ فأصابه شيٌّ فلا يَلومَنَّ إلا نَفْسَه » .

---

٧٥ ـ البخاري (٥ / ٣٨٢) ٥٥ ـ كتاب الوصايا ١١ ـ باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب .

مسلم (١ / ١٩٢) ١ ـ كتاب الإيمان ٨٩ ـ باب قوله تعالى ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ .

(١) مسلم في الموضع السابق .

٧٦ ـ الترمذي (٣ / ٢٢٢) ٧ ـ كتاب الحج ٤٤ ـ باب ماجاء في كراهية الطواف عريانا .

وقال : حديث حسن صحيح . وإسناده قوي .

٧٧ ـ أبو داود (٣ / ٣٦٦) كتاب الأطعمة ٥٣ ـ باب في غسل اليد من الطعام .

والترمذي (٤ / ٢٨٩) ٢٦ ـ كتاب الأطعمة ٤٨ ـ باب ماجاء في كراهية البيتوتة وفي يده ريح غمر .

وابن ماجه (٤ / ١٠٩٦) ٢٩ ـ كتاب الأطعمة ٢٢ ـ باب من بات وفي يده ريح غمر .

ورواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد الخدري .

مجمع الزوائد (٥ / ٣٠) وهو حديث حسن بشواهده . وعزاه الهيثمي من رواية ابن عباس إلى البزار والطبراني في الأوسط بأسانيد رجال أحدها رجال الصحيح خلا الزبير بن بكار وهو ثقة وقد تفرد به كما قال الطبراني .

(حسّاس) : كثير الحس والإدراك .

(لحّاس) : كثير اللحس لما يصل إليه .

(غَمَر) : الغَمَرُ : ريح اللحم وزُهُومَتُه . والزُّهُومة : دسم اللحم .

٧٨ - * روى أبو داودَ عن ثوبانَ رضي اللهُ عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ثلاثٌ لا يَحِلُّ لأحد أن يَفْعَلَهن : لا يَؤُمَّنَّ رجلٌ قومًا فيخصَّ نفسَه بالدُّعاء دُونَهم ، فإن فعل فقد خَانَهم ، ولا يَنْظُرْ في قَعْرِ بَيْتٍ قَبْلَ أنْ يستأذنَ ، فإن فعل فقد خانهم ، ولا يصلِّي وهو حَقِنٌ ، حتى يتخفَّفَ » .

٧٩ - * روى مسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، قال : صلَّى النبيُّ ﷺ يومًا ، ثم انصرف ، فقال : « يافُلانُ ، ألا تُحسنُ صلاتَكَ ؟ ألا ينظرُ المصلِّي إذا صلَّى كيف يُصلِّي ؟ فإنما يصلِّي لنفسه ، إني لأُبصِرُ من ورائي كما أُبصِرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ » .

٨٠ - * روى أبو داودَ عن جابرِ بن عبد الله رضي الله عنهما ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لاتَدْعُوا على أنفسِكم ، ولاتَدْعُوا على أولادِكم ، ولا تَدْعوا على خَدَمِكم ، ولاتَدْعُوا على أموالِكم ، لاتُوافِقُوا من الله عَزَّ وجلَّ ساعة نَيْلٍ ، فيها عطاءٌ ، فَيَسْتَجيبَ لكم »

٨١ - * روى مسلم عن أبي ذَرٍّ الغِفَاري رضي الله عنه ، قال : قلت : يارسول الله ، ألا تَسْتَعْمِلُني ؟ قال : فَضَرَبَ بيدِه على مَنْكِبي ثم قال : « ياأبا ذَرٍّ ، إنَّكَ ضَعيفٌ ، وإنَّها أَمَانَة ، وإنها يومَ القيامةِ خِزيٌ ونَدَامة إلا مَنْ أخذَها بِحَقِّها ، وأدَّى الَّذي عليه فيها ».

وفي رواية قال له : « ياأبا ذَرٍّ ، إني أَرَاكَ ضَعيفًا ، وإني أُحِبُّ لَكَ ماأُحِبُّ لِنَفْسي ، لا تأمَّرَنَّ على اثنين ، ولا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتيمٍ » .

---

٧٨ - أبو داود (١ / ٢٢) كتاب الطهارة ٤٣ - باب أيصلي الرجل وهو حاقن .

ورواه بنحوه أحمد (٥ / ٢٨٠) ، والترمذي (٢ / ١٨٩) كتاب الصلاة - باب ماجاء في كراهية أن يخص الإمام نفسه بالدعاء . وهو حديث حسن .

٧٩ - مسلم (١ / ٣١٩) ٤ - كتاب الصلاة ٢٤ - باب الأمر بتحسين الصلاة وإتمامها والخشوع فيها .

والنسائي (١ / ١١٩) كتاب الإمامة ٦٣ - باب الركوع دون الصف .

٨٠ - أبو داود (٢ / ٨٨) كتاب الصلاة - باب النهي عن أن يدعو الإنسان على أهله وماله .

وهو قطعة من حديث جابر الطويل عند مسلم (٤ / ٢٣٠١) ٥٣ - كتاب الزهد والرقاق ١٨ - باب حديث جابر الطويل ، وقصة أبي اليسر . ورواه أيضاً ابن حبان في صحيحه - الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٤ / ١٦) .

٨١ - مسلم (٣ / ١٤٥٧) ٣٣ - كتاب الإمارة ٤ - باب كراهة الإمام بغير ضرورة .

وروى أبو داود الرواية الثانية (٣ / ١١٤) كتاب الوصايا - باب ماجاء في الدخول في الوصايا .

٨٢ ـ * روى البخاري ومسلم عن عبدِ الله بن مسعودٍ رضي الله عنه ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « ليسَ من نفس تُقْتَلُ ظُلْمًا إلا كانَ على ابنِ آدمَ الأولِ كِفْلٌ من دَمِها ، لأنه سَنَّ القتلَ أولاً » .

٨٣ ـ * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا يَحِلُّ دَمُ امرئ مسلمٍ يشهدُ أن لا إلٰه إلا الله وأني رسولُ الله ، إلا بإحدَى ثلاثٍ : الثَّيبُ الزَّاني ، والنفْسُ بالنَّفْسِ والتَّاركُ لدينهِ ، المفارقُ للجماعَةِ » .

٨٤ ـ * روى مسلم عن جابرِ بن سَمُرَةَ رضي الله عنه ، قال : أُتِيَ النبيُّ ﷺ برَجلٍ قَتَلَ نَفْسَه بمشاقِصَ ، فلم يُصَلِّ عليه .

أقول : أجاز الفقهاء الصلاة على من قتل نفسه ، ولعل الرسول ﷺ لم يصلِّ عليه زجرًا للناس أن يفعلوا مثل فعله .

٨٥ ـ * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : كُنَّا عندَ رسولِ الله ﷺ ، فَضَحِكَ ، فقال : « هلْ تدرون مِمَّ أضحكُ ؟ » قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : « مِنْ مخاطبة العبدِ ربَّه ، فيقول : يارِبِّ أَلَمْ تُجِرْني من الظلم ؟ [قال] : يقول بلَى :

---

٨٢ ـ البخاري (٦ / ٣٦٤) ٦٠ ـ كتاب أحاديث الأنبياء ١ ـ باب خلق آدم وذريته .
ومسلم (٣ / ١٣٠٤) ٢٨ ـ كتاب القسامة ٧ ـ باب بيان إثم من سن القتل .
والترمذي (٥ / ٤٢) ٤٢ ـ كتاب العلم ١٤ ـ باب ماجاء الدال على الخير كفاعله .
والنسائي (٧ / ٨٢) ٣٧ ـ كتاب تحريم الدم ١ ـ باب تحريم الدم .
٨٣ ـ البخاري (١٢ / ٢٠١) ٨٧ ـ كتاب الديات ٦ ـ باب قول الله تعالى ﴿ أن النفس بالنفس ... ﴾ .
ومسلم (٣ / ١٣٠٢) ٢٨ ـ كتاب القسامة ٦ ـ باب مايباح به دم المسلم .
وأبو داود (٣ / ١٢٦) كتاب الحدود ـ باب الحكم فين ارتد .
والترمذي (٤ / ٤٩) ١٥ ـ كتاب الحدود ١٥ ـ باب ماجاء من شرب الخمر فاجلدوه ..... .
والنسائي (٧ / ٩٠) ٣٧ ـ كتاب تحريم الدم ٥ ـ ذكر مايحل به دم المسلم .
٨٤ ـ مسلم (٢ / ٦٧٢) ١١ ـ كتاب الجنائز ٣٧ ـ باب ترك الصلاة على القاتل نفسه .
والنسائي (٤ / ٦٦) ٢١ ـ كتاب الجنائز ٦٨ ـ باب ترك الصلاة على من قتل نفسه .
وأخرجه الترمذي (٣ / ٣٨٠) ٨ ـ كتاب الجنائز ٦٨ ـ باب ماجاء فين قتل نفسه . ولم يذكر المشاقص .
(بمشاقص) : المشاقص ، جمع مشقص ، وهو من النصال ماطال وعرض ، وقيل : هو سهم له نصل عريض .
٨٥ ـ مسلم (٤ / ٢٢٨٠) ٥٣ ـ كتاب الزهد والرقائق .
=

فيقول : فإني لا أجيزُ اليوم على نفسي شاهدًا إلا مني ، فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا ، والكرام الكاتبين شهودًا ، قال : فيُختَم على فيه ، ويقال لأركانه : انطِقي ، فتَنْطِقُ بأعماله ، ثم يُخَلى بينه وبين الكلام ، فيقول : بُعدًا لَكُنَّ وسُحْقًا ، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ » .

٨٦ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « بينما رَجُلٌ يمشي في حُلَّةٍ تُعجبه نفسُه ، مُرَجِّلٌ رأسَهُ ، يختال في مِشْيَتِه إذ خَسَفَ الله به ، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة » .

٨٧ - * روى الترمذي عن حذيفةَ بنِ اليمانِ رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا يَكُنْ أحَدُكم إمَّعَةً يقول : أنا مع الناس ، إن أحسنَ الناسُ أحسنتُ ، وإن أساءوا أسأتُ ، ولكنْ وَطِّنُوا أنفسَكم إن أحسنَ الناسُ أن تُحْسِنُوا ، وإن أساءوا أن لا تَظلِمُوا » .

= فيختم على فيه : أي على فمه .

٨٦ - البخاري (١٠ / ٢٥٨) ٧٧ - كتاب اللباس ٥ - باب من جر ثوبه من الخيلاء .

مسلم (٣ / ١٦٥٣) ٣٧ - كتاب اللباس والزينة ١٠ - باب تحريم التبختر في المشي ، مع إعجابه بثيابه .

(مُرَجِّل) : شعر مرجَّل : أي مُسَرَّح .

٨٧ - الترمذي (٤ / ٣٦٤) ٢٨ - كتاب البر والصلة ٦٣ - باب ماجاء في الإحسان والعفو .

وقال : هذا حديث حسن غريب .

(الإمعة) : هو الذي لا رأى له ، فيوافق الناس بالخير والشّر .

٢ ـ نصوص في النفس ويراد بها الروح

قال تعالى : ﴿ أخرجوا أنفسكم اليوم تجزوْن عذاب الهُون ﴾ [١] .

﴿ وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ﴾ [٢] .

﴿ الله يتوفّى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قَضَى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمّى ﴾ [٣] .

٨٨ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إذا أوَى أحَدُكم إلى فِراشه فَلْيَنفُض فِرَاشَه بدَاخِلةِ إزارِه ، فإنه لايَدْري ماخَلَفَهُ عليه ، ثم يقول : باسمك ربي وضعْتُ جنبي ، وبك أرفَعُه ، إنْ أمسكْتَ نَفْسي فارْحَمْها ، وإنْ أرْسلتَها فاحْفَظْها بما تَحفَظُ به عبادَك الصالحينَ » .

في رواية للترمذي [٤] : أن رسولَ الله ﷺ قال : « إذا قام أحدُكم عن فِرَاشه ، ثم رَجَعَ [إليه] فَلْينفضْه بصَنِفَةِ ثَوْبه ، ثلاثَ مرات ، ولْيَقل : باسمك ربي وضعت جَنبِي ، وبك أرفعُه .. » الحديث ـ وزاد في آخره : « فإذا اسْتَيقظ فلْيَقل : الحمد لله الذي عافاني في جسدي وَرَدَّ عَلَيَّ روحي ، وأذِن لي بذِكرِه » .

٨٩ ـ * روى الجماعة إلا الترمذي عن عائشة رضي الله عنها ، أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ : أمّي افْتُلِتَت نفسُها ، وأظنُّها لو تَكلَّمتْ تصدَّقَتْ ، فهل لها أجْرٌ إن تصدَّقْتُ عنها ؟

---

(١) سورة الأنعام : ٩٣ .   (٢) سورة الأعراف : ١٧٢ .

(٣) سورة الزمر : ٤٢ .

٨٨ ـ البخاري (١١ / ١٢٦) ٨٠ ـ كتاب الدعوات ١٢ ـ باب التعوذ والقراءة عند المنام .

ومسلم (٤ / ٢٠٨٤) ٤٨ ـ كتاب الذكر ١٧ ـ باب مايقول عند النوم وأخذ المضجع .

الترمذي (٥ / ٤٧٢) ٤٩ ـ كتاب الدعوات ٢٠ ـ باب منه .

(داخِلَةُ) : الإزارِ : طَرَفُهُ . وصنفِتَهُ : طرفه أيضاً من جانب هُدْبِهِ وقيل : من جانب حاشيته .

(خَلَفَهُ عليه) : خلف فلانٌ فلاناً : إذا قام مقامه. والمراد : مايكون قد دَبَّ على فراشه بعد مُفَارقته له .

٨٩ ـ البخاري (٣ / ٢٥٤) ٢٣ ـ كتاب الجنائز ٩٥ ـ باب موت الفجاءة ، البغتة .

(٤) ومسلم (٢ / ٦٩٦) ١٢ ـ كتاب الزكاة ١٥ ـ باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه .   =

قال : « نعم » .

وفي رواية : افتُلِتَتْ نفسُها ولم تُوصِ ... وذكر نحوه .

٩٠ - * روى النسائي عن عبدِ الرحمن بن أبي عُميرةَ رضي الله عنه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « ما من نَفسٍ مُسْلِمَةٍ يَقْبِضُها ربُّها تُحِبُّ أن ترجِعَ إليكم وأنَّ لها الدنيا وما فيها ، غيرُ الشهيد » .

قال ابن أبي عميرة : قال رسولُ الله ﷺ : « لأَنْ أُقْتَلَ في سبيل الله أحَبُّ إليَّ مِنْ أن يكونَ لي أهل الوبَر والمَدَر » .

٩١ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « قال الله تعالى : من عَادى لي وَلِيا ، فقد آذَنتُه بحرب ، وما تقرَّبَ إليَّ عبدي بشيء أحبُّ إليَّ مِنْ أداء ماافترضتُ عليه ، ولايزال عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافل حتى أُحِبَّهُ ، فإذا أحببتُهُ كُنتُ سمعَه الذي يَسمعُ به ، وبَصَرَه الذي يُبصِرُ به ، ويدَه التي يَبطِشُ بها ، ورِجْلَه التي يَمشِي بها ، وإن سألني أعطيَتُه ، وإن استَعاذَ بي أعَذْتُه ، وما تردَّدت عن شيء أنا فاعلُه ، تردّدي عن نفس المؤمن ، يكره الموتَ وأنا أكرَهُ مَساءَتَه » .

قال الحافظ في الفتح حول هذا الحديث : قال الخطابي : التردد في حق الله غير جائز والبداء عليه في الأمور غير سائغ . ولكن له تأويلان : أحدهما أن العبد قد يشرف على الهلاك في أيام عمره من داء يصيبه وفاقة تنزل به فيدعو الله فيشفيه منها ويدفع عنه مكروهها ، فيكون ذلك من فعله كتردد من يريد أمرًا ثم يبدو له فيه فيتركه ويعرض عنه ولابد له من لقائه إذا بلغ الكتاب أجله لأن الله قد كتب الفناء على خلقه واستأثر بالبقاء

= وأبو داود (٣ / ١١٨) كتاب الوصايا - باب ماجاء فيمن مات عن غير وصية يتصدق عنه .

والنسائي (٦ / ٢٥٠) ٣٠ - كتاب الوصايا ٧ - باب إذا مات الفجأة هل يستحب لأهله أن يتصدقوا عنه .

(افتُلِتَتْ نفسها) : افتلتت نفس فلان : أي مات فجاة كأن نفسه أُخذت فجأة .

٩٠ - النسائي (٦ / ٣٣) ٢٥ - كتاب الجهاد ٣٠ - باب تمني القتل في سبيل الله تعالى .

وأحمد (٤ / ٢١٦) . وسنده حسن .

(أهل الوبر) : أي أهل الخيام . أي البدو .

(أهل المدر) : أي أهل الحجارة والطين . أي أهل المدن .

٩١ - البخاري (١١ / ٣٤٠) ٨١ - كتاب الرقاق ٣٨ - باب التواضع .

لنفسه . والثاني أن يكون معناه مارددت رسلي في شيء أنا فاعله كترديدي إياهم في نفس المؤمن ، كما روي في قصة موسى وما كان من لطمه عين ملك الموت وتردده إليه مرة بعد أخرى ، قال : وحقيقة المعنى على الوجهين عطف الله على العبد ولطفه به وشفقته عليه . وقال الكلاباذي ماحاصله إنه عبر عن صفة الفعل بصفة الذات ، أي عن الترديد بالتردد ، وجعل متعلق الترديد اختلاف أحوال العبد من ضعف ونصب إلى أن تنتقل محبته في الحياة إلى محبته للموت فيقبض على ذلك . قال : وقد يحدث الله في قلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق إليه والمحبة للقائه ما يشتاق معه إلى الموت فضلا عن إزالة الكراهة عنه ، فأخبر أنه يكره الموت ويسوؤه ويكره الله مساءته فيزيل عنه كراهية الموت لما يورده عليه من الأحوال ، فيأتيه الموت وهو له مؤثر وإليه مشتاق . قال : وقد ورد تفعل بمعنى فعل مثل تفكر وفكر وتدبر ودبر وتهدد وهدد والله أعلم .

وعبر ابن الجوزي عن الثاني بأن التردد للملائكة الذين يقبضون الروح وأضاف الحق ذلك لنفسه لأن ترددهم عن أمره ، قال : وهذا التردد ينشأ عن إظهار الكراهة . فإن قيل : إذا أمر الملك بالقبض كيف يقع منه التردد ؟ فالجواب أنه يتردد فيما لم يحد له فيه الوقت : كأن يقال لاتقبض روحه إلا إذا رضي . ثم ذكر جوابًا ثالثًا وهو احتمال أن يكون معنى التردد اللطف به كأن الملك يؤخر القبض ، فإنه إذا نظر إلى قدر المؤمن وعظم المنفعة به لأهل الدنيا احترمه فلم يبسط يده إليه ، فإذا ذكر أمر ربه لم يجد بدًّا من امتثاله . وجوابًا رابعًا وهو أن يكون هذا خطابًا لنا بما نعقل والرب منزه عن حقيقته ، بل هو من جنس قوله « ومن أتاني يمشي أتيته هرولة » فكما أن أحدنا يريد أن يضرب ولده تأديبًا فتمنعه المحبة وتبعثه الشفقة فيتردد بينهما ولو كان غير الوالد كالمعلم لم يتردد بل كان يبادر إلى ضربه لتأديبه فأريد تفهيمنا تحقيق المحبة للولي بذكر التردد ، وجوز الكرماني احتمالا آخر وهو أن المراد أنه يقبض روح المؤمن بالتأني والتدريج ، بخلاف سائر الأمور فإنها تحصل بمجرد قول كن سريعًا دفعة ا .هـ .

٩٢ ـ * روى الترمذي عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قـال : « نفس المؤمن مُعَلَّقَة بِدَينه حتى يُقْضَى عنه » .

* * *

٩٢ ـ الترمذي (٣ / ٣٩٠) ٨ ـ كتاب الجنائز ٧٦ ـ باب ماجاء عن النبي ... ألخ .
وإسناده حسن . قال الترمذي : هذا حديث حسن .

٣ ـ نصوص في النفس و يراد بها الروح بعد تلبسها بالجسد

قال تعالى :

﴿ و لا أقسم بالنفس اللوامة ﴾ [١] .

﴿ و أما من خاف مقام ربه و نهى النفس عن الهوى ﴾ [٢] .

﴿ يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية ﴾ [٣] .

﴿ و نفس و ما سواها * فألهمها فجورها وتقواها ﴾ [٤] .

﴿ و نعلم ما توسوس به نفسه ﴾ [٥] .

﴿ و من يوق شح نفسه ﴾ [٦] .

﴿ و ما أبرئ نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء ﴾ [٧] .

﴿ قال بل سوّلت لكم أنفسكم أمرًا فصبر جميل ﴾ [٨] .

﴿ لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا حسدًا من عند أنفسهم ﴾ [٩] .

﴿ كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقًا كذّبوا و فريقًا يقتلون ﴾ [١٠] .

﴿ لقد استكبروا في أنفسهم و عتوا عتوًّا كبيرًا ﴾ [١١] .

ومن نصوص السنة :

---

(١) القيامة : ٢ .
(٢) النازعات : ٤٠ .
(٣) الفجر : ٢٧ ، ٢٨ .
(٤) الشمس : ٧ ، ٨ .
(٥) ق : ١٦ .
(٦) الحشر : ٩ .
(٧) يوسف : ٥٣ .
(٨) يوسف : ١٨ .
(٩) البقرة : ١٠٩ .
(١٠) المائدة : ٧٠ .
(١١) الفرقان : ١١ .

٩٣ - * روى البخاري عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما ، قال : ما رأيتُ شيئًا أشبهَ باللَّمَمِ مما قال أبو هريرة إنَّ النبي ﷺ قال : « إنَّ الله كتبَ على ابن آدمَ حَظَّـهُ من الزِّنـا ، أَدْرَكَ ذلك لا مَحَالَة ، فَزِنَا العينين النظرُ ، وزنا اللسـان النُّطْقُ ، والنفسُ تَمنَّى وتَشْتهي ، والْفَرْجُ يُصدِّقُ ذلك أو يُكَذِّبُه » .

٩٤ - * روى الجماعة إلا الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنـه ، أن رسـولَ الله ﷺ قال : « يَعْقِدُ الشيطانُ على قَافِيَةِ رأسِ أحدِكم إذا هو نام ثلاثَ عُقَـدٍ ، يَضْرِبُ على كل عُقْـدَةٍ مكانها ، عليـك ليلٌ طويلٌ فـارقُـدْ ، فـإن استيقـظ فـذكر الله انحلَّتْ عُقْدَةٌ ، فإن توضَّأ انحلَّت عقدةٌ ، فـإن صلى انحلَّت عُقَـدُه كلُّهـا ، فـأصبح نشيطًـا طيِّبَ النَّفْس ، و إلا أصبح خبيث النفس كَسْلانَ » .

٩٥ - * روى مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنـه ، قـال :ـ و قـد سُئل عمَّـا سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقـول ـ: كان يقـول : « اللَّهمَّ إني أعـوذ بـك من العجْـزِ والكَسَـلِ ، و الجُبن والبُخْلِ والهَرَمِ ، وعـذاب القبر ، اللَّهمَّ آتِ نَفسي تَقْـوَاهـا ، و زَكِّهـا أنت خيرُ مَنْ زكَّاهَا ، أنتَ وَلِيُّها و مولاهـا ، اللَّهمَّ إني أعوذ بـك من علم لا ينفعُ ، و من قَلبٍ لا يَخشَع ، ومن نَفس لا تشبع ، ومن دعوة لا تُستَجَاب » .

٩٦ - * روى الترمذي عن فَضَالَةَ بنِ عُبيدٍ رضي الله عنه ، قال : قـال رسول الله ﷺ : « المجاهِدُ مَن جَاهَدَ نفسه » .

---

٩٣ - البخاري (١١ / ٥٠٢) ٨٢ - كتاب القدر ٩ - باب ﴿ وحرام على قرية أهلكناها ... ﴾ .
ومسلم (٤ / ٢٠٤٦) ٤٦ - كتاب القدر ٥ - باب قدر على ابن آدم حظه من الزنى وغيره .
وأبو داود (٢ / ٢٤٦) كتاب النكاح ٤٣ - باب مايؤمر به من غض البصر .

٩٤ - البخاري (٣ / ٢٤) ١٩ - كتاب التهجد ١٢ - باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل .
ومسلم (١ / ٥٣٨) ٦ - كتاب صلاة المسافرين ٢٨ - باب ماروي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح .
وأبو داود (٢ / ٣٢) أبواب التطوع ١٨ - باب قيام الليل .
والنسائي (٣ / ٢٠٣) ٢٠ - كتاب قيام الليل وتطوع النهار ، ٥ - باب الترغيب في قيام الليل .
ومالك (١ / ١٧٦) ٩ - كتاب قصر الصلاة في السفر ٢٥ - باب جامع الترغيب في الصلاة .

٩٥ - مسلم (٤ / ٢٠٨٨) ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء ١٨ - باب التعوذ من شر ماعمل ومن شر مالم يعمل .

٩٦ - الترمذي (٤ / ١٦٥) ٢٣ - كتاب فضائل الجهاد ٢ - باب ما جاء في فضل من مـات مرابطًـا . وقـال حـديث حسن صحيح . وأحمد (٦ / ٢٠ ، ٢٢) . وإسناده حسن .

٩٧ - * روى مسلم عن جـابرِ بن عبــدِ اللهِ رضي الله عنهما ، أنَّ رســولَ الله ﷺ رأى امرأةً ، فأتى امرأتَه زينبَ ، وهي تَمْعَس مَنيئةً [له] ، فقضى حـاجتـه منهـا ، ثم خرج إلى أصحابه ، فقـال : « إن المرأةَ تُقبِل في صورة شيطـان ، وتُـدبِرُ في صورة شيطـانٍ ، فإذا أبصر أحدُكم امرأةً فليأتِ أهله ، فإن ذلك يَرُدُّ ما في نفسه » .

٩٨ - * روى البخـاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنـه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قـال : « ليس الغني عن كثرة العَرَض ، و لكنَّ الغِنى غنى النفس » .

٩٩ - * روى البخاري و مسلم عن سهلِ بن حنيفٍ رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا يقولَنَّ أحدُكم : خَبُثَتْ نفسي ، ولكن لِيقُل : لَقِسَتْ نفسي » .

---

٩٧ - مسلم (٢ / ١٠٢١) ١٦ - كتاب النكاح ٢ - باب ندب من رأى امرأة فوقعت في نفسه ... ألخ .

(تمعس منيئة) : تَدْبُغُ إهاباً . ويقال : منيئة مادام في الدباغ ، وأصل المَعْس : المعكُ والدَّلْكُ .

٩٨ - البخاري (١١ / ٢٧١) ٨١ - كتاب الرقاق ١٥ - باب الغنى غنى النفس .

ومسلم (٢ / ٢٧٦) ١٢ - كتاب الزكاة ٤٠ - باب ليس الغنى عن كثرة العرض .

والترمذي (٤ / ٥٨٦) ٣٧ - كتاب الزهد ٤٠ - باب ماجاء أن الغنى غنى النفس .

٩٩ - البخاري (١٠ / ٥٦٣) ٧٨ - كتاب الأدب ١٠٠ - باب لا يقل خبثت نفسي .

ومسلم (٤ / ١٧٦٥) ٤٠ - كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها ٤ - باب كراهة قول الإنسان خبثت نفسي .

(لَقِستْ نفسي من الشيء تلقس) : إذا غثت ، واللقس : الغثيان ، وإنما كره « خَبُثَتْ » هرباً من لفظ الخبث .

٤ ـ نصوص في النفس و يراد بها القلب

قال تعالى :

﴿ وتُخْفي في نفسك ما الله مُبدِيه ﴾ (١) .

﴿ فأسرّها يوسف في نفسه و لم يُبْدِها لهم ﴾ (٢) .

﴿ يُخْفُون في أنفسهم ما لا يُبْدُون لك ﴾ (٣) .

﴿ ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مّما قضيت ويُسَلّموا تسليمًا ﴾ (٤) .

﴿ و جحدوا بها واستيقنتها أنفسُهم ظلمًا وعلوًّا ﴾ (٥) .

من النصوص النبوية :

١٠٠ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إذا نُودي بالصلاة أدْبَرَ الشيطانُ له ضُراطٌ حتى لا يَسمع التأْذِينَ ، حتى إذا قُضِيَ التثويبُ ، أقبل حتي يَخْطِرَ بين المرء ونفسه يقول : اذكر كذا ، واذكر كذا ، لِمَا لم يكنْ يَذْكُرَ من قَبْلُ ، حتى يَظَلَّ الرَّجُل ما يدري كم صلى ».

١٠١ ـ * روى أبو داود عن أبي رافع رضي الله عنه ، قال : بَعَثَتْنى قُرَيْشٌ إلى رسولَ الله ﷺ ، فلما رأيتُ رسولَ الله ﷺ أُلقِي في قلبي الإسلامُ ، فقلتُ : يا رسولَ الله ، إني والله لا أَرْجِعَ إليهم أبدًا ، فقال رسولُ الله ﷺ : « إني لا أَخيسُ بالعهدِ ، ولا أَحْبِسُ البُرُدَ ، ولكنِ ارْجِع ، فإن كان في نفْسِك الذي في نفسك الآن فارْجِعْ » ، قال : فذهبتُ ، ثم أتيتُ رسولَ الله ﷺ ، فأسلمتُ .

---

(١) الأحزاب : ٣٧ .
(٢) يوسف : ٧٧ .
(٣) آل عمران : ١٥٤ .
(٤) النساء : ٦٥ .
(٥) النمل : ١٤ .

١٠٠ ـ البخاري (٢ / ٨٤) ١٠ ـ كتاب الأذان ٤ ـ باب فضل التأذين .

ومسلم (١ / ٢٩١) ٤ ـ كتاب الصلاة ٨ ـ باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه .

١٠١ ـ أبو داود (٣ / ٨٢) كتاب الجهاد ١٥١ ـ باب في الإمام يستجن به في العهود . وإسناده صحيح .

قال أبو داودَ : و كان أبو رافع قبْطِيًّا ، قـال : وإنما كانوا يُرَدُّونَ أول الزمـان ، و أمـا الآن فلا يصلح .

١٠٢ ـ * روى مسلم وأبـو داود والنسـائي عن أبي هريرةَ رضي الله عنـه ، قـال : قـال رسولُ الله ﷺ : « مَنْ مات ولم يَغْزُ ، و لم يُحدِّثْ به نَفْسَهُ ، مـات على شُعْبَـةٍ من النِفاق » . قال ابنُ المُبَارِكِ فَنَرى أنَّ ذلك كان على عهدِ رسول اللهِ ﷺ .

١٠٣ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسولَ الله ﷺ قـال : « يقول الله تعالى : أنا عندَ ظَنِّ عبدي بي ، وأنا معـه إذا ذَكَرَني ، فـإن ذكرني في نفسه ذَكرتُه في نفسي ، وإن ذكرني في مَلإٍ ذكرتُه في مَلإٍ خيرٍ منـه ، وإنْ تَقرَّبَ إليَّ شِبْراً تَقَرَّبتُ إليه ذِراعًا ، وإنْ تَقَرب إليّ ذِراعًا اقْتَرَبتُ إليه بَاعًا ، وإن أتاني يمشي أتيتُه هَرْوَلَةً » .

قال الحافظ في الفتح :

قوله : (ذراعا تقربت منه باعا ، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة) قال ابن بطال : وصف سبحانه نفسه بأنه يتقرب إلى عبده ووصف العبد بالتقرب إليه ووصفه بالإتيان والهرولة كل ذلك يحتمل الحقيقة والمجاز فحملها على الحقيقة يقتضي قطع المسافات وتداني الأجسـام وذلـك في حقه تعالى محـال ، فلمـا استحـالت الحقيقـة تعيَّن المجـاز لشهرتـه في كلام العرب ، فيكون وصف العبد بالتقرب إليه شبرًا وذراعًـا وإتيـانـه ومشيـه معنـاه التقرب إليـه بطـاعتـه وأداء مفترضاته ونوافله ويكون تقربه سبحـانـه من عبـده وإتيـانـه والمشي عبـارة عن إثـابتـه على طاعتـه وتقربـه من رحمتـه ، ويكون قولـه أتيتـه هرولـة أي أتـاه ثوابي مسرعـا ، وثقل عن

---

١٠٢ ـ مسلم (٣ / ١٥١٧) ٣٣ ـ كتاب الإمارة ٤٧ ـ باب ذم من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بالغزو .
وأبو داود (٣ / ١٠) كتاب الجهاد ١٧ ـ باب كراهية ترك الغزو . وعنده : « شعبة نفاق » .
والنسائي (٦ / ٨) ٢٥ ـ كتاب الجهاد ٢ ـ باب التشديد في ترك الجهاد .

١٠٣ ـ البخاري (١٣ / ٣٨٤) ٩٧ ـ كتاب التوحيد ١٥ ـ باب قول الله تعالى ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ .
ومسلم (٤ / ٢٠٦١) ٤٨ ـ كتاب الذكر ١ ـ باب الحث على ذكر الله تعالى .
والترمذي (٥ / ٥٨١) ٤٩ ـ كتاب الدعوات ١٣٢ ـ باب في حسن الظن بالله عز وجل .
(الملأُ) : أشْرَافُ النَّاس ، ورؤساؤهم الذين يَرْجعُونَ إلى أقوالهم .

الطبري أنه إنما مثل القليل من الطاعة بالشبر منه والضعف من الكرامة والثواب بالذراع فجعل ذلك دليلاً على مبلغ كرامته لمن أدمن على طاعته أن ثواب عمله له على عمله الضعف وأن الكرامة مجاوزة حده إلى ما يثيبه الله تعالى ، وقال ابن التين : القرب هنا نظير ماتقدم في قوله تعالى ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ فإن المراد به قرب الرتبة وتوفير الكرامة ، والهرولة كناية عن سرعة الرحمة إليه ورضا الله عن العبد وتضعيف الأجر ، قال : والهرولة ضرب من المشي السريع وهي دون العدو . وقال صاحب المشارق : المراد بما جاء في هذا الحديث سرعة قبول توبة الله للعبد أو تيسير طاعته وتقويته عليه وتمام هدايته وتوفيقه والله أعلم بمراده . ا.هـ .

١٠٤ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول « والذي نفسي بيده ، لولا أنَّ رِجالاً من المؤمنين لاتطيب أنفسُهم بأن يتخلَّفوا عَنِّي ، ولا أجدُ ماأحملهم عليه ، ماتخلَّفْتُ عن سَرِيَّة . تَغْزُو في سبيل الله ، ولَوِددْتُ أني أُقْتَلُ في سبيل الله . ثم أُحيا ، ثم أُقتل ، ثم أُحيا ، ثم أُقتل ثم أُحيا ، ثم أُقتل » .

١٠٥ - * روى أبو داود عن معاذِ بن جبلٍ رضي الله عنه ، أنه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقول : « مَنْ قاتَل في سبيل الله فُواقَ ناقةٍ وَجَبَتْ له الجنةُ ، ومَنْ سأل الله القَتْلَ في سبيل الله صادقًا مِنْ نَفْسِه ، ثم مات أو قُتل : كان له أجرُ شهيدٍ ، ومَنْ جُرِحَ جُرْحًا في سبيل الله ، أو نُكِبَ نَكْبَةً ، فإنها تجيء يوم القيامة كأغزرِ ما كانت ، لونها لونُ الزعفران ، وريحُها رِيحُ المِسْك ، وَمنْ خَرَج به خُرَّاجٌ في سبيل الله ، فإنَّ عليه طابَع الشُّهداء » .

---

١٠٤ - البخاري (٦ / ١٦) ٥٦ - كتاب الجهاد ٧ - باب تمني الشهادة .

١٠٥ - أبو داود (٣ / ٢١) كتاب الجهاد ٤٠ - باب فيمن سأل الله تعالى الشهادة .

الترمذي (٤ / ١٨٣ ، ١٨٥) ٢٣ - كتاب فضائل الجهاد ١٩ - باب ماجاء فيمن سأل الشهادة ، و ٢١ - باب ماجاء فيمن يكلم في سبيل الله وقال : هذا حديث حسن صحيح .

النسائي (٦ / ٢٥) ٢٥ - كتاب الجهاد ٢٥ - باب ثواب من قاتل في سبيل الله فواق ناقة .

ابن ماجه (٢ / ٩٣٣) ٢٤ - كتاب الجهاد ١٥ - باب القتال في سبيل الله سبحانه وتعالى .

وأخرجه ابن حبان - الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٧ / ٦٧) . والحاكم في المستدرك (٢ / ٧٧) وصححه .

وبعد : فهذه نصوص في الجسد والعقل والقلب والروح والنفس بدأنا بها قسم العقائد لأنّ لها صلة بها ، ثمّ إنّ لها صلة بالتكليف الذي هو الفصل الثاني من هذا الباب : فهناك تكاليف للذات وهناك تكاليف جسديّة ، والنية وأصل الإيمان لابدّ منها لقبولها ، وهناك تكاليف للنفس ، ومن تكاليفها أن تزكّى من الأمراض كالحسد والعجب والكبر . وهناك تكاليف للقلب أن يؤمن وأن ينوّر ، وللروح ارتباط بهذا كلّه فهي المكلّفة بالعبوديّة لله ، وكلّ ما كلّف به الإنسان إنّما هو تحقيق لما كلّفت به الروح من العبوديّة لله رب العالمين ، لهذه الأسباب وغيرها قدّمنا هذا الفصل ، فقد رأينا أنّ بعض الناس يغلطون في فهم هذه المصطلحات الشرعيّة ويترتّب على الغلط فيها شرّ كبير وانحراف خطير ، وها نحن ننتقل إلى الفصل الثاني لنعرّف بالتكليف وماهيّته وشروطه ثمّ ننتقل إلى الحديث عن الإسلام والإيمان اللذين كلّف الله بهما عباده .

* * *



الفصل الثاني

في :

التكليف ومسؤولية الإنسان أمام الله عز وجل

وفيه :

مقدمة ونصوص ونقول ومسائل



المقدمة

جعل الله عزوجل الإنس والجن مسؤولين أمامه ، مكلّفين بالعبادة والعبودية له و محاسبين على ذلك ومجازين عليه في الدنيا وفي الآخرة . قال تعالى :

﴿ وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون ﴾ (١) .

﴿ يا معشر الجنّ والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ، قالوا شهدنا ﴾ (٢) .

فالإنسان من المخلوقات المحسوسة هو المكلّف الوحيد ، والجن من المخلوقات المغيّبة هم المكلّفون الوحيدون .

و التكليف الشرعي في الاصطلاح هو طلب الله عز وجل من المكلّفين مافيه كلفة في الفعل أو الترك ، و يدخل في الفعل الفريضة و الواجب و المندوب ، ويدخل في الترك الحرمة والكراهة .

قال البغدادي : التكليف في اللغة مأخوذ من الكلفة وهي التعب و المشقة ثم أطلق التكليف في الشرع على الأمر و النهي .

والتكليف منوط بالعقل وببلوغ الدعوة ، وبالبلوغ وبوجود ما به يدرك الخطاب من الحواس ، فمن ولد أعمى أصم أو أصابه العمى والصمم قبل أن يعقل الخطاب لا يعتبر مكلّفا لأنّ شرط التكليف فهم الخطاب ، أمّا إذا كان سميعًا أعمى أو أصمّ مبصرًا يستطيع الفهم فهو مكلّف بقدر ما يفهم ، أمّا العقل فلاتكليف إلا به ، ألا ترى أنّ الله عز و جل خاطب الناس بقوله ﴿ أفلا تعقلون ﴾ (٣) فمن لا عقل له لا حُجّة عليه ، وأما بلوغ الرسالة فهو شرط من شروط التكليف فمن لم تبلغه الرسالة لا يكون مكلّفا . قال تعالى : ﴿ رسلاً مبشّرين ومنذِرين لئلا يكون للناس على الله حُجّةٌ بعد الرسل ﴾ (٤) .

---

(١) الذاريات : ٥٦ .
(٢) الأنعام : ١٣٠ .
(٣) البقرة : ٤٤ .
(٤) النساء : ١٦٥ .

﴿ و ما كنّا معذّبين حتّى نبعثَ رسولاً ﴾ (١) .

﴿ لأُنذِرَكُم به و من بَلَغَ ﴾ (٢) .

ومن رحمة الله عز و جل أنّه لم يجعل الإنسان مكلّفا قبل البلوغ وذلك لقصور عقله عن استيعاب التكليف و القيام بحقوقه قبل ذلك لكنّ الشّارع كلّف أهل الولاية عليه أن يؤدّبوه ليؤهّلوه للقيام بالتكليف بعد البلوغ .

و إذا أردنا أن نعرف التكليف باختصار فإنّنا نصفه بأنّه معرفة الله والرسول ﷺ والإسلام والقيام لله عز و جل بحقوق العبادة والعبوديّة وبإقامة مايطلب من المكلّف من الإسلام .

* * *

إن مسئولية الإنسان أمام الله عز و جل من أخطر القضايا تأثيرًا على السلوك البشري و من أعظم القضايا التي يجب على الإنسان أن يعرفها ، فالإنسان الذي لا يستشعر مسئوليته أمام الله عز و جل يحب أن ينطلق بلا حدود ، و من ها هنا تأتي فكرة حيوانية الإنسان و ما يترتب عليها من فوضى شاملة ، و تأتي فكرة اتباع الأهواء و مايترتب عليها من خراب شامل ، قال تعالى : ﴿ و لو اتّبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ﴾ (٣) .

أما إذا أقرّ الإنسان بمسئوليته أمام الله عز وجل ، و اعترف بذلك واعتنق دينه الحق الإسلام ، و عرف أنه مجازَى على ذلك أمامه في حياة أخرى ، فإن ذلك ينبثق عنه كل خير . قال تعالى : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمةً طيبةً أصلُها ثابت وفرعُها في السماء * تؤتي أكُلَها كل حين بإذن ربها ﴾ (٤) .

---

(١) الإسراء : ١٦٥ . (٢) الأنعام : ١٩ .

(٣) المؤمنون : ٧١ . (٤) إبراهيم : ٢٤ ، ٢٥ .

و لقد جعل الله عز و جل مسئولية الإنسان في رسالته الخاتمة تنحصر بالتسليم له بالإسلام الذي أنزله على محمد عليه الصلاة والسلام .

وإن فهم الإسلام و التكاليف التي يطالب به كل إنسان و هو ما يسمى بالمطلوبات العينية و فهم ماتطالب به الأمة الإسلامية و مما يطلق عليه اسم المطلوبات الكفائية ، من أوجب الواجبات على كل مسلم ، وقد فصلنا ذلك في كتاب : « كي لا نمضي بعيدًا عن احتياجات العصر » . وذكرنا هناك تفصيلات للمطلوبات العينية و الكفائية ، و ذكرنا أن المسلم لو استهدى بتفصيلات هذه الشئون لكفاه ذلك للوصول إلى سيادة العالم بإذن الله ، و لنال بذلك الخلود الأبدي في نعيم الله وجنته ، و من رحمة الله أن جعل التكليف بالإسلام في دائرة اليسر ورفع الحرج ، و جعله منوطًا بالطاقة ، فكل مالايدخل في دائرة الوسع أو يدخل الإنسان في دائرة الحرج فقد خفف الله عز و جل فيه .

و تفصيلات هذا الأمر أكبر من أن يحاط بها ولذلك فإننا هاهنا سنقتصر على لُباب من النقول وعلى أصولٍ من النصوص ندرك فيها الكثير مماذكرناه في مقدمة هذا الفصل .

* * *

١ - نصوص و نقول في التكليف

قال تعالى :

﴿ أيحسَب الإنسان أن يترك سُدى ﴾ [١] .

﴿ لا يكلف الله نفسًا إلا وُسْعَها ﴾ [٢] .

﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ [٣] .

﴿ وأوحِيَ إليَّ هذا القرآنُ لأُنذِرَكم به ومن بلغ ﴾ [٤] .

﴿ وما كنا معذّبين حتى نبعث رسولاً ﴾ [٥] .

﴿ ولا تَقْفُ ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً ﴾ [٦] .

ومن نصوص السنة المتعلقة بالتكليف :

١٠٦ - * روى الجماعة إلا الموطأ عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ الله تعالى تَجاوزَ لأُمَّتي ما حدَّثتْ به أنْفُسَها ، ما لم يَعْمَلُوا به أو يتكلَّمُوا » .

ولَفْظُ أَبي داود : « إنَّ الله تَجاوَز لأُمَّتي ما لم تَكَلَّم به أو تعمَلَ به ، وما حَدَّثَتْ به أَنْفُسَها » .

---

(١) القيامة : ٣٦ .
(٢) البقرة : ٢٨٦ .
(٣) البقرة : ١٨٥ .
(٤) الأنعام : ١٩ .
(٥) الإسراء : ١٥ .
(٦) الإسراء : ٣٦ .

١٠٦ - البخاري (١١ / ٥٤٨) ٨٣ - كتاب الأيمان والنذور ، ١٥ - باب إذا حنث ناسيا في الأيمان .
مسلم (١ / ١١٦ ، ١١٧) ١ - كتاب الإيمان ، ٥٨ - باب تجاوز الله عن حديث النفس ... إلخ .
أبو داود (٢ / ٢٦٤) كتاب الطلاق ، ١٥ - باب في الوسوسة بالطلاق .
الترمذي (٣ / ٤٨٩) ١١ - كتاب الطلاق ، ٨ - باب ماجاء فين يحدث بطلاق امرأته .
النسائي (٦ / ١٥٦) ٢٧ - كتاب الطلاق ، ٢٢ - باب من طلق في نفسه .

١٠٧ - * روى أبـو داود عن عبـد الله بن عبـاس رضي الله عنهما ، قـال : أُتيَ عُمَرُ بمجنونةٍ قد زَنَتْ ، فاستشار فيها أُناسًا ، فأمرَ بها أن تُرجَمَ ، فَمَرَّ بها عليٌّ بن أبي طـالب ، فقال : ما شأْنُ هذه ؟ قالوا : مجنونةُ بني فُلانٍ زَنَتْ ، فأمَرَ بها [عمر] أنْ تُرْجمَ ، فقـال : ارجعوا بها ، ثم أتاه ، فقال : يـاأميرَ المؤمنين ، أمَـا علمتَ أنَّ القلَمَ قـد رُفِعَ عن ثَلاثـةٍ : عن المجنـون حتى يبرَأَ ؟ - وفي روايـة : يَفيـقَ - ، وعن النـائم حتى يستيقـظَ ، وعن الصبيِّ حتى يَعقِلَ ؟ فقال : بَلى ، قال : فما بالُ هذه ؟ قال : لا شيءَ ، [فأَرسِلهـا] ، قـال : فـأرسلهـا عمرُ ، قال : فَجَعَلَ يُكَبِّرُ .

وفي أخرى : قال له أو مَـا تَـذْكُرُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قـال : « رُفِعَ القَلَمُ عن ثلاثـةٍ : عن المجنـونِ المغلـوب على عَقْلـه ، وعن النَّـائِم حتىٰ يَستيقـظَ ، وعن الصَّبِيِّ حتى يَحْتَلِمَ » ؟ قال : صَدَقْتَ فخلَّى عنها .

وفي أخرى قال : أُتي عمرُ بامرأةٍ قد فَجَرَتْ ، فَأَمَر برجْمها ، فمرَّ عليٌّ ، فَأَخَذَها ، فَخَلَّى سبيلَها ، فـأُخْبِرَ عُمرُ ، فقـال : ادْعوا لي عَليًّـا ، فجـاء عليٌّ ، فقـال : يـاأمير المؤمنين ، لقـد علمت أنَّ رسول الله ﷺ قـال : « رُفِعَ القَلَمُ عن ثلاثـةٍ : عن الصبيِّ حتى يَبلُغَ ، وعن النائم حتى يستَيقظَ ، وعن المعتُوهِ حتَّى يَبْرَأَ » .

وإنَّ هذهَ مَعتُوهَةُ بني فُلانٍ ، لَعَل الذي أتاها أَتَاها في بلائها .

١٠٨ - * روى مسلم عن أبي هريرةَ ، رفعه : « والـذي نفس محمـد بيـده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمـة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثم يموت ولم يؤمن بـالـذي أرسلت بـه إلا كان من أصحاب النار» .

(الأمَّـة) : هنـا : أمـة الـدعـوة وهم المكلفـون من الإنس والجن ، وإذا كان اليهـود

---

١٠٧ - أبو داود (٤ / ١٤٠) كتاب الحدود ، ١٦ - باب في المجنون يسرق أو يصيب حدًّا .

قال محقق الجامع : وإسناده حسن وهو حديث صحيح بطرقه .

(فَجرَتْ) : الفُجُورُ : الزِّنا .

(المعتوه) : المجنونُ المصَاب في عقله .

١٠٨ - مسلم (١ / ١٣٤) ١ - كتاب الإيمان ، ٧٠ - باب وجوب الإيمان برسالة نبينا ﷺ .

والنصارى يستحقون النار إذا لم يؤمنوا به وهم أهل دين سماوي في الأصل فمن باب أولى غيرهم .

وهل مجرد السماع بمحمد ﷺ يوجب على من سمع به أن يبحث ثم يؤمن أو أنه السماع الذي تقوم به الحجة كأن يسمع من مسلم مباشرة أو بالواسطة ؟

قولان للعلماء :

فالغزالي يرى أنّ بلوغ الدعوة الذي تقوم به الحجّة هو ما كان عن طريق مسلم بشكل مباشر كالكلام المباشر ، أو بشكل غير مباشر كالكتاب والخطاب ،وفي عصرنا تكاد الحجّة أن تكون قد قامت على كلّ إنسان ، فما من إنسان إلا وقد سمع عن الإسلام ورسوله بواسطة المذياع أو التلفاز أو الكتاب أو المجلّة أو المحاضرات أو الدعوة المباشرة أو الخلطة لمسلم .

وكان شيخنا الحامد (رحمه الله) يرى أنّ الحجّة في عصرنا قد قامت على كلّ إنسان بما شاع واستفاض عن بعثة محمد ﷺ مّما يوجب على الإنسان البحث والسؤال ، فإذا لم يفعل فهو المقصّر .

وهل هناك مخففّات في حقّ بعض النّاس ؟ وهل هذه المخففّات تعفي من العِقاب والحساب فتسقط التكليف أو أنها تقتضي تكليفًا آخر يوم القيامة ؟ إن الحديث اللاحق يجيب على هذا :

١٠٩ ـ * روى أحمد عن الأسودِ بن سريع ، أن نبي الله ﷺ قال : « أربعةٌ يحتجون يوم القيامة : رجلٌ أصمُ لا يسمعُ شيئًا ورجلٌ أحمقُ ورجل هَرِمٌ ورجل مات في فترةٍ : فأما الأصمُ فيقول لقد جاء الإسلام وما أسمعُ شيئًا ، وأما الأحمقُ : فيقول

---

١٠٩ ـ أحمد (٤ / ٢٤) .

والطبراني (١ / ٢٨٧) .

قال في مجمع الزوائد (٧ / ٢١٦) :

رواه أحمد والبزار إلا أنه قال يُعرضَ على الله الأصمّ الذي لا يسمع شيئاً والأحمق والهرم ورجل مات في الفترة . رواه الطبراني بنحوه وذكر بعده إسنادا إلى أبي هريرة قال مثل هذا الحديث غير أنه قال في آخره فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن لم يدخلها يسحب إليها ـ هذا لفظ أحمد ورجاله في طريق الأسود بن سريع وأبي هريرة رجال =

يارب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفونني بالبَعْرِ ، وأما الهرم فيقول يارب لقد جاء الإسلامُ وما أعقلُ شيئًا . وأما الذي مات في فترة فيقول : ما أتاني لك رسول فيأخذ مواثيقهم لَيطيعُنَّه فَيرسل إليهم أن ادخلوا النارَ . فو الذي نفسي بيده لو دخلوها كانت عليهم بردًا وسلامًا » .

وفي الحديث : إشارة إلى ثِقَل التكليف بالإيمان بالغيب ، فإنه لايعدل ذلك إلا أن يمتحن الإنسان بعد أن ينكشف الغيب بأن يؤمر في دخول النار ، وما أشدّه من امتحان ؟ وما أثقل الإيمان بالغيب في الميزان ؟؟؟

قلنا إن شروط التكليف : العقل والبلوغ وبلوغ الدعوة ووجود الحواسّ التي يتأتى بها فهم الخطاب ، ولفهم موضوع البلوغ نذكر ماقاله أبو زهرة في كتابه أصول الفقه :

« ولكن ماهو حد البلوغ الذي يخرج به الغلام من دور الصبا إلى دور الرجولة المكلفة المتحملة للتبعات ؟ قالوا إنه يكون ببلوغه النكاح ، فالجارية برؤيتها الحيض ، والغلام بالاحتلام ، وذلك لأن القرآن حدّ البلوغ ببلوغ النكاح ، أي الصلاحية لاستيفاء حقوق ذلك العقد ، إذ يقول تعالى : ﴿ **وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدًا فادفعوا إليهم أموالهم** ﴾ وإن الأمارات الحسية هي التي تدل على بلوغ النكاح ، والشارع يعتبر الأمور مغيرة للأحكام بأمارات حسية .

وإذا لم تظهر هذه الأمارات الحسية في إبّان المراهقة ، اعتبر البلوغ بالسن ، وجمهور الفقهاء يعتبرون سن البلوغ خمسة عشر عاما » ا . هـ .

أقول :

والحمل في حق المرأة ينوب مناب الحيض ، والإنزال بالنسبة للرجل ينوب مناب الاحتلام ، والمراد بالبلوغ في السن : السنون القمرية ، وهاتان روايتان حول البلوغ بغير السنّ :

= الصحيح وكذلك رجال البزار فيها . ا . هـ .

(البَعْر) : جمع بَعْرة : رجيع ذوات الخُفّ وذوات الظِّلْف إلا البقر الأهلي .

١١٠ ـ * روى البخاري معلقًا عن الحسن بن صالح ، قال : أدركْتُ جارة لنا جَدَّة ، بنتَ إحدى وعشرين سنة .

١١١ ـ * أخرج البخاري تعليقا عن المُغِيْرَةِ بن مِقْسَمٍ الضَّبِّيِّ رحمه الله ، قال : احتلمت وأنا ابنُ ثِنْتَيْ عَشَرَةَ سَنَةً .

وبعد إذ أخذنا تصوّرًا عن شروط التكليف وعرفنا أنّه بالعقل والبلوغ والتبليغ ووجود الحاسّة التي يفهم بها التبليغ تقوم الحجّة على الإنسان فيكون مكلفًا بالإسلام ، فإنّه من المناسب أن نذكر أنّ الإنسان في دار الإسلام يعتبر مكلفًا حكمًا ، وأمّا خارج دار الإسلام فلا يعتبر مبلغاً إلا إذا جاءه التبليغ من مسلم بشكل مباشر أو غير مباشر (على رأى الغزالي كما ذكرنا) سواء كان ذلك باللسان أو بالكتاب أو بوسيلة من وسائل الإعلام ، أمّا إذا بلغته الصورة مشوّشة عن كافر ولم يصل إليه الإسلام بواسطة صحيحة من الوسائط فقد ذهب الغزالي إلى أن التبليغ لم يحصل له وهذا في غير دار الإسلام .

وقال البغدادي في أصول الدين :

« وقال أصحابنا إن الواجبات كلها معلوم وجوبُها بالشرع . وقالوا فيمن كان وراء السد أو في قطر من الأرض ولم تبلغه دعوة الإسلام يُنْظَرُ فيه فإن اعتقد الحق في العدل والتوحيد وجَهِل شرائع الأحكام والرسل فحكمه حكم المسلمين وهو معذور فيما جهله من الأحكام لأنه لم يقم به الحجة عليه . ومن اعتقد منهم الإلحاد والكفر والتعطيل فهو كافر بالاعتقاد وينظر فيه فإن كان قد انتهت إليه دعوة بعض الأنبياء عليهم السلام فلم يؤمن بها كان مستحقا للوعيد على التأبيد . وإن لم تبلغه دعوة شريعة بحال لم يكن مكلفا ولم يكن له في الآخرة ثواب ولا عقاب فإن عذبه الله في الآخرة كان ذلك عدلا منه ولم يكن عقابًا له كما أن إيلام

---

١١٠ ـ البخاري (٥ / ٢٧٦) ٥٢ ـ كتاب الشهادات ١٨ ـ باب بلوغ الصبيان وشهادتهم .

قال الحافظ في « الفتح » : وقد رويناه موصولاً في « المجالسة » للدينوري من طريق يحيي بن آدم نحوه ، وأقل أوقات الحمل تسع سنين .

١١١ ـ البخاري (٥ / ٢٧٦) ٥٢ ـ كتاب الشهادات ١٨ ـ باب بلوغ الصبيان وشهادتهم .

قال الحافظ في « الفتح » : جاء مثله عن عمرو بن العاص ، فإنهم ذكروا أنه لم يكن بينه وبين ابنه عبد الله بن عمرو في السن سوى اثنتي عشرة سنة .

الأطفال والبهائم في الدنيا عدل من الله تعالى وليس بعقاب لهم على شيء . وإن أنعم عليه في الآخرة فهو فَضل منه وليس بثواب لـه على الطـاعـة ، كما أن إدخـالـه ذراري المسلمين الجنـة فضل منه وليس بثواب على طاعة . وإن كان هذا الـذي لم تبلغـه دعوة الإسلام غير معتقـد كفرًا ولا توحيدًا فليس بمؤمن ولا كافر فإن شـاء الله عـذبـه في الآخرة عـدلا وإن شـاء أنعم عليه فضلا » ا .هـ .

* * *

مباحث في العذر بالجهل

ولعلمائنا مباحث تصل إلى موضوعنا بسبب : يبحثونها عادة تحت عنوان الجهل بالأحكام متى يعتبر عذرًا ، وقد لخصّ الشيخ أبو زهرة في كتابه أصول الفقه : هذه الأبحاث وهذه مستخلصات من كلامه :

الأحكام الشرعية المقررة في الكتاب والسنة ، والأمور التى انعقد الإجماع عليها لا يسع أحدًا أن يخالفها بدعوى الجهل بها ، فلا يُعَدّ هذا الجهل عذرًا مسوّغًا ، وذلك لمن يقيم في الديار الإسلامية .

وهذا النوع من العلم هو الذي يسميه الشافعي رضي الله عنه [علم] عامة لا يسع أحدًا أن يجهله . وذلك لأن العلم قسمان ، تولى النص بيانها ، ولنترك الكلمة للإمام العظيم ، فهو يقول في رسالة الأصول :

« العلم علمان : علم عامة لا يسع أحدًا غير مغلوب على عقله جهله ، مثل الصلوات الخمس ، وأن لله على الناس صوم رمضان وحج البيت إذا استطاع ، وزكاة أموالهم ، وأنه حرم عليهم القتل والزنى والسرقة والخمر ، وما كان في معنى هذا مما كلف العباد أن يعلموه ويعملوا به ويعطوه من أنفسهم وأموالهم ، وأن يكفوا عما حرم عليهم منه ، وهذا الصنف كله من العلم موجود نصا في كتاب الله تعالى ، وموجود عامًا عند أهل الإسلام ينقله عوامهم عمن مضى من عوامهم ، يحكونه عن رسول الله ﷺ ولا يتنازعون في حكايته ولا وجوبه ، وهذا العلم هو الذي لا يمكن الغلط فيه من الخبر ولا التأويل ولا يجوز التنازع فيه » .

وبهذا يتبين أن هذا العلم هو المأخوذ من صريح الكتاب والسنة المتواترة ، والمشهور من الأحاديث الذي انعقد على أحكامه إجماع المسلمين .

أما القسم الثاني فقد بينه الشافعي في الرسالة أيضاً ، وسماه علم الخاصة ، وهو ما ينوب العباد من فروع الفرائض ، ولم يرد فيه نص صريح من كتاب أو سنة ولم ينعقد عليه إجماع .

وإن هذا النوع من العلم يختص به الفقهاء الذين عكفوا على الدراسات الفقهية ، وهو درجة عالية يسع العامة أن يجهلوه ولا يسع الفقهاء أن يهملوه . وبهذا يتبين أن الأصول العامة للمحرمات والفرائض تعتبر كل مُقيم في الديار الإسلامية على علم بها ، ولا يعذر بالجهل به ، إلا في حال الاشتباه ولا يستثنى من ذلك الذميون الذين يقيمون في الديار الإسلامية . فلا يعذرون في الجهل بالحد والقصاص والدِيات وموجباتها ، وغير ذلك مما يطبق عليهم من عقوبات تطبق على المسلمين ، وذلك لأنهم يقيمون في الديار الإسلامية فيفترض فيهم مثلاً العلم بما يعلمه عامتهم من أن :

الزنى يوجب الحد ، وغير ذلك من العقوبات مع موجباتها ، ولأنهم يقيمون مع المسلمين على أساس أن لهم ماللمسلمين ، وعليهم ماعليهم .

وإن الأحكام التفصيلية التي تؤخذ بالاستنباط بالأقيسة وغيرها من طرق الرأي لا يعرفها كما ذكرنا إلا الخاصة من علماء الشرع المتخصصين .

... هذا وإن الجهل بأحكام النصوص منه ما يكون عذرًا ، ومنه ما لا عذر فيه ، ولقد ضبط علماء الأصول ذلك في أقسام أربعة :

القسم الأول - جهل لا يعذر فيه صاحبه ، ولا شبهة فيه كالردة بعد إيمان ، وارتكاب مانص القرآن نصًا قاطعًا على تحريمه معتقدًا حِلَّهُ ، وكذلك ماتواتر وثبت بالإجماع ، فإن الجهل بهذا إثم ، والإثمُ لا يبرر الإثمَ .

وقد ذكر علماء الأصول من ذلك جهل غير المسلم بالوحدانية ، وجهله بالرسالة المحمدية إذا بُلِّغَ الدعوة الإسلامية على الوجه الصحيح . وأقيمت الأدلة القاطعة بصدقها ، فإنهم قالوا إن ذلك جهل لايعذر صاحبه .

... القسم الثاني - جهل يعذر فيه الشخص لأنه موضع اشتباه من حيث الدليل ، وذلك يكون في الجهل بالمسائل التي يحتاج فهمها إلى ضرب من التأويل والتفسير ، وتكون هي محتملة للتأويل ، والحق فيها لايتبين إلا بعد الفحص والتأمل ....

... القسم الثالث - الجهل في مواضع الاجتهاد ، والجهل الذي لا تتوافر فيه أسباب العلم

توافرًا تامًا ، أو يكون الجهل معه شبهة أسقطت العقاب .....

... القسم الرابع - الجهل بالأحكام الإسلامية في غير الديار الإسلامية وهو جهل قوي إلى درجة أن جمهور الفقهاء قال إنه تسقط عنه التكليفات الشرعية ، حتى إنه لو أسلم رجل في دار الحرب ، ولم يهاجر إلى الديار الإسلامية ، ولم يعلم أنه عليه الصلاة والصوم والزكاة ، ولم يؤد فرضًا من هذه الفرائض . فإنه لا يؤديها قضاء إذا علم ، وقال زُفَرُ يجب عليه أن يؤديها إذا علم ، ووجهه أنه بقبوله الإسلام صار ملتزمًا أحكامه وعليه أداؤها ، ويعذر إذا لم يؤدها في وقتها ، ولكن إذا علم فحكم الالتزام ثابت ، ويجب عليه قضاء ما التزم .

ووجهة جمهور الفقهاء ، أن دار الحرب ليست موضع علم بالأحكام الشرعية ، فلم تستفض فيها مصادر الأحكام ، ولم تشتهر ، فكان الجهل جهلا بالدليل ، والجهل بالدليل يسقط التكليف ، إذ لم يتوجه الخطاب .

وعلى ذلك يتميز هذا القسم عن بقية الأقسام السابقة ، بأن الجهل هنا ليس عذرًا فقط ، بل إنه مسقط للخطاب .

ويجب أن نقرر هنا أنه إذا كان الجهل ليس موضوعه أمرًا من الأمور التي تعد من أصول الإسلام الثابتة بالكتاب والسنة ، بل كان أمرًا هو موضوع اجتهاد واختلف فيه الفقهاء ، واختار ولي الأمر الأخذ بأقوال بعض الأئمة ، وأعلن ولي الأمر الأخذ به ، فإن ذلك يكون موضوع عذر ، حتى يشيع الإعلان بحيث لا يسع أحدًا أن يجهله » ا . هـ . كلام أبي زهرة .

أقول : هناك أمور معلومة من الدين بالضرورة ، فهذه لا يعذر أحد بالجهل بها في دار الإسلام ، فمن أنكرها أو جهلها كفر وبالتالي : لا يعتبر مسلمًا بسبب الجهل أو الإنكار ، وفقهاء الحنفيّة يحكمون بكفره قبل أن يقرّ بها ، فإذا أقرّ بها بعد البيان فكأنّه أسلم من جديد ويرتبّون على ذلك فساد نكاحه وبطلان حجه ، وأمّا الشافعية فيقولون : لا يكفر بالجهل إلا بعد البيان فإذا أصرّ بعد البيان حكم بكفره .

وأمّا الجهل بالأحكام التي تعتبر معرفتها فريضة عينيّة على كلّ مسلم ممّا ليس من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة فهذه الجهل بها في دار الإسلام فسوق ، والفتوى هي التي تحكم

التقصير في العمل من وجوب التوبة وحدها أو وجوبها مع غيرها .

أمّا الجهل في غير دار الإسلام فإنّه يعتبر عذرًا مالم يكن تقصير ، فلو افترضنا أنّ إنسانًا جاهلاً حدّث إنسانًا كافرًا في غير دار الإسلام عن الشهادتين فنطق بها ذلك المبلّغ مؤمنًا بها ولم يُعلّمْه الآخر شيئًا آخر ولا يستطيع هو أن يتعلّم من مسلم آخر أو كان يجهل وسيلة تصل به إلى العلم فالعذر في حقّه قائم .

* * *

ومن رحمة الله عز وجل بالمكلّف أنّه جعل التكليف ضمن الوسع والطاقة وجعل دينه الإسلام ميسّرًا فرفع فيه الحرج والتكاليف الشّاقّة . قال تعالى :

﴿ لا يكلّف الله نفسًا إلا وُسْعَهَا ﴾ (١) .

﴿ لا يكلّف الله نفسًا إلا ماآتاها ﴾ (٢) .

﴿ ماجعل عليكم في الدين من حرج ﴾ (٣) .

﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ (٤) .

﴿ ويضع عنهم إصْرَهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾ (٥) .

ومن مظاهر التخفيف في التكليف ماتحدّث عنه هذان النّصان :

١١٢ ـ * عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « تجاوزَ اللهُ عن أمتي الخطأَ والنسيانَ وما استُكْرِهوا عليه » .

---

١١٢ ـ الحاكم (٢ / ١٩٨) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وروا ابن ماجه (١ / ٦٥٩) ١٠ ـ كتاب الطلاق ١٦ ـ باب طلاق المكره والناسي عن أبي ذر .

(١) البقرة : ٢٨٦ .
(٢) الطلاق : ٧ .
(٣) الحج : ٧٨ .
(٤) البقرة : ١٨٥ .
(٥) الأعراف : ١٥٧ .

١١٣ - * روى الجماعة إلا الموطأ عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ اللهَ تعالى تَجاوزَ لأُمَّتي ماحدَّثَتْ به أنْفُسَها ، مالم يَعْمَلُوا به أو يتكلَّمُوا » . وفي رواية : « ماوسْوسَتْ به صُدُورُها » .

ولَفْظُ أبي داود : « إنَّ اللهَ تَجَاوَز لأُمَّتي مالم تَكلَّم به أو تعمَلَ به ، وما حَدَّثَتْ به أنْفُسَها » .

وبمناسبة الكلام عن اليسر ورفع الحرج والتكليف بقدر الوسع لابدّ من تصحيح مفهوم خاطئ يقع فيه بعض الناس وهو أن بعضهم يتصوّر أن التكليف موافق للهوى أو للراحة الجسميّة ، والأمر ليس كذلك فالإسلام جاء بمخالفة الهوى ، والتكليف هو طلب ما فيه كُلفة في الأصل ، فالمنفي هو التكليف المعنِت المُرْهِق الذي لا تستطيعه النفس باستمرار ، وللشيخ أبي زهرة تحقيق لطيف بهذه المناسبة نستخلص منه بعضه .

قال رحمه الله :

التكليف بما يشق :

إن المشقة قسمان : أولهما - مشقة يمكن احتمالها والاستمرار عليها ، وهذه يمكن فيها التكليف ويمكن المؤاخذة عليها ، كالصوم والحج ، فإنها مشقات يمكن احتمالها ، ويمكن الاستمرار على أدائها وما من تكليف إلا وفيه مشقة محتملة ، أدناها رياضة النفس على ترك الممنوع ، والأخذ بالمشروع ، إذ كل ممنوع متبوع ، ولذلك ورد في الحديث الشريف « حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات » فإن أسباب العصيان دائمًا اتباع للهوى والشهوة ، والسير في سبيلها إلى أقصى الغاية من غير تحرج ولا تأثم ، وأسباب

---

١١٣ - البخاري (١١ / ٥٤٨) ٨٣ - كتاب الأيمان والنذور ١٥ - باب إذا حنث ناسياً في الأيمان .

ومسلم (١ / ١١٦ ، ١١٧) ١ - كتاب الإيمان ٥٨ - باب تجاوز الله عن حديث النفس ... إلخ .

وأبو داود (٢ / ٢٦٤) كتاب الطلاق ١٥ - باب في الوسوسة بالطلاق .

والترمذي (٣ / ٤٨٩) ١١ - كتاب الطلاق ٨ - باب ماجاء فيمن يحدث نفسه بطلاق امرأته .

والنسائي (٦ / ١٥٦) ٢٧ - كتاب الطلاق ٢٢ - باب من طلق في نفسه .

(أنفسها) : قال النووي رحمه الله : ضبطه العلماء بالنصب والرفع ، وهما ظاهران ، إلا أن النصب أشهر وأظهر ، قال القاضي عياض : « أنفسها » بالنصب ، ويدل عليه قوله « إن أحدنا يحدث نفسه » قال : قال الطحاوي : وأهل اللغة يقولون : « أنفسها » بالرفع ، يريدون بغير اختيارها ، كما قال الله تعالى : ﴿ ونعلم ماتوسوس به نفسه ﴾ .

الطاعات فطم للنفس عن كثير من الشهوات أو وقوف بها عند حد ، وهذا في ذاته فيه مشقة على النفس التي لم تتعود الضبط ، والوقوف بها عند حد محدود حده الشارع ، ولو كانت كل التكليفات يسرًا خالصًا لا يوجد مخالفون ولا عصاة ، ولو كانت التكليفات تسير مع الأهواء جنبًا لجنب ماوجد اعتداء ولاظلم ، ولكن الله تعالى اختبر الإنسان فجعل فيه داعي الطاعة وداعي المعصية ينبعثان من جنبيه ، كما قال تعالى : ﴿ وهديناه النَّجْدَين ﴾ وكما قال تعالى : ﴿ ونفسٍ وما سوّاها * فألهمها فجورها وتقواها ﴾.

القسم الثاني : المشقات التي يصعب الاستمرار على أدائها أو لا تحتمل إلا ببذل أقصى الطاقة .

[من ذلك الجهاد في سبيل الله تعالى] ، وكذلك الصبر عند الإكراه على النطق بكلمة الكفر هو موضع ثواب عند الله مع أنه مشقة فوق الاحتمال العادي ، ولكن النبي ﷺ اعتبر منزلته يوم القيامة بجوار منزلته .

ومن ذلك الجهر بكلمة الحق في وقت يسود فيه الظلم ، ولذا قال عليه السلام : « أفضل الجهاد كلمة حق لسلطان جائر » وقال عليه السلام : « سيد الشهداء حمزة ابن عبد المطلب ، ورجل قال كلمة حق عند سلطان جائر فقتله » ولذا كان التكليف في المشقة التي لا تحتمل إلا بأقصى الطاقة جائزًا في تلك الدائرة المحدودة .

وننتهي من هذا إلى أن التكليفات التي تكون فيها مشقات غير معتادة ثابتة في إحدى أحوال ثلاثة :

(ا) ـ في الفروض الكفائية كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عندما يُعرّض الآمر نفسه إلى التلف .

(ب) ـ في الصور التي لا يتحقق نفع عام كامل إلا ببذل أقصى البذل في النفس والنفيس . [كالجهاد] .

(جـ) ـ في الأحوال التي يكون فيها اعتداء على حق من حقوق الله تعالى ، أو حقوق العباد ، فإن الصبر في هذه الحال مطلوب وإن كان شاقًا مشقة فوق المعتادة كمن يكره بالقتل لينفّذ الاعتداء بالعمل على قتل غيره ، فإنه يجب عليه أن يصبر ولا يقتل غيره .

[بل إن فعل يكون آثما ولا يعتبر عذره بحال] .

ففي هذه الصور وأشباهها يكون العمل الذي فيه مشقة غير معتادة مطلوبًا .

ويلاحظ في هذه الصور أن المشقة ليست مقصودة لذاتها ، فليست المشقة في ذاتها أمرًا يتعبد به ، لأن تعذيب الجسم ، لتطهير الروح ليس من مقاصد الإسلام ، إنما المشقة غير المعتادة تطلب ، لأنها تكون دفعاً لضرر أشد ، أو جلبًا لنفع أسمى . فهي تكون تحقيقًا لمقصد من المقاصد الإسلامية العليا ، على أنها وسيلة متعينة له ، وليست مقصودة لذاتها .

واليسر هو الأصل في الشريعة الإسلامية ، ولذلك تقول السيدة عائشة رضي الله عنها في وصف النبي ﷺ : ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثمًا .

لذا نهى النبي ﷺ مَن نذر أن يصوم قائمًا في الشمس أن يستمر قائمًا في الشمس وأمره أن يتم صومه وقال عليه السلام « هؤلاء **المتنطعون** » وبذلك يكون أمره بما هو طاعة في ذاته وهو الصيام ، ونهاه عما ليس طاعة وهو القيام في الشمس ، وذلك النهي تقرر أن القيام في الشمس لغير مقصد شرعي مقصود معصية ، ولذا نهى عنها في النذر ، ولقد قال النبي ﷺ : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه » ولقد روي أن بعض الصحابة أخذ نفسه بقيام الليل وصوم النهار ، وبعضهم أخذ نفسه باعتزال النساء ، فبلغ النبي ﷺ أمرهم جميعًا ، فقال عليه السلام « ما بالُ أقوام قالوا كذا وكذا ، أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكني أصومُ وأُفطِرُ ، وأصلي وأرقُدُ ، وأتزوجُ النساء . فمن رَغِبَ عن سنتيَ فليس مني » .

وقد كان النبي ﷺ حريصًا على ألا يلتزم الشخص عبادات ليست فرضًا ، و لا يطيق الاستمرار عليه ، وكان يحب العبادة الدائمة التي لاصعوبة فيها على العبادة الشاقة التي لايمكن الاستمرار عليها ، ولذا كان يقول ﷺ « أحبُّ الأعمال إلى الله أدومُها وإن قلّ » [1] .

وكان يقول : « إن الله يحبُ الديمةَ من الأعمال » وكان يقول ﷺ « لن يُشادَّ أحد هذا الدين إلا غلبه ، ولكن سددوا وقاربوا » . ا. هـ . كلام أبي زهرة .

---

(١) أخرجه الشيخان .

وقال عبد القاهر البغدادي في بيان أنواع التكليف :

اختلف أصحابنا في أقسام التكليف : فمنهم من قال إن التكليف مقصور على ثلاثة أوجه : أمر ونهي وخبر . فالتكليف بالأمر . كقوله : ﴿ أقيموا الصّلاة ﴾ ونحوه والتكليف بالنهي كقوله : ﴿ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا ﴾ .

والتكليف بالخبر على ضربين : أحدهما في معنى الأمر كقوله تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ .

والثاني خبر في معنى النهي كقوله تعالى ﴿ لا يَمَسُّهُ إلا الْمُطَهَّرُون ﴾ ومنهم من قصر التكليف على الأمر والنهي . فأما الخبر عن وجوب شيء أو عن تحريمه فإنما حُمِلَ على معناه : بأمر الله تعالى أن يحمل عليه . ومنهم من قصر التكليف على معنى الأمر وقال إن النهي إنما صار تكليفا لأنه أمر بترك المنهي عنه وتركِ ضدّ المأمور بفعله . فهذا بيان أقسام التكليف في الجملة . وتفصيله أن التكليف على خمسة أقسام : أحدها موجب وثانيها محرم وثالثها دليل على أن ماورد به سنة ورابعها دليل على أن ماورد به مكروه وخامسا دليل على إباحة ماورد به من غير وجوب ولا حظر ولا كراهية ولا استحباب . وحقيقة الواجب ما يستحق بتركه العقاب والحرام مايستحق بفعله العقاب ا. هـ من كتاب أصول الدين .

وبمناسبة الكلام عن التكليف يثير أصوليّو العقائد وأصوليّو الفقه عددًا من المسائل بعضها لايتوقف عنده وهاك بعض مسائلهم المهمّة :

٢ ـ مسائل في التكليف

المسألة الأولى في أهل الفترة :

أهل الفترة هم من كانوا في زمن رسل لم يبعثوا إليهم أو كانوا بقية أمة أرسل لأسلافهم رسول ثم اندثر هديه أو حُرِّفَ وذلك كذرية إسماعيل عليه الصلاة والسلام بعد اندثار هديه فهؤلاء في القول الراجح ناجون لأنه لم تبلغهم رسالة رسول بطريق صحيح عن أهل ذلك فلم تقم عليهم بسبب ذلك حجّة ، وواضح ممّا مرّ معنا أنّه مادامت رسالة الرسول باقية في إطارها الصحيح وَبَلغت عن طريق صحيح لمن هو مكلّف بها فقد قامت عليه الحجة .

وعلى هذا نقول : إنّه مادامت رسالة إبراهيم وإسماعيل تصل بطريق صحيح إلى الذين بعثا إليهم فهم مكلفون ومؤاخذون على النكول والتقصير ، أمّا بعد أن ضاعت ولم يبق أحد يبلغّها على وجهها الصحيح فإن الناس وقتذاك يكونون أهل فترة ، وهم على القول الراجح ناجون ، وبناء عليه فإننا نحمل الأحاديث الواردة في عذاب بعض أهل الجاهليّة على أنّه وصلهم دين إبراهيم وإسماعيل صحيحا ثمّ حرّفوا وبدلوا كما فعل عمرو بن لحي الذي أدخل الأصنام إلى جزيرة العرب ، وعلى ضوء هذه القواعد نقول : إنّ أبوي رسول الله ﷺ ناجيان لأنّهما لم تبلغهما رسالة سابقة ولم يدركا رسول الله ﷺ وما ورد خلاف ذلك فإنّه إمّا مؤوّل ، وإمّا أنّه محمول على توهّم عند بعض الرواة فإن روايات صحيحة تعارض ذلك . فحديث مسلم الذي يقول « إنّ أبي وأباك في النار » قد ورد في صيغة أخرى بإسناد على شرط الشيخين : أنّ رسول الله ﷺ قال بعد أن ذكر أنّ أبا السائل في النار : « حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار » .

كما أنّ الحديث يحتمل التأويل ، فالأب في اللغة يطلق على الأب المباشر والجد ومن قبله من الجُدد .

وبما يدل على وجود فترة :

الحديث الذي سبق معنا وفيه :

عن الأسود بن سريع ، أن رسول الله ﷺ قال : « أربعة يحتجون يوم القيامة : رجل أصم لا يسمع شيئًا ، ورجل أحمقَ ، ورجل هرمٌ ، ورجل مات في

قبره .... ، .... وأما الذي مات في فترة فيقول ما أتاني لك رسول » [١] .

ومما يدل علي أنهم ناجون قوله تعالى : ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً** ﴾ [١] .

وأما قوله تعالى : ﴿ **وإنْ من أمةٍ إلا خلا فيها نذير** ﴾ [٢] :

لا يعني عدم وجود أناس لم يصلهم دين صحيح ، فأمة العرب خلا فيهم إبراهيم وإسماعيل ، ولكن دينهم حُرِّفَ وبُدِّلَ فمن لم يصله منهم الدين الصحيح لا يؤاخذ ويعتبر من أهل الفترة إلى أن بعث محمد ﷺ .

المسألة الثانية :

الماتريديّة يرون أن الإنسان مكلّف بمعرفة الله عز وجل ولو لم يرسل إليه رسول ، والمعتزلة يقولون بأن الإنسان مكلّف بفعل كلّ مايصل العقل إلى حسنه وبترك كل مايصل العقل إلى قبحه ولو لم يكن رسول ، والأشاعرة يرون أنّه لا تكليف بأصول أو فروع إلا إذا بعث رسول وتشهد لهم النصوص :

﴿ **وما كنّا معذّبين حتّى نبعث رسولا** ﴾ [٣] .

﴿ **لأنذركم به ومن بلغ** ﴾ [٤] .

﴿ **رسلا مبشّرين ومنذرين لِئلا يكون للناس على الله حُجّة بعد الرسل** ﴾ [٥] .

﴿ **قالوا أو لم تَكُ تأتيكم رسلكم بالبيّنات قالوا بلى** ﴾ [٦] .

﴿ **وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتّبعوه واتقوا لعلكم تُرحمون * أن تقولوا إنّما أُنزِل الكتاب على طائفتين من قبلِنا وإن كنّا عن دراستِهم لغافلين * أوتقولوا لو أنّا أُنزل علينا الكتابُ لكنّا أهدَى منهم** ﴾ [٧] .

---

(١) الإسراء : ١٥ .
(٢) فاطر : ٢٤ .
(٣) الإسراء : ١٥ .
(٤) الأنعام : ١٩ .
(٥) النساء : ١٦٥ .
(٦) غافر : ٥٠ .
(٧) الأنعام : ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ .

المسألة الثالثة :

المجنون ليس مكلفا إنْ بَلَغَ مجنونا واستمرّ على ذلك حتّى مات بخلاف مالو بَلَغَ عاقلا ثم جن وكان غير مؤمن ومات كذلك فهو غير ناج وهو محاسب بعد البلوغ على الفترة التي عقل فيها .

المسألة الرابعة :

اتفق الأصوليّون على أن العبد لا يؤاخذ إلا بما هو في طاقته فلا يؤاخذ بما لا يمكنه فعله ولا يكلّف أصلا بأمر مستحيل الوقوع عقلا أو عادة كالجمع بين الضدّين .

المسألة الخامسة : هل الكفار مخاطَبون بالأصول والفروع ومكلّفون بها ومحاسبون على الجميع ، أو أنهم مكلفون بالأصول فإذا آمنوا كلفوا بالفروع ؟

قولان للعلماء ، وجمهور العلماء : أنّ الكفار غير مكلفين بالفروع إلا بعد الإيمان .

والمراد بالأصول : أصول العقائد من إيمان بالله وبالرسول وباليوم الآخر إلى غير ذلك ، والمراد بالفروع ماينبثق عن الأصول من أحكام الشريعة كأداء الصلاة والزكاة والصوم والحج وغير ذلك .

المسألة السادسة : في مسئوليّة الطفل والمجنون ماليًّا :

« ولكن يلاحظ أن المجنون وهو فاقد التمييز ، والصبي غير المميز مثله تتعلق بهما تكليفات مالية ، فإذا أتلف أحدهما شيئًا وجب في ماله ، وإذا جنى أحدهما جناية وجبت الدية في مالهما ، وقد قرر جمهور الفقهاء أن الزكاة تجب في مالهما ، [والحنفية لا يرون ذلك] .

وقرر الفقهاء بالإجماع أن زكاة الزرع والثمار تجب من زرعهما وثمارهما » ا. هـ . [أصول الفقه ـ أبو زهرة] .

المسألة السابعة : في أولاد المسلمين والمشركين :

رأينا أن مما يناط به التكليف : البلوغ ، وعلى هذا فما لم يبلغ الإنسان لايعتبر مكلفا ، فإذا مات قبل البلوغ فالمرجو أن يكون ناجيًا عند الله ، غير أن الشارع أدّبنا أن نسكت

عن هذا الموضوع وأن نفوّض الأمر فيه لله عز وجل لأنّ في السكوت عنه مدعاةً لبذل الجهد في الدعوة للصغار وتربيتهم .

وفي شأن الصغار ورد عدد من الآثار يلحظ في بعضها ماذكرناه . وهذه بعض النصوص في ذلك :

١١٤ - * روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : تُوُفِّيَ صبيٌّ ، فقلتُ : طُوبَى لَهُ ، عُصْفُورٌ من عصافير الجنة ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ : « أَوَلا تَدْرِينَ أنَّ الله خَلَقَ الجَنَّةَ ، وخَلَقَ النارَ ، فخلق لهذه أَهْلاً ولهذه أهلا ؟ » .

وفي رواية : قالت : دُعيَ رَسُولُ الله ﷺ إلى جَنَازةِ صَبيٍّ من الأنصار ، فقُلْتُ : يارَسُولَ الله ، طُوبى لهذَا ، عُصفورٌ مِن عَصَافيرِ الجنَّة ، لم يعملِ السُّوءَ ، وَلَمْ يُدْرِكْهُ ، فَقَالَ : « أَوَ غَيْرَ ذٰلِك ياعَائِشَةُ ، إنَّ اللهَ خَلَقَ للجَنَّةِ أَهْلاً ، خَلَقَهُمْ لَهَا وهُمْ في أصْلاب آبائِهِم ، وخَلَقَ للنَّار أهلاً ، خَلَقهم لَهَا وهُم في أصْلاب آبائهم » .

وأخرج أبو داود والنسائي الثانية ، وقالا فيه : طُوبَى لهذا ، لم يعلم سوءاً ولم يدر به [(١)] .

هذا نموذج على ما أدّبنا به الشارع في التفويض في أمر الذين يموتون وهم صغار للحكم التي ذكرناها مع أنّ القواعد تفيد أنّهم ناجون ويشهد لذلك الحديث اللاحق :

١١٥ - * روى البزار عن ابن عباس، أن النبي ﷺ سئل عمن في الجنة ؟ فقال :« النبيُّ في الجنة والشهيدُ في الجنة ، والمولُود في الجنة والمؤودة في الجنة » .

---

١١٤ - مسلم (٤ / ٢٠٥٠) ٤٦ - كتاب القدر ٦ - باب معنى كل مولود يولد على الفطرة .

(١) أبو داود (٤ / ٢٢٩) كتاب السنة - باب في ذراري المشركين .

النسائي (٤ / ٥٧) ٢١ - كتاب الجنائز ٥٨ - باب الصلاة على الصبيان .

(طوبى) : فُعلَى من الطيب ، وقيل : هو اسم الجنة ، وقيل : هو اسم شجرة فيها .

١١٥ - كشف الأستار (٣ / ٣١) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢١٩) . وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن معاوية بن مالج وهو ثقة .

ورواه أحمد وأبو داود من طريق حسناء بنت معاوية عن عمها وحسنه الحافظ في الفتح ورمز السيوطي لصحته ، وضعفه بعضهم وفي كل الأحوال فإن معناه صحيح . المسند (٥ / ٥٨) .

١١٦ - * روى الشيخان وأبو داود والنسائي عن ابن عباس ، سئل النبي ﷺ عن أولاد المشركين فقال : « الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين » .

وهذان النصّان يؤكّدان فكرة تأديب الشارع للمسلم أن يفوّض في أمر الصغار لما يترتّب على ذلك من حِكَمٍ ، ومن أمثال هذا أخذ العلماء فكرة أدب الوعظ وأدب العلم ، فأدب الواعظ ألا يدخل في تفصيلات تخفف من قوّة التأثير والتأثّر أو تؤدي إلى إثارة أسئلة عند العامّة أو تؤدّي إلى تشويش عقائد العامّة أوتستدرجهم لمواطن فتنة في الرأي أو في العمل ، وأدب العالم مع طلاب العلم أن يدرّجهم في التعليم حتّى يوصلهم إلى أن يفهموا دقائق العلوم وعَويصَات المسائل . فأدب الواعظ : ليس كلّ ما يعلم يقال ، وأدب العالم مع طلاب العلم الذين يؤهلهم للإمامة في الدين أن يقول لهم كلّ شيء مع ملاحظة التدرّج ، وتشهد لذلك كثير من نصوص السنّة .

كما أخذ العلماء من الأحاديث فكرة الحكم العقلي والحكم الشرعي ، والواجب العقلي لله ، والواجب الشرعي ، فمثلاً : قالوا : إن قدرة الله صالحة أن تعذب الكافر والمؤمن ، فالواجب العقلي أن نعتقد أنه يجوز على الله أن يعذب الكافر والمؤمن ، ولكن إذ ورد الشرع أن الله لا يعذب مؤمنًا ، فقد أصبح الواجب الشرعي أن نؤمن بأن الله لا يعذب مؤمنًا ولا يترك كافرًا ، والأحاديث التي بين أيدينا تدل على هذا المذهب الذي هو مذهب أهل السنة والجماعة ، وخالفهم فيها المعتزلة ، وهذه من عويصات المسائل التي لا يدركها إلا العلماء المحققون . ويتفرع عنها مسائل كثيرة تذكر في كتب العقائد .

ولنعد إلى موضوعنا :

فمن أقوال العلماء في أطفال المشركين مايلي :

---

١١٦ - البخاري (٣ / ٢٤٥) ٢٣ - كتاب الجنائز ٩٢ - باب ماقيل في أولاد المشركين .
مسلم (٤ / ٢٠٤٩) ٤٦ - كتاب القدر ٦ - باب معنى كل مولود يولد على الفطرة .
أبو داود (٤ / ٢٢٩) كتاب السنة ١٨ - باب في ذراري المشركين .
النسائي (٤ / ٩٥) ٢١ - كتاب الجنائز ٦٠ - باب أولاد المشركين .
شرح السنة (١ / ١٥٥)

قال البغوي : « لا يحكم لهم بجنة ولا ونار بل أمرهم موكول إلى علم الله فيهم كما أفتى رسول الله ﷺ » .

وقال ابن القيم : « في الاستدلال هذا نظر ، فإن النبي ﷺ لم يُجِبْ فيهم بالوقف ولكن وَكَلَ علمَ ما كانوا يعملون إلى الله سبحانه ، والمعنى : الله أعلم بما كانوا يعملون لو عاشوا فيعلم القابل للهدى والعامل به والقابل منهم للكفر المؤثر له ..... وأنه يعلم منهم ما هم عاملون بتقدير حياتهم » .

وقال النووي : أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين فهو في الجنة » . ا. هـ .

وأخرج البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحِنْثَ[1] إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم » .

أقول :

أفلا يكون الأولاد في الجنة خاصة وقد وردت نصوص أنهم يشفعون لآبائهم وأمهاتهم .

وقال المحقق الأستاذ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على شرح السنة : إن المذهب الصحيح الذي ذهب إليه المحققون من العلماء وارتضاه جمع من المفسرين والمتكلمين هو أنهم في الجنة - واحتجوا بما رواه البخاري في صحيحه من حديث سمرة بن جندب قال : كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه : هل رأى أحد منكم رؤيا ؟ . قال فيقص عليه ماشاء الله أن يقص ، وأنه قال لنا ذات غداة : « أتاني الليلة آتيان ».... فذكر الحديث ، وفيه ... « وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم ﷺ وأما الوِلْدَان الذين حوله : فكل مولود مات على الفطرة » . قال : فقال بعض المسلمين : يارسول الله وأولاد المشركين ؟ فقال رسول الله ﷺ : « وأولاد المشركين » .

---

(١) الحِنْثَ : الإدراك والبلوغ .

ثم نقل آيات تؤكد أن الإنسان لايعذب إلا إذا كان بالغًا عاقلاً مختارًا مبلّغًا : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ . ﴿ وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون ﴾ . والأحاديث التي سبق ذكرها [١] .

المسألة الثامنة :

قرر علماء المسلمين أن المطلوبات على نوعين : مطلوبات عينية ، ومطلوبات كفائية .

فالكفائية تطالب بها الأمة بمجموعها ، والعينية يطالب بها كل فرد على حدة ، وتحديد المطلوبات الكفائية والمطلوبات العينية من أهم ما يجب أن يعرفه المسلم ، وقد كتبنا في ذلك رسالة ضمناها كتاب (كي لانمضي بعيدًا عن احتياجات العصر) وفي الحقيقة فإن المطلوبات العينية والكفائية هي الجانب العملي في التكليف .

* * *

---

(١) شرح السنة (١ / ١٥٥) .

الفصل الثالث

في :

مباحث في الإسلام والإيمان



الإيمان والإسلام

الإيمـان في اللغـة : هـو التصـديـق . قـال تعـالى : ﴿ ومـاأنت بمؤمن لنـا ولـو كنّـا صادقين ﴾ [١] أي وما أنت بمصدقٍ لنا .

والإسلام في اللغة معناه التسليم والاستسلام والإذعـان . قـال تعـالى : ﴿ قـالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ﴾ [٢] والمطلوب من المكلّف أن يكون مؤمناً مسلماً في قلبه ابتداءً ، أي مصدّقًا بقلبه مذعناً بقلبه ليدخل في أصل الإيمان وأصل الإسلام ، فلا إيمان بلا إذعـان ولا إذعـان بلا تصـديق لصحّة اسم الإيمـان والإسلام ، ثمّ الإيمـان الكامل يقتضي تطابقاً بين تصديق الجنان وإقرار اللسـان وعمل الجوارح بـالأركان ، والإسلام الكامل يقتضي إسلام القلب كلّه لله رب العالمين بالتصديق والتسليم ، وإسلام اللسان بالإقرار وعمل الجوارح بالأحكام ، ومن ههنا كان الإسلام والإيمـان في حـدّهمـا الأدنى متطـابقين وفي حـدّهمـا الأعلى متطابقين .

ولذلك نجد نصوصًا تذكر هذا التطابق من مثل قوله تعالى :

﴿ فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾[٣].

﴿ ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكّلوا إن كنتم مسلمين ﴾ [٤]

فـالمؤمن الحق هو المسلم الحـق وهـو من آمن بـالكتـاب والسنـة وآمن بـالأحكام والأوامر والنواهي المنبثقـة عن الكتـاب والسنـة وأذعن لـذلـك وصـدّقت أقـوالـه وأفعـالـه تصـديقـه وإذعانه .

ولكن من الناحية العمليـة النـاس يتفـاوتون ، ومن هـاهنـا تتوضع مبـاحث شتى حول تعريف الإيمان والإسلام وحقيقة الإيمان والإسلام ، وماهو القدر المنجي عند الله من الإيمـان والإسلام . ومتى يتطـابق الإيمـان والإسلام ؟ ومتى يتـداخـلان ؟ ومتى يتكامـلان ؟ ومـاذا

---

(١) يوسف : ١٧ .

(٢) الحجرات : ١٤ .

(٣) الذاريات : ٣٥ ، ٣٦ .

(٤) يونس : ٨٤ .

يـدخل في الإيمـان والإسلام ؟ ومـاهي شروط قبول الإيمـان والإسلام ؟ وإذا كان العمـل في الإسلام يتفـاوت بين آحـاد المكلّفين ، فهل التصـديـق القلبي يتفـاوت ؟ وهـل النـور القلبي يتفاوت ؟

وهكذا يتوضّع حول موضوعي الإيمان والإسلام مسـائل شتّى منهـا محل اتفـاق بين أهل السنة والجماعة وغيرهم من فرق منشقّة عن الجماعة ، ومنها ما هو محلّ اختلاف لفظي ، ومنها ما هو محلّ اختلاف بين أهل السنة والجماعة ونحن إذ نطالب كلّ مسلم أن يدرس عقائـد أهل السنّة والجماعة في كتبها وعلى أهلها لا نرغب أن نتوسّع في هـذه المسـائل حتّى لا يخرج هـذا الكتاب عن مقصوده ، ولذلك فإننا نكتفي في ذكر أمهاتٍ من المسائل :

ـ المعتزلة يقولون إن الإيمان هو العمل والنطق والاعتقـاد ، فمن ترك العمل فليس بمؤمن لأنه فقد جـزء الإيمان وليس بكافر لوجود التصـديق ، فهو عنـدهم بين الكافر والمؤمن ويخلّـد في النار ويعذّب بأقل من عذاب الكافر ، والخوارج يكفّرون مرتكب الكبائر ، وأهل السنّـة يقولون : من وجد منه التصديق المعهود شرعاً ، وهو تصـديق النبي بكل مـاجـاء بـه ، وعلم من الدين بالضرورة مع الإذعان القلبي فقد ثبت له أصل الإيمـان ولو لم يرافقـه عمل ومـآلـه إلى الجنّة وهو في المشيئة إن شاء الله أن يعذبّه على نقصان العمل عذبّه وإن شاء عفـا . قـال تعالى :

﴿ إن الله لا يغفر أن يُشرَك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾ (١) .

وهناك بعض التفصيلات هي محل خلاف بين أهل السنّة والجماعة .

ومن أدلّة محققي أهل السنّة والجماعة لهذا المذهب قوله تعالى :

﴿ أولئك كَتَبَ في قلوبهم الإيمان ﴾ (٢)

﴿ ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ (٣)

﴿ إلا من أُكرِه وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾ (٤)

---

(١) النساء : ١١٦ .
(٢) المجادلة : ٢٢ .
(٣) الحجرات : ١٤ .
(٤) النحل : ١٠٦ .

﴿ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن ﴾ (١)

والشرط غير المشروط فدلّ ذلك على أن الإيمان غير العمل :

﴿ وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ﴾ (٢)

أثبت أصل الإيمان ولو حدثت مخالفة ، وقال تعالى :

﴿ إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ (٣)

عطف العمل الصالح على الإيمان والعطف يقتضي المغايرة ، ثم إن الله خاطب أهل الإيمان بالعمل :

﴿ يأيها الذين آمنوا كتب عليكم ﴾ (٤)

فأثبت لهم أصل الإيمان ثمّ طالبهم بالعمل ، فدلّ ذلك على أن الإيمان غير العمل .

والخلاف بين أهل السنّة والجماعة وغيرهم أو بين المحققين من أهل السنّة مع غيرهم يرجع إلى الاستيعاب والاستشراف ، ووضع كلّ نصٍّ في محلّه في الهيكل العام لمضمون الإيمان والإسلام ، فهناك الحقيقة والمجاز والكمال والنقص ، والحد الأدنى والحد الأعلى .

- إذا وجد التصديق القلبي دون الإذعان فإن ذلك لا ينفع صاحبه عند الله عز وجل ، فقد وصف بعض الكافرين بقوله :

﴿ وجَحَدوا بها واستيقنتها أنفُسهم ﴾ (٥)

﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم * وإنّ فريقًا منهم ليكتُمون الحق وهم يعلمون ﴾ (٦)

---

(١) طه : ١١٢ .
(٢) الحجرات : ٩ .
(٣) مريم : ٩٦ .
(٤) البقرة : ١٨٣ .
(٥) النمل : ١٤ .
(٦) البقرة : ١٤٦ .

ـ وإذا وجد التصديق والإذعان والقبول ولم ينطق الإنسان بالشهادتين سواء باللغة العربيّة أو بغيرها من اللغات فإن كان ذلك لمانع كالخرس أو لوجود الموت المفاجئ بعد الإيمان فصاحبه ناج عند الله ، وإن اتفق له عدم النطق دون عناد أو إباء فهناك خلاف ، فبعضهم قال : لا ينجو عند الله . وبعضهم قال : هو عاصٍ فقط وهو ناجٍ ، وكلهم أجمعوا على أننا لا نعامله معاملة المسلمين في الدنيا فلا نزوّجه ولا ندفنه في مقابر المسلمين ، أمّا من نطق بالشهادتين نفاقاً دون تصديق وإذعان قلبي فذلك لا ينفعه عند الله لأنه منافق ، ولكنّا نعاملُه معاملة المسلمين في الأحكام الدنيوية وأما من أبى النطق بالشهادتين عناداً وإباءً ولو كان مصدقاً بقلبه فهو كافر إجماعاً .

ومن مباحث كتّاب العقائد : .

زيادة الإيمان ونقصه ، وهو خلاف لفظي في النهاية وفي بعض دقائق الموضوع ، لأنّهم كلّهم متّفقون بأن أعمال الإسلام يتفاوت الناس فيها ، فليست طاعات الأفراد واحدة ، والطاعة أثر من آثار الإيمان وكلهم يتفقون على أن مايرافق هذه الأعمال من معانٍ قلبيّة متفاوتٌ ، ولذلك علاقة بالإيمان والإسلام ، وكلهم متفقون بأن إيمان الصدّيقين أرقى من إيمان غيرهم ، وإيمان الأنبياء أرقى من إيمان غيرهم ، وكلّهم متفقون على أن نور الإيمان في القلوب يختلف من مكلّفٍ لمكلف ، ثم إن الفهم الفطري للنصوص يدل على أن الإيمان يزيد . قال تعالى :

﴿ وإذا تُلِيَتْ عليهم آياته زادتهم إيماناً ﴾ [١]

﴿ ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ﴾ [٢]

﴿ ويزداد الذين آمنوا إيماناً ﴾ [٣]

﴿ فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً ﴾ [٤]

﴿ وَمازادهم إلا إيماناً وتسليماً ﴾ [٥]

---

(١) الأنفال : ٢ .
(٢) الفتح : ٤ .
(٣) المدثر : ٣١ .
(٤) التوبة : ١٢٤ .
(٥) الأحزاب : ٢٢ .

﴿ قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ﴾ [(١)]

ومن نصوص السنّة في هذا الشأن مايلي :

١١٧ - * روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ثمّ يقول الله تعالى « أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبّة من خردل من إيمان » .

١١٨ - * روى الترمذي عن أنس قوله ﷺ : « يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من إيمان ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برّة من إيمان ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه ذرّة من إيمان » .

وذلك يدل على تفاوت الإيمان في القلوب ، فالذرّة دون البرة ،والبرّة دون الشعيرة .

- إذا أراد كافر أن يدخل في الإسلام ، فباب الدخول هو النطق بالشهادتين ، وهل يشترط التلفظ بكلمة (أشهد) في الشهادتين أو مرادفه ، قولان للعلماء ، والاحتياط النطق بها .

- قد يصل بعض الكفّار إلى الإيمان بأصل التوحيد وأصل الرسالة مع بقائها على معتقَدٍ كفريٍّ كالقول بقِدَم العالم أو كالقول بخصوصيَّة الرسالة المحمديّة للعرب ، أو كالقول أنّ التكليف بالإسلام كلّه للجيل الأول فقط ، فهذا وأمثاله لا يُخرِجُ الإنسان عن الكفر ولو نطق بالشهادتين .

- هناك من يدّعي الإسلام وعنده نواقض للشهادتين يتستّر عليها ، كطوائف الباطنية والزنادقة والوجوديين والماديين وأمثال هؤلاء ، فهؤلاء إذا تابوا وأرادوا الدخول في الإسلام

---

(١) البقرة : ٢٦٠ .

١١٧ - البخاري (١ / ٧٢) ٢ - كتاب الإيمان ١٥ - باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال .

مسلم (١ / ١٦٧) ١ - كتاب الإيمان ٨١ - باب معرفة طريق الرؤية .

النسائي (٨ / ١١٢) ٤٧ - كتاب الإيمان ١٨ - باب زيادة الإيمان .

١١٨ - الترمذي (٤ / ٧١١) ٤٠ - كتاب صفة جهنم ٩ - باب ماجاء أن للنار نفسين ... إلخ .

وقال . هذا حديث حسن صحيح .

حقًّا فلابدّ أن يتبرأوا من معتقداتهم هذه .

إذا عرفت مـامرّ أدركت بعض جـوانب مـا يجب عليـك من إيمـان وإسـلام ، ثمّ من تصـديق اللسـان والأعمـال للإيمـان والإسـلام ، ثم التحقـق لكمـال الإسـلام والإيمـان القلبيين والعمليين ، وفي عصرنا المليء بالفتن لابدّ أن تحذر من الكفر ونواقض الشهادتين ، وهـذا كلّـه يقتضي علماً ليعرف المكلّف أن يضع كلّ شيء في محلّه ، فبدون العلم المحيط بنصوص الكتـاب والسنّة والعلوم التي انبثقت عنها كعلوم أصول الفقه والعقائد والفقه والسلوك ، فإن الإنسـان قـد يهجم على المكفّرات وهـو لا يـدري ، وقـد يهجم على تكفير النـاس وهم مـؤمنـون ، وقـد يُثْبِتُ لهم الإيمان وهم كافرون ، وقد يستحل دماءهمَ وهي معصومة ، وقد يرى عصمة دمـائهم وحكمهم القتل ، فالعلمَ العلمَ على أصول أهل السنّة والجماعة ومذاهبهم فإنّه باب النجاة .

* * *

تحقيقات للعلماء في الإسلام والإيمان :

وإليك ماقاله العلماء في تحقيق بعض ما مر معنا :

قال النووي : فأما الزهري فقال : الإسلام الكلمة ، والإيمان العمل ، واحتج بقوله تعالى : ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ . وذهب غيره إلى أن الإسلام والإيمان شيء واحد واحتج بقوله تعالى ﴿ فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت المسلمين ﴾ قال الخطابي : وقد تكلم في هذا الباب رجلان من كبراء أهل العلم وصار كل واحد منهما إلى قول من هذين ، وردَّ الآخرُ منهما على المتقدّم وصنف عليه كتاباً يبلغ عدد أوراقه المئين . قال الخطابي : والصحيح من ذلك أن يقيّد الكلامُ في هذا ولا يطلق ، وذلك أن المسلم قد يكون مؤمناً في بعض الأحوال ولا يكون مؤمناً في بعضها ، والمؤمن مسلم في جميع الأحوال فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً ، وإذا حملت الأمر على هذا استقام لك تأويل الآيات واعتدل القول فيها ولم يختلف شيء منها .

وأصل الإيمان التصديق وأصل الإسلام الاستسلام والانقياد فقد يكون المرء مستسلماً في الظاهر غير منقاد في الباطن وقد يكون صادقاً في الباطن غير منقاد في الظاهر .

وقال الخطابي أيضاً في قول النبي ﷺ « الإيمان بضع وسبعون شعبة » : في هذا الحديث بيان أن الإيمان الشرعي اسم لمعنىً ذي شعب وأجزاء له أدنى وأعلى ، والاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلّها ، والحقيقة تقتضي جميع أجزائها وتستوفي جملة أجزائه كالصلاة الشرعية لها شعب وأجزاء والاسم يتعلق ببعضها والحقيقة تقتضي جميع أجزائها وتستوفيها ، ويدل عليه قوله ﷺ « الحياء شعبة من الإيمان » وفيه إثبات التفاضل في الإيمان وتباين المؤمنين في درجاته . هذا آخر كلام الخطابي .

وقال الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي رحمه الله في حديث سؤال جبريل ﷺ عن الإيمان والإسلام وجوابه قال : جعل النبي ﷺ الإسلام اسمًا لما ظهر من الأعمال وجعل الإيمان اسمًا لما بطن من الاعتقاد وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان والتصديق بالقلب ليس من الإسلام بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد وجماعها الدين ولذلك

قال ﷺ « ذاك جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » والتصديق والعمل يتناولهما اسم الإيمان والإسلام جميعًا يدل عليه قوله سبحانه وتعالى ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ ﴿ ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾ فأخبر سبحانه وتعالى أن الدين الذي رضيه ويقبله من عباده هو الإسلام ولا يكون الدين في محل القبول والرضا إلا بانضمام التصديق إلى العمل . أ . هـ .

وقال المنووي أيضاً : وفي كتاب التحرير في شرح صحيح مسلم لأبي عبد الله التيمي :

الإيمان في اللغة هو التصديق فإن عنى به ذلك فلا يزيد ولا ينقص لأن التصديق ليس شيئاً يتجزأ حتى يتصور كماله مرة ونقصه أخرى ، والإيمان في لسان الشرع هو التصديق بالقلب والعمل بالأركان . وإذا فسر بهذا تطرق إليه الزيادة والنقص وهو مذهب أهل السنة . قال : فالخلاف في هذا على التحقيق إنما هو أن المصدق بقلبه إذا لم يجمع إلى تصديقه العمل بمواجب الإيمان هل يسمي مؤمناً مطلقاً أم لا ؟ والمختار عندنا أنه لا يسمى به قال رسول الله ﷺ « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » لأنه لم يعمل بموجب الإيمان فيستحق هذا الإطلاق . هذا آخر كلام صاحب التحرير .

وقال الإمام أبو الحسن على بن خلف بن بطال المالكي المغربي في شرح صحيح البخاري : مذهب جماعة أهل السنة من سلف الأمة وخلفها أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، والحجة على زيادته ونقصانه ماأورده البخاري من الآيات يعني قوله عز وجل ﴿ ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ﴾ وقوله تعالى ﴿ وزدناهم هدى ﴾ وقوله تعالى ﴿ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ﴾ وقوله تعالى ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى ﴾ وقوله تعالى ﴿ ويزداد الذين آمنوا إيمانا ﴾ وقوله تعالى ﴿ أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا ﴾ وقوله تعالى ﴿ فاخشوهم فزادهم إيمانا ﴾ وقوله تعالى ﴿ ومازادهم إلا إيمانا وتسليمًا ﴾ قال ابن بطال فإيمان من لم تحصل له الزيادة ناقص . قال : فإن قيل الإيمان في اللغة التصديق فالجواب أن التصديق يكمل بالطاعات كلها فما ازداد المؤمن من أعمال البر كان إيمانه أكمل وبهذه الجملة يزيد الإيمان وبنقصانها ينقص ، فمتى نقصت أعمال البر نقص كمال الإيمان ومتى زادت زاد الإيمان كمالاً . هذا توسط القول في الإيمان وأما التصديق بالله تعالى ورسوله ﷺ فلا ينقص

ولذلك توقف مالك رحمه الله في بعض الروايات عن القول بالنقصان ، إذ لا يجوز نقصان التصديق لأنه إذا نقص صار شكًّا وخرج عن اسم الإيمان .

وقال بعضهم إنما توقف مالك عن القول بنقصان الإيمان خشية أن يتأول عليه موافقة الخوارج الذين يكفرون أهل المعاصي من المؤمنين بالذنوب وقد قال مالك بنقصان الإيمان مثل قول جماعة أهل السنة .

قال عبد الرزاق : سمعت من أدركتُ من شيوخنا وأصحابنا سفيانَ الثوري ومالك بن أنسٍ وعبيد اللهِ بن عمر والأوزاعي ومَعْمَر بن راشد وابن جريج وسفيان بن عيينه يقولون الإيمان قول وعمل يزيد وينقص وهذا قول ابن مسعود وحذيفة والنخعي والحسن البصري وعطاء وطاووس ومجاهد وعبد الله بن المبارك .

فالمعنى الذي يستحق به العبد المدح والولاية من المؤمنين هو إتيانه بهذه الأمور الثلاثة التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح وذلك أنه لا خلاف بين الجميع أنه لو أقر وعمل على غير علم منه ومعرفة بربه لا يستحق اسم مؤمن ولوّ عرفه وعمل وجحد بلسانه وكذب ما عرف من التوحيد لا يستحق اسم مؤمن ، وكذلك إذا أقرَّ بالله تعالى وبرسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولم يعمل بالفرائض لا يسمَّى مؤمناً بالإطلاق وإن كان في كلام العرب يسمى مؤمناً بالتصديق فذلك غير مستحق في كلام الله تعالى لقوله عز وجل **﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قلوبهم وإذا تُلِيَتْ عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ٭ الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ٭ أولئك هم المؤمنون حقًّا ﴾** فأخبرنا سبحانه وتعالى أن المؤمن من كانت هذه صفته . وقال ابن بطال في باب من قال الإيمان هو العمل : فإن قيل قد قدمتم أن الإيمان هو التصديق قيل : التصديق هو أول منازل الإيمان ، ويوجب للمصدق الدخول فيه ، ولا يوجب له استكمال منازله ، ولا يسمى مؤمنًا مطلقًا . هذا مذهب جماعة أهل السنة أن الإيمان قول وعمل . قال أبو عبيد : وهو قول مالك والثوري والأوزاعي ومن بعدهم من أرباب العلم والسنة الذين كانوا مصابيح الهدى وأئمة الدين من أهل الحجاز والعراق والشام وغيرهم .

قال بن بطال : وهذا المعنى أراد البخاري رحمه الله إثباته في كتاب الإيمان وعليه بوب

أبوابه كلها ، فقال : باب أمور الإيمان وباب الصلاة من الإيمان وباب الزكاة من الإيمان وباب الجهاد من الإيمان وسائر أبوابه وإنما أراد الرد على المرجئة في قولهم إن الإيمان قول بلا عمل وتبيين غلطهم وسوء اعتقادهم ومخالفتهم للكتاب والسنة ومذاهب الأئمة . ثمّ قال ابن بطال في باب آخر : قال المهلب : الإسلام على الحقيقة هو الإيمان الذي هو عقد القلب المصدق لإقرار اللسان الذي لا ينفع عند الله تعالى غيره .

وقالت الكرامية وبعض المرجئة : الإيمان هو الإقرار باللسان دون عقد القلب .

ومن أقوى مايرد به عليهم إجماع الأمة على إكفار المنافقين وإن كانوا قد أظهروا الشهادتين . قال الله تعالى : ﴿ **ولا تصل على أحد منهم مات أبدًا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله** ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ **وتَزْهَقَ أنفسهم وهم كافرون** ﴾ هذا آخر كلام ابن بطال .

وقال الشيخ الإمام أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله : قوله ﷺ الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً والإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشرّه قال هذا بيان لأصل الإيمان وهو التصديق الباطن وبيان لأصل الإسلام وهو الاستسلام والانقياد الظاهر وحكم الإسلام في الظاهر ثبت بالشهادتين وإنما أضاف إليهما الصلاة والزكاة والحج والصوم لكونها أظهر شعائر الإسلام وأعظمها وبقيامه بها يتم استسلامه وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده أو اختلاله ثم إن اسم الإيمان يتناول مافسر به الإسلام في هذا الحديث وسائر الطاعات لكونها ثمرات للتصديق الباطن الذي هو أصل الإيمان ومقويات ومتممات وحافظات له ولهذا فسر ﷺ الإيمان في حديث وفد عبد القيس بالشهادتين والصلاة والزكاة وصوم رمضان وإعطاء الخمس من المغنم ولهذا لا يقع اسم المؤمن المطلق على من ارتكب كبيرة أو بدل فريضة لأن اسم الشيء مطلقا يقع على الكامل منه ولا يستعمل في الناقص ظاهراً إلا بقيد ولذلك جاز إطلاق نفيه عنه في قوله ﷺ « لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » واسم الإسلام يتناول أيضا ماهو أصل الإيمان وهو التصديق الباطن ويتناول أصل الطاعات فإن ذلك كله استسلام قال : فخرج مما

ذكرناه وحققنا أن الإيمان والإسلام يجتمعان ويفترقان ، وأن كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً . قال : وهذا تحقيق وافر بالتوفيق بين متفرقات نصوص الكتاب والسنة الواردة في الإيمان والإسلام التي طالما غلط فيها الخائضون وماحققناه من ذلك موافق لجماهير العلماء من أهل الحديث وغيرهم . هذا آخر كلام الشيخ أبي عمرو بن الصلاح .

فإذا تقرر ماذكرناه من مذاهب السلف وأئمة الخلف فهي متظاهرة متطابقة على كون الإيمان يزيد وينقص ، وهذا مذهب السلف والمحدثين وجماعة من المتكلمين وأنكر أكثر المتكلمين زيادته ونقصانه ، وقالوا : متى قبل الزيادة كان شكا وكفرا . قال المحققون من أصحابنا المتكلمين : نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص ، والإيمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة ثمراته وهي الأعمال ونقصانها . قالوا : وفي هذا توفيق بين ظواهر النصوص التي جاءت بالزيادة وأقاويل السلف وبين أصل وضعه في اللغة وماعليه المتكلمون . وهذا الذي قاله هؤلاء وإن كان ظاهراً حسناً فالأظهر والله أعلم أن نفس التصديق يزيد بكثرة النظر وتظاهر الأدلة ، ولهذا يكون إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم بحيث لا تعتريهم الشبه ولا يتزلزل إيمانهم بعارض ، بل لا تزال قلوبهم منشرحة نيرة وإن اختلفت عليهم الأحوال ، وأما غيرهم من المؤلفة ومن قاربهم ونحوهم فليسوا كذلك فهذا مما لا يمكن إنكاره ، ولا يتشكك عاقل في أن نفس تصديق أبي بكر الصديق رضي الله عنه لا يساويه تصديق آحاد الناس . ولهذا قال البخاري في صحيحه : قال ابن أبي مليكة : أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه مامنهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل والله أعلم .

وأما إطلاق اسم الإيمان على الأعمال فمتفق عليه عند أهل الحق ودلائله في الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تشهر ، قال الله تعالى ﴿ **وماكان الله ليُضيع** إيمانَكم ﴾ أجمعوا على أن المراد صلاتكم .

واتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على أن المؤمن الذي يحكم بأنه من أهل القبلة ولا يخلّد في النار لا يكون إلا من اعتقد بقلبه دين الإسلام اعتقاداً جازماً خالياً من الشكوك ، ونطق بالشهادتين ، فإن اقتصر على إحداهما لم يكن من أهل القبلة أصلا إلا إذا

عجز عن النطق لخلل في لسانه أو لعدم التمكن منه لمعاجلة المنية أو لغير ذلك فإنه يكون مؤمناً ، أما إذا أتى بالشهادتين فلا يشترط معها أن يقول وأنا بريء من كل دين خالف الإسلام إلا إذا كان من الكفار الذين يعتقدون اختصاص رسالة نبينا ﷺ إلى العرب فإنه لا يحكم بإسلامه إلا بأن يتبرأ . ومن أصحابنا ـ أصحاب الشافعي رحمه الله ـ مَنْ شَرَطَ أن يتبرأ مطلقاً ، وليس بشيء أما إذا اقتصر على قوله لا إله إلا الله ولم يقل محمد رسول الله فالمشهور من مذهبنا ومذاهب العلماء أنه لا يكون مسلماً ومن أصحابنا من قال يكون مسلماً ويطالب بالشهادة الأخرى فإن أبى جعل مرتداً ويحتج لهذا القول بقوله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا اللهُ فإذا قالوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم » . وهذا محمول عند الجماهير على قول الشهادتين واستغنى بذكر إحداهما عن الأخرى لارتباطهما وشهرتها والله أعلم .

أما إذا أقر بوجوب الصلاة أو الصوم أو غيرهما من أركان الإسلام وهو على خلاف ملته التي كان عليها فهل يجعل بذلك مسلماً ؟ فيه وجهان لأصحابنا ، فمن جعله مسلماً قال : كل ما يكفر المسلم بإنكاره يصير الكافر بالإقرار به مسلماً أما إذا أقر بالشهادتين بالعجمية ، وهو يحسن العربية فهل يجعل بذلك مسلماً فيه وجهان لأصحابنا : الصحيح منهما أنه يصير مسلماً لوجود الإقرار . وهذا الوجه هو الحق ولا يظهر للآخر وجه وقد بينت ذلك مستقصًى في شرح المهذب والله أعلم .

واختلف العلماء من السلف وغيرهم في إطلاق الإنسان قوله أنا مؤمن ؛ فقالت طائفة : لا يقول أنا مؤمن مقتصرًا عليه ، بل يقول أنا مؤمن إن شاء الله . وحكى هذا المذهب بعض أصحابنا عن أكثر أصحابنا المتكلمين وذهب آخرون إلى جواز الإطلاق وأنه لا يقول إن شاء الله . وهذا هو المختار ، وقول أهل التحقيق . وذهب الأوزاعي وغيره إلى جواز الأمرين والكل صحيح باعتبارات مختلفة ، فمن أطلق نظر إلى الحال وأحكام الإيمان جارية عليه في الحال ، ومن قال إن شاء الله فقالوا فيه : هو إما للتبرك وإما لاعتبار العاقبة وما قدر الله تعالى ، فلا يدري أيثبت على الإيمان أم يصرف عنه ، والقول بالتخيير حسن صحيح نظراً إلى مأخذ القولين الأولين ورفعاً لحقيقة الخلاف .

واعلم أن مـذهب أهل الحق أنـه لا يكفر أحـد من أهل القبلـة بـذنب ، ولا يكفر أهـل الأهواء والبدع ، وأن من جحد مـا يعلم من دين الإسلام ضرورة حكم بردتـه وكفره ، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام ، أو نشأ ببادية بعيدة ونحوه ممن يخفى عليه فيعرف ذلك ، فإن استمر حكم بكفره ، وكـذا حكم من استحل الزنـا أو الخمر أو القتل أو غير ذلـك من المحرمـات التي يعلم تحريمها ضرورة . ا . هـ

* * *



الفصل الرابع

في:

فضل الانتساب إلى الأمة الإسلامية

وفيه:

مقدمة ونصوص



المقدمة

ليس هناك من نسب أعلى وأعظم وأرفع وأشرف من الانتساب للأمّة الإسلاميّة ، لأنه الانتساب إلى الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، ثمّ هو الانتساب لسيّد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام محمد رسول الله ﷺ وهو انتماء للإسلام وأهله ، وأي انتماء أعظم من الانتماء لدين الله عز وجل .

ولقد خالط الانتماء لأمة الإسلام في عصرنا أنواع من الانتماءات بعضها جائز مباح لولا مارافقها من غلو ، وبعضها فسوق ، وبعضها ضلال ، وبعضها ردّة فاقتضى ذلك أن ندخل بعض النصوص الحديثية في فضل الانتماء للأمة الإسلامية في قسم العقائد بعد أن أدخلناه في قسم السيرة النبويّة . فقد حدث غلو في فكرة الانتماء للإنسانية أو للقومية أو للوطنية أو لحزب من الأحزاب مما أضعف انتماء المسلم للأمة الإسلامية أو عكّر عليه أو أماته أحياناً بأن أوقع المسلم في الردّة .

وكلٌّ ماورد في شرف الأمة الإسلامية وكرامتها إنما يرد في حق من لا زال من أبناء هذه الأمة ، أما المرتدُّون وذراريهم الذين هم على طريقتهم فليس لهم شيء من هذا الشرف أو الفضل . وليس لأحد لم يؤمن بمحمد ﷺ بعد بعثته وبلوغه دعوته فضل هذه النسبة ولو كان يدَّعِي النسب لأحد من الرسل الذين بعثوا قبل محمد ﷺ .

* * *

النصوص

قال تعالى : ﴿ وإنّ هذه أمتكم أمّةً واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ (١) .

﴿ وإنّ هذه أمّتكم أمّة واحدة وأنا ربّكم فاتّقون ﴾ (٢) .

﴿ ومن أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾(٣) .

﴿ هو سمّاكُم المسلمين من قبلُ وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس ﴾ (٤) .

﴿ وكذلك جعلناكم أمّة وسَطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ (٥) .

﴿ كنتم خير أمّة أُخْرِجَتْ للناس تأمرون بالمعروف وتَنْهَوْن عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (٦) .

وهذه بعض النصوص الحديثية في شرف هذه الأمة وشرف الانتساب إليها :

١١٩ - * روى البخاري عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، قال : ﴿ كنتم خيرَ أمة أُخرجتْ للناس ﴾ قال : خيرُ الناس للناس يأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يَدْخُلوا في الإسلام .

---

(١) الأنبياء : ٩٢ .
(٢) المؤمنون : ٥٢ .
(٣) فصلت : ٣٣ .
(٤) الحج : ٧٨ .
(٥) البقرة : ١٤٣ .
(٦) آل عمران : ١١٠ .

١١٩ - البخاري (٨ / ٢٢٤) ٦٥ - كتاب التفسير ٧ - باب ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ . موقوفاً . وقد أخرجه مرفوعاً بنحوه (٦ / ١٤٥) ٥٦ - كتاب الجهاد ١٤٤ - باب الأسارى في السلاسل .

قال ابن حجر : (خير الناس للناس) : أي خير بعض الناس لبعضهم : أي أنفعهم لهم ، وإنّما كان كذلك لكونهم كانوا سبباً في إسلامهم .

وقال الحافظ : رواه البخاري من غير هذا الوجه مرفوعاً .

وقال ابن كثير وغيره : والصحيح أن هذه عامّة في جميع الأمّة كلّ قرن بحسبه .

١٢٠ - * روى الترمذي عن بَهْزِ بن حكيمٍ رضي الله عنه ، عن أبيه عن جده ، أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول في قوله تعالى : ﴿ كنتم خيرَ أمَّةٍ أُخرجت للناس ﴾ [٢] قال : « أنتم تُتِمُّونَ سَبعين أُمَّة ، أنتم خيرُها ، وأكرمُها على الله » .

١٢١ - *روى الترمذي عن عبدِ الله بن بُسرٍ رضي الله عنه ، أن النبيَّ ﷺ قال : « أُمَّتي يومَ القيامة غُرٌّ من السجود ، مُحَجَّلُون من الوضوء » .

١٢٢ - * روى مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، عن النبيِّ ﷺ قال : « لا يموتُ رجلٌ مسلم إلا أدخلَ الله مكانه النارَ يهودياً ، أو نصرانياً » .

قال : فاستحلفَ عمرُ بن عبدِ العزيزِ أبا بُردةَ بالذي لا إله إلا هو ثلاث مرات : أن أباه حدثَه عن رسولِ الله ﷺ ؟ قال : فحلفَ له ، فلم يحدِّثني سعيد — هو ابن أبي بُردةَ — أنه استحلفه ، ولم ينكر على عَوْنٍ — هو ابن عتبةَ — قولَه .

وفي رواية « إذا كان يومُ القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول : هذا فَكَاكُكَ من النار» .

١٢٣ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرَة رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « نحن الآخِرون السابقون يومَ القيامة ، أُوتوا الكتاب مِن قَبْلِنا ، وأُوتيناه من بعدهم ، فهذا اليومُ الذي اختلفوا فيه ، فهدانا الله [له] فغداً لليهود ، وبعد غدٍ للنصارى » فسكت ، ثم قال : « حقٌّ على كل مسلم أن يغتسلَ في كل سبعةِ أيام يوماً ، يَغْسِلُ فيه رأسَهُ وجسده » . ليس فيه عند مسلم ذكر الغسل .

---

١٢٠ - الترمذي (٥ / ٢٢٦) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ٤ - باب من سورة آل عمران .

وقال حديث حسن وحسنه الحاكم وغيرهما . قال الحافظ عنه : حديث حسن صحيح .

١٢١ - الترمذي (٢ / ٥٠٦) كتاب الصلاة ٤٢٧ - باب ذكر من سيما هذه الأمة ... إلخ .

وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه . وهو حديث صحيح .

١٢٢ - مسلم (٤ / ٢١١٩) ٤٩ - كتاب التوبة ٨ - باب قبول توبة القاتل ، وإن كثر قتله .

قال النووي : (الفكاك) : الخلاص والفداء .

وقال ومعناه : أنّ لكلّ أحد منزلاً في الجنّة ومنزلاً في النار كما في الحديث ، فالمؤمن إذا دخل الجنّة خلفه الكافر في النار لاستحقاقه ذلك بكفره .

وفي رواية نحوه [١] ، وفيه ذِكْرُ الغسل .

وفي رواية للبخاري [٢] « نحن الآخِرون السابقون ... » لم يزد .

وفي أخرى لمسلم [٣] « نحن الآخِرون الأوَّلون يوم القيامة ، ونحن أولُ من يدخل الجنة ... » وذكر نحوه .

وفي أخرى له [٤] قال : « أَضلَّ الله عز وجل عن الجمعة مَنْ كان قبلَنا فكان لليهود يومُ السبت ، وكان للنصارى يومُ الأحدِ ، فجاء الله بنا ، فهدانا الله ليوم الجمعة ، فجعل الجمعة والسبت والأحد ، وكذلك هم تَبَعٌ لنا يومَ القيامة ، نحن الآخرون من أهل الدنيا ، والأولون يومَ القيامة ، المقضيُّ [لهم] قَبل الخَلائقِ » .

وفي رواية [٥] للبخاري ومسلم والنسائي قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « نحن الآخِرون السابقون ، بَيدَ أنهم أُوتوا الكتابَ مِنْ قَبْلنا ، ثم هذا يومُهم الذي فَرضَ اللهُ عليهم ، فاختلفوا فيه فَهدانا اللهُ له » .

زاد النسائي : « يعني يوم الجمعة ، ثم اتفقوا ، فالناس لنا تَبَعٌ ، اليهود غداً ، والنصارى بعد غدٍ » .

البخاري (٢ / ٣٨٢) ١١ - كتاب الجمعة ١٢ - باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل ... إلخ .

ومسلم (٢ / ٥٨٥) ٧ - كتاب الجمعة ٦ - باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة .

والنسائي (٣ / ٨٥) ١٤ - كتاب الجمعة ١ - باب إيجاب الجمعة .

(١) مسلم (٢ / ٥٨٢) ٧ - كتاب الجمعة ٢ - باب الطيب والسواك يوم الجمعة .

(٢) البخاري (١ / ٣٤٥) ٤ - كتاب الوضوء ٦٨ - باب البول في الماء الدائم .

(٣) مسلم (٢ / ٥٨٥) الموضع السابق .

(٤) مسلم (٢ / ٥٨٦) الموضع السابق .

(٥) البخاري (٦ / ٥١٥) ٦٠ - كتاب أحاديث الأنبياء .

ومسلم (الموضع السابق) .

والنسائي (الموضع السابق) .

(بَيدَ أنهم) : بيد بمعنى غَير ، تقول : هو كثير المال ، بيْدَ أنه بخيل أي : غير أنه بخيل .

١٢٤ ـ * روى ابن ماجه عن ابن عباس ، أن النبي ﷺ قال « نحن آخر الأمم وأول من يحاسب يقال أين الأمة الأمية ونبيها فنحن الآخرون الأولون » .

١٢٥ ـ * روى البخاري عن سهل بن سعدٍ رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لَيدخُلَنَّ الجنةَ من أمتي سبعون ألفاً ـــ أو سبعمائة ألفٍ ـــ سِماطين آخذٌ بعضهم ببعض ، حتى يدْخُلَ أوّلُهم وآخرُهم الجنة ووجوهُهم على صورة القمرِ ليلةَ البدرِ » .

١٢٦ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « يدخُلُ الجنة من أمتي زُمْرَةٌ ـــ هم سبعون ألفاً ـــ تُضيء وجوهُهم إضاءةَ القَمَرِ لَيْلَةَ البدرِ » قال أبو هريرةَ : فقام عُكّاشة بنُ مِحْصَنٍ الأسَديّ فرفع نَمِرَةً عليه ، فقال : يارسول الله ، ادْعُ الله أن يَجعلَني منهم ، فقال رسولُ الله ﷺ :« اللهم اجعله منهم » ثم قام رجل من الأنصار ، فقال : يارسول الله ، ادع الله عز وجل أن يجعلني منهم ، فقال : « سبقَك [بها] عُكّاشَةُ » .

ولمسلم (١) : أن النبيَّ ﷺ قال : « يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب » فقال رجل : يارسول الله ، ادْعُ الله أن يجعلني منهم ، فقال : « اللهم اجعله منهم » ثم قام آخر ، فقال : يارسول الله ، ادعُ الله أن يجعلني منهم ، قال : « سبقك بها عُكّاشةُ » .

---

١٢٤ ـ ابن ماجه (٢ / ١٤٣٤) ٣٧ ـ كتاب الزهد ٣٤ ـ باب صفة أمة محمد ﷺ .

وفي الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات .

١٢٥ ـ البخاري (١١ / ٤١٦) ٨١ ـ كتاب الرقاق ٥١ ـ باب صفة الجنة والنار .

(سماطين) : السّماطان من النخل ومن الناس : الجانبان ، يقال : مشى بين السّماطين : إذا مشى بين صفين من الناس ، قال محقق الجامع : بالنصب على الحال ، ويجوز فيه : سماطان ، وفي نسخ البخاري المطبوعة : متماسكين ، وفي بعض الروايات : متماسكون .

١٢٦ ـ البخاري (١١ / ٤٠٦) ٨١ ـ كتاب الرقاق ٥٠ ـ باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب .

ومسلم (١ / ١٩٧) ١ ـ كتاب الإيمان ٩٤ ـ باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة ... إلخ .

(١) مسلم الموضع السابق .

=

وفي أخرى (١) قـال : « يـدخل الجنـة من أمتي سبعون ألفـاً ، زمرةٌ واحـدةٌ منهم على صورة القمر » .

١٢٧ ـ * روى الترمذي عن أبي أُمامَـةَ البـاهلي رضي الله عنـه ، قـال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « وَعَدَني ربي أنْ يُدْخِلَ الجنّـةَ من أمتي سبعين ألفاً لا حسـابَ عليهم ولا عذابَ ، ومع كلِّ ألفٍ سبعون ألفاً ، وثلاثُ حَثَياتٍ من حَثَيات ربي » .

١٢٨ ـ *روى أحمد ، عن أبي سعيدٍ ، قال : قال رسول الله ﷺ « يجيء النبي ومعـه الرجلان ويجيء النبي ومعـه الثلاثـة وأكثر من ذلـك وأقل فيقـال لـه هـل بلغت قومك فيقول : نعم فيدعى قومـه فيقـال : هل بلغكم فيقولون : لا ، فيقـال : من شهـد لـك ؟ فيقـول محمـد وأمتـه ، فتـدعي أمـة محمـد فيقـال : هـل بلـغ هذا ، فيقولون نعم فيقول : وما علمكم بذلـك ؟ فيقولون أخبرنـا نبينـا بـذلـك أن الرسل قد بلغوا فصدقناه ، قال : فذلكم قوله تعـالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ .

١٢٩ ـ * روى الحـاكم عن ابن عبـاسٍ رضي الله عنهما في قولـه عز وجل ﴿ فـاكتبنـا مع الشاهدين ﴾ قال : مع أمة محمد صلى الله عليه وآلـه وسلم وأمتـه شَهـدوا لـه بـالبلاغ وشَهـدوا للرسل أنهم قد بَلَّغوا .

= (١) مسلم الموضع السابق .

(زمرة) : الزمرة : الطائفة من الناس والجماعة منهم .

(نَمِرة) : النمرة ، جمعها : أنمار . وهي ثوب مخطّط .

١٢٧ ـ الترمذي (٤ / ٦٢٦) ٣٨ ـ كتاب صفة القيامة ١٢ ـ باب منه حدثنا الحسن بن عرفة ... إلخ .

وإسناده حسن ، ورواه ابن حبان في صحيحه والطبراني ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

(حَثَيات) : الحثيات جمع حَثْية ، وهي الغَرْفة بالكفّ ، يقال : حثا يَحثو ويَحْثي .

١٢٨ ـ أحمد (٣ / ٥٨) . وهو حديث صحيح .

ابن ماجه (٢ / ١٤٣٢) ٣٧ ـ كتاب الزهد ٢٤ ـ باب صفة أمة محمد ﷺ .

١٢٩ ـ المستدرك (٢ / ٣١٣) .

وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي .

١٣٠ ـ * روى أحمدُ والترمذيُّ عن بُريدةَ رضي الله عنهُ ، أن رسول الله ﷺ قال : « أهلُ الجنة عشرونَ ومائةُ صفٍّ ، ثمانونَ منها من هذه الأمة ، وأربعون من سائرِ الأُمم » .

١٣١ ـ * روى البخاري ومسلم عن عبدِ اللهِ بن مسعودٍ رضي الله عنه ، قال : كُنَّا مع النبيِّ ﷺ في قُبَّةٍ نحواً من أربعين ، فقال : « أترضَوْنَ أن تكونوا رُبُعَ أهلِ الجنة ؟ » قلنا : نعم ، قال : « أترضَوْنَ أن تكونوا ثُلُثَ أهل الجنة ؟ » قلنا : نعم ، قال : « والذي نفسُ محمدٍ بيده ، إني لأرجو أن تكونوا نصفَ أهل الجنةِ ، وذلك : أن الجَنةَ لا يدْخُلُها إلا نفسٌ مُسْلِمةٌ ، وماأنتم في أهل الشرك إلا كالشَّعْرة البيضاء في جلد الثور الأسود ، أو كالشَّعرةِ السوداء في جلد الثورِ الأحمرِ » .

وفي رواية الترمذي [1] مثله ، إلا أنه قال : « أتَرْضَوْنَ أن تكونوا شَطْرَ أهل الجنة ؟ إن الجنةَ لا يدْخُلُها إلا نفسٌ مسلمة ... » وذكره .

١٣٢ ـ * روى الترمذي عن عِمران بن حُصَين رضي الله عنه ، أن النبيَّ ﷺ قال لما نزلت ﴿ ياأيُّها الناسُ اتَّقوا رَبَّكُمْ إنَّ زَلْزَلَةَ الساعَةِ شَيءٌ عَظِيمٌ ﴾ إلى الآية ﴿ عذاب الله شديد ﴾ وهو في سفرٍ ، فقال : « أتدرون أي يوم ذاك ؟ » قالوا : اللهُ ورسولُهُ أعلم قال : « ذلك يوم يقول الله لآدم : ابْعَثْ بَعْثَ النار ، قال : يارِبِّ ، وما بعثُ النارِ ؟ قال : تسعُمائةٍ وتِسعةٌ وتسعون إلى النار ، وواحدٌ إلى الجنة » فأنشأ المسلمون يبكون ، فقال النبيُّ ﷺ : « قاربوا وسَدِّدوا ، فإنَّه لم تكن نُبُوَّةٌ قطُّ إلا كان

---

١٣٠ ـ أحمد (٥ / ٣٤٧ ـ ٣٥٥) . وإسناد الحديث صحيح .

والترمذي (٤ / ٦٨٣) ٣٩ ـ كتاب صفة الجنة ١٣ ـ باب ما جاء في صفة أهل الجنة .

وقال : هذا حديث حسن .

١٣١ ـ البخاري (١١ / ٣) ٨١ ـ كتاب الرقاق ٤٥ ـ باب الحشر .

ومسلم (١ / ٢٠٠) ١ ـ كتاب الإيمان ٩٥ ـ باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة .

(١) الترمذي (٤ / ٦٨٤) ٣٩ ـ كتاب صفة الجنة ١٣ ـ باب ماجاء في صف أهل الجنة .

١٣٢ ـ الترمذي (٥ / ٣٢٢) ٤٨ ـ كتاب تفسير القرآن ٢٢ ـ باب ومن سورة الحج . وقال : حسن صحيح .

- (قاربوا وسدّدوا) : المقاربة في الفعل : القصد والعدل ، والسداد : الصواب من القول والفعل ، أي : اطلبوا القصد والصواب ، واتركوا الغُلُوّ والإفراط .

بين يديها جاهليَّةٌ ، فتؤخذ العِدَّة من الجاهلية ، فإن تمت وإلا كُمِّلَت من المنافقين ، ومامَثَلُكم ومثل الأمم إلا كَمَثَلِ الرَّقْمَة في ذِراع الدابةِ ، أو كالشّامةِ في جَنْبِ البعير » ثم قال : « إني لأرجو أن تكونوا رُبُعَ أهل الجنةِ » ، فكبَّروا ، ثم قال : « إني لأرجو أن تكونوا ثُلُثَ أهل الجنة » فكبَّروا ، ثم قال : « إني لأرجو أن تكونوا نِصْفَ أهل الجنة » فكبروا ، قال : ولا أدري : أقال الثُّلثين أم لا ؟

وفي رواية قال : كنا مع النبي ﷺ في سفر ، فتفاوت أصحابه في السير ، فرفعَ رسولُ الله ﷺ صوتَه بهاتين الآيتين ﴿ ياأيها النّاسُ اتّقُوا ربَّكم إنَّ زلزلةَ الساعةِ شيء عظيم ﴾ - إلى قوله - ﴿ عذاب الله شديد ﴾ فلما سَمِعَ ذلك أصحابُه حثُّوا المطيَّ ، وعرفوا أنَّه عند قول يقوله ، فقال : « أتدرون أيَّ يوم ذلك ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « ذلك يومٌ ينادي الله فيه آدم ، فيناديه ربه ، فيقول : ياآدمُ ، ابعثْ بعثَ النار ، فيقول : أيْ ربِّ ومابعثُ النار ؟ فيقول : من كلِّ ألفٍ تسعُمائةٍ وتسعةٌ وتسعون إلى النار ، وواحدٌ إلى الجنة » فيَئِس القومُ حتى ماأُبدَوْا بضاحِكة ، فلما رأى رسولُ الله ﷺ الذي بأصحابه ، قال : « اعمَلوا وأبشِرُوا ، فوالذي نفسُ محمد بيده ، إنكم لَمَعَ خَلِيقَتَيْن ، ماكانتا مع شيء إلا كثّرتاه : يأجوج ومأجوج ، ومن ماتَ من بني آدمَ ، ومن بني إبليسَ » .

فسُرِّي عن القوم بعضُ الذي يجدون ، قال : « اعمَلوا وأَبشِروا ، فو الذي نفسُ محمدٍ بيده ، ماأنتم في الناس إلا كالشّامةِ في جنب البعير ، أو كالرَّقْمَةِ في ذراع الدابة » .

= (الرَّقْمة) : الهَنة التي تكون في باطن عَضُدي الحمار ، وهما رقمتان في عَضُديه .

(حثُّوا) : حثُّ الدابة : الإسراع بها في السير ، وحملُها عليه .

(المطيُّ) : جمع مطية ، وهي الإبل .

(أبدَوا بضاحكة) : يقال : ماأبدى القوم بضاحكة ، أي : ماتبسموا حتى تبدو منها السِّن الضاحكة ، فإن من تبسَّم أدنى تبسُّم بَدَتْ أسنانه .

ويقال في المبالغة : ضَحِك حتى بدت نواجذه ، وهي أواخر الأضراس .

(كثّرتاه) : تقول : كاثرتُهُ فكثَّرته : إذا غَلَبْته بالكثرة ، وكنتَ أكثرَ منه .

(فسُرِّي) : سُري عن الحزين والمغموم ونحوهما : إذا كشف عنه مابه وزَالَ .

١٣٣ ـ * روى أحمدُ عن عليّ بنِ خالدٍ أن أبا أمامة الباهليّ مرَّ على خـالـدِ بن يزيـدِ بن معاويةَ فسأله عن ألينِ كلمةٍ سمِعَها من رسول الله ﷺ فقال : سمِعْت رسول الله ﷺ يقول : « كلُّكم في الجَنة ألا من شَرَدَ على الله شِرَادَ البَعيرِ على أهلِه » .

١٣٤ ـ * روى الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد الخدريّ قـال : قـال رسول الله ﷺ : « والـذي نفسي بيـده لتَـدخُلُن الجنـة كلُّكم إلا من أبى أوشَردَ على الله شِرادَ البعير » قيـل يـا رسـول اللهِ ومن أبي أن يـدخُـلَ الجنـة ؟ فقـال : « من أطــاعني دخـل الجنــة ومن عصاني دخل النار » .

١٣٥ ـ * روى أحمدُ وأبو داود عن زيد بنِ أرقمٍ ، رضي الله عنـه ، قـال : كنَّـا معَ رسول الله ﷺ ، فَنَزَلْنـا مَنْزِلاً ، فقـال : « ما أنتم جـزء من مـائـةِ ألف حـزءٍ ممَّن يَرِدُ عليَّ الحوض » قيل : كم كنتم يومئذ ؟ قال : سبعُمائةٍ ، أو ثمانمائةٍ .

١٣٦ ـ * روى أحمد عن أبيِّ بن كعبٍ رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قـال : « بَشِّرْ هـذه الأمَّــةَ ـ وروي : بشر الأئمــة ـ بــالسنــاء والنَّصر والتمكين ، ومَن عَمِـل منهم عَمَلَ الآخرة للدنيا ، لم يكن له في الآخرة نصيب » .

---

١٣٣ ـ أحمد (٥ / ٢٥٨) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٧٠) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير علي بن خالد وهو ثقة .

والمستدرك (٤ / ٢٤٧) وسكت عنه .

١٣٤ ـ مجمع الزوائد (١٠ / ٧٠) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح .

١٣٥ ـ أحمد (٤ / ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٢) .

أبو داود (٤ / ٢٣٧) كتاب السنة ٢٦ ـ باب في الحوض .

المستدرك (١ / ٧٦) وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

١٣٦ ـ المسند (٥ / ١٣٤) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٢٠) وقال : رواه أحمد وابنه من طرق ورجال أحمد رجال الصحيح .

والحاكم (٤ / ٣١١) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (١ / ٣١١) . وهو حديث صحيح .

١٣٧ ـ * أخرج الحاكم عن قتادة في قوله تعالى ﴿ فإمّا نذهبَنّ بك فإنّا منهم منتَقِمُون ﴾ فقال ، قال أنس : ذهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبَقِيتْ النّقْمةُ ولم يُرِ اللهُ نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم في أمته شيئاً يكرهه حتى مضى ولم يكنْ نبي إلا وقد رأى العقوبةَ في أمته إلا نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم .

١٣٨ ـ * روى البزار عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : « أنا حَظُّكم من الأنبياء وأنتم حظّي من الأمم » .

١٣٩ ـ * روى أحمد عن أبي الدرداء قال : سمعت أبا القاسم رسول الله ﷺ يقول : « إن الله عز وجل يقول ياعيسى إني باعث بَعدك أمة إن أصابهم مايحبون حَمِدوا وشكَروا وإن أصابهم مايَكْرهَون احتَسَبوا وصَبَروا ولا حِلْمَ ولا عِلْمَ قال يارَبِّ كيف هذا لهم ولا حلم ولا علم قال أعطيهم من حلمي وعلمي » .

١٤٠ ـ * روى الحاكم عن عوفِ بن مالكٍ الأشجعيِّ قال : نزلْنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منزلاً فاستيقظتُ من الليل فإذا لا أرى في العسكر شيئاً أطول من مُوخرة رحلي لقد لصق كلُّ إنسانٍ وبعيره بالأرض فقمت أتخللُ الناسَ حتى دفعت إلى مضجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإذا ليس فيه فوضعتُ يدي على الفراش فإذا هو بارد فخرجت أتخللُ الناس أقولُ إنا إليه راجعون ذُهِبَ برسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى خرجتُ من العسكر كله فنظرت سواداً فرميت بحجر فمضيت إلى السواد فإذا معاذُ بن جبلٍ وأبو عبيدة بنُ الجراح وإذا بين أيدينا صوت كدويِّ الرحا أو كصوت الْحَصْبَاء حين يُصيبها

---

١٣٧ ـ المستدرك (٢ / ٤٤٧) وصححه ووافقه الذهبي .

١٣٨ ـ مجمع الزوائد (١٠ / ٦٨) . وقال : رواه البزار وَرجاله رجال الصحيح غير أبي حبيبة الطائي وقد صحح له الترمذي حديثاً وذكره ابن حبان في الثقات .

وله شاهد عند أحمد (٣ / ٤٧١) وهي جزء من حديث طويل .

١٣٩ ـ المسند (٦ / ٤٥٠) .

ومجمع الزوائد (١٠ / ٦٧) . وقال : رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط .

ورجال أحمد رجال الصحيح غير الحسن بن سَوّار وأبي حَلْبَس يزيد بن ميسرة وهما ثقتان .

المستدرك (١ / ١٤ ، ٦٧) .

١٤٠ ـ المستدرك (١ / ٦٧) . وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ورواته كلهم ثقات على شرطهما =

الريحُ فقال بعضنا لبعض : يـاقومُ اثبتُوا حتى تصبحوا أو يـأتيكم رسولُ الله صلى الله عليـه وآله وسلم قال : فلبثنا ما شاء الله ثم نـادى « أثَمَّ معـاذُ بن جبلٍ وأبو عبيـدةَ بنُ الجراح وعوفُ ابن مالـكٍ » فقلنـا : أي نعم فـأقبل إلينـا فخرجنـا نمشي معـه لا نسـألـه عن شيء ولا نخبره بشيء فقعد على فراشه فقال : « أتدرون مـا خيرني بـه ربي الليلـة » فقلنـا : الله ورسولُه أعلم قـال : « فـإنـه خيرني بين أن يَـدخُـلَ نصف أمتي الجنـة وبين الشفـاعـة فـاخترتُ الشفاعة » قلنا : يا رسول الله ادْعُ الله أن يجعلنا من أهلها قال : « هي لكل مسلم » .

١٤١ ـ * روى أحمدُ عن أبي جُمُعَة قال : تغدينا مع رسول الله ﷺ ومعنا أبو عبيدةَ بنُ الجراح فقال : يا رسول الله : أحد أفضل منا أسلمنا معك وجاهدنا معك .
قال : « نعم قومٌ يكونون من بعدي يؤمنون بي ولم يَرَوني » .

الأفضليّة هنا من حيثيّة أنّ هؤلاء آمنوا ولم يشاهدوه فلهم فضل على الصحابة من هـذه الحيثيّة ، أما فضل أصحاب رسول الله ﷺ بحيثيّة الصحبة فلا يلحقهم أحد .

١٤٢ ـ * روى البزارُ عن أنس رضي الله عنـه قـال : قـال النبي ﷺ : « أي الخلـق أعجَبُ إيماناً » قالوا الملائكةُ قـال : « الملائكـةُ كيفَ لا يؤمنون » قـالوا النبيون قـال : « النبيون يوحَى إليهم فكيف لا يؤمنون » قـالوا : الصحـابـة قـال : « الصحـابـة مع الأنبيـاء فكيف لا يـؤمنـون ولكن أعجب النـاس إيمـانًـا قـوم يجيئـون من بعـدكم فيجدون كتابًا من الوحي فيؤمنون به ويتَّبعونه فهم أعجبُ الناسِ إيمانـاً أو الخلق إيماناً » .

= جيماً وليس له علة وليس في سائر أخبار الشفاعة وهي لكل مسلم .
وقال الذهبي :
على شرط مسلم .

١٤١ ـ أحمد (٤ / ١٠٦) .
ومجمع الزوائد (١٠ / ٦٦) . وقال : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني بأسانيد وأحد أسانيد أحمد رجاله ثقات .

١٤٢ ـ مجمع الزوائد (١٠ / ٦٥) . وقال :
رواه البزار وقال غريب من حديث أنس . قال الهيثمي : فيه سعيد بن بشير وقد اختلف فيـه فوثقـه قوم وضعفـه آخرون ، وبقية رجاله ثقات . وأخرجه الدارمي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

أقول :

الخصوصيّة لا تقتضي الأفضليّة المطلقة إلا إذا كانت كذلك ، فخصوصيّة هؤلاء بالفضل من هذه الحيثيّة التي ذكرها رسول الله ﷺ لكنّ الفضل بإطلاق إنّما هو للنبيين ثمّ الصديقين ثمّ الشهداء ثم الصالحين والله أعلم ، وأصحاب رسول الله ﷺ هم أفضل الخلق بعد النبيين لحيثيّة الصحبة .

١٤٣ ـ * روى الطبراني عن سهلِ بن سعدٍ قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « إن في أصلاب أصلاب أصلابِ رجالٍ من أصحابي رجالاً ونساءً يدخلون الجنة بغَيْرِ حساب » ثم قرأ ﴿ **وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم** ﴾ .

١٤٤ ـ * روى الطبراني والبزار عن رِفاعةَ بن عَرَابَة ، قال : صَدَرْنا مع رسول الله ﷺ فجعل أُناسٌ يَستأذنون رسول الله ﷺ فجعل يَأْذَنُ لهم ، فقال رسول الله ﷺ : « ما بالُ شِقِّ الشجرةِ التي تلي رسول الله ﷺ أبغضُ إليكم من الشِّقِّ الآخر » فلا تَرى من القوم إلا باكيًا ، فقال أبو بكر : إن الذي يستأذنك في نفسي بعدها لسفيهٌ فقال رسول الله ﷺ فحمد الله وأثني عليه وقال : « أشهد عندَ الله ـ وكان إذا حلف قال : والذي نفس محمد بيده ـ مامنكم من أحدٍ يؤمنُ بالله ثم يُسَدِّدُ إلا سَلَكَ الجنةَ ولقد وعَدَني ربي أن يُدْخِلَ من أمتي الجنةَ سبعين ألفاً لا حسابَ عليهم ولا عذابَ وإني لأرجُو أن لا يدْخُلوها حتى تبوأوا أنتم ومن صَلَحَ من أزواجكم وذراريكم مساكنَ في الجنةِ ثم قال : إذا مضى شَطْرُ الليل أو قال ثُلثاه ينزل الله عز وجل إلى سماء الدنيا فيقول : لا أسألُ عن عبادي غيري ، مَنْ ذا الذي يسألني أعْطِيه ؟ من ذا الذي يدعُوني أستَجِيب له ؟ من ذا الذي يستغفِرُني أغفرُ له ؟ حتى يَنْصَدِعَ الفجر » .

---

١٤٣ ـ المعجم الكبير (٦ / ٢٠١) .

ومجمع الزوائد (١٠ / ٤٨) وقال : رواه الطبراني وإسناده جيد .

١٤٤ ـ المعجم الكبير (٥ / ٤٩ ـ ٥١) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٤٨) وقال : رواه الطبراني والبزار بأسانيد ورجال بعضها عند الطبراني والبزار رجال الصحيح .

في هذا الحديث دليل على فضل الصحبة ، وأنّ الصحابة مقدّمون في دخول الجنّة على غيرهم . والسبعون ألفاً المذكورون في هذا الحديث ممن يأتون بعد الصحابة ، فهم غير السبعين ألفاً الذين سيكون منهم عكاشة بن محصن . والله أعلم .

١٤٥ ـ * روى البزار والطبراني في الأوسط عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ : « مثلُ أمتي مثلُ المطرِ لايدْرَى أولُه خيرٌ أم آخِره » .

١٤٦ ـ * روى أحمد عن عمارِ بنِ ياسرٍ قال : قال رسول الله ﷺ « مثلُ أمتي مثلُ المَطرِ لا يُدرَى أولُه خيرٌ أم آخِره » .

١٤٧ ـ * روى الترمذي عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ :« مَثَلُ أُمتي مثلُ المطر : لا يُدْرَى آخِرُه خيرٌ ، أم أَوَّلُه ؟ » .

١٤٨ ـ * روى أحمدُ عن أبي عبد الرحمنِ الجهني قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ طَلَعَ راكبان فلمّا رآهما قال « كِنديان مَذحِجيّان » حتى إذا أتياه قال : فدنا أحدهما إليه ليبايعَه قال : فلما أخذَ بيده قال : يارسول الله : أرأيتَ من رآكَ وآمنَ بك وصدّقك واتّبعك ماذا له قال : « طُوبَى له » فمسح على يده وانصرف ثم أقبل الآخر حتى أخذَ بيده ليبايَعه قال : أرأيتَ يارسولَ الله من آمن بك وصدّقك واتّبعك ولم يَرك قال : « طُوبَى له ثم طُوبَى له » قال فمسح على يده وانصَرفَ .

---

١٤٥ ـ مجمع الزوائد (١٠ / ٦٨) .

قال الهيثمي : رواه البزار والطبراني في الأوسط ، وفي إسناد البزار حسن ، وقال : لا يروى عن النبي ﷺ بإسناد أحسن من هذا .

١٤٦ ـ أحمد (٤ / ٣١٩) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٦٨) . قال الهيثمي : رواه أحمد والبزار والطبراني ورجال البزار رجال الصحيح غير الحسن بن قزعة وعبيد بن سليمان الأغر وهما ثقتان وفي عبيد خلاف لا يضر .

١٤٧ ـ الترمذي (٥ / ١٥٢) . وقال : هذا حديث حسن .

١٤٨ ـ أحمد (٤ / ١٥٢) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٦٧) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن إسحاق وقد صرح بالسماع .

١٤٩ ـ * روى أحمد والطبراني عن أبي أُمامَةَ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « طُوبَى لمن رآني وآمن بي ، وطُوبَى لمن آمن بي ولم يَرَنِي » سبع مرات .

١٥٠ ـ * روى ابن خزيمة في صحيحه عن حذيفة بن اليَمان ، قال : قال رسول الله ﷺ « فُضِّلنا على الناس بثَلاثٍ ، جُعِلَتْ لنا الأرضُ كُلُّها مَسجدًا ، وجُعِلَ تُرابُها لنا طهوراً إذا لم نجدِ الماءَ ، وجعلت صفوفُنا كصفوفِ الملائكةِ ، وأوتيت هؤلاء الآياتِ من آخرِ سورة البقرة من بيتِ كَنز تحتَ العرشِ لم يُعْطَ منه أحدٌ قَبلي ولا أحدٌ بعدي ».

* * *

وبعد : فإنّ مافضّلت به هذه الأمّة وفضّل به رسولها ﷺ أكثر ممّا يحصى ، وخاصّة هذا القرآن العظيم المعجزة المتجدّدة الخالدة ، وإنّما ذكرنا بعضاً من الأحاديث في فضل هذه الأمّة سابقها ولاحقها هنا حتى لا يخلو قسم العقائد من مثل هذا الموضوع ، فالإيمان بفضل هذه الأمّة على غيرها من المعلومات من الدين بالضرورة ، وقد جرت عادة المؤلّفين في العقائد أن يدخلوا في كتبهم موضوع الفاضل والأفضل من الرجال والأعمال والأمم ، واكتفينا هنا بذكر فضل هذه الأمّة ليحرص المسلم على الانتماء ويستشعر شرف ذلك ﴿ وقال إنني من المسلمين ﴾ .

* * *

---

١٤٩ ـ أحمد (٥ / ٢٤٨) .

المعجم الكبير (٨ / ٣١١) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٦٧) وقال : رواه أحمد والطبراني بأسانيد ورجالها رجال الصحيح غير أيمن بن مالك الأشعري وهو ثقة . كذا في المجمع ، والحديث بطرقه صحيح .

١٥٠ ـ صحيح ابن خزيمة (١ / ١٣٢) .

وأحمد (٥ / ٣٨٣) .

ومسلم (١ / ٣٧١) ٥ ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة . وهو عند أحمد ومسلم باختلاف يسير .

الفصل الخامس

في :

فضل الإيمان وفي فضل المؤمن

وفيه :

مقدمة ونصوص



المقدمة

ليس هناك شيء أعظم ولا أفضل من الإيمان ، وليس هناك أحد من الناس يكرم عند الله إلا بالإيمان ، وإنّما يتفاوت الناس عند الله بمقدار إيمانهم : ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ (١) ولا يعرف عظمة الإيمان إلا من آمن باليوم الآخر وعرف ماأعده الله عز وجل للمؤمنين وللكافرين ، إن من عرف أن هناك جنة وناراً عرف فضل الإيمان ﴿ **وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون** ﴾ (٢) . فإذا كان الإنسان يخرج من النار بسبب ذرة إيمان في قلبه عُرِفَ أهميةُ ذرة الإيمان هذه ، وعُرِفَ فضل الإيمان بذلك ، ومن عرف أن الحكمة في كل ماخلق الله أن يوجد المؤمن ، عرف فضل المؤمن : ﴿ **هو الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً** ﴾ (٣)

﴿ **قل من حرم زينةَ الله التي أخرج لعباده والطيباتِ من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة** ﴾ (٤) .

ومن عرف فضل الإيمان وفضل المؤمن عرف مِنّة الله على عباده بإرساله محمدًا ﷺ ﴿ **وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ (٥)ومن ههنا كان أهم مايحرص عليه المؤمن تحصيل أصل الإيمان ، وتحصيل المزيد منه بالعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر بالمذاكرة مع أهل الإيمان وبالاجتماع مع أهل القرآن ، وبتحمل ما ينتج عن حمل الحق :

وما اجتَمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلَتْ عليهم السكينة .... (٦) .

---

(١) الحجرات : ١٣ .
(٢) الأنعام : ٩٢ .
(٣) تبارك : ٢ .
(٤) الأعراف : ٣٢ .
(٥) الأنبياء : ١٠٧ .
(٦) رواه مسلم (٤ / ٢٠٧٤) ٤٨ ـ كتاب الذكر والدعاء ١١ ـ باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ... إلخ .

ومن آثار تَنَزُّل السكينة زيادة الإيمان ﴿ هو الذي أنزلَ السكينةَ في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ﴾ (١)

وكان عبد الله بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال : (تعال نؤمن بربنا ساعة) . أخرجه أحمد ، وأخرج البخاري تعليقاً قال : قال معاذ (اجلس بنا نؤمن ساعة) .

قال ابن حجر : وصله أحمد بسند صحيح ...

* * *

الفتح : ٤ .

أحمد (٣ / ٢٦٥) .

البخاري (١ / ٤٥) ٢ - كتاب الإيمان ١ - باب قول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس .

النصوص الحديثية

١٥١ - * روى البخاري عنْ أبي سَعيدِ الْخُدريِّ رضيَ اللهُ عنه ، عنِ النبيِّ ﷺ قال : « يَدْخُلُ أهلُ الْجنَّةِ الجنَّةَ وأَهلُ النَّارِ النَّارَ ، ثمَّ يقولُ اللهُ تعالى أخرجوا مَنْ كانَ في قَلبِهِ مثْقالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إيمانٍ ، فَيُخرَجونَ منها قد اسْوَدوا فيُلقَوْنَ في نهرِ الحَيا - أوِ الحَياة ، شكَّ مالكٌ - فيَنبتُونَ كما تَنْبُتُ الْحبَّةُ في جانِبِ السَّيْلِ ، ألم ترَ أنَّها تَخْرُجُ صَفْراءَ مُلْتَوِيَة » ؟ !

١٥٢ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ؛ قال : سُئِل رسولُ الله ﷺ : أيُّ العملِ أفضَلُ ؟ قال : « إيمانٌ باللهِ ورسوله » ، قيل ثم ماذا ؟ قالَ : « الجهادُ في سبيلِ اللهِ » ، قِيلَ : ثم ماذا ؟ قال : « حَجٌّ مبرورٌ » .

وفي أخرى للنسائي [(١)] ؛ أيُّ الأعمالِ أفضلُ ؟ قال : « الإيمانُ باللهِ ورسولِهِ » لم يَزِدْ .

وفي رواية الترمذي [(٢)] ، قال : سُئِلَ رَسولُ الله ﷺ : أيُّ الأعمال خيرٌ ؟ .. وذكر الحديث وفيه قال : « الجهادُ سَنَامُ العَمَلِ » .

---

١٥١ - البخاري (١ / ٧٢) ٢ - كتاب الإيمان ١٥ - باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال.

وأخرجه مسلم بنحوه (١ / ١٧٢) ١ - كتاب الإيمان ٨٢ - باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار .

(الحِبَّةُ) : قال النووي : الحِبَّةُ هي بزر البقول والعشب تنبت في البراري وجوانب السيول .

وجمعها : حِبَب . وقال ابن حجر : بكسر أوله ، وهي جمع بزور النبات ، واحدتها ، حَبَّة بالفتح . وأما الحَبُّ : فهو الحنطة والشعير ، واحدتها : حَبَّة بالفتح أيضاً ، وإنما افترقا في الجمع ا . هـ .

وقيل : الحِبَّة بزور الصحراء مما ليس بقوت .

١٥٢ - البخاري (١ / ٧٧) ٢ - كتاب الإيمان ١٨ - باب من قال إن الإيمان هو العمل .

ومسلم (١ / ٨٨) ١ - كتاب الإيمان ٣٦ - باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال .

والنسائي (٥ / ١١٣) ٢٤ - كتاب المناسك ٤ - فضل الحج .

(١) النسائي (٨ / ٩٣) ٤٧ - كتاب الإيمان ١ - ذكر أفضل الأعمال .

(٢) الترمذي (٤ / ١٨٥) ٢٣ - كتاب فضائل الجهاد ٢٢ - باب ماجاء أي الأعمال أفضل .

١٥٣ - * روى البخاري ومسلم عن أبي ذَرٍّ الغِفَاري رضي الله عنه ؛ قـال : سـألْتُ رسولَ الله ﷺ : أيُّ العملِ أفضلُ ؟ قال : « الإيمانُ بالله ، والجهادُ في سبيلـه » ، قلْتُ : فـأيُّ الرقابِ أفضلُ ؟ قالَ : « أَغلاها ثمنـاً ، وأَنْفَسُهـا عنـد أهلِهـا » ، قلتُ : فـإن لم أفْعَلْ ؟ قال : « تُعينُ ضـائعـاً ، أو تَصْنَعُ لأَخْرَقَ » ، قلتُ : يـارسول الله أرأيتَ إنْ ضَعُفْتُ عن بعضِ العمـل ؟ قـال : « تَكُفُّ شَرَّكَ عن النـاسِ ، فـإنهـا صَـدقـةٌ تتصـدَّقُ بهـا على نفسِكَ » .

وفي رواية النسائي (١) : أنه سـأل النبيَّ ﷺ : « أيُّ العمل خيرٌ ؟ قـال : إيمـان بـالله ، وجهادٌ في سبيل الله » لم يزد .

١٥٤ - * روى أحمـد عن مـاعزٍ ، عن النبي ﷺ أنـه سُئـل : أيُّ الأعمـال أفضـلُ قـال : « إيمان بالله وحدَه ثم الجهادُ ثم حَجَّةٌ بَرَّةٌ تفضل سائرَ الأعمالِ كما بين مَطْلِعِ الشمس إلى مَغْرِبها » .

١٥٥ - * روى أحمـد عن سعـدِ بن أبي وقـاص ؛ قـال رسـول الله ﷺ : « عَجِبتُ من قضاءِ اللهِ عزَّ وجلَّ للمؤمنِ إن أصابَه خيرٌ حَمِدَ ربَّـهُ وشَكَر وإن أصـابتـه مصيبـةٌ حَمِدَ ربَّه وصبَر ، المؤمن يؤجرُ في كل شيء » .

---

١٥٣ - البخاري (٥ / ١٤٨) ٤٩ - كتاب العتق ٢ - باب أي الرقاب أفضل .

مسلم (١ / ٨٩) ١ - كتاب الإيمان ٣٦ - باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال .

(١) النسائي (٦ / ١٩) ٢٥ - كتاب الجهاد ١٧ - باب مايعدل الجهاد في سبيل الله .

(أنفَسها) : الشيء النفيس : الجيد من كل شيء ، المرغوب فيه ، وحقيقته : الشيء الذي يتنافس فيه .

(تعين ضائعاً) : أي : ذا ضياع من فقْرٍ أو عيال ، أو حال قَصَّرَ عن القيام بها .

(لأخرق) : الخرَق : ضد الرفق والكياسة والتعقل ، والرجلُ أخرَقُ ، والمرأة خَرْقاءُ .

١٥٤ - أحمد (٤ / ٣٤٢) .

المعجم الكبير (٢٠ / ٣٤٤) .

مجمع الزوائد (٣ / ٢٠٧) . وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجال أحمد رجال الصحيح .

١٥٥ - أحمد (١ / ١٧٣) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٩٥) . وقال : رواه أحمد بأسانيدَ والطبراني في الأوسـط وزاد في كل يؤجر المؤمن حتى في أكْلته يَرفَعُها إلى فيه ، والبزار / قال : يؤجر في كل أمره حتى اللُّقْمَة يَرفَعُها إلى في امرأته ، وأسانيد أحمـد رجـالها رجـال الصحيح وكذلـك بعض أسانيد البزار .

١٥٦ - * روى مسلم عن صُهَيْبٍ ، رفعه : « عَجَباً لأمر المؤمن إنَّ أمْرَه كُلَّهُ لـه خَيْرٌ وليس ذلـك لأحـد إلا للمـؤمنِ إن أصـابتْـهُ سَراءُ شَكَرَ فكان خيراً ، وإن أصـابتْـهُ ضَراءُ صَبرَ فكان خيراً » .

١٥٧ - * روى الشيخان عن أبي سعيد مرفوعاً : « يَخْرُجُ من النار من كان في قلبـه مِثقـالُ ذرةٍ من الإيمـان » قـال : أبـو سعيـد فمن شَـكَّ فليقرأ ﴿ إنّ الله لا يَظلِمُ مِثقـالَ ذَرةٍ ﴾ .

١٥٨ - * روى الطبراني عن عبـدِ الله بن مسعـودٍ ؛ قـالَ : إنَّ اللهَ قَسَمَ بينكم أخـلاقكم كما قسم بينكم أرزاقَكُم ، وإنَّ الله يـؤتي المـالَ مَنْ يُحبُّ ومن لا يُحِبُّ ولا يـؤتي الإيمـان إلا من أحبَّ ، فإذا أحبَّ اللهُ عبداً أعطاه الإيمانَ فمن ضَنّ بالمال أن يُنْفِقَهُ وهابَ العدوَ أن يجاهـدَهُ والليلَ أن يكابدَهُ فلْيكْثِر من قول لا إله إلا اللهُ والله أكبرُ والحمدُ لله وسبحانَ الله .

١٥٩ - * روى الحـاكم عن ابن مسعود قـال : قـال رسـول الله ﷺ « إنَّ الله قَسَمَ بينكم أخـلاقكم كما قسم بينكم أرزاقَكم ، وإنَّ الله يُعْطي الـدنيـا من يحبُّ ومن لا يحبُّ ، ولا يُعطي الإيمانَ إلا من يحب » .

١٦٠ - * روى الطبراني عن عبادة بن الصَّامِت قـال : بينما أنـا عنـدَ رسولِ الله ﷺ إذ جاءَهُ رجلٌ فقال : يارسول الله أيُّ الأعمال أفضل ؟ قال : « إيمانٌ بالله وجهادٌ في سبيلِـهِ

---

١٥٦ - مسلم (٤ / ٢٢٩٥) ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق ١٣ - باب المؤمن أمره كله خير .

١٥٧ - البخاري (١٣ / ٤٢٠ : ٤٢٢) ٩٧ - كتاب التوحيد ٢٤ - باب قول الله تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ .

مسلم (١ / ١٦٧ : ١٧١) ١ - كتاب الإيمان ٨١ - باب معرفة طريق الرؤيا .

الترمذي (٤ / ٧١٤) ٤٠ - كتاب صفة جهنم ١٠ - باب منه حدثنا هناد ... إلخ .

١٥٨ - المعجم الكبير (٩ / ٢٢٩) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٩٠) وقال : رواه الطبراني موقوفاً ورجاله رجال الصحيح ا.هـ .

وقد ضعفه بعضهم ، ويشهد لبعضه الحديث التالي .

١٥٩ - المستدرك : (٢ / ٤٤٧) قال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

١٦٠ - مجمع الزوائد (٥ / ٢٧٨) . وقال : رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف ، وفي الآخر سويد بن إبراهيم ، وثقه ابن معين في روايتين ، وضعفه النسائي وبقية رجالها ثقات .

وحَجٌّ مبرورٌ» فلما ولى الرجل قال : « وأهون عليك من ذلـك إطعـامُ الطعـامِ ولِينُ الكلامِ وحُسْنُ الْخلُقِ » ، فلما ولى قـال : « وأهون عليـك من ذلـك لا تتهم اللهَ على شيء قضـاهُ عليـك » وفي روايـة إن الرجل هو الـذي قـال يـارسولَ الله أُريـدُ أهـونَ من ذلك ، قال : « السماحةُ والصَّبْرُ » .

١٦١ - * روى أحمد والطبراني عن عبدِ اللهِ بنِ سَلامٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ : بيْنمـا نحْنُ نسيرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إذْ سمِعَ القَوْمَ وهُمْ يَقُـولُـونَ : أيُّ الأعْمَـالِ أفْضَـلُ يَـارسُـولَ اللهِ ؟ فَقَـالَ رَسولُ الله ﷺ : « إيْمَـان بـاللهِ وجهـاد في سَبيلِ اللهِ وحجٌّ مَبْرورٌ » ثمَّ سَمِـعَ نَـداءً في الوَادِي يقول أشْهدُ أنْ لا إله إلا الله وأنْ محمداً رَسُولُ اللهِ فَقَالَ رسول اللهِ ﷺ : « وَأَنا أشْهَدُ وأَشْهدُ ألا يَشْهَدَ بَها أحَدٌ إلا بَرِئَ منَ الشرْكِ » .

١٦٢ - * روى أحمـد عن عبـدِ الله بن عَمْرو أنـه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقـول : « والـذي نفسي بيـده إنَّ مثلَ المؤمنِ كمثـلِ النحلـةِ أكلت طيبـاً ووضعت طيبـاً ووقعت فلم تكسِرْ ولم تُفْسِدْ » .

١٦٣ - * روى أحمـد عن أبي هريرةَ قـال : سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنَّ اللهَ عَزَّ وجلَّ يقول إنَّ عبدي المؤمن عِندي بمنزلـةِ كلِّ خيرٍ يَحمـدُني وأنـا أنْزِعُ نَفْسَـهُ من بين جَنبيه » .

* * *

---

١٦١ - أحمد (٤ / ٤٥١) .

مجمع الزوائد (١ / ٥٩) وقـال : رواه أحمـد والطبراني في الكبير ورجـال أحمـد مـوثقـون . كـذا في الجمـع ولبعضـه شواهد .

١٦٢ - أحمد (٢ / ١٩٩).

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٩٥) وقال : رواه أحمـد في حـديث طويل تقـدم ورجـالـه رجـال الصحيح غير أبي سبرة وقـد وثقه ابن حبان .

١٦٣ - أحمد (٢ / ٣٤١) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٩٦) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

الفصل السادس
في:
أمثال ضُربت لدعوة الرسول ﷺ وللمستجيبين له



النصوص

قال تعالى : ﴿ ويضرب الله الأمثال ﴾ [١]

﴿ إنّ الله لا يستحي أن يضرب مثلا مابعوضة فما فوقها ﴾ [٢]

﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها إلا العالمون ﴾ [٣] .

فضرب الأمثال أسلوب جاء به القرآن ، وقد تأدّب بـه رسول الله ﷺ ، فكان يكثر من ضرب الأمثال ، والعـالِم وحـده هو الـذي يـدرك حقيقـة المثل ، قـد يفهم الإنسـان العـادي المثل ، ولكنّ الفهم شيء وإدراك حقيقة المثل شيء آخر ، وقد مثّل رسول الله ﷺ لـدعوتـه أمثلة كثيرة . وهذه نماذجُ من ذلك :

١٦٤ - * روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشْعَريّ رضي الله عنه ؛ قال : قـال رسول الله ﷺ : « إنَّ مَثَلَ مابعَثني الله به من الهُدى والعلمِ ، كمثلِ غَيثٍ أَصابَ أرضًا ، فكانت منها طائفَةٌ طيِّبَةٌ ، قَبِلَتِ الماءَ فَأَنْبَتَتْ الكلأَ والعُشْبَ الكثير ، وكان منها أجادِبُ أَمْسَكتِ الماءَ ، فنفعَ اللهُ بها النَّاسَ ، فشربوا منها ، وسَقَوْا ورَعَوْا ، وأَصابَ طائفَةً منها أُخرى ، إنَّما هي قِيعَانٌ لا تُمسكُ ماءً ولا تُنْبتُ كَلأً ، فذلك مَثَلُ مَنْ فَقُهَ في دينِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، ونَفَعَهُ مـابعثني الله بـه ، فعَلِمَ وعلَّم ، ومثلُ من لم يَرْفعْ بذلك رَأْساً ، ولَمْ يَقبَلْ هُدى اللهِ الذي أُرْسلت به » .

قـال النووي في شرح مسلم ، أمـا الغيث : فهو المطر ، وأمـا العشب والكلأ والحشيش ، فكلها أسماء للنبـات ، لكن الحشيش مختص بـاليـابس . والعشب والخلا - مقصوراً - مختصان بـالرطب ، و « الكلأ » بـالهمز يقع على اليـابس والرطب . « والأجـادب » بـالجيم والـدال المهملة ، وهي التي لا تنبت كلأ .

---

(١) إبراهيم : ٢٥ . (٢) البقرة : ٢٦ .

(٣) العنكبوت : ٤٣ .

١٦٤ - البخاري (١ / ١٧٥) ٣ - كتاب العلم ٢٠ - باب فضل من علم وعلم .

مسلم (٤ / ١٧٨٧) ٤٣ - كتاب الفضائل ٥ - باب بيان مثل مابعث النبي ﷺ من الهدى والعلم .

وقد جاء في « الفتح » : قال القرطبي وغيره : ضرب النبي ﷺ ، لما جاء به من الدين مثلاً بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه ، وكذا حال الناس قبل مبعثه ، فكما أن الغيث يحيي البلد الميت ، فكذا علوم الدين تحيي القلب الميت ، ثم شبه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث ، فمنهم العالم العامل المعلم ، فهو بمنزلة الأرض الطيبة شربت فانتفعت في نفسها وأنبتت فنفعت غيرها ، ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه ، غير أنه لم يعمل بنوافله ، أو لم يتفقه فيما جمع لكنه أداه لغيره ، فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به ، وهو المشار إليه بقوله « نضر الله امرءاً سمع مقالتي فأداها كما سمعها » ، ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ، ولا ينقله لغيره ، فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها ، وإنما جمع في المثل بين الطائفتين الأوليين المحمودتين لاشتراكهما في الانتفاع بها ، وأفراد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النفع بها ، والله أعلم .

أقول : الأرض الجدباء هنا هي الأرض التي لا تنبت لكنها تحفظ الماء على ظهرها ، والمراد بالقاع هنا الأرض التي لا تنبت ولا تحفظ الماء على ظهرها .

لقد جاء محمد ﷺ بالهدى متمثلاً بالكتاب والسنّةِ ، والكتاب والسنّة للقلوب بمثابة المطر للأرض ، والمسلمون أقسام : فقسم لا يقرأ ولا يسمع كتاباً وسنّة ولو سمع وقرأها ما أفاد ولا استفاد فهؤلاء قلوبهم كالصحاري ، وناس يقرؤون فيستفيدون فيعملون ويفيدون فهؤلاء بساتين هذا العالم وناس يحفظون ويعلّمون فهؤلاء أحواض يشرب منها الناس ، إن الذين يسمعون فلا يحفظون ولا يعلمون ولا يعملون هم غرابيل الناس .

وعلى كلٍّ فلا شيء يكشف طبيعة القلوب مثل عرض الكتاب والسنّة عليها ، وهذه مهمّة الربّانيّين : اقرأ على الناس الكتابَ والسنّة فتظهر جواهر قلوبهم ، وعلى من لم يكن قلبه بستاناً أن يجاهد نفسه . فالله تعالى يقول : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا ﴾ [1] .

---

(١) العنكبوت : ٦٩ .

١٦٥ - * روى الترمذي عن النَّواسِ بنِ سَمْعَانَ ، رفعه : « إنَّ اللّهَ ضَربَ مثلاً صِراطاً مُستقيماً ، على كَنَفي الصِراط دَارَان لهما أبوابٌ مفتحةٌ ، على الأبواب ستورٌ ، ودَاع يدعو على رأسِ الصِراطِ وداع يدعو فوقَه ، ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ والأبوابُ التي على كَنفي الصِّراطِ حدودُ اللهِ ، فلا يقعُ أحدٌ في حدودِ الله ، حتى يكشِف السِتر والذي يدعو من فوقه واعظُ ربهِ » .

في الحديث : إشارة إلى : إسلام وقرآن وفطرة : فالإسلام هو دين الله وهو الصراط المستقيم ، ومما يثبت على الصراط القرآن وواعظ الله في القلب المؤمن ، فمن كان له تلاوة في القرآن ، ومن كانت في قلبه بقية من حياة وفطرة ، فحريّ به أن يستقيم ، وعوامل الانحراف كثيرة وأبوابها كثيرة والشيطان ودعاة الضلال يدفعون نحو هذه الأبواب فالشهوات الحسية والمعنوية والضلالات والشبهات كل من أفرادها باب من دخله ضلّ إلا أن يرجع .

وأهل الصراط المستقيم هم المطيعون من أهل السنة والجماعة ، وإذن هم من اجتمع لهم اعتقاد صحيح وعمل صحيح ، أمّا مَنْ سِوى ذلك من المكلفين فهم بين داخل في طريق كفري أو في طريق ضلال أو معصية :

﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ [١] .

﴿ إنّ الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء ﴾ [٢] .

---

١٦٥ - الترمذي (٥ / ١٤٤) ٤٥ - كتاب الأمثال ١ - باب ماجاء في مثل الله لعباده . وقال : حسن غريب .

وأحمد (٤ / ١٨٢ ، ١٨٣) .

وأخرجه الحاكم وصححه وأقره الذهبي .

(دَارَان) : جدران . وفي بعض الروايات سُوران .

(كنفي) : جانبي .

(١) الأنعام : ١٥٩ .　　(٢) الأنعام : ١٥٣ .

١٦٦ - * روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ مَثَلي وَمثل ما بعثني الله به ، كمثلِ رجلٍ أتي قَوْمَهُ فقال : إنِّي رأيتُ الجيشَ بعَيْنيَّ ، و [إني] أنا النَّذيرُ العُرْيان . فالنَّجاءَ ، النَّجاءَ ، فأطاعهُ طائفةٌ من قومهِ ، فأدْلَجوا ، فانْطلَقوا على مَهْلِهم فنجَوْا ، و كذَّبَتْ طائفةٌ منهم ، فأصْبَحوا مكانَهم ، فصبَّحهم الجيشُ فأهلَكهم ، واجْتَاحَهُم ، فذلك مَثَلُ من أطاعني ، واتَّبَعَ ما جئتُ به ، ومَثَلُ مَن عصاني ، وكذبَ ما جئتُ به من الحق ».

١٦٧ - * روى البخاري عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ؛ أنَّه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقولَ : « إنما مَثَلِي ومثلُ النَّاسِ ، كمثلِ رجلٍ استوقَدَ نارًا ، فلمَّا أضَاءَتْ ما حَوْلَهُ ، جعَلَ الفَرَاشُ وهذي الدوابُّ ، الَّتي تقع في النَّار ، تَقَعُ فيها ، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ ويَغْلِبْنَهُ ، فَيَتَقَحَّمْنَ فيها ، فأنا آخذٌ بِحُجَزِكُم عن النَّار ، وأنتم تَقَحَّمُونَ فيها » .

١٦٨ - * روى مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ : ذكر أحاديث منها : قال رسول الله ﷺ : « مثلي كمثل رجل استوقد نارًا ، فلما أضاءَت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيتقحمن فيها . قال فذلكم مثلي ومثلكم . أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار هلم عن النار ، فتغلبوني وتقحَّمون فيها » .

وأخرجه الترمذي بنحوه [١] .

---

١٦٦ - البخاري (١١ / ٣١٦) ٨١ - كتاب الرقاق ٢٦ - باب الانتهاء عن المعاصي .

مسلم (٤ / ١٧٨٨) ٤٣ - كتاب الفضائل ٦ - باب شفقته ﷺ على أمته .. إلخ .

(النَّجاءَ) أي : اطلبوا الخلاص ، وأنجوا أنفسكم وخلصوها .

(فاجتاحهم) استأصلهم ، وهو من الجائحة التي تهلك الأشياء .

(النذير العريان) الذي لا ثوب عليه ، وخص العُريان ، لأنه أبْينُ في العين ، وأصل هذا : أن الرجل منهم كان إذا أنذر قومَه ، وجاء من بلد بعيد انسلخ من ثيابه ، ليكون أبْيَنَ للعين .

(أدلجوا) إذا خُفِّف - من أدلج يُدْلِج - كان بمعنى : سار الليل كله ، وإذا ثقل - من ادَّلج - كان إذا سار آخر الليل .

١٦٧ - البخاري (١١ / ٣١٦) ٨١ - كتاب الرقاق ٢٦ - باب الانتهاء عن المعاصي . وهذه رواية البخاري .

١٦٨ - مسلم (٤ / ١٧٨٩) ٤٣ - كتاب الفضائل ٦ - باب شفقته ﷺ على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم .

[١] الترمذي (٥ / ١٥٤) ٤٥ - كتاب الأمثال ٧ - باب ماجاء في مثل ابن آدم وأجله وأمله .

=

١٦٩ - * روى مسلم عن جابر رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « مَثَلي و مثلُكم كَمَثَلِ رجلٍ أَوْقَدَ نارًا ، فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ والفَرَاشُ يَقَعْنَ فيها ، وهُوَ يَذُبُّهُنَّ عنها ، وأنا آخِذٌ بِحُجَزِكم عن النار ، وأنتم تَفَلَّتُونَ من يَدي » .

١٧٠ - * روى البخاري ومسلم عن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما ، قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « مثَلُ المؤمنِ كَمَثَلِ شجرةٍ خضراءَ ، لا يَسقُط ورقها ، و لايتحاتُّ » . فقال القومُ كذا ، هي شجرةُ كذا ، فأردْتُ أن أقولَ : هي النَّخْلَةُ ، و أنا غلام شابٌّ ، فاستحْيَيْتُ ، فقال : « هي النَّخْلَةُ » .

١٧١ - * روى البخاري عن جابر بن عبدِ الله ؛ قال : جَاءَتْ مَلائكَةٌ إلى النَّبيِّ ﷺ ، وهُو نَائمٌ ، فقالَ بَعْضُهُمْ : إنَّهُ نَائمٌ ، وقالَ بَعْضُهُمْ ، إنَّ العَيْنَ نَائمَةٌ ، والقَلْبَ يَقْظانُ فَقَالُوا : إنَّ لِصَاحِبِكُمْ هذا مَثَلاً ، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلا ، فقالَ بَعْضُهُمْ : إنَّهُ نَائم ، وقالَ بَعْضُهُمْ : إنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ ، والْقَلْبَ يَقْظَانُ . فقالُوا : مَثَلُه كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنى دَارًا ، وجَعَلَ فيها مَأدُبَة ، وبَعَثَ دَاعِيًا ، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ ، دَخَلَ الدَّارَ ، وأَكَلَ مِنَ المَأْدُبَةِ ، ومَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ ، لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ ، ولَمْ يَأْكُلْ مِنَ المَأْدُبَةِ .

= (الحُجَز) : جمع حُجْزَة ، وهي مَقْعِدُ الإزار ، وحجزة السراويل معروفةٌ .

(التَّقَحُّمُ) : الإقدامُ والوقوعُ في الأمور الشاقة من غير تثبت .

١٦٩ - مسلم (٤ / ١٧٩٠) ٤٣ - كتاب الفضائل ٦ - باب شفقته ﷺ على أمته ومبالغته في تحذيرهم ...

(الجنَادِب) : جمع جُنْدَب ، وهو طائر كالجراد ، يَصِرُّ في الحرّ .

(تَفلّتون) : التفلُّت والانفلات : التخلص من اليد .

وأما « تفلتون » فروي بوجهين : يقال : أفلت مني وتفلت : إذا نازعك الغلبة والهرب ، ثم غلب وهرب ، ومقصود الحديث : أنه ﷺ ، أرسله الله ليمنع بقدر طاقته تساقط الجاهلين والمخالفين بشركهم وبمعاصيهم وشهواتهم في غضب الله وعذابه في الدنيا ، وفي نار الآخرة ، وهم حريصون بعمى بصائرهم وجاهليتهم على الوقوع في ذلك مع منعه إياهم وقبضه على مواضع المنع منهم ، فهم يتساقطون في الفساد تساقط الفراش في النار ، لهوام وضعف تمييزهم ، فكلاهما حريص على هلاك نفسه ، ساع في ذلك .

١٧٠ - البخاري (١٠ / ٥٢٣) ٧٨ - كتاب الأدب - ٧٩ - باب مالا يستحيا من الحق ، للتفقه في الدين .

مسلم (٤ / ٢١٦٤ : ٢١٦٦) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ١٥ - باب مثل المؤمن مثل النخلة .

(يَتَحات) : تحاتَّ ورقُ الشجر : إذا انتثر وتساقط بنفسه .

١٧١ - البخاري (١٣ / ٢٤٩) ٩٦ - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ٢ - باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ .

فقَالُوا : أَوِّلُوهَا لَهُ يفْقهها ، قَـالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّـهُ نَـائِم ، وقَـالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ الْعَيْنَ نَـائِمَـةٌ ، والْقَلْبَ يَقْظَانُ ، فقَالُوا : فَالدَّارُ : الجَنَّـةُ ، والـدَّاعِي : مُحَمَّـدٌ ، فَمَنْ أَطَـاع مُحمَّدًا ، فَقَـدْ أَطَاعَ اللهَ ، ومنْ عَصَى مُحمَّدًا ، فَقَدْ عَصَى اللهَ ، ومُحمَّدٌ فَرَّقَ بَيْنَ النَّاسِ .

* * *

الفصل السابع

في:

الإسلام وأسسه وأركانه ومقاماته وبعض أعماله

وفيه:

مقدمة وفقرات

الفقرة الأولى : في أسس الإسلام .

الفقرة الثانية : في أركان الإسلام .

الفقرة الثالثة : في مقامات الإسلام .

الفقرة الرابعة : في أمهات من أعمال الإسلام .



المقدمة

قال تعالى : ﴿ إنّ الدينَ عند الله الإسلامُ ﴾ [١] .

وقال تعالى : ﴿ و من يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يُقبلَ منه ﴾ [٢] .

إنّ كلمة الإسلام تطلق على معنى أعمّ و هو الدين الذي بعث به محمد ﷺ والذي القرآن كتابه والسنّة شارحة لهذا القرآن ، و هو بهذا المعنى فيه كل شيء تحتاجه هداية الإنس والجنّ ﴿ ونزّلنا عليك الكتاب تِبيانًا لكلّ شيء و هدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ [٣] والمسلم مَنْ قَبِلَ الإسلام قبول تصديق ورضا وتسليم ، فآمن بالكتاب والسنّة واستسلم لهما وأسلم فيهما اعتقادًا وعملاً .

وتأتي كلمة الإسلام بمعنى خاص فهي تُطلق ويراد بها أسهم الإسلام أو أركان الإسلام أو أعمال من الإسلام ، فالرسول ﷺ كان يطالب الداخلين في الإسلام بأعمال تطلب منهم مباشرة بسبب دخولهم الإسلام ، وكلّ ذلك يعتبر أجزاءً من الإسلام .

ومن أساليب العرب في الخطاب أنّها تعرّف الكلّ بالجزء لإظهار أهميّة الجزء وهو أسلوب استعمله رسول الله ﷺ فمن لم يعرف أساليب العرب في الخطاب ومن لم يعرف أسلوب رسول الله ﷺ في هذا الشأن فاتته المعرفة الكلّية للإسلام وفاته وضع كلّ جزء من الإسلام في محلّه ضمن البناء العام الذي يصف أعمال الإسلام ، وقد كتبنا كتابنا الإسلام لتوضيح بناء الإسلام أركانًا ومناهج حياة ومؤيدات ، وكتبنا كتابنا تربيتنا الروحيّة لتعرف مقامات السير في دين الله عز وجل ، فالإسلام بمعناه الأعمّ تصوّرات وأعمال وأحكام وعقائد وعبادات ومناهج حياة ومؤيدات ومقامات تنبثق عن الكتاب والسنّة وعمّا يستنبط بشكل صحيح من الكتاب والسنّة ، فالأمر واسع ونحن ههنا سنتحدّث عن أسهم الإسلام ، وعن أركان الإسلام ، وعن مقامات الإسلام ، وعن أعمال أساسيّة في الإسلام كان يأمر بها رسول الله ﷺ الداخلين الجدد في الإسلام ، أو يعلمها لمن يريد تفقّهًا في الإسلام ، فأسهم الإسلام

---

(١) آل عمران : ١٩ .

(٢) ال عمران : ٨٥ .

(٣) النحل : ٨٩ .

ثمانية كما سنرى ، وهذه لها وضع خاصٌ بالنسبة للإسلام .

وأركان الإسلام خمسة وهي من أسهم الإسلام ، ولكن لها صفة الركنية بالنسبة لبناء الإسلام فلا يقوم الإسلام إلا بها جميعًا .

ومقامات الإسلام : تصديق ، فعمل فتحقّق ، فالتزام ، فشكر .

أو تقول : إيمان ، فإسلام بالمعنى الأخصّ وهو العمل بما تُطالَب به من الإسلام فإحسان ، فتقوى ، فشكر .

فالمطلوب الأوّل : الإيمان بالإسلام ، وعلامة ذلك : إعلان الشهادتين ، والإيمان بالكتاب والسنّة ، وبما جاء فيهما .

والمطلوب الثاني : العمل بما افترض الله عليك وتَرْكُ ما نهاك عنه ـ وهو الإسلام بالمعنى الأخصّ فهو العمل ـ فإذا فعلت ذلك وداومت عليه أوصلك ذلك إلى حقيقة الإيمان .

﴿ **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم** ﴾ [(١)] أي هو على وشك الدخول بسبب القيام بأعمال الإسلام ، فإذا ما دخل نور الإيمان واستنار القلب وصل الإنسان إلى مقام الإحسان ، وذلك هو حقيقة الإيمان ، فإذا ما وصل إلى الإحسان كمل التزامه بالكتاب والسنة وذلك هو التقوى ﴿ **يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ [(٢)] .

فإذا ما كثر التزامه فأدّى شكر ما أنعم الله به عليه فقد وصل إلى مقام الشكر وهو أرقى المقامات ، قال تعالى : ﴿ **وقليل من عبادي الشكور** ﴾ [(٣)] وإنما الطريق للشكر هو التقوى ، قال تعالى : ﴿ **فاتقوا الله لعلكم تشكرون** ﴾ [(٤)] وسيد الشاكرين رسول الله ﷺ : « أفلا أكون عبدًا شكورًا » .

وأمهات أعمال الإسلام : أداء الأركان الخمسة ، وأخذ الحظ من الأسهم الثانية بما في ذلك

---

(١) الحجرات : ١٤ .
(٢) البقرة : ٢١ .
(٣) سبأ : ١٣ .
(٤) آل عمران : ١٢٣ .

الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعدم موادةِ المشركين ، وموالاةُ المسلمين ، وأداء السلام وإطعام الطعام ، والذكر ، وترك الخمر ، وحفظ اللسان فلا يؤذي مسلمًا ، وترك الشرك والسرقة والزنى وقتل النفس ، ويجب السمع والطاعة لأمراء العدل ، وعدم منازعة الأمر أهله ، وطيب الكلام والصبر والسماحة وحسن الخلق ، وترك ما نهى الله عنه ، وإعطاء الأمن للناس ، وترك الربا ، وإعطاء الزوجة حقّها في المطعم ، والملبس ، وتوليّ الله تعالى ، والستر على المسلم حيث يجب الستر ، وترك الحرام ، وعدم إيذاء الجار ، وترك الكبائر السبع .

وهذه نصوص تتحدث عن أسهم الإسلام ، ثم عن أركانه ، ثم عن مقاماته ، ثم عن أمهات من الأعمال فيه ، وكل ذلك لتعرف الإسلام بالمعنى الأخص ، أما الإسلام بالمعنى الأعم فإنك تعرفه من خلال استيعاب الكتاب والسنة وما يخدمهما وما ينبثق عنهما .

* * *

الفِقْرة الأولى : أسهم الإسلام

السهم في اللغة يأتي بمعنى النصيب ، فالأصل أنّ على المسلم أن يأخذ نصيبه من الإسلام بإقامة الأسهم الثمانية المذكورة في حديث حذيفة رضي الله عنه ، وإذا فاته سهم من السهام الآتية فهو على شفا خيبة :

١٧٢ ـ * روى البزار عن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « الإسلامُ ثمانيةُ أسهم : الإسلامُ سهم ، والصلاةُ سهم ، والصيامُ سهم ، والزكاةُ سهم ، وحَجُّ البيتِ سهم ، والأمرُ بالمعروفِ سهم ، والنهيُّ عن المُنْكرِ سهمٌ ، والجِهادُ في سبيلِ الله سهم ، وقد خَابَ من لا سَهْمَ له » .

أقول : مثل هذا الحديث لا يقال من جهة الرأي ، فهو وإن كان الأصح أنه موقوف فإن له حكم الرفع .

وقد ورد عن رسول الله ﷺ حديث آخر تذكر فيه الأسهم مما يقوي الحديث وهو :

١٧٣ ـ * روى الحاكم عن أبي هريرةَ عن رسول الله ﷺ : « إن للإسلام صُوى ومنارًا كنار الطريق ، منها أن تؤمنَ بالله ولا تشركَ به شيئًا ، وإقامُ الصلاة ، وإيتاءُ الزكاة ، وصومُ رمضانَ ، وحَجُّ البيت ، والأمرُ بالمعروف ، والنهيُ عن المنكر ، وأن تُسلِّمَ على أهلك إذا دخلتَ عليهم ، وأن تسلم على القوم إذا مررت بهم ، فمن ترك من ذلك شيئًا ، فقد ترك سهمًا من الإسلام ، ومن تركهن [كلهن] فقد

---

١٧١ ـ كشف الأستار (١ / ٤١٥) وقال : لا نعلم أسنده إلا يزيد بن عطاء ، وقد رواه شعبة عن أبي إسحاق فوقفه على حذيفة . ا . هـ .

ومجمع الزوائد (١ / ٣٨ ، ٣ / ٦٢) وقال : رواه البزار وفيه يزيد بن عطاء وثقه أحمد وضعفه جماعة وبقية رجاله ثقات . ا . هـ فهو عند أحمد حسن .

قال ابن رجب في جامع العلوم « ص ٢٣ » : وصح من حديث أبي إسحاق عن صِلَةَ بن زُفَرَ عن حذيفه رضي الله عنه : « الإسلام ثمانيةُ أسهم ... وساق الحديث موقوفاً ... ثم قال :

« وخرّجه البزار مرفوعاً والموقوف أصح . ورواه بعضهم عن أبي إسحاق عن الحارث عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ خرجه أبو يعلى الموصلي وغيره ، والموقوف على حذيفة أصح ، قال الدارقطني وغيره » ا . هـ .

١٧٢ ـ المستدرك (١ / ٢١) ، مختصراً . وهو صحيح بطرقه وشواهده .

(الصُّوَى) : جمع صُوَّة وهي : أعلام من الحجارة تنصب في المنارة يستدل بها على الطريق .

وَلَّى الإسلامَ ظهرَه » .

المراد بالسهم الأول ـ في الحديث الأول : حديث حذيفة ـ الذي عُبِّر عنه بالإسلام : قبول الإسلام والإيمان به ، ورمز ذلك النطق بالشهادتين ، وهذا الحديث له أهمّيّة خاصّة ، فالله عز وجل أخبر عن اليهود بقوله :

﴿ فنسُوا حظّا ممّا ذكّروا به ﴾ [1] أي ـ نصيبا ـ ﴿ فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء ﴾ [2] والحديث الذي بين أيدينا يذكر أسهم الإسلام : أي أنصباءه أي حظوظه ، فإذا ترك أبناء الأمّة الاسلاميّة واحدا من هذه السهام فإنّهم يستحقّون إلقاء العداوة والبغضاء فيما بينهم ، وإن كانت الآية تشير إلى هذه السهام وغيرها ممّا أنزله الله عز وجل من وحي ، ولكنّ هذه السهام لها وضع هام في هذا الشأن ، ولمّا كان من أساليب العرب أن تذكر جزءا وتعبّر به عن الكلّ لتبيان أهمّيّة الجزء فالحديث اللاحق يخصّ ثلاثة من أسهم الإسلام الثانية بالذكر تبيانا لأهميتها ، وفي السياق يذكر الحديث أهمّيّة تولّي الله للعبد ليحرص المسلم على هذه المعاني مجتمعة :

١٧٤ ـ * روى أحمد عن عائشة رفعه ، « ثلاث أحلِف عليهن ، لا يجعل الله من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له ، وأسهمُ الإسلام الثلاثةُ الصلاةُ ، والصومُ ، والزكاةُ ، ولا يتولى الله عبدًا في الدنيا فيوليه غَيْرَهُ يومَ القيامةِ ولا يُحبُّ رجلٌ قوما إلا جعلَه معهم والرابعة لو حلفتُ عليها رجوت أن لا آثَمَ لا يسترُ الله عبدًا في الدنيا إلا ستره يوم القيامة » .

---

(١) المائدة : ١٣ . (٢) المائدة : ١٤ .

١٧٤ ـ مسند أحمد (٦ / ١٤٥) .

مجمع الزوائد (١ / ٣٧) ، وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات ورواه أبو يعلى أيضاً .

الفقرة الثانية : أركان الإسلام

تطلق كلمة أركان الإسلام على الشهادتين والصلاة والزكاة والصوم والحج بنصّ الحديث النبوي ، لأن كلاً منها ركن في جانب من جوانب الإسلام ، فالشهادتان ركن العقائد ، والصلاة ركن العبادات المباشرة ، والصوم ركن الأعمال التي تضبط النفس على أمر الله ، والزكاة ركن الحياة الاقتصاديّة ، والحجّ ركن الحياة السياسيّة وغيرها :

١٧٥ - * روى مسلم عن عبدِ الله بن عُمَرَ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « بُنِيَ الإسلامُ على خَمْسٍ : شهادةِ أن لا إله إلا اللهُ ، وأنَّ محمدًا عبْدُهُ ورسولُهُ ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزّكاةِ ، وحَجِّ البيتِ ، وصومِ رمضانَ » .

وفي أُخرى : « بُنِيَ الإسلام على خَمْسَة : على أَنْ يُوَحَّدَ اللهُ ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاةِ ، وصيامِ رمضانَ ، والحجِّ » ، فقال رجل : الحجِّ وصيامِ رمضانَ ؟ قال : لا ، صيامِ رمضانَ والحجِّ » . هكذا سمعته من رسولِ الله ﷺ .

وفي أُخرى : « بُنِيَ الإسلام على خَمْس : [على] أَن يُعْبَدَ اللهُ ويُكْفَرَ بما دُونَهُ ، وإقامِ الصلاةِ ، وإيتاء الزكاة ، وحَجِّ البيت ، وصومِ رمضانِ » .

عندما يقال : بني هذا البيت على أساس متين فهذا يعني : أن هناك أساسًا فوقه بيت ، وهكذا هنا : فالإسلام بني على خمس فهذا أساسه وفوق ذلك بناؤه ، والبناء يشمل أحكام الله في كل شيء في السياسة والاقتصاد والاجتماع والأخلاق وغير ذلك ، والإسلام عقائد وعبادات ومناهج حياة وشرائع وشعائر وأخبار وأوامر ونواهٍ وغيب وشهادة .... وأركان ذلك كله هذه الخمسة .

---

١٧٥ - مسلم (١ / ٤٥) ١ - كتاب الإيمان ٥ - باب بيان أركان الإسلام ودعائمه . بجميع طرقه ، وهو عند البخاري والنسائي والترمذي ، ببعضها .

البخاري (١ / ٤٩) ٢ - كتاب الإيمان ٢ - باب دعاؤكم إيمانكم .

النسائي (٥ / ١٠٨) ٤٧ - كتاب الإيمان ١٣ - باب على كم بني الإسلام .

الترمذي (٥ / ٥) ٤١ - كتاب الإيمان ٣ - باب ماجاء بني الإسلام على خمس .

١٧٦ ـ * روى أبو يعلَى عن ابن عباس ، قال حمادُ بنُ زيدٍ لا أعلمه إلا رفعه : « عُرَى الإسلام وقواعدُ الدين ثلاثةٌ عليهن أُسِّسَ الإسلام ، من ترك واحدةً منهن فهو بها كافرٌ حلالُ الدَمِ : شهادة أن لا إله إلا اللهُ ، والصلاةُ المكتوبةُ ، وصومُ رمضـان » . ثم قال ابن عباس تجِدهُ كثيرَ المال لا يُزكِي فلا يزالُ بـذلـك كافرًا ، ولا يَحِلُّ دَمُـهُ وتجـده كثيرَ المال لم يَحُجَّ فلا يزالُ بذلك كافرا ولا يَحِلُّ دَمُهُ .

هذا الحـديث يبيّن أهميّـة الأركان الثلاثـة : الشهـادتين والصلاة والصوم من بين الأركان الخمسة والذي عليه الأكثرون أن عدم قبول الشهادتين أو ارتكاب ناقض للشهـادتين هو الـذي يكون بـه صـاحبـه كافرًا حلال الـدم بـالكفر ، واستحلال ترك الصلاة أو الزكاة أو الصوم أو الحج على من كان مكلفًا هو الذي يكون به صاحبه كافرًا حلال الدم ، والمعروف أنّ مـذهب أحمد : تكفير تارك الصلاة ولو كسلا واستحقاقه بذلك القتل كفرًا ، لكن عامّـة الفقهـاء على أن تـارك الصلاة كسلا يستحق العقوبـة التي قـد تصـل إلى حـدّ القتـل ، لكنّ مـذهب ابن عباس كما نفهمه من ظاهر الرواية أن تارك الصلاة وتارك الصوم كافران مباحا الدم .

والحديث يركّز على أهميّة الشهادتين والصلاة والصوم، فإذا كان أهمّ مـا في الإسلام أركانـه الخمسة فأهمّ هذه الأركان هي هذه الثلاثة .

* * *

---

١٧٦ ـ مجمع الزوائد (١ / ٤٧ ، ٤٨) . وقال : رواه أبو يعلى بتمامه ورواه الطبراني في الكبير بلفـظ بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله والصلاةو وصيام رمضان فمن ترك واحـدة منهن كان كافرًا حلال الـدم . فـاقتصر على ثلاثـة منها ولم يذكر كلام ابن عباس الموقوف وإسناده حسن . أ . هـ.

والحديث صححه بعضهم وحسنه آخرون .

الفقرة الثالثة : مقامات الإسلام

قال تعالى : ﴿ قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ (١) فالعمل بالإسلام يوصل إلى الإيمان القلبي وذلك يوصل إلى الإحسان الذي هو أحد مقامات الصديقين . قال تعالى : ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصدّيقون والشهداء عند ربهم ﴾ (٢) والإحسان هو المقام الأرقى في العبادة ، والعبادة توصل إلى التقوى . ﴿ يا أيّها الناس اعبدوا ربّكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلّكم تتقّون ﴾ (٣) والتقوى توصل إلى الشكر ﴿ فاتقوا الله لعلّكم تشكرون ﴾ (٤) فهذه مقامات الإسلام .

وهذه نصوص :

١٧٧ - * روى مسلم عن يحيى بن يَعْمَر ، قال : كان أولَ من قال في القَدَرِ بالبَصْرَةِ : مَعْبَدٌ الجُهَنِيُّ ، فَانْطَلَقْتُ أنا وحُمَيْدُ بنُ عبدِ الرحمنِ الحِمْيَرِيّ حَاجَّيْنِ ، أو مُعْتَمِرَيْنِ ، فقلنا : لو لَقِينا أحدًا من أصْحَابِ رسولِ الله ﷺ فسألناه عما يَقولُ هؤلاءِ في القَدَرِ ؟ فَوُفِّقَ لنا عبدُ الله بنُ عمرَ بن الخطابَ رضي الله عنه داخلاً المسجد ، فاكْتَنفتُه أنا وصَاحِبي ، أحدُنا عن يمينه ، والآخَرُ عن شِماله ، فظننتُ أنَّ صاحِبي سيَكِلُ الكلامَ إليَّ ، فقلتُ : أبا عبد الرحمن ! إنه قد ظَهَرَ قِبَلَنَا أُنَاسٌ يَقرؤُون القرآنَ ، ويتَقَفَّرون العِلْمَ ، وذكَرَ من شأنِهِمْ ، وأنَّهم يَزْعُمُون أنْ لا قَدَرَ ، وأنَّ الأَمْرَ أُنُفٌ ، فقال : إذا لَقِيتَ أولئك فأخْبِرْهم : أنّي بريءٌ منهم ، وأنَّهم بُرَآءُ مِّني ، والذي يَحْلِفُ به عبْدُ اللهِ بنُ عمرَ : لَوْ أن لأحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فأنفقَهُ ، ما قَبِلَ اللهُ منه حتَّى يُؤمِنَ بالقَدَرِ ، ثم قال : حدَّثني أبي عُمرُ بنُ الخطَّاب ، قال : بَيْنَما نحنُ جلوسٌ عند رسول الله ﷺ ذَاتَ يوم ، إذ طَلَعَ علينْا رجلٌ شَديدُ بياضِ الثِّياب ، شديدُ سوادِ الشَّعْرِ ، لايُرَى عليه أثرُ السَّفَر ، ولا يعرفُه منَّا أحدٌ ، حتَّى جَلَسَ إلى النبيِّ

(١) الحجرات : ١٤ . (٢) الحديد : ١٩ .

(٣) البقرة : ٢١ . (٤) آل عمران : ١٢٣ .

١٧٧ - مسلم (١ / ٣٦ : ٤٠) ١ - كتاب الإيمان ١ - باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ... إلخ.

وأبو داود . (٤ / ٢٢٣ / كتاب السنة ١٧ ، باب في القدر .

والترمذي (٥ / ٦) ٤١ - كتاب الإيمان ٤ - باب ماجاء في وصف جبريل للنبي ﷺ الإيمان والإسلام . =

ﷺ ، فأسْند رُكْبَتَيْهِ إلى رُكْبَتَيْهِ ، وَوَضعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيهِ وقال : يامحمدُ ، أخبرني عن الإسلام ، فقالَ رسُولُ الله ﷺ « الإسلامُ أن تَشهدَ أن لا إله إلا اللهُ ، وأنَّ محمَّدًا رسولُ الله ، وتُقيمَ الصَّلاةَ ، وتُؤتِيَ الزكاةَ ، وتصومَ رمضانَ ، وتَحُجَّ البيْتَ إن استطعت إليه سبيلا » . قال : صَدَقْتَ ، قال : فَعَجبنا لَهُ يَسْأَلُهُ ويُصدِّقُه ، قال : فأخبرني عن الإيمان ؟ قال : « أنْ تُؤمنَ باللهِ ، ومَلائكَتِهِ ، وكتبه ، ورُسُلِه ، واليومِ الآخِرِ ، وتؤمنَ بالقَدَرِ خَيْرِه وَشَرِّه » . قال : صدقتَ ، قال : فأخبرني عن الإحسان ، قال : « أن تعبدَ اللهَ كأنكَ تراه ، فان لم تكن تَراه ، فإنه يَراكَ » . قال : فأخبرني عن الساعة ؟ قال : « ما المسؤولُ عنها بأَعْلَمَ من السَّائِلِ » . قال : فأخبرني عن أَمَاراتِها ؟ قال : « أنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتها ، وأنْ تَرى الحُفَاةَ العُرَاةَ ، العالَةَ رِعاءَ الشاءِ يتَطاوَلونَ في البُنْيانِ » ، قال : ثم انطلَقَ ، فلبثَ مَليًا ثم قال لي : « يا عُمَرُ ، أتدري مَنِ السَّائل ؟ » قُلتُ اللهُ ورسُولُه أعلمُ ، قال : « فإنَّه جبريلُ أتاكم يُعلِّمُكم دينَكُمْ » .

وأخرجَه أبو داود بنحوه [١] ، وفيه « فَلَبِث ثلاثًا » .

وفي أُخرى له [٢] : قال : فما الإسلام ؟ قال : « إقامُ الصلاة ، وإيتاء الزكاة وحجُّ البيت ، وصوم شهر رمضان ،. والاغتسال من الجنابة » .

١٧٨ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ وأبي ذَرٍّ رضي الله عنهما ، قالا : كان رسولُ الله ﷺ يومًا بارزًا للناس ، فأتاه رجلٌ فقال : يارسولَ اللهِ ، ما الإيمانُ ؟ قال : « أن تُؤمنَ بالله ، وملائكته ، وكتابه ، ولقائه ، ورُسُلِهِ ، وتؤمنَ بالبعْثِ الآخِرِ » قال : يارسولَ اللهِ ما الإسلام ؟ قال : « الإسلامُ أن تعبُدَ اللهَ ، لا تُشرِكَ به شيئًا ، وتُقيمَ الصلاة المكتوبةَ ، وتؤدي الزكاة المفروضةَ ، وتصومَ رمضانَ » . قال :

والنسائي (٨ / ٩٧) ٤٧ - كتاب الإيمان ٥ - باب نعت الإسلام .

وابن ماجه (١ / ٢٢) المقدمة ٩ - باب في الإيمان .

(١) أبو داود الموضع السابق . (٢) أبو داود الموضع السابق .

١٧٨ - البخاري (١ / ١١٤) ٢ - كتاب الإيمان -٣٧ . باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام ... إلخ .

مسلم (١ / ٣٩) ١ - كتاب الإيمان ١ - باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان .. إلخ .

كلاهما رواه عن أبي هريرة وحده .

يارسول الله ما الإحسانُ ؟ قال : « أن تعبدَ اللهَ كأنـك تراه ، فـإنَّـك إنْ لم تره فـإنّـه يراك » . قال : يـا رسولَ الله ، مَتَى السَّاعةُ ؟ قـال : « مـا المسؤولُ عنهـا بـأعلَم من السَّـائلِ ، ولكنْ سـأُحَـدِّثُـكَ عَنْ أشْراطهـا : إذا ولَـدَت الأمـةُ ربَّتَها ، فـذاك من أشراطِهـا ، وإذا كانت العُرَاةُ الحُفـاةُ رؤوسَ النـاسِ ، فـذاك من أشراطهـا ، وإذا تَطَـاوَلَ رِعـاءُ البَهْمِ في البُنيـانِ ، فـذاك من أشراطهـا ، في خَمْسٍ لا يعلَمُهنَّ إلا الله ، ثم تـلا رسـولُ الله ﷺ ﴿ **إنَّ الله عنـده عِلْمُ السـاعـةِ ويُنَـزل الغَيْثَ ويَعْلَمُ مـا في الأرحام و ما تدري نفسٌ ماذا تكسبُ غدًا و مـا تـدري نفسٌ بـأي أرضٍ تموت إنّ الله عليمٌ خبيرٌ** ﴾ [1] . قـال : ثم أدْبَرَ الرجـلُ ، فقـالَ رسـولُ الله ﷺ : « رُدُّوا عليَّ الرَّجـلَ » ، فأخذُوا ليَرُدُّه ، فلم يَروا شيئًا ، فقال رسولُ الله ﷺ : « هذا جبريلُ جاء ليُعَلِّمَ النَّـاس دينَهمْ » .

وفي أخرى نَحْوَه ، وفي أوّلِه : أن رسولَ الله ﷺ قال : « سلوني فهابُوهُ أن يسـألُوهُ ، فجاء رجلٌ ، فجلس عند رُكْبَتَيْهِ ، فقـال : يـا رسولَ الله ، مـا الإسلامُ ؟ـ وذكَرَ نَحْوَهُ ـ وزاد : أنَّه قال له في آخِرِ كل سؤال منها : صدقت ـ وقال في الإحسـان : « أن تخشى اللهَ كأنـك تراه » . وقـال فيهـا : « وإذا رأيتَ الحُفـاةَ العُراةَ الصُّمَّ البُكْم ملوكَ الأرض ، فذاك من أشراطها » ـ وفي آخرِها ـ « هـذا جبريلُ أراد أن تَعَلَّموا ، إذ لم تَسألوا » .

١٧٩ ـ * وعند الطبراني في الكبير من روايـة ابن عمر : « مـا جـاءني [أي جبريل] في صورة قط إلا عَرَفْتَه إلا في هذه الصورة » .

= ونحوه عند النسائي وأبي داود عنهما .

النسائي (٨ / ١٠١) ٤٧ ـ كتاب الإيمان ٦ ـ باب صفة الإيمان والإسلام .

أبو داود (٤ / ٢٢٥) كتاب السنة ١٧ ـ باب في القدر .

(١) لقمان : ٣٤ .

١٧٩ ـ المعجم الكبير (١٢ / ٤٣٠) .

مجمع الزوائد (١ / ٤٠) . وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون .

لفت رسول الله ﷺ النظر في هذا الحديث إلى أركان الإسلام ، وإلى أركان الإيمان ، وإلى الدرجة العليا في العبادة وهي مقام الإحسان ، وهذا الحديث أصل من الأصول :

فهو يتحدّث عن ثلاثة مقامات من مقامات الدين الإسلامي ، فالإنسان يُسْلِمُ فيقيم المطلوب منه من أركان الإسلام ، وهذا يصل به إلى حقيقة الإيمان ، وحقيقة الإيمان تصل له إلى مقام الإحسان ، ومقام الإحسان يوصله إلى حقيقة التقوى ، وحقيقة التقوى توصله إلى حقيقة الشكر ، وهذه مقامات الإسلام والنصوص تشهد لذلك كما مرّ معنا . وهذا حديث في المقام الرابع وهو التقوى :

١٨٠ - * روى أحمد وأبو يعلى عن أنسٍ رضِيَ اللهُ عَنْه قَالَ : كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ : « الإِسْلامُ عَلانِيةٌ ، والإِيمَانُ في القَلْب » ، قَالَ : ثم يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى صدرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ . قَالَ : ثمَّ يَقُولُ : « التقوى هٰهُنَا التَّقْوَى هٰهُنا » .

لقد فصلنا في موضوع التقوى في كتابنا (جند الله ثقافة وأخلاقًا) تفصيلاً واسعًا . وهاهنا نكتفي بذكر بعض النصوص القرآنية ، ونشير إلى بعض ما تفيده :

قال تعالى : ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾ [١] .

فالهداية أثر الإيمان والمجاهدة :

﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ .

﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سُبُلنا ﴾ [٣] .

---

١٨٠ - مسند أحمد (٣ / ١٣٤) .

كشف الأستار (١ / ١٩) مختصراً وقال : تفرد به علي بن مسعدة .

مجمع الزوائد (١ / ٥٢) . وقال : رواه أحمد وأبو يعلى بتمامه والبزار باختصار ورجاله رجال الصحيح ماخلا علي ابن مسعدة وقد وثقه ابن حبان وأبو داود الطيالسي وأبو حاتم وابن معين وضعفه آخرون . أ . هـ .

وقال في التقريب (٤٠٥) بتحقيق محمد عوامة : صدوق له أوهام .

وقوله : (التقوى هاهنا) أخرجه البخاري وغيره عن أبي هريرة بغير هذا السياق .

(١) محمد : ١٧ . (٢) التغابن : ١١ .

(٣) العنكبوت : ٦٩ .

والهداية توصل إلى التقوى بفضل الله ، فالتقوى عطيّة من الله وهدية ، والتقوى توصل إلى الشكر . قال تعالى :

﴿ فاتقوا الله لعلّكم تشكرون ﴾ (١) .

والشكر أرقى المقامات ، قال تعالى :

﴿ وقليل من عبادي الشكور ﴾ (٢) .

لأنّ الشكر أن تستعمل كلّ ماأعطاك الله عز وجل في الأحبّ إلى الله . وهذا نصّ في الشكر :

١٨١ - * روى البخاري ومسلم عن المُغِيْرَةِ بنِ شُعْبَة ، رضي الله عنه ، قال : قام النبيُّ ﷺ حتى تورَّمتْ قدماه ، فقيل له : قد غفرَ الله لك ماتقدَّمَ من ذنبكَ وما تأخَّر ؟ قال : « أفلا أكونَ عبدًا شكورًا ؟ » .

وفي رواية (٣) ، إن كان النبيُّ ﷺ لَيَقُومَ - أو لِيُصلّي - حتى تَرِمَ قَدَماه - أو ساقاه - فيُقال له ، فيقول : « أفلا أكونَ عبدًا شكورًا ؟ » .

وفي أخرى : حتى تَرِمَ أو تَنْتَفِخ (٤) .

وفي أخرى (٥) ، أنه صلى حتى انتفختْ قدماه ، فقيل له : أتَكَلَّفُ هذا ، وقد غُفِرَ لك ؟ فقال ... وذكره .

* * *

(١) آل عمران : ١٢٣ . (٢) سبأ : ١٣ .

١٨١ - البخاري (٨ / ٥٨٤) ٦٥ - كتاب التفسير ٢ - باب ﴿ ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك ﴾ ...إلخ .

ومسلم (٤ / ٢١٧١) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ١٨ - باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة .

(٣) البخاري (٣ / ١٤) ١٩ كتاب التهجد - ٦ - باب قيام النبي ﷺ الليل .

(٤) البخاري (١١ / ٣٠٣) ٨١ - كتاب الرقاق ٢٠ - باب الصبر عن محارم الله .

(٥) مسلم الموضع السابق .

الفقرة الرابعة : في أمهات من أعمال الإسلام

إنه بمجرد أنْ يدخل الإنسان في الإسلام تترتب عليه تكاليف وأعمال منها ما مر معنا في هذا الفصل بمناسبة الكلام عن أسهم الإسلام وأركانه ومقاماته ، ولكي نأخذ صورة متكاملة عما كان يلقنه رسول الله ﷺ لمن يدخل في الإسلام أو لمن يريد أن يتفقه في أعمال الإسلام فإننا نذكر هذه الفقرة لنرى فيها طرائق الرسول ﷺ في التوجيه وفي تعامله مع المبتدئين أو مع المجتهدين ، فذلك كله من سياسات النبوة التي يَنبغي أن يراعيها المربون ، عدا عن كون العرض لهذه الإشياء يذكرنا ببعض دقائق من أعمال الإسلام ينبغي أن يلتزم بها السالكون ، وهذه نصوص :

١٨٢ ـ * روى البخاري عن أنسِ بن مالك رضي الله عنه قال : بينما نحن جُلوسٌ مع النبي ﷺ في المسجد ، إذ دخل رجلٌ على جَملٍ ، ثم أناخه في المسجدِ ، ثُمَّ عَقلَهُ ، ثم قال [لهم] أيُّكُمْ محمدٌ ؟ والنبي ﷺ مُتَّكئ بين ظَهْرانيهم ، فقلنا : هذا الرجل الأبيض المتكئ ، فقال له [الرجل] ، ابنَ عبدِ المطَّلب ؟ فقال له النبي ﷺ : « قد أَجبتُك » فقال الرَّجل [للنبي] إنِّي سائِلُك فمشدِّدٌ عليك في المسألةِ ، فلا تجِدْ عَليَّ في نفسِك ، قال : « سلْ عما بدا لك » . فقال أسألك بربك وربِّ من قَبْلَكَ ، آللهُ أرْسلك إلى الناس كلِّهم ؟ قال : « اللهم نعم » . قال أنشُدُك بالله : آللهُ أمَرك أن تُصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة ؟ قال : « اللَّهم نعم » . قال : أنشُدُكَ بالله ، آلله أَمرَكَ أن تصومَ هذا الشهر من السَّنة ؟ قال : « [اللهم]نعم » . قال : أنشُدُك بالله ، آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقةَ من أغنيائنا ، فتقْسِمَها على فقرائنا ؟ . فقال النبي ﷺ : « اللَّهم نعم » . قال الرجل : آمنتُ بما جئْت به ، وأنا رسولُ مَنْ وَرائي من قومي ، وأنا ضِمامُ بنُ ثَعْلَبَةَ ، أخو بني سعْد بنِ بكرٍ .

وأخرجه مسلم [1] ، وهذا لفظه ، قال أنس رضي الله عنه : نُهينا في القرآن أن نسألَ رسول الله ﷺ عن شيء ، فكان يُعْجِبُنَا أَنْ يَجيءَ الرجلُ من أهل البادِية العاقلُ ، فيسألَهُ

---

١٨٢ ـ البخاري (١ / ١٤٨) ٣ ـ كتاب العلم ٦ ـ باب ماجاء في العلم .

(١) مسلم (١ / ٤١) ١ ـ كتاب الإيمان ٣ ـ باب السؤال عن أركان الإسلام .

ونحن نسمعُ ، فجاءَ رجلٌ من أهلِ البادية ، فقال : يامحمدُ ، أتـانـا رسولُـك ، فَزَعَمَ لنـا أنـك تزعُمُ أنَّ الله أرسلَكَ ، فقال : « صدَقَ » . قال : فمن خلق السماء ؟ قال : « اللهُ » قـال فمن خلَق الأرض ؟ قال : « الله » قال . فمن نَصبَ هذه الجبال وجعل فيهـا مـا جَعَلَ ؟ قـال : « الله » قـال : فبـالـذي خلق السماءَ وخلـق الأرض ، ونصب هـذه الجبـال ، الله أرسلَـك ؟ قـال : « نعم » . قـال : وزعم رسولـك أن علينـا خمس صلوات في يومنـا وليلتنـا ؟ قـال : « صدق » . قال : فبالذي أرسلك ، آلله أَمَرك بهذا ؟ قال : « نعم » ، قال : وزعم رسولـك أن علينا زكاة في أموالنا ؟ قال : « صَـدق » . قـال : فبـالـذي أرسلـك ، آلله أمرك بهـذا ؟ قـال : « نعم » قـال : وزعم رسولُـك أن علينـا صـوم شهرِ رمضـان في سنتنـا ؟ قـال : « صدق » . قال : فبالذي أرسلك ، آلله أمرك بهذا ؟ قال : « نعم » ، قال : وزعم رسولـك أنَّ علينا حَجَّ البيت من استطاع إليه سبيلاً ؟ قال : « صدق » . قال : فبـالـذي أرسلـك آلله أمرك بهذا ؟ قال : « نعم » . قـال : ثم ولّى ، وقـال : والـذي بعثـك بـالحق لا أزيـدُ عليهنَّ ، ولا أنقُصُ منهن ، فقال النبي ﷺ : « لئن صدق ليدْخُلَنَّ الْجنة » .

وعند أحمد والطبراني [1] : وكان ضِمامُ رجلا أشعرَ ذا غديرتين قال : أنشُـدك بـالله إلهـكَ وإله من قبلك وإله مَنْ هو كائنٌ بعدَك في السؤالاتِ كلها وقـال : الله أمرك أن تـأمُرَنـا أن نَعْبُدَه ولا نُشرك بـه شيئًـا وأن نخلعَ هـذه الأنـداد التي كان آباؤنـا يَعبُـدون معـه ؟ قـال : « اللهم نعم » .. وقال : وسأؤدي هذه الفرائضَ وأجتنبُ مانَهيتَني عنه لا أزيـدُ ولا أنقصُ . وقال ﷺ حين ولى « إنْ صـدَقَ ذو العقيصتين يَـدْخُلِ الجنـةَ » ثم خَرَجَ حَتى قـدمَ على قومِه فاجتمعوا إليه فكان أولَ ماتكلم به أن قال : بئسَتِ اللاتُ والعزى قالوا : مـه يـاضِمامُ : اتقِ البَرَصَ والجُذَامَ اتق الجنونَ قال ويلكم إنهما والله مايضران ولاينفعان . إن الله تعـالى قـد بعثَ رسولا وأنزل كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسولُه قد جئتكم من عنده بما أمرَكم به ونهاكم عنـه . فوالله مـاأمسى في ذلك اليوم وفي حاضره رجلٌ ولا إمرأة إلا مسلما . يقول ابن عباس : فما سمعنـا بوافِـد قوم يقول أفضلَ من ضِمامٍ .

أحمد (١ / ٢٥٠ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥) .

[1] الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٢٨٩) وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجال أحمد موثقون .

١٨٣ ـ * روى البخاري ومسلم عن طلحةَ بنِ عُبيدِ الله رضي الله عنهما قال : جاء رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ ، من أهل نَجْد ، ثائرَ الرأسِ ، نَسْمَعُ دَوِي صوتِه ، ولا نفْقهُ ما يقولُ ، حتى دَنا من رسول الله ﷺ ، فإذا هو يَسْأَلُ عن الإسلام ؟ فقال رسول الله ﷺ : « خَمْسُ صلوات في اليوم واللَّيلةِ » . فقال : هل عليَّ غيْرُهن ؟ قال : « لا ، إلا أن تَطَّوعَ »فقال رسولُ الله ﷺ : « وصيامُ رمضانَ » . فقال : هلْ عليَّ غيرُه ؟ قال : « لا ، إلا أنْ تطوّع » . قال : وذكر له رسول الله ﷺ الزكاةَ ، فقال : هل عليّ غيرُها ! قال : « لا ، إلا أنْ تطوع » . قال : فأدبرَ الرجلُ ، وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقصُ منه . فقال رسولُ الله ﷺ : « أَفلَحَ إنْ صَدَق ، أوْ دَخَلَ الجنَّة إن صدق » .

١٨٤ ـ * روى البخاري ومسلم عن عبدِ الله بن عباسٍ رضي الله عنهما ، أَتَتْهُ امرأةٌ تَسألُه عن نَبيذ الجَرِّ ، فقال : إنَّ وَفْدَ عبدِ القيس أتَوْا النبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « مَن الوفد ؟ـ أو مَنِ القومُ ـ؟ » قالوا : ربيعةُ ، قال : « مَرْحبًا بالقوم ، أو بالوَفْدِ ، غيرَ خَزايا ، ولا ندامَى » ـ قال : فقالوا : يارسول الله ، إنا نأتيك من شُقَّةٍ بعيدة ، وإن بيننا وبينَك هذا الحيَّ من كُفار مُضَر ، وإنا لا نستطيع أنْ نأتيك إلا في الشهر الحرام ،

---

١٨٣ ـ البخاري (١ / ١٠٦) ٢ ـ كتاب الإيمان ٣٤ ـ باب الزكاة من الإسلام .
ومسلم (١ / ٤١) ١ ـ كتاب الإيمان ٢ ـ باب الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام .
ورواه مالك في الموطأ (١ / ١٧٥) ٩ ـ كتاب قصر الصلاة في السفر ٢٥ ـ باب جامع الترغيب في الصلاة .
وأبو داود (١ / ١٠٦) أول كتاب الصلاة .
والنسائي (١ / ٢٢٦) ٥ ـ كتاب الصلاة ٤ ـ باب كم فرضت في اليوم والليلة .
(الثائر الرأس) : الشعث الشعر ، البعيد العهد بالغسل والتسريح والدّهن .
(الدويُّ) : كصوت النحل وغيره .
(نفقه) : الفقه : الفهم والعلم ، أي : لا يُفهم كلامه .
١٨٤ ـ البخاري (١ / ١٢٩) ١ ـ كتاب الإيمان ٤٠ ـ باب أداء الخمس من الإيمان .
ومسلم (١ / ٤٧) ١ ـ كتاب الإيمان ٦ ـ باب الأمر بالإيمان بالله تعالى .. إلخ .
ورواه أيضاً أبو داود (٣ / ٣٣٠) كتاب الأشربة ـ باب في الأوعية .
والنسائي (٨ / ١٢٠) ٤٧ ـ كتاب الإيمان ٢٥ ـ باب أداء الخمس .
(الجرّ) : والجرارُ ، جمع جَرّة ، وهو من الخزف ، مَعروف ،وقيل : هو ماكان منه مدْهوناً .
(خزايا) : جمع خَزيان ، من الخزاية ، وهي الاستحياءُ ، وكذلك ندامى جمع ندمان ، وهو فَعلان من الندم ، وهذا البناء من أبنية المبالغة .
(شُقّة) : يقال : بيني وبينك شُقّةٌ بعيدة ، أي : مسافة بعيدة ، والشقة : السفر البعيد .
=

فمرنا بأمرٍ فَصْلٍ ، نُخبرُ به مَنْ وراءَنا ، ونَدخُلُ به الجنة . قال فأمرَهم بأربعٍ ، ونهاهم عن أربعٍ ،قال : أمَرهم بالإيمانِ باللهِ وحدَهُ ،قال :« هل تَدْرُون ماالإيمانُ ؟ » قالوا : اللهُ ورسولُهُ أعلمُ ، قال : « شهادةُ أن لا إله إلااللهُ ، وأنَّ مُحمدًا رسولُ الله ، وإقامُ الصلاة ، وإيتاءُ الزكاة وصومُ رمضان ، وأن تؤدّوا خُمُسًا من المغنم » ، ونهاهم عن الدُّبَّاء والحَنْتَم ، والمُزفّت ، والنقير ـ قال شُعبةُ :وربما قال : المقيَّر ـ وقال : « احفَظوهُ وأخبِروا به مَن وَرَاءكم » .

وزاد في رواية [1] قال : وقال رسول الله ﷺ للأشجّ ـ أشجِّ عبدِ القيسِ ـ « إنَّ فيكَ خَصلتَيْنِ يُحبُّهما الله تعالى : الحلمُ والأناةُ » .

١٨٥ ـ * روى الترمذي عن مُعاذٍ : كنتُ مع النبي ﷺ في سَفَرٍ فأصبحتُ يوماً قريباً منه ونحن نسيرُ فقلتُ يارسولَ الله أخبرني بعمل يُدْخِلُني الجنة ويباعِدُني من النار . قال « لقد سألتني عن عظيمٍ وإنه ليسيرٌ على من يَسَّرَه اللهُ : تَعبُدَ اللهَ ولا تُشْرِكُ به شيئًا ، وتقيمُ الصلاةَ وتؤتي الزكاة وتصومُ رمضانَ ، وتَحُجُّ البيتَ ، ثم قال : « ألا أدلُّكَ على أبوابِ الخير ؟ » قلت : بَلَى يارسولَ الله : قال : « الصومُ جُنَّةٌ ، والصدقةُ تُطفئ الخطيئةَ كما يُطفئ الماءُ النارَ ، وصلاةُ الرجل من جوفِ الليلِ شِعارُ الصالحين » ، ثم تلا قوله تعالى ﴿ **تتجافى جنوبُهم عن المضاجع يَدعون ربَّهم خوفًا وطَمعا** ﴾ الآية . ثم قال : « ألا أخْبِرُكَ برأسِ الأمر كلِهِ وعَمودِه وذِروةِ سَنَامِه ؟ »

= (فصل) : أمر فَصلٌ ، أي فاصِلٌ قاطِعٌ ، لا رجعة فيه ، ولا مردَّ له .

(الدُّباء) : القرْعُ ، واحدها : دُبّاءة . (الحنتم) : جرارٌ خُضْرٌ كانوا يخزنون فيها الخمرَ .

(النقير) : أصلُ خشبة تُنْقَرُ ، وقيل : أصل نخلة .

(المزَفّتَ) : الوعاءُ المطليّ بالزِّفتِ من داخل ، وكذلك المُقَيّر .

أقول : وهذه أوعية حُرِّم ابتداءً الانتباذُ بها ، لأن الانتباذ بها يسرع إليه الإسكار فيختلط ثم استقر الأمر على تحريم المسكر دون النظر إلى الآنية .

(١) مسلم في الموضع السابق .

١٨٥ ـ الترمذي (٥ / ١١) ٤١ ـ كتاب الإيمان ٨ ـ باب ما جاء في حرمة الصلاة (بمعنى : شرف الصلاة وكرامتها) ، وقال : حديث حسن صحيح .

(الجُنّة) : الوقاية والستر من النار .

(شَعار الصالحين) : علامتهم . (ذِرْوَة سَنامِهِ) : أعلى موضع في الإسلام وأشرفه .

قلتُ : بلى يارسولَ الله . قال : « رأسُ الأمرِ الإسلامُ ، وعَمودُهُ الصَلاةُ ، وذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ » ثم قال : « ألا أخْبِرُكَ بِمَلاكِ ذلك كله ؟ » قلت : بلى يارسولَ الله : قال : « كُفَّ عليك هذا وأشار إلى لسانه » قلت : يانبي الله ، وإنا لمؤاخذون بما نتكلمُ به ؟ قال : « ثَكِلَتْكَ أمُّكَ يامُعاذُ ، وهل يَكُبُّ الناسَ في النار على وجوههم - أو قال (على مَناخِرِهم) - إلا حصائد ألسِنَتِهِم » .

١٨٦ - * روى الترمذي عن عليٍّ رفعه : « بعث الله يحي بن زكريا إلى بني إسرائيلَ بخمسِ كلماتٍ ، فلما بعث الله عيسى قال تعالى : ياعيسى قل ليحي بن زكريا : إمّا أن يُبلِّغَ (ما أرْسِلَ) به إلى بني أسرائيلَ وإما أنْ تُبلِّغَهم . فخرج يحي حتى صارَ إلى بني إسرائيلَ فقال : إن الله تعالى يأمُرُكم أن تَعبُدوه ولا تُشْركوا به شيئًا ، ومثلُ ذلك كَمثل رجلٍ أعتقَ رجلاً وأحسنَ إليه وأعطاه فانطلقَ وكَفَرَ نعمتَهُ ووالَى إلى غيرِه . وإن اللهَ يأمُرُكم أن تقيموا الصلاة ، ومثلُ ذلك كمثل رجلٍ أسره العدو فأرادوا قتله فقال : لا تقتلوني فإنَّ لي كَنزًا وأنا أفدي نفسي فأعطاهم كَنزَه ونَجا بنفسِه . وإنّ اللهَ يأمُرُكم أن تَصَدَّقوا ، ومثلُ ذلك كمثل رجلٍ مشى إلى عَدُوِّه وقد أَخَذَ للقتال جُنَّةً فلا يبالي من حيثُ أُتي . وإنّ اللهَ يأمُرُكم أن تقرءوا الكتابَ وَمَثَلُ ذلك كمثلِ قومٍ في حِصْنِهم صار إليهم عدوهم وقد أعدوا في كل ناحيةٍ من نواحي الحصْن قوما فليسَ يأتيهم عَدوهم من ناحية من نواحي الحِصْن إلا وبين يَدَيْهِم مَنْ يَدْرَؤهم عن الحصْن . فذلك مَثَلُ من يقرأ القرآن لا يزال في أحْصَنِ حِصْنٍ » .

١٨٧ - * روى أبو داود والنسائي عن أبي سعيد الخدري ، رفعه : « من قال رَضِيْتُ بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ رسولاً وجبت له الجنة ».

= (ملاك ذلك) : قوامه ومايتم به .

(ثَكِلَتْكَ أمك) : فقدتك . وليس المراد ظاهره وإنما هو أسلوب من أساليب العرب في الخطاب .

١٨٦ - الترمذي (٥ / ١٤٨) ٤٥ - كتاب الأمثال ٣ - باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة . وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب . وروى البزار نحوه .

١٨٧ - أبو داود (٢ / ٨٨) كتاب الصلاة - باب في الاستغفار .

والنسائي (٦ / ١٩) ٢٥ - كتاب الجهاد - ١٨ - باب درجة المجاهد في سبيل الله عز وجل .

ومسلم نحوه (٣ / ١٥٠١) ٣٢ - كتاب الإمارة - ٣١ - باب بيان ماأعده الله تعالى للمجاهد في الجنة من الدرجات .

١٨٨ - * روى النسائي عن بَهْزِ بن حكيمٍ عن أبيه عن جدّه رضي الله عنه :

قلتُ : يـانبيَّ الله ، مـا أتيتُـك حتى حَلفتُ أكثَر من عَـددِهنَّ - لأصابـع يَـديـهِ - : أنْ لا آتيك ، لا آتي دِينكَ ، وإني كنتُ امرَءًا لا أعْقِلُ شيئًـا ، إلا مـا عَلَّمني اللهُ ورسُولُـهُ وإني سألتُك بوجه الله ، بِمَ بَعثَـكَ الله إلينـا ؟ قـال: « بـالإسلام » قـال : ومـا آيـاتُ الإسلامِ ؟ قالَ : « أنْ تقولَ : أسلمتُ وجهي لله ، وتَخلَّيتُ ، وتُقيم الصلاةَ ، وتُؤتِيَ الزكاةَ » .

زادَ في أخرى [١] « كلُّ مسلمٍ على مسلمٍ مُحَرَّم . أخَـوانِ نَصيرانِ ، لايُقبَـلُ عن مُشرِكٍ بعدَ ما أسلَم عَمَلٌ ؛ أو يُفارِقَ المشركين إلى المسلمين » .

١٨٩ - * روى مسلم عن (سُفْيـانَ بنِ عبـدِ الله الثقفي) قلتُ يـارسولَ الله قـلْ لي في الإسلامِ قولاً لا أسألُ عنه أحدًا بعدَك ؟ قال : « قل آمنتُ بالله ثم اسْتَقِمْ » .

١٩٠ - * روى النسائي عن أنسٍ رفعـه : « من صلى صَلاتَنـا واستقبلَ قِبلتَنـا وأكلَ ذَبيحتنا فذلكمُ المسلمُ » .

١٩١ - * روى الترمـذي والنسـائي عن أبي هريرةَ رضي الله عنـه قـال : قـالَ رسول الله ﷺ « المسلمُ من سَلِمَ المسلمونَ من لِسـانـه ويَـدِه . والمؤمنُ : من أمِنَـهُ النـاسُ على دِمائِهم وأموالِهم » .

١٩٢ - * روى البخـارى عن عبـدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ العـاص رضي الله عنهما ، أن رسـولَ الله ﷺ قـال : « المسلِم : مَن سَلِمَ المسلمونَ من لِسـانِـه ويـدِه ، والمهـاجر مَن هَجَرَ ما نَهاهُ اللهُ عنه » .

---

١٨٨ - النسائي (٥ / ٨٣) ٢٣ - كتاب الزكاة - ٧٣ - باب من سأل بوجه الله عز وجل . وسنده حسن .

١٨٩ - مسلم (١ / ٦٥) ١ - كتاب الإيمان ١٣ - باب جامع أوصاف الإسلام .

١٩٠ - النسائي (٨ / ١٠٥) ٤٧ - كتاب الإيمان ٩ - باب صفة المسلم . والحديث سنده حسن .

١٩١ - الترمذي (٥ / ١٧) ٤١ - كتاب الإيمان ١٢ - باب ماجاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسـانـه ويـده . وقـال : هذا حديث حسن صحيح .

والنسائي (٨ / ١٠٥) ٤٧ - كتاب الإيمان ٨ - باب صفة المؤمن . وسنده قوي (م) .

١٩٢ - البخاري (١ / ٥٣) ٢ - كتاب الإيمان ٤ - باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .

وأبو داود (٣ / ٤) كتاب الجهاد - باب في الهجرة هل انقطعت .

=

إلا أنَّ النسائي [١] قال : « مَن هجر ما حرَّم الله عليه » .

وأخرجه مسلم [٢] فقال : إنَّ رجلاً سألَ النبيَّ ﷺ : أيُّ المسلمين خيْرٌ ؟ قال : « من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويدِه » .

١٩٣ ـ * روى البخاري ومسلم والنسائي عن عبدِ اللهِ بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنَّ رَجُلاً سأل النبي ﷺ ، قال : أيُّ الإسلامِ خيرٌ؟ قال : « تُطعِمُ الطعامَ وتَقْرأُ السلامَ على مَنْ عَرَفتَ ومَنْ لم تعرف » .

١٩٤ ـ * روى ابن حبان عن أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه ، أنّ رسولَ الله ﷺ قال : « المُؤمنُ مَنْ أَمِنَهُ النّاسُ ، والمسلمُ مَنْ سَلِمَ المسلمون مِنْ لِسانه ويده ، والمهاجرُ مَنْ هَجَرَ السّوء ، والذي نفسُ محمدٍ بيده ، لا يَدْخُلُ الجنةَ مَنْ لا يَأْمَنُ جارُه بوائقَهُ » .

١٩٥ ـ * روى الطبراني وأحمد بن عَمرو بن عَبَسَة قلتُ : يارسولَ الله من معك على هذا الأمر ؟ قال « حُرٌّ وعَبْدٌ » قلتُ ماالإسلامُ ؟ قال : « طيبُ الكلام وإطعامُ الطعام » قلتُ ماالإيمانُ ؟ قال « الصَبْرُ والسَّماحةُ » قلتُ أي الإسلام أفضلُ ؟ قال : « من سلم المسلمون من لسانه ويده » قلت أيُّ الايمانِ أفضلُ ؟ قال « خُلُقٌ حَسَنٌ » قلت أيُّ الصلاة أفضلُ ؟ قال : « طولُ القُنُوتِ » قلتُ أيُّ الهجرة أفضلُ ؟ قال « أن تَهْجُرَ ماكَره ربُّكَ » .

والنسائي (٨ / ١٠٥) ٤٧) ـ كتاب الإيمان ٩ ـ باب صفة المسلم .

(١) النسائي في الموضع السابق .

(٢) مسلم (١ / ٦٥) ١ ـ كتاب الإيمان ١٤ ـ باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل .

١٩٣ ـ البخاري(١ / ٥٥) ٢ ـ كتاب الإيمان ٦ ـ باب إطعام الطعام من الإسلام .

ومسلم (١ / ٦٥) ١ ـ كتاب الإيمان ١٤ ـ باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل .

والنسائي (٨ / ١٠٧) ٤٧ ـ كتاب الإيمان ١٢ ـ باب أي الإسلام خير .

١٩٤ ـ الإحسان (١ / ٣٦٤) .

(بوائقه) : غوائله وشروره .

١٩٥ ـ أحمد (٤ / ٣٨٥) .

الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٦٠) باب أي العمل أفضل وأي الدين أحب إلى الله . وقال : فيه شهر بن حوشب .

ا . هـ . قد حسن بعضهم إسناد الطبراني وأحمد .

١٩٦ ـ * روى الطبراني عن أَبي مُوسَى رَضِي الله عنه عن النبي ﷺ أنّه سُئِلَ أي الإسْلام أفْضَلُ ؟ قَال : « منْ سَلِمَ الناسُ مِنْ لِسَانِه وَيَدِهِ » قيل فأي الجِهَادِ أفْضَل ؟ قَالَ : « مَنْ عُقِرَ جَوَادُهُ وأُهْرِيْقَ دَمُه » قِيْل : فَأَيُّ الصَّلاةِ أفضلُ ؟ قَالَ : « طولُ القنُوتِ » .

١٩٧ ـ * روى النسائي عن أبي سعيدٍ وأبي هريرةَ رضي الله عنهما قالا : خَطَبَنا رسولُ الله ﷺ فقال : « والذي نفسي بيده » ـ ثلاثَ مرات ، ثم أكَبَّ ، فأكبَّ كلُّ رجلٍ منَّا يَبكي ، لا يدري : على ماذا حَلَفَ ، ثم رفع رَأْسَهُ وفي وجهه البُشْرَى ، فكانت أحبَّ إلينا من حُمْرِ النَّعَم ، قال : « مامن عبدٍ يُصَلِّي الصلواتِ الخمسَ ، ويصومُ رمضانَ ، ويُخْرِجُ الزكاةَ ، ويجتنبُ الكبائرَ السبعَ ، إلا فُتِحَتْ له أبوابُ الجنة ، وقيل له : ادخُلْ بسلام » .

١٩٨ ـ * روى النسائي عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « مَنْ أقَامَ الصلاةَ ، وآتَى الزكاةَ ، وماتَ لايشركُ بالله شيئًا ، كان حقًا على الله أن يَغْفِرَ له ، هَاجرَ أو مات في مولده » ، فقلنا : يارسولَ الله ، ألا نُخْبِرُ بها الناسَ فيستَبشِروا بها ؟ قال : « إنَّ في الجنة مِائةَ درجةٍ ، مابين كلِّ دَرَجَتين كما بين السماء والأرض ، أعَدَّها الله للمجاهدين في سبيلهِ ، ولولا أن أشُقَّ على المؤمنين ، ولا أجِدَ ما أحمِلُهم عليه ، ولا تَطيبُ أنفسهُم أن يتخلَّفوا بعدي ، ما قَعَدْتُ خَلْفَ سَريةٍ ، ولَوَدِدْتُ أني أُقْتَلُ ، ثم أحْيا ثم أُقتَلُ » .

قوله : (هاجر أو مات في مولده) محمول على الحالة التي لاتكون فيها الهجرة فريضة عينيّة أو على من لايستطيعها وهي كذلك ، والظاهر أنّ الحديث قد قيل بعد فتح مكّة حيث قال رسول الله (ﷺ) : « لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيّة » .

١٩٩ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنَّ أعرابيًا جاء إلى رسول

---

١٩٦ ـ الهيثمي في نفس الموضع والباب السابقين وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون .

١٩٧ ـ النسائي (٥ / ٨) ٢٣ ـ كتاب الزكاة ١ ـ باب وجوب الزكاة . وهو حديث حسن .

١٩٨ ـ النسائي (٦ / ٢٠) ٢٥ ـ كتاب الجهاد ١٨ ـ باب درجة المجاهد في سبيل الله عز وجل وإسناده حسن .

١٩٩ ـ البخاري (٣ / ٢٦١) ٢٤ ـ كتاب الزكاة ١ ـ باب وجوب الزكاة .

الله ﷺ ، فقالَ : يـارسولَ الله ، دُلَّني على عَمَلٍ إذا عَمِلتُـه دَخَلْتُ الجنـةَ ، قـال : « تَعبُـدُ اللهَ ، ولا تُشرِكُ بـه شيئًـا ، وتقيمُ الصلاةَ المكتـوبـةَ ، وتُـؤدِّي الـزكاةَ المفروضـةَ ، وتصومُ رمضانَ » ، قال : والذي نفسي بيده لا أزيدُ على هذا شيئًا ، ولا أنقصُ منه ، فلما ولّي قـال النبيُّ ﷺ : « مَنْ سَرَّه أن ينظُرَ إلى رجـل من أهـل الجنـة ، فلْيَنْظُرْ إلى هذا » .

٢٠٠ - * روى مسلم عن جابرٍ رضي اللهُ عنه ، قال : قـالَ النعْمَـانُ بن قَوْقَل : يـارَسُولَ اللهِ أَرَأَيْت إذَا صَلَّيْتُ المَكْتُـوبَـةَ ، وحَرَّمْتُ الحَرَامَ ، وأحْلَلْتُ الحَـلالَ ، وَلَمْ أزِدْ عَلَىَ ذَلِـكَ شَيْئًا ، أَدْخُلُ الجَنَّةَ ؟ فَقَالَ النبيُّ ﷺ : « نَعَم » .

وفي روايـة (١) : أنَّ رجـلاً سـأل النبيَّ ﷺ فقـال : أرأيتَ إذا صليتُ المكتـوبـةَ وصمتُ رمضانَ ، وأحْلَلْتُ الحلالَ ، وحرَّمْتُ الحرامَ ، ولم أزِدْ على ذلـك شيئًـا ، أدْخَلُ الجنـةَ ؟ قـال « نعَمْ » ، قال : والله لا أَزيدُ على ذلك شيئًا .

٢٠١ - * روى الترمـذي عن معـاذِ بن جبلٍ رضي الله عنـه ، أن رسـولَ الله ﷺ قـال : « من صامَ رمضـانَ ، وصلَّى الصلواتِ ، وحجَّ البيتَ » - لا أدري أذكَرَ الزكاةَ أم لا - « كان حَقًّا على الله أن يَغْفِرَ له ، إن هـاجر في سبيل الله ، أو مَكَثَ بـأرضِـهِ التي وُلـد فيهـا » قـال معـاذ : ألا أُخْبِرُ بهـا النـاسَ ؟ فقـال رسـولُ الله ﷺ : « ذَرِ النـاسَ يعملون ، فـإن في الجنـة مـائـةَ درجـة ، مـابين كلِّ درجتَين كما بين السماء والأرض ، والفردوسُ أعلى الجنـة وأوسطُهـا ، وفـوق ذلـك عرشُ الرحمن ، ومنهـا تفجَّرُ أنهارُ الجنة ، فإذا سألتم الله ، فاسألوه الفردوسَ » .

مسلم (١ / ٤٤) ١ - كتاب الإيمان - ٤ - باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة .

٢٠٠ - مسلم (١ / ٤٤) ١ - كتاب الإيمان ٤ - باب بيان الإيمان الـذي يـدخل بـه الجنة وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة .

(١) نفس الكتاب والباب السابقين .

٢٠١ - الترمـذي (٤ / ٦٧٥) ٣٩ - كتـاب صفـة الجنـة ٤ - بـاب مـا جـاء في صفـة درجـات الجنـة وهـو حـديث حسن بشواهده .

٢٠٢ - * روى البخاري ومسلم عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ، أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ فقال : أخبرني بعملٍ يُدْخِلُني الجنّةَ ، ويباعدُني من النارِ ، فقالَ القومُ : مالَهُ ؟ مالَهُ ؟ فقال النبيُّ ﷺ : « أَرَبٌ مالَهُ ؟ تَعبُدُ الله لا تُشرِك به شيئًا ، وتقيمُ الصلاةَ ، وتُؤتي الزكاةَ ، وتَصِلُ الرَّحِمَ » .

زاد في رواية (١) . فلما أدبر قال رسولُ الله ﷺ : « إنْ تَمَسَّكَ بما أمرتُهُ به دخل الجنة » .

وفي أخرى (٢) أن أعرابيًا عَرَض للنبيِّ ﷺ وهو في سفر ، فأخذ بخِطام ناقتِهِ - أو بزمامِها - ثم قال : يارسولَ الله - أو يامحمدُ - أخبرني بما يُقرِّبني من الجنة ، ويُباعدُني من النار ، قال : فكفَّ النبيُّ ﷺ ، ثم نظر في أصحابه ، ثم قال : « لقد وُفِّقَ - أو لقد هُدِيَ » - قال : « كيفَ قلتَ : ؟ » قال : فأعاد ، فقال النبيُّ ﷺ : « تَعبُدُ الله .. وذكر الحديث ، وقال في آخره : دَعِ الناقةَ » .

٢٠٣ - * روى الطبراني عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ قال سألتُ رسول الله ﷺ فقلت يارسولُ الله أيّ الأعمال أفضلُ ؟ قال : « الصلاةُ على ميقاتِها » قلت ثم ماذا يارسولَ الله ؟ قال : « أن يَسلَمَ الناسُ من لسانِك » .

٢٠٤ - * روى أحمد عن ابنِ مسعود رفعه : « إن الله عز وجل قَسَمَ بينكم أخلاقَكم كما قَسَمَ بينكم أرزاقكم ، وإن الله يُعطي الدنيا من يُحبُّ ومن لا يحبُّ ولا يعُطي الدينَ إلا من أحبَّ فمن أعطاه الدينَ فقد أحبَّه . والذي نفسي بيده لا يُسلِمُ عَبدٌ

---

٢٠٢ - البخاري (٣ / ٢٦١) ٢٤ - كتاب الزكاة ١ - باب وجوب الزكاة .

مسلم (١ / ٤٢) ١ - كتاب الإيمان ٤ - باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة .

(١) مسلم : الموضع السابق .

(٢) مسلم : الموضع السابق .

أَرَبٌ مالَهُ : أي حاجةٌ مالَهُ ، وفي أرب عدةُ رواياتٍ .

٢٠٣ - الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٣٠١) .

وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عمرو بن عبد الله النخعي وهو ثقة .

٢٠٤ - أحمد (١ / ٢٨٧) .

حتى يُسْلِمَ قلبُه ولسانُـه ، ولا يؤمنُ حتى يـأمنَ جـارهُ بَوائِقَـه » قلت ومـا بَوائِقُـه يـارسـولَ الله ! قـال : « غَشْمُـهُ وظُلْمُـهُ ، ولا يَكْسِبُ مـالا من حرام فينفـق منـه فيُبارَكُ له فيه ولا يَتَصَدَّق به فَيُقبَلُ منه ولا يَترُكُه خَلْفَ ظهره إلا كان زَادَه إلى النار . إن الله لا يَمحُو السيءَ بـالسيء ولكنـه يَمحو السيءَ بـالحَسَنِ ، إن الخبيثَ لا يمحو الخبيث » .

من هذا الحديث وأمثاله أخذ فقهاء الحنفيّة أن من كان عنـده مـال حرام فلينفقـه بنيّة التخلّص منه ، فإذا نوى أن يتصدق فيه فـإنـه بـذلـك يكفر لأنّ من المعلومـات من الـدين بالضرورة أنّ الله طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا ، والحرام ليس بطيب ، انظر الهدية العلائية .

٢٠٥ ـ * روى البخاري ومسلم عن عُبادةَ بنِ الصَّامتِ رضي الله عنـه ، قـال : كُنّـا مَعَ رسـولِ الله ﷺ في مجلس ، فقـال : « تُبـايعـوني على ألا تُشركُـوا بـالله شيئًـا ، ولا تَسْرِقوا ، ولا تَزْنُوا ، ولا تقتُلوا النَّفْسَ الَّتي حرَّمَ الله إلا بالحقِّ » .

وفي روايـة (١) « ولا تَقتُلـوا أولادكم ، ولا تـأتـوا ببهتـانٍ تَفترونـه بين أيـديكم وأرجُلِكم ، ولا تَعصوني في معروفٍ ، فمنْ وفَّى منكم فـأجرُهُ على الله ، ومنْ أصـابَ شيئًا من ذلك فعوقِب به في الدنيا فهو كفّارةٌ له وطُهْرٌ ، ومَن أصـاب شيئًـا من ذلك فَستَرَهُ الله عليه ، فأمْرُهُ إلى الله ، إن شـاءَ عفـا عنـه ، وإن شـاءَ عَـذبَـهُ » . قال : فبايَعناهُ على ذلك .

٢٠٦ ـ * روى البخاري ومسلم عن عبادةَ بنِ الصامتِ رضي الله عنه قال : بايَعْنـا رسولَ الله ﷺ على السّمْع والطاعَةِ ، في العُسْر واليُسر ، والمَنْشَطِ ، والمَكْرَه وعلى أثَرَةٍ علينا ، وعلى

= (البوائق) : جمع بائقة ، وهي الداهية . والبوائق : الظلم والغَشْمُ . وقال الكسائي : الغوائل والشرور .
(الغَشْمُ) : الظُّلْمُ .

٢٠٥ ـ البخاري (١٣ / ٢٠٣) ٩٣ ـ كتاب الأحكام ٤٩ ـ باب بيعة النساء .
مسلم (٣ / ١٣٣٣) ٢٩ ـ كتاب الحدود ١٠ ـ باب الحدود كفارات لأهلها .
(١) البخاري : الموضع السابق .

٢٠٦ ـ البخاري (١٣ / ١٩٢) ٩٣ ـ كتاب الأحكام ٤٣ ـ باب كيف يبايع الإمام الناس . =

ألا نُنازِعَ الأمرَ أهْلَهُ ، وعلى أن نقولَ بالحق أينما كُنَّا ، لا نَخافُ في الله لَومَةَ لائم .

وفي رواية (1) بمعناه ، وفيه « ولا نُنازع الأمرَ أهلَه » .

قال : « إلا أنْ تَرَوْا كُفرًا بَواحاً ، عندكم فيه من الله برهان » .

٢٠٧ - * روى مالك والنسائي والترمذي عن أُمَيْمَةَ بنتِ رُقَيْقَةَ رضي الله عنها قالت : أتيتُ رسولَ الله ﷺ في نِسْوةٍ من الأنصار ، نبايعُه على الإسلام ، فقلنا : نُبايعُك على ألا نُشْرِكَ بالله شيئًا ، ولا نسرِقَ ، ولا نَزْنِيَ ، ولا نقْتُل أولادنا ، ولا نأتِي بِبُهْتانٍ نفتريه بينَ أيدينا وأرْجُلِنَا ، ولا نَعصِيَكَ في معروفٍ ، فقال رسولُ الله ﷺ : « فيما استطعْتُنَّ وأطَقْتُنَّ » . فقلنا : اللهُ ورسولُه أرحَمُ بنا منَّا بأنفُسِنا ؛ هَلُمَّ نُبايعكَ يارسولَ الله ، فقال : « إني لا أُصافِحُ النساءَ ، إنما قَولي لمائة امرأة كقولي لامْرأةٍ واحدَةٍ » .

٢٠٨ - * روى مسلم عن عَوْفِ بن مَالِكٍ الأشْجَعِيِّ ، قَالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ تِسْعَةً أوْ ثَمانِيَةً أوْ سَبْعَةً . فَقَالَ : « ألاتُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ ؟ » وَكُنَّا حَدِيثِي عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ . فقُلْنَا : قَدْ بَايَعْنَاكَ يَارَسُولَ اللهِ ! ثُمَّ قَالَ : « ألا تُبَايِعُونَ رسُول اللهِ ؟ » فَقُلْنَا : قَدْ بَايَعْنَاكَ يَارَسُولَ اللهِ ! ثُمَّ قَالَ : « ألا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ ؟ » قَالَ : فَبَسَطْنَا أيْدِيَنَا

= ومسلم (٣ / ١٤٧٠) ٣٣ - كتاب الإمارة ٨ - باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية . حديث ٤١ .

ومالك (٢ / ٤٤٥) ٢١ - كتاب الجهاد ١ - باب الترغيب في الجهاد .

والنسائي (٧ / ١٣٧) ٣٩ - كتاب البيعة ١ - باب البيعة على السمع والطاعة .

(1) النسائي الموضع السابق .

(المَنْشَط) : الأمر الذي تَنشط له ، وتخف إليه ، وتُؤثِر فعلَهُ .

(المَكْره) : الأمر الذي تكرهُه ، وتَتثاقل عنه .

(الأثَرَةُ) : الاستئثارُ بالشيء ، والانفرادُ به ، والمرادُ في الحديث : إنْ مُنِعْنَا حقَّنا من الغنائم والفيء ، وأُعطِي غيرنا ، نَصْبِرْ على ذلك .

(كُفراً بَواحاً) : الكُفْرُ البواح : الجهار .

(البرهان) : الحجّة والدليل .

٢٠٧ - مالك (٢ / ٩٨٢) ٥٥ - كتاب البيعة١ - باب ما جاء في البيعة .

النسائي (٧ / ١٤٩) ٣٩ - كتاب البيعة ١٨ - باب بيعة النساء .

الترمذي (٤ / ١٥١) ٢٢ - كتاب السير عن رسول الله ﷺ ٣٧ - باب ماجاء في بيعة النساء وإسناده صحيح .

٢٠٨ - مسلم (٢ / ٧٢١) ١٢ - كتاب الزكاة ٣٥ - باب كراهة المسألة للناس . =

وَقُلْنا : قَدْ بَايَعْنَاكَ يَارَسُولَ الله ! فَعَلامَ نُبَايِعُكَ ؟ قَالَ : « عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا الله وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا . وَالصَّلَواتِ الخَمْسِ . وَتُطِيعُوا » (وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً) « وَلا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا » فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ . فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ .

٢٠٩ - * روى الترمذي عن سليمانَ بن عَمرو بن الأحوص رَحِمَه الله ، قال : حدَّثني أبي : أنه شَهِدَ حَجَّةَ الوَداع مع رسول الله ﷺ ، فَحَمِدَ اللهَ وأثنَى عليه ، وذَكَّرَ ووعظ ، ثم قال : « أيُّ يوم أحرَمُ ؟ أيُّ يوم أحرَمُ ؟ أي يوم أحرمُ ؟ » قال : فقال الناسُ : يومُ الحج الأكبر يارسولَ الله ، قال : « فإنَّ دماءَكم وأموالَكُمْ وأعراضَكم عليكم حرامٌ كحُرمةِ يومِكم هذا ، في بلدِكم هذا ، في شهرِكم هذا ، ألا لا يَجني جانٍ إلا على نفسِه ، ولا يَجني والدٌ على ولدِه ، ولا يَجني ولَدٌ على والدِه ، ألا إنَّ المُسلم أخو المسلم ، فليسَ يَحِلُّ لمسلمٍ من أخيه شيءٌ إلا ما أحلَّ من نفسه ، ألا وإنَّ كلَّ رِبًا في الجاهلية موضوعٌ ، لكُم رُؤوسُ أموالِكم لا تَظلِمون ولا تُظْلَمون ، غيرَ ربا العبَّاس ، فإنَّه موضوعٌ كُلُّهُ ، ألا وإن كلَّ دَمٍ كان في الجاهلية موضوعٌ ، وأوَّلُ دمٍ أضَعُ من دَمِ الجاهلية : دمُ الحارث بنِ عبدِ المطلب ، وكان مُسْتَرضَعًا في بني ليث ، فقتلَتْه هُذَيلٌ ، ألا واستَوصوا بالنساء خيرًا ، فإنَّهنَّ عَوانٌ عندكم ، ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك ، إلا أنْ يأتين بفاحشَةٍ مُبيِّنةٍ ، فإن فَعَلنَ ذلك

= أبو داود (٢ / ١٢١) كتاب الزكاة - باب كراهية المسألة .

النسائي (١ / ٢٢٩) ٥ - كتاب الصلاة ٥ - باب البيعة على الصلوات الخمس .

٢٠٩ - الترمذي (٥ / ٢٧٣) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ١٠ - باب « ومن سورة التوبة » وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(الحجَّ الأكبر) : هو يوم النحر ، وقيل : يوم عرفة ، وإنما سُمي الحجَّ الأكبرَ ، لأنَّهم يُسمُّون العُمْرةَ : الحجَّ الأصغرَ .

(وأعراضكم) : الأعراض : جمع عِرْض ، وهو النفس ، وقيل : الحَسَبُ .

(لا يجني جانٍ) : الجنايةُ : الذَّنْبُ ، ومايفعله الإنسان مما يوجب عليه الجزاءَ ، إمَّا في الدنيا وإما في الآخرةِ ، فقوله ﷺ « لا يجني جانٍ إلا على نفسه » يريد : أنه لا يُطالَبُ بجنايتِهِ غيرُهُ ، من أقاربه وأباعِدِه .

(عَوَان) : جمع عانية وهي الأسيرة . والعاني : الأسير .

(الفاحشة المبيِّنة) : النشوز وسوء العشرة . والمبيِّنة : الواضحة الظاهرة . =

فاهجروهنّ في المضاجع ، واضْربوهن ضَرْبا غيرَ مُبَرِّحٍ ، فإن أطَعْنَكُم فلا تَبغوا عليهن سبيلاً ، ألا وإنَّ لكم على نسائِكم حقًا ، ولنسائِكم عليكم حقًا ، فأمَّا حَقُّكُمْ على نسائِكم ، فلا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَن تَكْرَهون ، ولا يأذَنَّ في بيوتِكم لِمَنْ تكرَهونَ ، ألا وإنَّ حَقَّهُنَّ عليكم : أن تُحسِنُوا إليهنَّ في كِسْوتِهن وطَعامِهن » .

وفي رواية (١) قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول في حَجَّةِالوداعِ للناس « أيُّ يوم هذا ؟ » قالوا : يومُ الحَجِّ الأكبر ، قال : « فإن دماءَكم وأموالَكم وأعراضَكُم بيْنَكُمْ حرامٌ كحُرمةِ يومكم هذا ، ألا لا يجني جانٍ على ولده ، ولا مولودٌ على والده ، ألا وإن الشيطان قد أَيِس أن يُعْبَد في بلدكم هذا أبداً ، ولكن سيكونُ له طاعةٌ فيما تحتقرون مِنْ أعمالِكُمْ ، فسيَرضى به » .

(فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذنّ في بيوتكم لمن تكرهون) .

المراد بذلك ماذكره صاحب دليل الفالحين :

لا يأذنّ لأحد تكرهونه في دخول بيوتكم والجلوس في منازلكم سواء كان المأذون له رجلاً أجنبيا أو امرأة أو أحد محارم الزوجة ، فالنهي يتناول جميع ذلك . قلت : ولذا عقب بقوله (ولا يأذنَّ في بيوتكم لمن تكرهون) أي تكرهون دخوله لمنزلكم من أنثى وذكر وهذا حكم المسألة عند الفقهاء أنه لا يحلّ لها أن تأذن لرجل ولا امرأة لا مَحْرَم ولا غيره في دخول منزل الزوج إلا من علمت أو ظنت أن الزوج لا يكرهه ، لأن الأصل تحريم دخول منزل الإنسان حتى يوجد الإذن منه في ذلك أو ممن أذن له في الإذن في ذلك أو عرف رضاه به باطراد العرف بذلك ونحوه ، ومتى حصل الشك في الرضا ولم يترجح شيء ولا وجدت قرينة لا يحلّ الدخول ولا الإذن » ا.هـ .

٢١٠ - * روى البخاري ومسلم عن أبي بَكْرَةَ رضي الله عنه ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « إنَّ

= (الضرب المبرّح) : الشّاقّ الشديد .

(١) الترمذي (٤ / ٤٦١) ٣٤ - كتاب الفتن ٢ - باب ماجاء دماؤكم وأموالكم عليكم حرامٌ وقال : هذا حديث حسن صحيح .

٢١٠ - البخاري (١٠ / ٧) ٧٣ - كتاب الأضاحي ٥ - باب من قال : الأضحى يوم النحر . =

الزَّمانَ قد استدار كهيأته يومَ خلقَ اللهُ السموات والأرضَ ، السَّنةُ اثنا عَشَرَ شهرًا منها : أربعةٌ حُرُمٌ ، ثلاثةٌ متواليات : ذو القَعدة ، وذو الحِجَّةِ والمحرَّمُ ، ورجَبُ مُضَرَ الذي بين جُمادى وشعبانَ ، أيُّ شهر هذا؟ » قُلنا : الله ورسولُه أعلمُ ، فَسكت حتى ظنَنَّا أنَّه سيُسَمِّيه بغير اسمه ، فقال : « أليس ذا الحِجة ؟ » : قلنا . بلى ؛ قال : « أيُّ بلد هذا ؟ » قلنا : الله ورسولُه أعلمُ ، فَسكَت حتى ظننّا أنّه سَيُسمِّيه بغير اسمه ، قال : « أليس البلدَةَ الحرامَ » قلنا : بلى ، قال : « فأيُّ يومٍ هذا ؟ » قلنا : الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : « أليس يومَ النَّحرِ؟ » قلنا : بلى، قال : « فإن دِماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم عليكم حَرامٌ ، كحُرمَةِ يومِكم هذا ، في بَلَدِكم هذا ، في شهركم هذا ، وستلْقَون ربَّكم فيسألكُم عن أعْمَالِكم ، ألا فلا ترجعوا بعدي كُفّارًا ، يَضْرِب بعضُكُم رقابَ بعضٍ ، ألا لِيُبَلِّغِ الشاهدُ الغائبَ ، فلعلَّ بعضَ مَنْ يبْلُغُهُ أن يكون أوْعى من بعضِ من سَمِعَهُ » ثم قال : « ألا هلْ بَلَّغتُ ؟ ألا هل بلغت ؟ » قلنا : نعم ! قال : « اللَّهُمَّ اشْهَدْ » .

وفي رواية [(١)] « أنَّ النبيَّ ﷺ قَعدَ على بَعيره ، وأمسك إنسانٌ بخطامه ، أو بزمامه ، فقال : « أيُّ شهر هذا ؟ » - وذكرَ نحوه مختصرًا -.

وزاد مسلم في رواية [(٢)] « ثُمَّ انْكَفأ إلى كبْشَيْن أمْلَحَيْنِ ، فَذبَحها ، وإلى جُزَيعَةٍ من الغَنَم فَقسَمَها بَيْنَنا » .

= مسلم (٣ / ١٣٠٥) ٢٨ - كتاب القسامة ٩ - باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال .

(١) مسلم (٣ / ١٣٠٦) - ٢٨ - كتاب القسامة ٩ - باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال .

(٢) مسلم نفس الموضع السابق .

قوله : (ثمّ انكفأ إلى كبشين أملحين فذبحها) : انكفأ : رجع ومال .

(أملحين) : الأملح من الغنم : النقي البياض ، وقيل : هو المختلط سواده وبياضه ، إلا أنّ البياض فيه أكثر .

(جزيعة من غنم) : القطعة من الغنم .

٢١١ - * روى الترمذي عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، أن رسولَ الله ﷺ قـال : « مِنْ حُسْنِ إسْلامِ المرءِ : تَرْكُهُ مالا يعنيه » .

٢١٢ - * روى البخـاري ومسلم عن عبـدِ اللهِ بنِ مسعـودٍ رضِيَ اللهُ عنـه ، قَـالَ : قَـالَ رَجُلٌ : يَارَسُولَ اللهِ ، أنؤاخَذُ بما عَمِلْنَاهُ في الجَاهِلِيَّـةِ ؟ قَـالَ : « مَنْ أَحْسَنَ في الإسْلامِ لَمْ يُؤاخَذْ بما عَمِلَ في الجَاهِلِيَّةِ ، وَمَن أَسَاءَ في الإسْلامِ أُخِذَ بالأوَّلِ والآخرِ » .

* * *

---

٢١١ - الترمذي (٤ / ٥٥٨) ٣٧ - كتاب الزهد ١١ - باب حدثنا سليمان بن عبد الجبـار البَغْدَادِيُّ . وقـال : هـذا حـديث غريب لا نعرفـه من حـديث أبي سلمـة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ إلا من هـذا الـوجـه . وأرسلـه عن علي بن الحسين .

ورواه أيضاً مالك (٢ / ٩٠٣) ٤٧ - كتاب حسن الخلق ١ - باب ماجاء في حسن الخلق .

وهو عنده مرسل عن علي بن الحسين أيضاً . وهو حديثٌ حسن وأصل عظيم من أصول الأدب .

٢١٢ - البخاري (١٢ / ٢٦٥) ٨٨ - كتاب استتابة المرتدين ١ - باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة .

مسلم (١ / ١١١) ١ - كتاب الإيمان ٥٣ - باب هل يؤاخذ بأعمال الجاهلية .

أحمد (١ / ٣٧٩) .

الفصل الثامن

في :

بعض شعب الإيمان

وفيه :

مقدمة وفقرتان

الفقرة الأولى : نصوص من الكتاب في بعض شعب الإيمان

الفقرة الثانية : نصوص من السنة في بعض شعب الإيمان



مقــدمــة

قـال تعـالى : ﴿ ألم ترَ كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبـة كشجرة طيبـة أصلُها ثـابت وفرعها في السماء * تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها ﴾ [1] .

إنّه كما أنّ الشجر المثمر يخرج ثمرهُ كلّ حين ، كذلك شجرة الإيمـان تخرج ثمـارهـا الطيبـة بشكل مستمر ، ومن ههنـا كان للإيمـان شعب ، وقـد حـدّدهـا رسـول الله ﷺ بـأنّهـا بضعـة وسبعون شعبة وفي رواية البخاري بضع وستون ورجحها بعضهم .

وانبثاق هذه الشعب عن الإيمان القلبي إنّما يكون إذا اكتمل الإيمان في القلب وأصبح نورًا خـالصًـا وكان مع ذلـك علم بهـذه الشعب ، وللوصول إلى هـذا الكـال لابـدّ من بـذل الجهـد بالأوراد وقراءة القرآن والعلم والإقبال على الله ، وكثيرون من الناس يحاولون معـالجـة الفرع ويتركون الأصل ، أمّا أهل المعرفة في الله فإنّهم يركّزون على الأصل ولا يغفلون الفرع .

إنّ دخول الإنســان في الإسلام يعني التزامـه بـالأوامر والنواهي التي وردت في الكتـاب والسنة ، والأوامر منها : الفرائض والنوافل والآداب ، والنواهي منها : المحرّمات والمكروهات وخلاف الأولى .

وما مرّ معنـا في فصل أعمـال الإسلام أمّهـات ممّـا يطـالـب بـه من دخل في الإسلام فهي الشعب الأولى للإيمان والإسلام ، ولكنّ الإيمان له بضع وسبعون شعبة ، وإقـامـة بعض هـذه الشعب يعني الكفّ عمّا يقابلها ، فكلمة التوحيد شعبة من شعب الإيمان يقابلهـا الشرك وهو منهي عنه وكثير من شعب الإيمان يقـابلهـا معـاص ، والمعـاصي منهـا مـاهو مكفّر وكبيرة ، ومنها ماهو كبيرة وليست كفرًا ، ومنها مـاهو من الصغـائر ، والصغـائر منهـا اللمم ، ومنهـا ما يعتبر الإصرار عليه والاستمرار فيه كبيرة .

إنّه بمجرّد ما يدخل الإنسان في دائرة الإيمـان عليـه أن يعمل وأن يترك ، ودائرة العمل تشمل ابتداءً شعب الإيمان ، ودائرة الترك تشمل ابتداءً المنهيات كلّها وأوّلها الكبائر .

---

(١) إبراهيم : ٢٤ ، ٢٥ .

وبعض شعب الإيمان يدخل فيها فروع كثيرة ، فحفظ اللسان يدخل فيه أكثر من عشرين فرعًا ، وحفظ الفروج يدخل فيه حفظها عن الزنا واللواط وهكذا يتوضّح حول شعب الإيمان فكرة الطاعات والمعاصي ، فالطاعات والأعمال الصالحة أثر عن الإيمان وما يقابلها أثر عن كفر أو ضلال أو فسوق .

إنّ الأعمال الصالحة تغذي الإيمان ، وكلّما قوي الإيمان انبثق عنه ثمرات ، وهكذا نجد بين شعب الإيمان والأعمال الصالحة صلة .

قال النووي : قال ابن الصلاح : وقد صُنِّفَتْ في ذلك مصنفات ومن أغزرها فوائد كتاب المنهاج لأبي عبد الله الْحليمي إمام الشافعيين ببخارى وكان من رفعاء أئمة المسلمين وحذا حذوه الحافظ أبو بكر البيهقي رحمه الله في كتابه الجليل الحفيل كتاب شعب الإيمان ا.هـ .

وقال النووي : قال القاضي عياض رحمه الله : وقد تقدم أن أصل الإيمان في اللغة التصديق ، وفي الشرع تصديق القلب واللسان ، وظواهر الشرع تطلقه على الأعمال كما وقع هنا أفضلها لا إله إلا الله وآخرها إماطة الأذى عن الطريق وقد قدمنا أن كال الإيمان بالأعمال وتمامه بالطاعات ، وأن التزام الطاعات وضم هذه الشعب من جملة التصديق ودلائل عليه ، وأنها خلق أهل التصديق ، فليست خارجة عن اسم الإيمان الشرعي ولا اللغوي ، وقد نبه ﷺ على أن أفضلها التوحيد المتعين على كل أحد ، والذي لا يصح شيء من الشعب إلا بعد صحته وأدناها ما يتوقع ضرره بالمسلمين من إماطة الأذى عن طريقهم ، وبقي بين هذين الطرفين أعداد لو تكلف المجتهد تحصيلها بغلبة الظن وشدة التتبع لأمكنه ، وقد فعل ذلك بعض من تقدم وفي الحكم بأن ذلك مراد النبي ﷺ صعوبة ، ثم إنه لايلزم معرفة أعيانها ولا يقدح جهل ذلك في الإيمان إذ أصول الإيمان وفروعه معلومة محققة ، والإيمان بأنها هذا العدد واجب في الجملة . هذا كلام القاضي رحمه الله .

وقال الإمام الحافظ أبو حاتم بن حِبان ـ بكسر الحاء ـ تتبعت معنى هذا الحديث مدة وعددت الطاعات فإذا هي تزيد على هذا العدد شيئًا كثيرًا فرجعت إلي السنن فعددت كل طاعة عدها رسول الله ﷺ من الإيمان فإذا هي تنقص عن البضع والسبعين فرجعت إلى

كتاب الله تعالى فقرأته بالتدبر وعددت كل طاعة عدها الله تعالى من الإيمان فإذا هي تنقص عن البضع والسبعين فضممت الكتاب إلى السنن وأسقطت المعاد فإذا كل شيء عده الله تعالى ونبيه ﷺ من الإيمان تسع وسبعون شعبة لا تزيد عليها ولاتنقص ، فعلمت أن مراد النبي ﷺ أن هذا العدد في الكتاب والسنن . وذكر أبو حاتم رحمه الله جميع ذلك في كتاب وصف الإيمان وشعبه ، وذكر أن رواية من روى بضع وستون شعبة أيضا صحيحة فإن العرب قد تذكر للشيء عددًا ولا تريد نفي ما سواه .

وله نظائر أوردها في كتابه منها في أحاديث الإيمان والإسلام والله تعالى أعلم ا.هـ . شرح صحيح مسلم / كتاب الإيمان .

وها نحن سنعرض شعب الإيمان في الكتاب ثم في السنة :

الفقرة الأولى : نصوص من الكتاب في بعض شعب الإيمان

ذكر الله عز وجل في القرآن شعبا كثيرة للإيمان في معارض شتّى وبمناسبات كثيرة ، ففي معرض الحديث عن البر تذكر شعب وفي معرض الكلام عن التقوى تذكر شعب ، فكلمة التقوى هي : لا إله إلا الله ، وبمناسبة الكلام عن حزبه جلّ جلاله تذكر شعب ، وبعض الشعب تذكر وهي تفصيل لشعب جامعة ، ولكي نستكمل صورة شعب الإيمان فنحن نذكر بعض ما ورد في القرآن ونعطي لكلّ شعبة نذكرها رقما متسلسلاً ، وما يتكرّر ممّا لا يعطي تفصيلاً لا نعطيه رقمًا .

قال تعالى :

١ - ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هُدًى للمتّقين ﴾ [١] .

٢ - ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ .

٣ - ﴿ ويقيمون الصلاة ﴾ .

٤ - ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ [٢] .

٥ - ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أُنزِل من قبلك ﴾ .

٦ - ﴿ وبالآخرة هم يوقنون ﴾ [٣] .

٧ - ﴿ ولكنّ البرّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبّه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ﴾ .

٨ - ﴿ والصابرين في البأساء والضرّاء وحين البأس ﴾ [٤] .

٩ - ﴿ وقالوا سمعنا وأطعنا ﴾ [٥] .

---

(١) البقرة : ٢ .
(٢) البقرة : ٣ .
(٣) البقرة : ٤ .
(٤) البقرة : ١٧٧ .
(٥) البقرة : ٢٨٥ .

١٠ - ﴿ الصابرين والصادقين ﴾ .

١١ - ﴿ والقانتين والمنفقين ﴾ .

١٢ - ﴿ والمستغفرين بالأسحار ﴾ [١] .

١٣ - ﴿ فالذين آمنوا به وعزّروه ﴾ .

١٤ - ﴿ ونصروه ﴾ .

١٥ - ﴿ واتّبعوا النور الذي أنزل معه ﴾ [٢] .

١٦ - ﴿ إنّما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ .

١٧ - ﴿ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ﴾ .

١٨ - ﴿ وعلى ربّهم يتوكّلون ﴾ [٣] .

١٩ - ﴿ إنّما يتذكّر أولوا الألباب * الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق * والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ﴾ .

٢٠ - ﴿ ويخشون ربّهم ﴾ .

٢١ - ﴿ ويخافون سوء الحساب ﴾ [٤] .

٢٢ - ﴿ والذين صبروا ابتغاء وجه ربّهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مّما رزقناهم سرّا وعلانية ويدرأون بالحسنة السيئة ﴾ [٥] .

٢٣ - ﴿ ويهدي إليه من أناب ﴾ .

٢٤ - ﴿ الذين آمنوا وتطمئنّ قلوبهم بذكر الله ﴾ [٦] .

---

(١) آل عمران : ١٧ .
(٢) الأعراف : ١٥٧ .
(٣) الأنفال : ٢ .
(٤) الرعد : ١٨ - ٢١ .
(٥) الرعد : ٢٢ .
(٦) الرعد : ٢٧ ، ٢٨ .

٢٥ - ﴿ ذلك ومن يعظّمْ شعائر الله فإنّها من تقوى القلوب ﴾ [١] .

٢٦ - ﴿ قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ [٢] .

٢٧ - ﴿ والذين هم عن اللغو معرضون ﴾ [٣] .

٢٨ - ﴿ والذين هم للزكاة فاعلون * والذين هم لفروجهم حافظون ﴾ [٤] .

٢٩ - ﴿ إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنّهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون * والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴾ [٥] .

٣٠ - ﴿ والذين يؤتون ماآتوا وقلوبهم وجلة أنّهم إلى ربّهم راجعون ﴾ [٦] .

٣١ - ﴿ إنّما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ﴾ [٧] .

٣٢ - ﴿ إنّما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتّى يستأذنوه ﴾ [٨] .

٣٣ - ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ﴾ .

٣٤ - ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا ﴾ [٩] .

٣٥ - ﴿ والذين يبيتون لربّهم سجّدًا وقيامًا ﴾ [١٠] .

٣٦ - ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلٰها آخر﴾ .

٣٧ - ﴿ ولا يقتلون النفس التي حرّم الله إلا بالحقّ ﴾ [١١] .

---

(١) الحج : ٣٢ .
(٢) المؤمنون : ١ .
(٣) المؤمنون : ٢ .
(٤) المؤمنون : ٤ ، ٥ .
(٥) المؤمنون : ٦ ، ٧ ، ٨ .
(٦) المؤمنون : ٦٠ .
(٧) النور : ٥١ .
(٨) النور : ٦٢ .
(٩) الفرقان : ٦٣ .
(١٠) الفرقان : ٦٤ .
(١١) الفرقان : ٦٨ .

٣٨ - ﴿ والذين لا يشهدون الزّور ﴾ [١] .

٣٩ - ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين ... ﴾ [٢] .

٤٠ - ﴿ أعدّت للمتقين * الذين ينفقون في السرّاء والضرّاء والكاظمين الغيظ ﴾ .

٤١ - ﴿ والعافين عن الناس ﴾ [٣] .

٤٢ - ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ﴾ .

٤٣ - ﴿ ولم يصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾ [٤] .

٤٤ - ﴿ يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ﴾ [٥] .

٤٥ - ﴿ يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف ﴾ .

٤٦ - ﴿ وينهون عن المنكر ﴾ [٦] .

٤٧ - ﴿ إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله ﴾ .

٤٨ - ﴿ فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقّا في التوراة والإنجيل والقرآن ... ﴾ [٧] .

٤٩ - ﴿ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون ﴾ .

٥٠ - ﴿ الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله ﴾ [٨] .

٥١ - ﴿ والذين آمنوا أشدّ حبّا لله ﴾ [٩] .

٥٢ - ﴿ يحبّهم ويحبّونه أذلّة على المؤمنين ﴾ .

---

(١) الفرقان : ٧٢ .
(٢) الفرقان : ٧٤ .
(٣) آل عمران : ١٣٣ ، ١٣٤ .
(٤) آل عمران : ١٣٥ .
(٥) آل عمران : ١١٣ .
(٦) آل عمران : ١١٤ .
(٧) التوبة : ١١١ .
(٨) التوبة : ١١٢ .
(٩) البقرة : ١٦٥ .

٥٣ - ﴿ أعزّةٍ على الكافرين ﴾ .

٥٤ - ﴿ يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ [١] .

٥٥ - ﴿ .. إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا ﴾ [٢] .

٥٦ - ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل ﴾ [٣] .

٥٧ - ﴿ وقولوا للناس حسنًا ﴾ [٤] .

٥٨ - ﴿ ولا تبذّر تبذيرا ﴾ [٥] .

٥٩ - ﴿ ولاتقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ﴾ [٦] .

٦٠ - ﴿ وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴾ [٧] .

٦١ - ﴿ ولا تقف ماليس لك به علم ﴾ [٨] .

٦٢ - ﴿ ولا تمش في الأرض مرحًا ﴾ [٩] .

٦٣ - ﴿ ولا تصعّر خدّك للناس ﴾ [١٠] .

٦٤ - ﴿ واغضض من صوتك ﴾ [١١] .

٦٥ - ﴿ إنّما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكّروا بها خرّوا سجّداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون ﴾ [١٢] .

٦٦ - ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفا وطمعا ﴾ [١٣] .

---

(١) المائدة : ٥٤ .
(٢) المائدة : ٥٥ .
(٣) النساء : ٣٦ .
(٤) البقرة : ٨٣ .
(٥) الإسراء : ٢٦ .
(٦) الإسراء : ٣٤ .
(٧) الإسراء : ٣٥ .
(٨) الإسراء : ٣٦ .
(٩) الإسراء : ٣٧ .
(١٠) لقمان : ١٨ .
(١١) لقمان : ١٩ .
(١٢) السجدة : ١٥ .
(١٣) السجدة : ١٦ .

٦٧ ـ ﴿ والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات ﴾ [١] .

٦٨ ـ ﴿ إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ [٢] ﴿ إنّا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار ﴾ [٣] .

٦٩ ـ ﴿ والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش ﴾ [٤] .

٧٠ ـ ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ [٥] .

٧١ ـ ﴿ والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ﴾ [٦] .

٧٢ ـ ﴿ إنّما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ﴾ [٧] .

٧٣ ـ ﴿ إنّا كنّا قبل في أهلنا مشفقين ﴾ [٨] .

٧٤ ـ ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ [٩] .

٧٥ ـ ﴿ لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ... ﴾ [١٠].

٧٦ ـ ﴿ ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ [١١].

هذه نماذج من القرآن على شعب الإيمان ، والأمر واسع ، لأنّ بعض شعب الإيمان المأمور بها يقابلها ترك وكف ونهي ، فلو أدخلنا المأمورات وما يقابلها من المنهيّات لزادت شعب الإيمان عن البضعة والسبعين ، ومن تتبّع الأمر على ما ذكرناه تأكّد من ذلك ، وإنّما نحن هنا نعطي نماذج وإلا فقد خصّت الشعب بالتأليف وخصّ ما يقابلها من معاصٍ بالتأليف ، ولنعرض بعض ماورد في السنّة من شعب :

---

(١) الأحزاب : ٣٥ .
(٢) ص : ٨٣ .
(٣) صٓ : ٤٦ .
(٤) الشورى : ٣٧ .
(٥) الشورى : ٣٨ .
(٦) الشورى : ٣٩ .
(٧) الحجرات : ١٥ .
(٨) الطور : ٢٦ .
(٩) المجادلة : ١١ .
(١٠) المجادلة : ٢٢ .
(١١) المنافقون : ٨ .

الفقرة الثانية : نصوص في بعض شعب الإيمان في السنة

٢١٣ - * روى الجماعة إلا مالكا عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « الإيمانُ بِضْعٌ وسبعون شُعبة » .

وفي رواية : « بِضْعٌ وستون ، والحياءُ شُعْبَةٌ من الإيمانِ » .

زاد في رواية : « وأفضلُها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها : إماطةُ الأذى عن الطريق » .

٢١٤ - * روى الطبراني عن عَلْقَمَةَ ، قالَ : قال عبد الله : الصَّبْرُ نصفُ الإيمان واليقينُ الإيمانُ كلُّه .

٢١٥ - * روى أحمد عن أنس ، رفعه « لا إيمانَ لمن لا أمانةَ له ولا دينَ لمن لا عهدَ له » .

---

٢١٣ - البخاري (١ / ٥١) ٢ - كتاب الإيمان ٣ - باب أمور الإيمان .

ومسلم (١ / ٦٣) ١ - كتاب الإيمان ١٢ - باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها ... إلخ .

وأبو داود (٤ / ٢١٩) كتاب السنة - باب في رد الإرجاء .

والترمذي (٥ / ١٠) ٤١ - كتاب الإيمان ٦ - باب ماجاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه .

والنسائي (٨ / ١١٠) ٤٧ - كتاب الإيمان ١٦ - باب ذكر شعب الإيمان .

وابن ماجه (١ / ٢٢) المقدمة ٩ - باب في الإيمان .

(بضع) : البِضْعُ : القطعةُ من الشيء ، وهو في العدد مابين الثلاث إلى التسع ، لأنه قطعة من العدد .

(الحياء من الإيمان) : جعل الحياءَ - وهو غريزةٌ - من الإيمان ، وهو اكتسابٌ ، لأن المستحيي ينقطع باستحيائه عن المعاصي ، وإن لم يكن له تَقِيَّةٌ ، فصار كالإيمان الذي يقطع بينها وبينه ، وإنما جعله بعضاً من الإيمان ، لأنَّ الإيمان بمجموعه ينقسم إلى ائتمار بما أمر الله به ، وانتهاءٍ عما نهى الله عنه ، فإذا حصل الانتهاء بالحياء كان بعضَه .

(الشُّعبة) : الطائفة من كل شيء ، والقطعة منه .

(إماطة الأذى) : أماطَ الشيْءَ : إذا أزاله عنه ، وأذْهَبَهُ ، والأذى في هذا الحديث ، نحو الشَّوك والحجر ومأشْبَهَهُ .

٢١٤ - المعجم الكبير (٩ / ١٠٧) .

مجمع الزوائد (١ / ٥٧) . وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح .

٢١٥ - المسند (٣ / ١٣٥ ، ١٥٤ ، ٢١٠ ، ٢٥١) .

مجمع الزوائد (١ / ٩٦) . وقال : رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط وفيه أبو هلال وثقه ابن معين وغيره وضعفه النسائي وغيره ا . هـ .

قال البغوي في شرح السنة (١ / ٧٥) : هذا حديث حسن . ا . هـ . وقال محققه شعيب الأرناؤوط : حديث جيد قوي .

٢١٦ ـ * روى مسلم عَنْ أَبي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ . والْحَمْدُ للهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ . وسُبْحَانَ اللهِ والْحَمْدُ للهِ تَمْلآنِ (أَوْ تَمْلأُ) مَابَيْنَ السَّماوَاتِ والأَرْضِ . والصَّلاةُ نُورٌ . والصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ . والصَّبْرُ ضِيَاءٌ . والْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ . فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا » .

٢١٧ ـ * روى مسلم عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءه . وَمَنْ كَرِهَ لقاء الله كره الله لِقَاءَهُ » فَقُلْتُ : يَانَبِيَّ اللهِ ! أَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ ؟ فَكُلُّنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ . فَقَالَ : « لَيْسَ كَذَلِكِ ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللهِ وَرِضْوانِهِ وَجَنّتِهِ أحبَّ لقاءَ اللهِ ، فأحبَّ الله لقاءَه ، وإن الكافر إذا بُشِّرَ بعذابِ الله وسخطه ، كره لقاءَ اللهِ وكرهَ اللهُ لقاءَه » .

---

٢١٦ ـ مسلم (١ / ٢٠٣) ٢ ـ كتاب الطهارة ١ ـ باب فضل الوضوء .

(الطهور) : قال جمهور أهل اللغة : يقال : الوضوء . والطُّهور ، بضم أولها ، إذا أريد به الفعل الذي هو المصدر ويقال : الوَضوء والطَّهور ، بفتح أولها ، إذا أريد به الماء الذي يتطهر به .

(شطر) : أصل الشطر النصف .

(الصلاة نور) : فمعناه أنها تمنع من المعاصي وتنهى عن الفحشاء والمنكر وتهدي إلى الصواب . كما أن النور يستضاء به .

(والصدقة برهان) : قال صاحب التحرير : معناه يفزع إليها كما يفزع إلى البراهين . كأن العبد إذا سئل يوم القيامة عن مصرف ماله كانت صدقاته براهين في جواب هذا السؤال ، فيقول : تصدقتُ به .

(والصبر ضياء) : فمعناه الصبر المحبوب في الشرع ، وهو الصبر على طاعة الله والصبر عن معصيته ، والصبر أيضاً على النائبات وأنواع المكاره في الدنيا . والمراد أن الصبر محمود ، ولا يزال صاحبه مستضيئا مهتديا مستمراً على الصواب .

(والقرآن حجة لك أو عليك) : معناه ظاهر . أي تنتفع به إن تلوته وعملت به وإلا فهو حجة عليك .

(كل الناس يغدو إلخ) : فمعناه كل إنسان يسعى بنفسه . فنهم من يبيعها لله بطاعته فيعتقها من العذاب . ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعها فيوبقها ، أي يهلكها .

٢١٧ ـ مسلم (٤ / ٢٠٦٥ ، ٢٠٦٦ ، ٢٠٦٧) ٤٨ ـ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفاره ـ باب من أحب لقاء الله ... إلخ .

(كره الله لقاءه) : هذا الحديث يفسر آخره أوله . ويبين المراد بباقي الأحاديث المطلقة : من أحب لقاء الله ، ومن كره لقاء الله . ومعنى الحديث أن الكراهة المعتبرة هي التي تكون عند النزع في حالة لا تقبل توبته ولا غيرها . فحينئذ يبشر كل إنسان بما هو صائر إليه وماأعدّ له ويكشف له عن ذلك . فأهل السعادة يحبون الموت ولقاء الله لينتقلوا إلى ماأعدّ لهم ، ويحب الله لقاءهم ، أي فيجزل لهم العطاء والكرامة . وأهل الشقاوة يكرهون لقاءه ، لما علموا من سوء ماينتقلون إليه ، ويكره الله لقاءهم ، أي يبعدهم عن رحمته وكرامته ، ولا يريد ذلك بهم وهذا معنى كراهته سبحانه لقاءهم .

٢١٨ - * روى مسلم عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْـدِ الْمُطَّلِبِ ؛ أَنَّـهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ « ذاقَ طَعْمَ الإيمَانِ ، مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا وَبِالإسْلامِ دِينًا وبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً » .

٢١٩ - * روى البخاري ومسلم عن أبي موسى ، قال : قال رسول الله ﷺ « المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يَشُدُّ بعضُه بعضاً » .

٢٢٠ - * روى الترمذي عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يؤمنُ عبدٌ حتى يؤمنَ بأربعٍ حتى يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسولُ اللهِ بعثني بالحقِّ وحتى يؤمِن بالبعث بعد الموتِ وحتى يؤمنَ بالقَدَرِ » .

٢٢١ - * روى البخاري ومسلم عن أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه ، قال : سَمِعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يؤمِنُ أحدُكم ، حتَّى أكونَ أحبَّ إليه مِنْ والده وولَده والنَّاسِ أجمعين » .

٢٢٢ - *روى مسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « مِن أشدِّ أُمَّتي لي حُباً نَاسٌ يكونون بَعدِي يَوَدُّ أحدُهم لو رآني بأهله وماله » .

٢٢٣ - * روى البخاري عن عمار ، قال : ثلاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فقدْ جَمَعَ الإيمانَ :

---

٢١٨ - مسلم (١ / ٦٢) ١ - كتاب الإيمان ١١ - باب الدليل على أن من رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً ... إلخ .

٢١٩ - البخاري (١ / ٥٦٥) ٨ - كتاب الصلاة ٨٨ - باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره .
ومسلم (٤ / ١٩٩٩) ٤٥ - كتاب البر والصلة والآداب ١٧ - باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم .
وأحمد (٤ / ٤٠٤ ، ٤٠٥) .
والترمذي (٤ / ٣٢٥) ٢٨ - كتاب البر والصلة ١٨ - باب ماجاء في شفقة المسلم على المسلم .

٢٢٠ - الترمذي (٤ / ٤٥٢) . وإسناده صحيح .
وأخرجه ابن ماجه (١ / ٣٢) المقدمة ١٠ - باب في القدر .
والحاكم (١ / ٣٢ ، ٣٣) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين . ووافقه الذهبي .

٢٢١ - البخاري (١ / ٥٨) ٢ - كتاب الإيمان ٨ - باب حب الرسول ﷺ من الإيمان .
ومسلم (١ / ٦٧) ١ - كتاب الإيمان ١٦ - باب وجوب محبة رسول الله ﷺ ... إلخ .
والنسائي (٨ / ١١٤) ٤٧ - كتاب الإيمان ١٩ - باب علامة الإيمان .

٢٢٢ - مسلم (٤ / ٢١٧٨) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٤ - باب فيمن يود رؤية النبي ﷺ بأهله وماله .

٢٢٣ - البخاري (١ / ٨٢) ٢ - كتاب الإيمان ٢٠ - باب إفشاء السلام من الإسلام .
وأخرجه البغوي في شرح السنة (١ / ٥٢) .

الإنصافُ مِنْ نَفْسِكَ ، وَبَذْلُ السَّلامِ لِلْعَالَمِ ، وَالإنْفاقُ مِنَ الإقْتارِ .

أخرجه البخاري تعليقاً عن عمار بصيغة الجزم فهو صحيح النسبة له ، ومثله لا يقال من جهة السمع فإذا ماااجتمع إلى ذلك رواية البزار التي ترفعه لرسول الله ﷺ فذلك يجعله حديثاً صحيحاً .

٢٢٤ ـ * روى الترمذي عن أبي سعيدٍ الخدْري رضي الله عنه ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « إذا رأيتم الرجل يَعتادُ المسجدَ ، فاشْهَدُوا لَهُ بالإيمان ، فإنَّ الله عز وجل يقول : ﴿ إنَّما يَعْمُرُ مساجد اللهِ مَنْ آمنَ بالله واليوم الآخر ... ﴾ الآية [التوبة : ١٧].

٢٢٥ ـ * روى البخاري ومسلم عن النعمان بن بشيرٍ رضي الله عنهما ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « مَثَلُ المؤمنين في تَوَادِّهم وتراحُمِهم وتعاطُفِهم : مثلُ الجسدِ ، إذا اشتكَى منه عُضْوٌ : تَدَاعَى له سائرُ الجسد بالسَّهرِ والحُمَّى » .

وفي رواية [١] : « المؤمنون كَرجلٍ واحدٍ ، إذا اشتكى رأسه تداعى له سائرُ الجسدِ بالسهر والحُمى » .

ولمسلم [٢] : « المسلمون كرجلٍ واحد ، إن اشتكى عينُه اشتكى كُلُّه وإن اشتكَى رأسُه اشتكى كُلُّه » .

= والبزار ـ كشف الأستار (١ / ٢٥) .

مجمع الزوائد (١ / ٥٦ ، ٥٧) . وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح إلا أن شيخ البزار لم أر من ذكره وهو الحسن بن عبد الله الكوفي . وقال : رواه الطبراني في الكبير وفيه القاسم أبو عبد الرحمن وهو ضعيف .

٢٢٤ ـ الترمذي (٥ / ٢٧٧) ٤٨ ـ كتاب تفسير القرآن ١٠ ـ باب ومن سورة التوبة . وقال : هذا حديث حسن غريب .

(١) ورواه أحمد (٣ / ٦٨ ، ٧٦) .

(٢) وابن ماجه (٢ / ٢٦٣) .

٢٢٥ ـ البخاري (١٠ / ٤٣٨) ٧٨ ـ كتاب الأدب ٢٧ ـ باب رحمة الناس والبهائم .

ومسلم (٤ / ١٩٩٩ ، ٢٠٠٠) ٤٥ ـ كتاب البر والصلة والآداب ١٧ ـ باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم .

(١) مسلم (الموضع السابق) .

(٢) مسلم (الموضع السابق) .

(تَداعَى له) : تداعى البناء : إذا تَبِعَ بعضهُ بعضاً في الانهدام ، كأن أجزاءه قد دَعَا بعضها بعضاً .

٢٢٦ ـ * روى أبو داود عن أوسِ بن أوسٍ رضي الله عنه : قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ من أَفضلِ أيامكم يومَ الجُمعةِ ، فيه خُلِقَ آدمُ ، وفيه قُبِضَ ، وفيه النَّفْخَةُ ، وفيه الصَّعْقَةُ ، فأكثِروا عليَّ من الصلاة فيه فإن صلاتَكم مَعْرُوضَةٌ عليَّ » فقالوا : يا رسولَ الله ، وكيف تُعرضُ صلاتُنا عليك وقد أَرِمْتَ ؟ ـ قال : يقولون : بليت ـ [قال] : « إن الله حرَّم على الأرضِ أن تأكلَ أجسادَ الأنبياء » .

٢٢٧ ـ * روى الإمام أحمد عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يَستقيمُ إيمانُ عَبْدٍ حتى يَستقيمَ قَلْبُهُ ولا يَستقيمُ قَلْبُهُ حتى يَستقيمَ لِسانُهُ ولا يَدْخُلُ رَجُلٌ الجنةَ لا يأْمَنُ جارُهُ بَوائِقَهُ » .

٢٢٨ ـ * روى مسلم عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لا يأْمَنُ جَارُهُ بَوائِقَهُ » .

٢٢٩ ـ * روى مسلم عن أبي هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ كَانَ يُؤمِنُ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ . وَمَنْ كَانَ يُؤمِنُ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَه ومَنْ كَانِ يؤمِن باللهِ والْيومِ الآخِرِ فَلْيُكرِمْ ضَيْفَهُ » .

٢٣٠ ـ * روى البخاري ومسلم عن أَنس بْنِ مَالِكٍ ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ : « لاَ يؤْمِنُ أَحدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخيهِ » (أَوْ قَالَ لِجَارِهِ) « مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » .

---

٢٢٦ ـ أبو داود (١ / ٢٧٥) كتاب الصلاة ـ باب تفريع أبواب الجمعة .

والنسائي (٣ / ٩١) ١٤ ـ كتاب الجمعة ٥ ـ إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة .

والحديث إسناده صحيح .

(الصعقة) : الغشي والموت .

(أرمَّ الميتُ) : ورمَّ : إذا بلي ، والرمّة : العظم البالي ، والفعل الماضي منه للمتكلم ، أرمْتَ : بإظهار التضعيف .

٢٢٧ ـ مسند أحمد (٣ / ١٩٨) .

٢٢٨ ـ مسلم (١ / ٦٨) ١ ـ كتاب الإيمان ٨ ـ باب تحريم إيذاء الجار .

٢٢٩ ـ مسلم (١ / ٦٨) ١ ـ كتاب الإيمان ٩ ـ باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت ...إلخ .

٢٣٠ ـ البخاري (١ / ٥٦) ٢ ـ كتاب الإيمان ٧ ـ باب من الإيمان أن يحب لأخيه مايحب لنفسه .

ومسلم (١ / ٦٧) ١ ـ كتاب الإيمان ١٧ ـ باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ... إلخ .

والترمذي (٤ / ٦٦٧) ٣٨ ـ كتاب صفة القيامة ٥٩ ـ باب حدثنا بشر بن هلال ... إلخ .

والنسائي (٨ / ١١٤) ٤٧ ـ كتاب الإيمان ١٩ ـ باب علامة الإيمان .

٢٣١ ـ * روى الترمذي عن عبدِ الله بن مسعودٍ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس المؤمنُ بالطَّعَّانِ ولا باللَّعَّانِ ولا الفاحِشِ البَذِيء » .

٢٣٢ ـ * روى مسلم عن طارقِ بن شهابٍ ، قَالَ : أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ بِالْخُطْبَةِ ، يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلاةِ ، مَرْوَانُ . فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ . فَقَالَ : الصَّلاةُ قَبْلَ الْخُطْبَةِ فَقَالَ : قَدْ تُرِكَ مَا هُنَالِكَ . فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ : أَمَّا هذَا فَقَدْ قَضى مَا عَلَيْهِ . سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ رَأى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ . فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ . فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ . وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ » .

٢٣٣ ـ * روى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ « مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي ، إِلا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ . ثُمَّ إِنَّها تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ . يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ . فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ . وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مؤْمِنٌ . وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ . وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ » .

٢٣٤ ـ * روى البخاري ومسلم عن عديٍّ بن ثابت قال : سمعت البراءَ بن عازبٍ قال :

---

٢٣١ ـ الترمذي (٤ / ٣٥٠) ٢٨ ـ كتاب البر والصلة ٤٨ ـ باب ماجاء في اللعنة .

وقال : هذا حديث حسن غريب ، وقد روي عن عبد الله من غير هذا الوجه .

(الطعان) : الذي يطعن في أعراض الناس .

(اللعان) : كثير الشَّتْم والسبِّ .

(الفاحش) : ذو الفحش في كلامه وفعاله .

(البذيء) : الفاحش في القول .

٢٣٢ ـ مسلم (١ / ٦٩) ١ ـ كتاب الإيمان ٢٠ ـ باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ...إلخ .

٢٣٣ ـ مسلم (١ / ٧٠) الكتاب والباب السابقان .

(الحَوَارِيُّون) : جمع حواري وهم الخاصة والأصحاب والناصرون .

(الخُلوف) : جمع خَلْف : وهو القرن من الناس .

وقد جرت العادة أن تطلق كلمة خَلْف على من يخلف غيره بسوء .

وبعضهم يقول : خَلَف صدقٍ بالتحريك ويسكن الآخر في السوء للتفريق .

وبعضهم جعلها سواء في التحريك والتسكين .

٢٣٤ ـ البخاري (٧ / ١١٣) ٦٣ ـ كتاب مناقب الأنصار ٤ ـ باب حب الأنصار من الإيمان .

قال رسُول اللهِ ﷺ « لا يُحِبُّ الأَنصارَ إلا مؤمنٌ ولا يُبْغِضُهم إلا مُنافقٌ من أحبهم أحبَّه الله ومن أبغضهم أبغضَه الله » .

٢٣٥ - * روى مسلم عن أبي هُرَيْرَة ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال : « لاَ يُبْغِضُ الأَنْصَارَ رَجُلٌ يؤْمِنُ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ » .

٢٣٦ - * روى مسلم عن أبي هُرَيْرةَ ، قَالَ : قال رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى تُؤمِنُوا ، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تحَابُّوا . أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ » .

٢٣٧ - * روى مسلم عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ « إِذَا أَدَّى الْعَبْدُ حَقَّ اللهِ وَحَقَّ مَوَاليه كَانَ لَهُ أَجْرَانِ » قَالَ : فَحدَّثْتُها كعبًا . فَقَالَ كَعْبٌ : لَيسَ عَلَيْهِ حِسابٌ . وَلاَ عَلَى مُؤمِن مُزْهِد .

٢٣٨ - * روى البخاري عن أبي موسى ، عن النبي ﷺ قال : « الـمُؤْمِنُ الذي يَقرأُ القرآنَ ويَعْمَلُ به كالأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وريحها طَيِّب . والمؤمنُ الذي لايَقْرأُ القرآنَ وَيَعمَلُ به كالتمرةِ طَعْمُها طيِّب ولا ريحَ لها ، ومَثَلُ المنافق الذي يقرَأُ القرآنَ كالريحانةِ رِيحُها طيبٌ وطعمها مرٌّ وَمثلُ المُنافقِ الذي لا يقرأ القرآن كالحنْظَلَةِ طَعْمُها مُرٌّ أو خبيث وريحها مرٌّ » .

٢٣٩ - *روى أحمد والبخاري ومسلم عن النعمان بن بشير يخطُبُ يقولُ : سمعتُ رسول

= مسلم (١ / ٨٥) ١ - كتاب الإيمان٣٢ - باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنهم من الإيمان ... إلخ .

٢٣٥ - مسلم (الوضع السابق) .

٢٣٦ - مسلم (١ / ٧٤) ١ - كتاب الإيمان ٢٢ - باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ... إلخ .

٢٣٧ - مسلم (٣ / ١٢٨٥) ٢٧ - كتاب الأيمان ١١ - باب ثواب العبد وأجره إذا نصح لسيده وأحسن عبادة ربه .

٢٣٨ - البخاري (٩ / ١٠٠) ٦٦ - كتاب فضائل القرآن ٣٦ - باب إثم من راءى بقراءة القرآن أو تأكل به أو فجر به .

٢٣٩ - مسند أحمد (٤ / ٢٧٠) بالسياق المذكور .

وهو عند البخاري ومسلم حديثان :

الأول أخرجه البخاري (١٠ / ٤٣٨) ٧٨ - كتاب الأدب ٢٧ - باب رحمة الناس والبهائم . =

الله ﷺ يقول : « مَثَلُ المؤمنينَ في تَوادّهِم وتَعاطُفِهم وتَراحُمِهم مثَلُ الجَسَدِ إذا اشتكى منه شيءٌ تداعى له سَائِرُ الجسدِ بالسهر والحمى » . وسمعت رسولَ الله ﷺ يَقول : « إن الحلالَ بينٌ والحرامَ بين وبينهما مُشْتَبهات لا يَعلمها كثيرٌ من الناسِ فمن اتقى الشُبُهات استبرأ فيه لدينه وعرضِه ومن واقَعها واقع الحرامَ كالراعي يَرعى حَولَ الحِمى يُوشِكُ أن يَرتَعَ فيه ألا وإن لكل مَلِكٍ حمى وإن حمى الله ماحَرَّمَ ألا وإن في الإنسان مُضْغَةً إذا صَلَحَت صَلَح الْجسدُ كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلبُ » .

٢٤٠ - * وورووا أيضًا عن أبي هريرةَ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يَسْرِقُ سارقٌ حين يَسرِقُ وهو مؤمن ولا يزني زان حين يَزني وهو مؤمن ولا يَشْرَبُ الشَّارِبُ حينَ يَشرَبُ وهو مؤمنٌ - يعني الخمر - والذي نفس محمد بيده ولا ينتهب أحدكم نُهبَة ذات شَرَف ويرفَعُ إليه المؤمنون أعيُنَهم فيها وهو حين ينتهبها مؤمن ولا يَغُلُّ أحدُكم حَين يَغُلُّ وهو مؤمن فإياكم إياكم » .

٢٤١ - * روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك قال : كان عبدُ اللهِ بنُ رواحةَ إذا لقي الرجلَ من أصحابه يقول : تعالَ نؤمنُ بربنا ساعةً فقال ذات يوم لرَجلٍ فغَضِبَ الرجلُ فجاءَ إلى النبي ﷺ فقال : يارسول الله ألا ترى إلى ابن رواحةَ يرغبُ عن إيمانك إلى إيمان ساعة فقال النبي ﷺ « يَرحَمُ اللهُ ابنَ رواحةَ إنه يُحِبُّ المَجالسَ التي تباهي بها الملائكة عليهم السلامُ » .

= ومسلم (٤ / ١٩٩٩) ٤٥ - كتاب البر والصلة والآداب ١٧ - باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم .
والثاني أخرجه البخاري (١ / ١٢٦) ٢ - كتاب الإيمان ٣٩ - باب فضل من استبرأ لدينه .
ومسلم (٣ / ١٢١٩) ٢٢ - كتاب المساقاة ٢٠ - باب أخذ الحلال وترك الشبهات .
(مُضْغَة) : قطعة لحم .

٢٤٠ - البخاري (٥ / ١١٩) ٤٦ - كتاب المظالم ٣٠ - باب النهي بغير إذن صاحبه .
مسلم (١ / ٧٦) ١ - كتاب الإيمان ٢٤ - باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ... إلخ .
أحمد (٢ / ٣١٧) .

٢٤١ - مسند أحمد (٣ / ٢٦٥) . بإسناد حسن .

٢٤٢ ـ * روى البزار عن أنس رَضِي الله عنه ، قال : قالُوا : يارَسُولَ اللهِ إنا نَكُونُ عِنْدكَ عَلَى حَالٍ ، حتى إذا فَارقنَاكَ نكُون عَلَى غَيرِهِ قال : « كَيفَ أَنتم وَنَبيُّكُم » . قَالُوا أَنْتَ نبينَا فِي السِّرِّ والعَلانِيَةِ قال : « لَيْسَ ذَاكَ النفاقَ » .

٢٤٣ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يقولون الكَرْمُ وإنما الكَرْمُ قلبُ المؤمنِ » .

أقول : المراد بالحديث أن الذي يستحق التسمية بالكرم هو قلب المؤمن وحده ، ولا يستحق ذلك شجر العنب .

٢٤٤ ـ * روى مسلم عن عبد اللهِ بن سفيانَ عن أبيه قال : يا رَسُولَ الله أخبرني أمرًا في الإسلام لا أسالُ عنه أحداً بعدك قال : « قلْ آمنتُ باللهِ ثم استقِم » قال يارسول الله : فأيُّ شيء أتقي ؟ قال : فأشار بيده إلى لسانه .

٢٤٥ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هُرَيْرةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « إنَّ اللهَ يَغَارُ وَالْمؤمِنُ يَغارُ ، وغَيْرةُ اللهِ أنْ يأتِيَ المؤمنُ مَاحرَّم عَلَيْهِ » .

٢٤٦ ـ * روى أحمد ، عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « المؤمنُ يَغارُ ، المؤمن يَغارُ ، المؤمنُ يَغارُ والله أشدُّ غَيْراً » .

---

٢٤٢ ـ كشف الأستار (١ / ٣٤) .

مجمع الزوائد (١ / ٣٤) وقال : رواه أبو يعلى والبزار إلا أن البزار قال : كيف أنتم وربكم قالوا الله ربنا في السر والعلانية . ورجال أبي يعلى رجال الصحيح .

٢٤٣ ـ البخاري (١٠ / ٥٦٦) ٧٨ ـ كتاب الأدب ١٠٢ ـ باب قول النبي ﷺ «إنما الكرم قلب المؤمن » .

ومسلم (٤ / ١٧٦٣) ٤٠ ـ كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها ٢ ـ باب كراهة تسمية العنب كرماً .

ومسند أحمد (٢ / ٢٣٩) .

٢٤٤ ـ مسلم (١ / ٦٥) ١ ـ كتاب الإيمان ١٣ ـ باب جامع أوصاف الإسلام .

مسند أحمد (٣ / ٤١٣) .

٢٤٥ ـ البخاري (٩ / ٣١٩) ٦٧ ـ كتاب النكاح ١٠٧ ـ باب الغيرة .

ومسلم (٤ / ٢١١٤) ٤٩ ـ كتاب التوبة ٦ ـ باب غيرة الله تعالى ، وتحريم الفواحش .

والترمذي (٣ / ٤٧١) ١٠ ـ كتاب الرضاع ١٤ ـ باب ماجاء في الغيرة .

٢٤٦ ـ مسند أحمد (٢ / ٢٣٥) .

وعند مسلم بنحوه في الموضع السابق .

٢٤٧ - * روى الإمام أحمد عن ابن أبي المُعلّى عن أبيه أن النبي ﷺ خَطَبَ يوماً فقال : « إن رجلاً خَيَّرَه رَبُّهُ عزَّ وجَلَّ بين أن يعيشَ في الدنيا ماشاء أن يعيشَ فيها ويأكلَ في الدنيا ماشاءَ أن يأكلَ فيها وبين لقاء ربه فاختارَ لقاءَ ربه » قال فبكى أبو بكر فقال أصحاب رسول الله ﷺ ألا تعجبون من هذا الشيخ أنْ ذكَرَ رسول الله ﷺ رجلاً صالحاً خيره ربه عز وجل بين لقاء ربه وبين الدنيا فاختار لقاء ربه وكان أبو بكر أعلَمهم بما قال رسولُ الله ﷺ فقال أبو بكر بل نفديك يارسولَ الله بأموالنا وأبنائنا فقال رسول الله ﷺ : « مامن الناس أحد أمَنَّ علينا في صحبته وذات يده من ابن أبي قحافة ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت ابن أبي قُحافَة ولكن ودٌّ وإخاء إيمان ولكن ودّ وإخاءُ إيمانٍ - مرتين - وإنَّ صَاحِبَكم خليلُ الله عز وجل » .

٢٤٨ - * روى البخاري ومسلم عن أنسٍ ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ : « ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بهن حَلاوَةَ الإِيمَان ؛ مَنْ كَانَ اللهُ ورسُولُهُ أحَبَّ إليْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وأَنْ يُحِبَّ المْرء لا يُحِبُّهُ إلا للهِ ، وأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ» .

٢٤٩ - * روى البخاري ومسلم عن ابنِ عمرَ أنَّ رسُول الله ﷺ مَرَّ برجُلٍ مِنَ الأنصارِ وهو يَعِظُ أخَاه في الحَياء فقال له رسول الله ﷺ « دَعْهُ فإنَّ الحَياءَ من الإيمانِ » .

٢٥٠ - * روى أحمد وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

---

٢٤٧ - أحمد (٣ / ٤٧٨) . واللفظ له .

وأخرجه البخاري (٧ / ٢٢٧) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار ٤٥ - باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة .

ومسلم (٤ / ١٨٥٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة ١ - باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه . كلاهما عن أبي سعيد مع مغايرة في اللفظ .

٢٤٨ - البخاري (١ / ٦٠) ٢ - كتاب الإيمان ٩ - باب حلاوة الإيمان .

مسلم (١ / ٦٦) ١ - كتاب الإيمان ١٥ - باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان .

٢٤٩ - البخاري (١ / ٧٤) ٢ - كتاب الإيمان١٦ - باب الحياء من الإيمان .

مسلم (١ / ٦٣) ١ - كتاب الإيمان - ١٢ - باب بيان عدد شعب الإيمان ...إلخ .

٢٥٠ - أحمد(٢ / ٤٧٢) .

أبو داود (٤ / ٢٢٠) كتاب السنة - باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه . مختصراً .

« أكملُ المومنين إيماناً أحسَنُهُمْ خُلُقاً وخِيارُهم خِيارُهم لِنسائهم » .

٢٥١ ـ * روى أحمد والترمذي عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ « إنَّ مِن أكمل المؤمنين إيماناً أحسَنُهُمْ خُلُقاً وألْطَفُهم بأهله » .

٢٥٢ ـ * روى البزار عن أنس رضي الله عنه ، قالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ أكْمَلَ النَّاسِ إيمَاناً أحْسَنُهم خُلُقاً وإنَّ حُسنَ الخُلُقِ لَيبْلُغ دَرجَةَ الصَّوْمِ والصَّلاةِ » .

٢٥٣ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال : « لا يُلْدَغُ المؤمن مِن جُحْرٍ واحدٍ مرَّتين » .

٢٥٤ ـ * روى أحمد ومسلم عن أبي هريرةَ قال : قال رسول الله ﷺ : « أيها الناسُ إنّ اللهَ طيبٌ لا يقبَلُ إلا طيبا وإنّ الله أمَر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : ﴿ **ياأيها الرسلُ كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم** ﴾ وقال : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم** ﴾ .

٢٥٥ ـ * روى أحمد ومسلم عن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « المؤمن يأكلُ في مِعىً واحدٍ والكافرُ يأكلُ في سبعةِ أمْعاءٍ » .

٢٥٦ ـ * روى مسلم عن أبي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَال : « مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ والْيَوْمِ

= الترمذي (٣ / ٤٦٦) ١٠ ـ كتاب الرضاع ١١ ـ باب ماجاء في حق المرأة على زوجها . وقال : حديث حسن صحيح .

٢٥١ ـ أحمد (٦ / ٤٧) .

الترمذي (٥ / ٩) ٤١ ـ كتاب الإيمان ٦ ـ باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه . وقال هذا حديث صحيح .

٢٥٢ ـ كشف الأستار (١ / ٢٧) .

مجمع الزوائد (١ / ٥٨) وقال : رواه البزار ورجاله ثقات .

٢٥٣ ـ البخاري (١٠ / ٥٢٩) ٧٨ ـ كتاب الأدب ٨٣ ـ باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .

مسلم (٤ / ٢٢٩٥) ٥٣ ـ كتاب الزهد والرقائق ١٢ ـ باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .

٢٥٤ ـ أحمد (٢ / ٣٢٨) .

مسلم (٢ / ٧٠٣) ١٢ ـ كتاب الزكاة ١٩ ـ باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها .

٢٥٥ ـ أحمد (٢ / ٢١) .

مسلم (٣ / ١٦٣١) ٣٦ ـ كتاب الأشربة ٣٤ ـ باب المؤمن يأكل في معىً واحد ... إلخ .

٢٥٦ ـ مسلم (٢ / ١٠٩١) ١٧ ـ كتاب الرضاع ١٨ ـ باب الوصية بالنساء .

الآخِرِ ، فَإِذَا شَهِدَ أَمْرًا فَلْيَتَكَلَّمْ بِخَيْرٍ أَوْ لِيَسْكُتْ . وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ . فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاهُ إِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ ، اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا» .

٢٥٧ ـ * روى أحمد ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : سمعت رسولَ الله ﷺ يقولُ : « من فارَقَ الجَماعَةَ وخرجَ من الطاعة فماتَ فميتَتُه جاهليةٌ ومن خرج على أمتي بسيفهِ يَضربُ بَرَّها وفاجرَها لا يُحَاشِي مؤمناً لإيمانه ولا يفي لذي عهد بعهده فليس مِنْ أُمتي » .

٢٥٨ ـ * روى الإمام أحمد عن الحسن ؛ قال : جاء رجل إلى الزبير بن العوَّام فقال : أقتُل لكَ عليًا ؟ قال : لا وكيف تَقْتُله ومعه الجنودُ ؟ قال : ألحق به فأفْتِك به قال : لا إن رسول الله ﷺ قال : « إن الإيمان قَيدُ الفَتْكِ لا يفتِك مُؤمنٌ » .

٢٥٩ ـ * روى الإمام أحمد وأبو داودِ والترمذي وابن ماجه عن العِرباضِ بنِ ساريةَ ، قال : وعظنا رسول الله ﷺ مَوعِظَةً ذَرَفَتْ منها العيونُ ووَجِلَتْ منها القلوبُ قلنا يارسول الله إن هذه لموعظة مودع فماذا تَعهدُ إلينا قال : « قد تركْتُكُم على البيضاء ليلُها كَنَهَارِها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك ، ومن يَعِش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً . فعليكم بما عَرفتم من سُنتي وسُنةِ الخلفاء الراشدين المهديين وعليكم بالطاعة وإن

---

٢٥٧ ـ أحمد (٢ / ٣٠٦) . واللفظ له .

مسلم (٣ / ١٤٧٦) ٣٣ ـ كتاب الإمارة ١٣ ـ باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ...إلخ .

النسائي (٧ / ١٢٣) ٣٧ ـ كتاب تحريم الدم ٢٨ ـ باب التغليظ فيمن قاتل تحت راية عمية .

٢٥٨ ـ أحمد (١ / ١٦٦) .

وأخرجه أبو داود (٣ / ٨٧) كتاب الجهاد ـ باب العدو يؤتي على غرة ويتشبه بهم . عن أبي هريرة مقتصراً على لفظ الرسول ﷺ فقط . وهو حديث حسن بشواهده .

٢٥٩ ـ أحمد (٤ / ١٢٦) .

أبو داود(٤ / ٢٠٠) كتاب السنة ـ باب في لزوم السنة .

الترمذي (٥ / ٤٤) ٤٢ ـ كتاب العلم ١٦ ـ باب ماجاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع .

ابن ماجه (١ / ١٥ ، ١٦) المقدمة ٦ ـ باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين .

وهو حديث حسن صحيح .

عبدًا حبشيًا عَضوا عليها بالنواجذ فإنما المؤمن كالجمل الأَنِفِ حيثما انقيد انقاد » .

٢٦٠ ـ * روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ المؤمنَ غِرٌّ كَريم ، وإنّ الفاجرَ خِبٌّ لئيم » .

٢٦١ ـ * روى الترمذي عن حُذَيْفَةَ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لا يَنْبَغِي لِلْمُؤمِنِ أَنْ يـذِلَّ نَفْسَـهُ » قـالُوا وَكَيْفَ يـذِلُّ نَفْسَـهُ ؟ قـالَ : « يَتَعَرضُ مِنَ البَـلاءِ لِمَـا لا يطيقُ » .

وبعد : فهذه مختارات من شعب الإيمان عطّرنا بها الكتاب ، وسيرى القارئ كثيراً من الشعب في أمكنة كثيرة من هذا الكتاب .

* * *

= (النواجذ) : الضواحك . والمراد هنا : تمسّكوا بالطاعة كا يتمسّك العاضّ بجميع أسنانه .

(الجمل الأنف) : الجمل الطائع لا يمتنع على قائده . وقيل : الأنف : الذلول .

٢٦٠ ـ أحمد (٢ / ٣٩٤) .

أبو داود (٤ / ٢٥١) كتاب الأدب ـ باب في حسن العشرة .

الترمذي (٤ / ٣٤٤) ٢٨ ـ كتاب البر والصلة ٤١ ـ باب ماجاء في البخيل . وقال : هذا حديث حسن غريب .

(غرّ) : ليس بذي نكر ولا خِدَاع .

(خب) : خَدَّاع .

(لئيم) : الدنيّ الأصل الشحيح النفس .

٢٦١ ـ الترمذي (٤ / ٥٢٣) ٣٤ ـ كتاب الفتن ٦٧ ـ باب حدثنا محمد بن بشار ... إلخ .

وقال : هذا حديث حسن غريب .

الفصل التاسع
في:
بعض الموازين التي يزن بها المؤمن إيمانه وإسلامه



مقدمة

ليس هناك همّ عند المسلم أعظم من همّه أن يكون مؤمناً مسلماً مقبولاً عند الله . وتحقيق ذلك يقتضي من المسلم أن يكون دائم التفتيش عمّا إذا كان كذلك ، ولا شيء يساعده على معرفة ما إذا كان سائراً في الطريق الصحيح من أن يَعْرِض نفسه على الموازين التي وردت في الكتاب والسنّة والتي تُحدّد صفات أهل الإيمان . من ذلك في القرآن الكريم :

﴿ إنّما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربّهم يتوكّلون * الذين يقيمون الصلاة وممّا رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقاً ﴾ (١) .

﴿ إنّما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثمّ لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ (٢) .

ومن ذلك في السنّة :

نصوص

٢٦٢ ـ * روى مسلم عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، قال : قيل لرسول الله ﷺ : أرأيْتَ الرجلَ يَعمَلُ من الخير ، ويَحْمَدُه الناسُ عليه ؟ قالَ : « تِلْكَ عاجِلُ بُشرى المؤمن » .

٢٦٣ ـ * روى ابن ماجه عن عبد الله بن مسعود قال : قال رجل للنبي ﷺ : يارسول الله كيف لي أن أعلَم إذا أحْسَنتَ وإذا أسأْتُ فَقال النبي ﷺ : « إذا سَمِعْتَ جيرانَك يقولون قد أحْسَنْتَ فقد أحْسَنْتَ ، وإذا سمعتَهم يقولون قد أسأتَ فقد أسأتَ » .

---

(١) الأنفال : ٢ ، ٣ ، ٤ .   (٢) الحجرات : ١٥ .

٢٦٢ ـ مسلم (٤ / ٢٠٣٤) ٤٥ ـ كتاب البر والصلة والآداب ٥١ ـ باب إذا أثني على الصالح فهي بشرى ولا تضره .

٢٦٣ ـ ابن ماجه (٢ / ١٤١٢) ٣٧ ـ كتاب الزهد ٢٥ ـ باب الثناء الحسن .

ورواه الإمام أحمد (١ / ٤٠٢) .

وابن حبان في صحيحه ـ موارد الظمآن (٥٠٣) باب شهادة الجيران .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٧١) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح . وهو في المعجم الكبير (١٠ / ٢٢٨) .

٢٦٤ - * روى أحمدُ عن أبي أُمامةَ ، قال رجلٌ : يـارسولَ الله مـاالإيمـانُ ؟ قـال : « إذا سَرَّتْكَ حَسَنَتُك وساءَتْك سَيِّئَتُكَ فأنتَ مؤمنٌ » .

٢٦٥ - * روى الطبراني عن أبي أُمامةَ قال : قـال رجلٌ : مـاالإثمُ يـارسول الله ؟ قـال : « ماحاك في صدْرِك فدْعه » قال : فما الإيمـان ؟ قـال : « من سَاءتْـهُ سيئتُـه وسرتـه حسنتُه فهو مؤمن » .

٢٦٦ - * روى الطبراني في الأوسط عن ابن عمرَ قـال : بعثَ رسـولُ الله ﷺ معـاذَ بنَ جبلٍ وأبا موسى إلى اليمن فقال : « تسانَدا وتطـاوَعـا وبَشِّرَا ولا تُنَفِّرَا » فَخَطَبَ النـاسَ معـاذٌ فَحثهم على الإسلام والتفقـه والقرآن وقـال أُخبرُكم بـأهل الجنـة وأهـلِ النـار ، إذا ذُكِرَ الرجلُ بخير فهو من أهل الجنةِ وإذا ذكر بشر فهو من أهل النارِ .

٢٦٧ - * روى ابن ماجه عن ابنِ عباسٍ ، قال : قـال رسولُ الله ﷺ : « أهْلُ الجَنَّـةِ مَنْ مَلأَ اللهُ أُذُنَيْه مِنْ ثَنَاء النَّاسِ خَيْراً وَهُوَ يَسْمَعُ ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنْ مَلأَ أُذُنَيْـه مِنْ ثَنَاءِ النَّاسِ شَرًّا وَهُوَ يَسْمَعُ » .

٢٦٨ - * روى البزار عن أنسٍ قال : قيل : يارسول الله مَنْ أهل الجنـة ؟ قـال : « من لا يموتُ حتى يملأَ اللهُ مَسامِعَه مما يُحبُّ » قيل فمن أهل النار ؟ قـال : « من لا يموتَ حتى يملأَ اللهُ مِسامِعَه مما يكرهُ » .

---

٢٦٤ - مسند أحمد (٥ / ٢٥٢) .

أخرجه أيضاً ابن حبان والحاكم والبيهقي والضياء في المختارة . قال الحاكم : على شرطهما وأقره الذهبي ، قال العراقي في أماليه : حديث صحيح . وقال الهيثمي : رجـال الطبراني رجـال الصحيح إلا أن فيـه يحيى بن أبي كثير مـدلس وإن كان من رجاله . ورواه أحمد أيضاً عن أبي موسى بإسناد رجاله ثقات لكن فيـه انقطـاع بلفـظ من عمِل حسنـة فسر بها ومن عمِل سيئة فـاءته فهو مؤمن .

٢٦٥ - المعجم الكبير (٨ / ١٣٧) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٩٤) . وقال : رواه الطبراني وأحمد باختصار عنه ورجال الطبراني رجال الصحيح .

٢٦٦ - مجمع الزوائد (١ / ١٦٥) . وقال رواه الطبراني في الأوسط ورجاله موثقون .

٢٦٧ - ابن ماجه (٢ / ١٤١٢) . قال محققه : في الزوائد إسناده صحيح ، رجاله ثقات .

٢٦٨ - مجمع الزوائد (١٠ / ٢٧٢) . وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير العباس بن جعفر وهو ثقة .

٢٦٩ ـ * روى البزار عن سعدِ بن أبي وقاصٍ ، قال سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ بالنباة أو بالنَّبَأ يقول : « يُوشِكُ أن تَعْرِفوا أهلَ الجنةِ من أهلِ النار » قالوا : بما يارسول الله ؟ قال : « بالثَّنَاءِ الحَسَنِ والثَّنَاءِ السَّيئ » .

٢٧٠ ـ * روى أحمد والطبراني عن عقبةَ بنِ عامرٍ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل لَيَعْجَبُ من الشاب ليستْ له صَبْوَةٌ » .

٢٧١ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « إذا أحبَّ اللهُ العبدَ نادى جبريلَ : إنَّ اللهَ يحبُّ فلاناً فأحِبُّوه ، فيُحِبُّه أهلُ السماء ، ثم يُوضَعُ له القَبولُ في الأرضِ » .

وفي رواية مسلم قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ اللهَ إذا أحبَّ عبداً دعا جبريلَ ، فقال : إني أحبُّ فلاناً فأحِبَّه ، قال : فيُحِبُّه جبريلُ ، ثم ينادي في السماء ، فيقول : إنَّ الله يحبُّ فلاناً فأحِبُّوه ، فيُحِبُّه أهلُ السماء ، ثم يوضَعُ له القَبُولُ في الأرض ، وإذ أبغض عبداً دعا جبريلَ عليه السلام ، فيقول : إني أُبْغِضُ فلاناً فأبْغِضْه ، قال : فَيُبْغِضُه جبريلُ ، ثم ينادي في أهلِ السماء : إنَّ الله يُبْغِضُ فلاناً فأبغضوه ، ثم تُوضَعُ له البغضاءُ في الأرض » .

وفي رواية له [1] عن سهيل بن أبي صالح ، قال : كُنَّا بعَرَفَةَ ، فمرَّ عمرُ بنُ عبدِ العزيز وهو على المَوْسِم ، فقام الناسُ ينظرون إليه ، فقلتُ لأبي : ياأبتِ ، إني أرى اللهَ يُحِبُّ عمرَ ابنَ عبد العزيز ، قال : وماذاك ؟ قلت : لما لَه من الحبِّ في قلوب الناس ، قال :

---

٢٦٩ ـ مجمع الزوائد (١٠ / ٢٧١) . وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير الحسن بن عرفة وهو ثقة .

(النَّبَاوَة أو النَّبَأَة) : ماارتفع من الأرض ، والمراد بها هنا منطقة في الطائف .

٢٧٠ ـ مسند أحمد (٤ / ١٥١) .

المعجم الكبير (١٧ / ٣٠٩) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٧٠) . وقال : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني وإسناده حسن .

٢٧١ ـ البخاري (٦ / ٣٠٣) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ٦ ـ باب ذكر الملائكة .

مسلم (٤ / ٢٠٣٠) ٤٥ ـ كتاب البر والصلة والآداب ٨ ـ باب إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده .

(١) مسلم في الموضع السابق .

فأُنَبِّئُكَ ؟ إني سمعتُ أبا هريرة يحدّث عن رسول الله ﷺ ... ثم ذكر الحديث .

وأخرجه الموطأ مثل الرواية الأولى [1] ، وقال : ولا أَحْسِبُهُ إلا قال في البغض مثل ذلك .

وأخرجه الترمذي [2] مثل مسلم ، وزاد في حديثه في ذِكْر المحبة فذاك قول الله ﴿ إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعمِلُوا الصَّالحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ [مريم : ٩٦] .

٢٧٢ - * روى أحمدُ والترمذي عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ وقفَ على ناسٍ جُلُوسٍ ، فقال : « ألا أُخْبِرُكم بخيركم مِنْ شَرِّكم » ؟ قال :فسكتوا فقال ذلكَ ثلاثَ مرات ، فقال رجلٌ : بَلَى يارسولَ الله ، أخبرنا بخيرنا من شرِّنا ، فقال : « خيرُكم مَن يُرجَى خيرهُ ، ويُؤمَنُ شَرُّه ، وشرُّكم من لا يُرْجَى خيرهُ ، ولا يُؤمَنُ شرُّه » .

فائدة : لقد رأينا أن مما يُعرف به الخير في الإنسان ثناء أهل الصلاح عليه ومحبتهم له ، هذا لا يتنافى مع ما أدبنا به رسول الله ﷺ من الاحتياط في الثناء على الإنسان وخاصة إذا خشيت عليه الفتنة من سماعه الثناء عليه . وقد ورد في ذلك :

٢٧٣ - * روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ سَمِعَ رُجلاً يُثْني على رَجُلٍ ، ويُطْرِيه في المِدْحَةِ فقال : « أهْلَكتُم - أو قَطعتم - ظَهْرَ الرَّجُلِ » .

٢٧٤ - * روى البخاري ومسلم عن أبي بَكْرَةَ رضي الله عنه ، قال : أثنَى رَجُلٍ على

---

(١) الموطأ (٢ / ٩٥٣) ٥١ - كتاب الشعر ٥ - باب ماجاء في المتحابين في الله .

(٢) الترمذي (٥ / ٣١٧) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ٢٠ - باب ومن سورة مريم .

٢٧٢ - الترمذي (٤ / ٢٥٨) ٣٤ - كتاب الفتن ٧٦ - باب حدثنا قتيبة ... إلخ وقال : هذا حديث حسن صحيح .

مسند أحمد (٢ / ٣٦٨) . ورواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي في شعب الإيمان .

٢٧٣ - البخاري (١٠ / ٤٧٦) ٧٨ - كتاب الأدب ٥٤ - باب مايكره من التمادح .

مسلم (٤ / ٢٢٩٧) ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق ١٤ - باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط ... إلخ .

٢٧٤ - البخاري في الموضع السابق .

مسلم (٤ / ٢٢٩٦) نفس الكتاب والباب .

أبو داود (٤ / ٢٥٤) كتاب الأدب - باب في كراهية التمادح .

=

رَجُلٍ عند النبيِّ ﷺ ، فقال : « وَيْلَكَ ، قطعتَ عُنُقَ صَاحِبِك » ـ ثلاثاً ـ ثم قال : « مَنْ كان منكم مادِحًا أخاه لا مَحالةَ ، فلْيَقلْ : أَحْسِبُ فلاناً ، واللهُ حسيبه . ولا يُزَكِّي على الله أحداً ، أَحْسِبُ كذا وكذا إن كان يَعْلَم ذلك منه » .

وفي رواية لمسلم (١) : أن النبيَّ ﷺ ذُكِر عنده رجل ، فقال رجل : يارسولَ الله ، مامِنْ رَجُلٍ بعد رسول الله أفضل منه في كذا ، فقال النبيّ ﷺ : « ويحكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صاحبِك » ـ مراراً يقول ذلك ـ ثم ذكر الحديث نحوه .

٢٧٥ ـ * روى أحمد والطبراني عن أبي أمامة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن المِقَةَ من الله عز وجل ـ قال شَريكٌ هي المحبَّةُ ـ والصيت من السماء فإذا أحبَّ اللهُ عبداً قال لجبريلَ إني أُحبُّ فلاناً فأحِبوه قال فَتَنْزَلُ له المحبةُ في الأرض ، وإذا أبغضَ عبداً قال لجبريلَ : إني أبغِضُ فلاناً فأبغِضوه قال فينادي جبريلُ إن ربَّكم يُبغض فلاناً فأبغِضوه قال فيُجري له البغض في الأرض » .

٢٧٦ ـ * روى الطبراني في الأوسط عن ثوبان عن النبي ﷺ قال : « إن العَبْدَ لَيَلْتَمِسُ مَرضَاة الله عزَّ وجَلَّ فلا يزالُ كذلك فيقول ياجبريلُ إن عبدي فلاناً يلْتمسُ أن يُرضيني برِضَائي عليه . قال فيقول جبريلُ ﷺ رحمةُ الله على فلانٍ وتقول حَمَلَةُ العرشِ ويقول الذين يَلونهم حتى يقول أهلُ السمواتِ السبعِ ثم يَهبِطُ إلى الأرضِ ثم قال رسول الله ﷺ : وهي الآية التي أنزل الله عليكم في كِتَابه : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً** ﴾ وإن العَبد ليلتمس سَخَطَ اللهِ فيقولُ الله عز وجل ياجبريل إن فلاناً يَسْتَسْخِطُني ألا وإن

= (**قطعت عنق صاحبك**) : أي : أهلكته بالإطراء والمدح الزائد ، وتعظيمك شأنه عند نفسه ، فإنه يعجب بنفسه ، فيهلك ، كأنك قد قطعت عنقه .

(١) مسلم في الموضع السابق .

٢٧٥ ـ مسند أحمد (٥ / ٢٦٣) .

المعجم الكبير (٨ / ١٤١) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٧١) وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجاله وثقوا .

أقول : العبرة بحب الصالحين وبغض الصالحين .

٢٧٦ ـ مجمع الزوائد (١٠ / ٢٧٢) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات .

غضَبي عليـه . فيقولُ جبريلُ غَضَبُ اللهِ على فلانٍ وتقول حملـة العرش ويقول من دونهم حتى يقوله أهلُ السمواتِ السبع ثم يهبِطُ إلى الأرض» .

٢٧٧ - * روى ابن مـاجـه عن أسماءَ بنتِ يزيـدَ ، أنها سمِعَتْ رسول الله ﷺ يقـول : « ألا أُنبئُكمْ بخِيَارِكُمْ ؟ » قالُوا : بلَى يَارسُولَ الله ، قالَ : « خيَارُكُم الـذِينَ إذا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ » .

٢٧٨ - * روى أبو داود عن الشريـدِ بنِ سـويـدٍ الثقفيِّ رضي الله عنـه ، قـال : إنَّ أمَّـه أوصتهُ أن يعتقَ عنها رقَبَةً مُؤمنة ، فـأتى رسولَ الله ﷺ ، فقـال : يـارسولَ الله ، إنَّ أمي أوصت أن أعْتِقَ عنها رَقَبَة مؤمنة . وعندي جارية سوداءُ نُوبِيَّـة ، أفـأعتِقُهـا ؟ فقـالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « ادْعُ بهـا » . فَـدَعوتُهـا ، فجـاءت . فقـال لهـا النبي ﷺ : « من ربُّـك ؟ » قـالت : الله ، قـال : « فَمَنْ أَنـا ؟ » قـالت : رسـول الله ، قـال : « أَعتِقهـا ، فـإنَّهـا مؤمنةٌ » .

٢٧٩ - * روى البخـاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنـه عن رسول الله ﷺ قـال : « مَثَلُ المؤمنِ مثلُ الزَّرْعِ ، لا تزالُ الريحُ تُميلُه ، ولا يزالُ المؤمنُ يُصيبُه البلاءُ ، ومثَلُ المنَافِقِ كَمَثَلِ شَجَرةِ الأَرزِ لا تَهتز حتى تستَحْصدَ » .

٢٨٠ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، أن رسولَ الله ﷺ قـال :

---

٢٧٧ - ابن ماجه (٢ / ١٣٧٩) ٣٧ - كتاب الزهد ٤ - باب من لا يؤبه له .

قال محققه : في الزوائـد هـذا إسنـاد حسن وشهر بن حوشب وسويـد بن سعيـد مختلف فيهما وبـاقي رجـال الإسنـاد ثقات .

٢٧٨ - أبو داود (٣ / ٢٣٠) كتاب الأيمان والنذور - باب في الرقبة المؤمنة . وإسناده حسن .

والنسائي (٦ / ٢٥٢) ٣٠ - كتاب الوصايا ٨ - باب فضل الصدقة عن الميت .

وإسناد الحديث حسن .

٢٧٦ - البخاري (١٣ / ٤٤٦) ٩٧ - كتاب التوحيد ٣١ - باب في المشيئة والإرادة .

ومسلم (٤ / ٢١٦٣) ٥٠ - كتـاب صفـات المنـافقين وأحكامهم ١٤ - بـاب مثل المـؤمن كالـزرع ومثـل الكافر كشجر الأرز .

والترمذي (٥ / ١٥٠) ٤٤ - كتاب الأمثال ٤ - ماجاء في مثل المؤمن ... إلخ وقال : هذا حديث حسن صحيح .

٢٨٠ - البخاري (١٠ / ٥٢٩) ٧٨ - كتاب الأدب ٨٣ - باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .

« المؤمنُ لا يُلْسَعُ مِنْ جُحْرٍ واحدٍ مرتين » .

وفي رواية « لا يُلْدَغُ المؤمِنُ مِنْ جُحْرٍ مرتين ».

(لا يلدغ المؤمن من جُحْرٍ مرَّتين) قال الخطابيُّ : يُروى بضم الغين وكسرها ، فالضم على وجه الخبر ، ومعناه : أن المؤمن هو الكيِّس الحازم الذي لا يؤتَى من جهة الغفلة ، فيخدع مرة بعد أخرى وهو لا يفطن بذلك ولا يشعر به ، والمراد به : الخداع في أمر الدِّين ، لا في أمر الدنيا ، وأما [الرواية] بالكسر : فعلى وجه النهي ، يقول : لا يُخْدَعَنَّ المؤمن ، ولا يؤتَيَنَّ من ناحية الغفلة فَيقَع في مكروه أو شر وهو لا يَشْعُرُ به ، ولْيَكُنْ فَطِناً حَذِراً ، وهذا التأويلُ يَصْلُح أن يكون لأمر الدِّين والدنيا معاً .

٢٨١ ـ * روى الطبراني عن أبي أمامةَ عن النبي ﷺ قال : « اتقوا فَرَاسَةَ المؤمنِ فإنه يَنظرُ بنورِ اللهِ » .

٢٨٢ ـ * روى البزار عن أنس قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إن لله عباداً يَعْرِفون الناسَ بالتَّوَسُّمِ » .

= ومسلم (٤ / ٢٢٩٥) ٥٣ ـ كتاب الزهد والرقائق ١٢ ـ باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .
وأبو داود (٤ / ٢٦٦) كتاب الأدب ـ باب في الحذر من الناس .

٢٨١ ـ المعجم الكبير (٨ / ١٢١) .
مجمع الزوائد (١٠ / ٢٦٨) وقال : رواه الطبراني وإسناده حسن .

٢٨٢ ـ مجمع الزوائد (١٠ / ٢٦٨) وقال : رواه البزار والطبراني في الأوسط وإسناده حسن .



الفصل العاشر

في:

فضل الشهادتين وكلمة التوحيد التي هي أصل الإيمان

وفيه:

مقدمة ونصوص وتعليقات ومسائل



المقدمة

التوحيد هو البداية والنهاية والوسط فمن لم يعرف التوحيد لم يعرف الإسلام ، وإنما حظ المسلم من إسلامه بقدر حظه من كلمة التوحيد .

ويدخل في التوحيد الاعتراف لله تعالى بالوحدانية فهو واحد في ذاته واحد في صفاته واحد في أفعاله ، ويدخل في التوحيد اعتقاد أن الله وحده هو أهل العبادة ، والتوجه له بذلك ، ويدخل في التوحيد اعتقاد أن الله عز وجل أهل الطاعة ، والتوجه إليه في ذلك فيما شرع وفي أحكامه كلها ، وعلى هذا ذكر أهل السلوك إلى الله فكرة الإيمان بالأفعال وفكرة الإيمان بالأحكام . فالأول شعور بأنه هو الفاعل الخالق ، والثاني استسلام ظاهري وباطني لشريعته .

ومن آثار التوحيد التوكل عليه والشكر له والاستسلام لقضائه وقدره ، فعلى هذا فالتوحيد يحكم ظاهر الإنسان وباطنه في تصرفاته كلها .

والتوحيد هو أن يشهد المؤمن أن لا إله إلا الله ولا تعرف معاني لا إله إلا الله ومستلزماتها إلا بالإقرار أن محمدًا رسول الله ﷺ ومن ثم كانت الشهادتان هما باب الولوج في الإسلام ، لأن المسلم إذا نطق بالشهادتين فقد أقر بأركان الإيمان ، الإيمان بالله والإيمان بالرسل والإيمان بالواسطة بين الله والرسل ، والإيمان بالوحي الذي أنزل على الرسل .

والإيمان باليوم الآخر وبالقدر إنما هما فرعان عن هذا كله ، ومن آمن بالوحي آمن بالكتاب والسنة ومن آمن بالكتاب والسنة آمن بالإسلام كله ، وما يستلزمه الإيمان بالإسلام ومن هٰهنا كانت الشهادتان هما البداية وهما النهاية وهما الوسط ولذلك نجد التركيز على ذلك في الكتاب والسنة .

وكلمة التوحيد هي كلمة التقوى وهي الشجرة الطيبة فبقدر استقرارها وإشراق القلب بها تخرج ثمراتها وإنما شرعت الأذكار كلها والعبادات من أجل تنوير القلب بها ، والقرآن كله تنوير للقلب بكلمة التوحيد .

قال تعالى : ﴿ ينزّل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنـذروا أنّـه لا إله إلا أنا فاتّقون ﴾ [١] . فالوحي كله من أجل توحيد الله وتقواه . ولا يعرف التوحيـد والتقوى إلا بواسطة الرسل لذلك تجب طاعتهم :

قال تعالى : ﴿ أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون ﴾ [٢] .

وهذه نصوص وردت في فضل كلمة التوحيد .

* * *

---

(١) النحل : ٢ .

(٢) نوح : ٣ .

النصوص

٢٨٣ ـ * روى البخاري ومسلم عن عُبادَةَ بن الصَّامِتِ قالَ رسولُ الله ﷺ : « مَنْ شَهد أن لا إِلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له وأن محمدًا عَبْدُه ورسولُهُ وأن عيسى عبدُ اللهِ ورسولُهُ وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منه والجنةُ حق والنارُ حق أدْخَلَهُ اللهُ الجَنة على ما كان من العَمَل » .

وفي رواية (١) : « أدخلَه اللهُ من أبواب الجنة الثمانية أيُّها شاء » .

وللترمذي (٢) : « من شهد أن لا إِلٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله حَرَّمَ الله عليه النار» .

٢٨٤ ـ * روى أحمد عن سهيل بن البيضاء رفعه : « مَنْ شهدَ أن لا إِلٰـه إلا الله حَرَّمَهُ الله على النار وأوجب له الجنة » .

٢٨٥ ـ * روى مسلم عن أبي هريرةَ كنا قعودًا حولَ رسول الله ﷺ ومعنا أبو بكر وعمرُ في نفر ، فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا فأبطأ علينا ، وخشِينا أن يُقْتطعَ دوننا فَفَزعْنَا فقمنا ، فكنتُ أول من فَزع فخرجتُ أبتغي رسولَ الله ﷺ حتى أتيتُ حائطًا للأنصار لبني النجار ، فدرْتُ هل أجدُ له بابا فلم أجدْ ، فإذا رَبيعٌ يدخُلُ في جوف حائطٍ

---

٢٨٣ ـ البخاري (٦ / ٤٧٤) ـ ٦٠ ـ كتاب الأنبياء ـ ٤٧ ـ باب قوله تعالى : ﴿ ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ﴾ .

مسلم (١ / ٥٧) ـ ١ ـ كتاب الإيمان ـ ١٠ ـ باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا .

(١) مسلم ، الموضع السابق .

(٢) الترمذي (٥ / ٢٣) ـ ٤١ ـ كتاب الإيمان ـ ١٧ ـ باب ماجاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله .

أحمد (٥ / ٣١٨) .

مسلم (١ / ٥٨) ، في الموضع السابق .

٢٨٤ ـ مسند أحمد (٣ / ٤٥١) .

مجمع الزوائد (١ / ١٥) وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير ، ومداره على سعيد بن الصلت . قال ابن أبي حاتم : قد روي عن سهيل بن بيضاء مرسلا ، وابن عباس متصلا .

٢٨٥ ـ مسلم (١ / ٥٩ ، ٦٠) ، في الموضع السابق .

ربيع : ساقية ماء .

حائط : بستان .

من بئر خارجة فـاحْتَفزْتُ فـدخلتُ على رسول الله ﷺ فقـال : « أبو هريرة ؟ » فقلتُ : نعم يا رسولَ الله . قال « ما شأنُكَ » ؟ قلتُ : كنتَ بين أظْهُرنا فقمتَ فـأبطـأت علينـا ، فخشينا أن تقتطع دوننـا ففزعنـا ، فكنتُ أول من فزع فـأتيت هـذا الحـائـطَ فـاحتفزت كما يحتفز الثعلبُ فدخلتُ وهؤلاء الناسُ ورائي فقـال : « يـا أبـا هريرة » . وأعطـاني نَعليـه فقال : « اذهب بنَعْلي هاتين فمن لقيتَ من وراء هذا الحائـط يشهـد أن لا إلٰـه إلا الله مُسْتيقنـا بهـا قلبـهُ فبَشره بـالجنـة » . فكانَ أول من لقيني عُمَرُ فقـال : مـا هـاتـان النعلان يا أبا هريرة ؟ قلت : هاتـان نعلا رسول الله ﷺ بَعثَني بها ، من لقيتُ يشهـدُ أن لا إله إلا الله مُسْتيقنا بها قلبه فبشره بالجنة . فضربني عمر بين ثديي فخررتُ لاستي ، فقال : ارجعْ يا أبا هريرة . فرجَعتُ إلى رسول الله ﷺ فـأجْهَشْتُ بـالبكاء ، ورَكبني عمر وإذا هو على أثَرى فقال رسول الله : « مالك يا أبا هريرة » ؟ قلت : لَقيتُ عمرَ فأخبرتـه بـالـذي بعثتني به ، فضرب بين ثـديي ضَربـة خررتُ لاستي ، فقـال : ارجع . قـال رسول الله ﷺ : « يا عمر ما حَمَلكَ على مـا فعلت ؟ » قـال : يـا رسول الله بـأبي أنت وأمي أبعثت أبـا هريرة بنعليك من لَقِي يشهـد أن لا إلٰـه إلا الله مستيقنـا بهـا قلبـه بَشَّرَهُ بـالجنـة ؟ قـال : « نعم » . قال : فلا تفعلْ فإني أخشى أن يتَّكلَ النـاسُ عليهـا فَخَلِّهم يَعملون . فقـال رسول الله ﷺ : « فخلهم » .

٢٨٦ ـ * روى أحمد عن أبي موسى قـال : أتيتُ النبي ﷺ ومَعي نَفَر من قَومي فقـال : « أبْشروا وبَشِّروا مَنْ وراءكم أنـه من شَهـدَ أن لا إلٰـه إلا الله صـادقًـا بهـا دَخَـلَ الجنة » . فخرجنا من عند رسول الله ﷺ نُبَشرُ الناسَ فاستقبلنـا عُمرُ فرجَعَ بنـا إلى رسول الله ﷺ ، فقال عمرُ : يا رسول الله إذًا يتكِلُ الناسُ . فسكتَ رسولُ الله ﷺ .

= فاحتفزت : استعجلت .

فخررت لاستي : أي سقطت على مقعدتي .

٢٨٦ ـ مسند أحمد (٤ / ٤٠٢) .

مجمع الزوائد (١ / ١٦) وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله ثقات .

ورمز السيوطي لصحته : فيض القدير (١ / ٧٧) .

٢٨٧ - * روى البخاري ومسلم عن معاذ بن جبل : كنتُ رِدْفَ رسول الله ﷺ على حمار يقال له عُفَير فقال : « يا معاذُ هل تدري ما حَقُّ الله على عباده وما حقُّ العباد على الله ؟ » قلتُ : الله ورسوله أعلم . قال : « فإن حقَّ الله على العباد أن يَعبُدُوه ولا يشركوا به شيئًا وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشركُ به شيئًا » . فقلتُ : يا رسولَ الله أفلا أُبَشِّرُ الناسَ ؟ قال : « لا تبشرهم فيتّكلوا » . قال أنس : فأخبر بها مُعاذٌ عند موته تأثمًا .

٢٨٨ - * روى مسلم عن جابر رفعه : « ثنتان مُوجِبَتان » . قال رجل : يا رسول الله ما الموجبتان ؟ قال : « من ماتَ يُشركُ بالله شيئًا دَخَلَ النارَ ، ومن مات لا يشركُ بالله شيئًا دَخَلَ الجنة » .

٢٨٩ - * روى البخاري ومسلم عن ابن شهاب قال أخبرني محمودُ بنُ الرَّبيع أنه عَقَلَ رسولَ الله ﷺ وَعَقَلَ مَجَّةً مجها في وجهه من بئرٍ كانت في دارهم ، وزَعَم أنه سَمِعَ عِتْبانَ بنَ مالك الأنصاري وكان ممن شهدَ بدرًا مع رسول الله ﷺ يقول : كنتُ أصلي لقومي بني سالم وكان يحولُ بيني وبينهم وادٍ إذا جاءَت الأمطار يَشُقُّ عليَّ اجتيازهُ قِبلَ مَسجدِهم ، فجئتُ رسولَ الله ﷺ فقلتُ له : إني أنكرتُ بَصَري وإن الوادي الذي بيني وبين قومي يَسيلُ إذا جاءتِ الأمطار فيشق عليَّ اجتيازه فَوَدِدتُ أنك تأتي فتصلي في بيتي مكانًا أتخذه مصلى . فقال رسولُ الله ﷺ : « سأفعل » فغدا عليَّ رسول الله ﷺ وأبو بكر بعد ما اشتد النهارُ فاستأذنَ رسولُ الله ﷺ فأذنتُ له ، فلم يجلس حتى قال : « أين تحبُّ أن أصلي من بيتك ؟ » فأشَرْتُ إلى المكان الذي أحبُ أن يصلي فيه ، فقامَ رسول الله ﷺ فكبر فَصَفَفْنا وراءه فصلى ركعتين ثم سَلَّم وَسلمنا حين سلم ، فَحَبَسْتهُ على خَزير يُصْنَعُ له ، فَسَمِعَ أهلُ

---

٢٨٧ - البخاري (١٠ / ٣٩٧) - ٧٧ - كتاب اللباس - ١٠١ - باب إرداف الرجل خلف الرجل .

مسلم (١ / ٥٨) - ١ - كتاب الإيمان - ١٠ باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا .

٢٨٨ - مسلم (١ / ٩٤) - ١ - كتاب الإيمان - ٤٠ - باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ...

٢٨٩ - البخاري (٣ / ٦٠ ، ٦١) - ١٩ - كتاب التهجد - ٣٦ - باب صلاة النوافل جماعة .

مسلم (١ / ٤٥٥ ، ٤٥٦) - ٥ - كتاب المساجد - ٤٧ - باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر .

عَقَلَ : عرف وتَذَكَّر .   مَجَّ مَجَّةً : دفعة من ماء صبَّها في وجهه من فيه .

خَزِير : طعام يصنع من قطع اللحم مع الماء الكثير ، فإذا نضج ذُرَّ عليه الدقيق .

=

الدار أن رسولَ الله ﷺ في بيتيْ فثابَ رجال منهم حتى كَثُرَ الرجالُ في البيت ، فقال رجلٌ : ما فعل مالكٌ لا أراه . فقال رجل منهم : ذلك مُنافِقٌ لا يُحبُّ الله ورسولَه . فقال رسول الله ﷺ : « لا تَقُلْ ذلك ، ألا تراه قال لا إلٰه إلا الله يبتغي بذلك وجهَ الله » . فقال : اللهُ أعلم ورسولهُ ، أما نحن فوالله ما نرى وُدَّهُ ولا حديثَهُ إلا إلى المنافقين . فقال رسولُ الله ﷺ : « فإنَّ الله قد حَرَّمَ على النار من قال لا إلٰه إلا الله يبتغي بذلك وجه الله » . قالَ محمود : فحدثتها قومًا فيهم أبو أيوبَ صاحبُ رسول الله ﷺ في غزوته التي تُوفي فيها ، ويزيدُ بن معاوية عليهم بأرض الروم ، فأنكرَها عليّ أبو أيوبَ وقال : والله ما أظن رسول الله ﷺ قال ما قلتَ قَط . فكَبُرَ ذلك عليَّ فجعلتُ لله عليَّ إن سَلمني الله حتى أقفُلَ عن غَزوتي أنْ أسألَ عنها عِتْبان بنَ مالك إن وجدتُهُ حيًّا في مَسجد قَومِه . فقفَلتُ فأهللتُ بحَجةٍ أو عُمرةٍ ثم سِرتُ حتى قَدِمْتُ المدينة ، فأتيتُ بني سالم فإذا عِتبانُ شيخٌ أعمى يُصلي لقومه ، فلما سلّم من الصلاة سلمتُ عليه وأخبرته من أنا، ثم سألته من ذلك الحديث فحدثنيه كما حدثنيه أول مرة .

٢٩٠ - * روى البخاري عن أبي هريرةَ ، قلتُ : يا رسولَ الله من أسعدُ الناس بِشَفاعَتِكَ يومَ القيامةِ ؟ قال : « لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا أحدٌ أول منك لما رأيت من حِرْصِكَ على الحديث . أسعدُ الناس بِشَفاعتي يوم القيامةِ من قال : لا إلٰه إلا الله خالصًا مُخْلِصًا من قَلْبه » .

٢٩١ - * روى البخاري عن وهْب بن منبّه ، قيل له : أليس لا إلٰه إلا الله مِفْتاحَ الجنةِ ؟ قالَ : بلى ، ولكن ليس مِفْتاحٌ إلا له أسنانٌ فإن جئتَ بمفتاحٍ له أسنانٌ فتح لكَ وإلا لم يُفتح لكَ .

٢٩٢ - * روى أحمد عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : « مفاتيح الجنة شهادة أن لا إلٰه إلا الله » .

= قفل : رجع .

٢٩٠ - البخاري (١ / ١٩٣) - ٣ - كتاب العلم - ٣٣ - باب الحرص على الحديث .

٢٩١ - البخاري (٣ / ١٠٩) - ٢٣ - كتاب الجنائز - ١ - باب في الجنائز ، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله .

٢٩٢ - أحمد (٥ / ٢٤٢) .

=

٢٩٣ - * روى الطبراني عن جرير رفعه : « من مات لم يُشركْ بالله شيئًا ولم يَتَنَـدَّ بدم حرامٍ أُدْخِلَ مَنْ أي أبواب الجنة شاء » .

٢٩٤ - * روى أحمد عن رِفاعَة الجُهَني : أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بالكديـد - أو قال بقَديد - فجعل رجال يستأذنون إلى أهليهم فيؤذَنُ لهم ، فقام رسول الله ﷺ فحَمد اللهَ وأثنى عليه ثم قال : « ما بـالُ رجـال يكونُ شِقُّ الشجرة التي تلي رسولَ الله ﷺ أبغضَ إليه من الشِق الآخر » . فلم يَرَ عند ذلك من القوم إلا بـاكيـا ، فقـال رجلٌ : إن الذي يَستأذِنُ بعدَ هذا لسفيهٌ فَحَمدَ الله وقال خيرًا وقال : « أشهدُ عند الله لا يموت عَبْد يشهـد أن لا إلـه إلا الله وأني رسـولُ الله صِـدْقًـا من قلبـه ثم يُسـددُ إلا سَلَـكَ في الجنة » . قال : « وقد وعدني ربي عز وجل أن يُـدخِلَ من أمتي الجنـةَ سبعين ألفًـا لا حِسـابَ عليهم ولا عَـذاب وإني لأرجو أن لا يـدخلوهـا حتى تتبـوؤا أنتم ومن صَلَح من آبائِكم وأزواجكم وذرياتكم مسـاكِنَ في الجنة » .

٢٩٥ - * روى الترمـذي عن ابن عمرو بن العـاص رفعــه : « إن الله سَيُخلِّصُ رجـلاً من أمتي على رؤوس الخَلائقِ يـوم القيـامـة فينشر لـه تسعـةً وتسعين سجـلاً ، كلّ

= كشف الأستار (١ / ٩) .

مجمع الزوائد (١ / ١٦) . وقال : رواه أحمد والبزار وفيه انقطاع بين شهر ومعاذ ، وإسماعيل بن عياش روايتـه عن أهل الحجاز ضعيفة وهذا منها . ا هـ . ولكن يشهد للحديث ماسبق .

٢٩٣ - المعجم الكبير (٢ / ٣٠٩) .

مجمع الزوائد (١ / ٩) . وقال : رجاله موثقون .

(لم يتندَّ بدم حرام) : لم يصب منه شيئاً ، ولم ينله منه شيء .

٢٩٤ - أحمد (٤ / ١٦) .

ابن ماجه (٢ / ١٤٣٢) - ٣٧ - كتاب الزهد - ٣٤ - باب صفة أمة محمد ﷺ .

مجمع الزوائد (١ / ٢٠) . وقال : رجاله موثقون .

كديد : أو قديد : موضع بين مكّة والمدينة . تتبوّؤا : تنزلوا منازل ، وهنا : تسكنوا مساكن الجنّة .

٢٩٥ - الترمذي (٥ / ٢٤) - ٤١ - كتاب الإيمان - ١٧ - باب ماجاء فين يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله .

وقال : هذا حديث حسن غريب . أحمد (٢ / ٢١٣) .

ابن ماجه (٢ / ١٤٣٧) - ٣٧ - كتاب الزهد - ٣٥ - باب مايرجى من رحمة الله يوم القيامة .

موارد الظمآن (٦٢٥) - ٤٠ - كتاب الزهد - ٣٢ - باب في الخوف والرجاء .

المستدرك (١ / ٦) . وقال : هو صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبي .

السِّجل : الكتاب الكبير ، وجمعه سجلات .

سِجلٍ مثلُ مد البصر ثم يقول : أتنكر من هذا شيئًا ؟ أظَلَمكَ كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يـارب . فيقول : أفلـكَ عـذر ؟ فيقول : لا يـارب . فيقول تعـالى : بلى ، إن لك عندنا حَسنة فإنه لا ظُلمَ عليك اليوم . فيخرجُ له بطاقة فيها أشهدُ أن لا إلٰـه إلا الله وأشهدُ أن محمدًا عبـدُه ورسولُـه . فيقـول : احْضرْ وَزْنَـكَ . فيقول : يارب ما هذه البطاقةُ مع هذه السِّجلات ؟ قال : فإنـك لا تُظلَمُ فتوضَعُ السجلاتُ في كَفَّة والبطاقة في كَفَّة فطاشت السّجلاتُ وثَقُلتِ البطـاقـة ولا يَثْقُلُ مع اسم الله تعالى شيءٌ » .

٢٩٦ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي أيوب يرفعه : « من قالَ لا إلٰه إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ له ، له الملكُ وله الحمدُ ، وهو على كل شيءٍ قدير ، عشرًا ، كانت له عَـدْلَ أربعِ رِقابٍ من وَلَدِ إسماعيلَ » .

٢٩٧ ـ * روى مسلم عن والد أبي مالكٍ الأشجعي ، يرفعه « من قالَ لا إلٰـه إلا اللهُ ، وكَفَرَ بما يُعْبَدُ من دون الله ، حَرُمَ مالُهُ ودَمُهُ ، وحِسَابُه على الله عَزَّ وجَلَّ » .

٢٩٨ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي ذَرٍّ الغِفَاري رضي الله عنه قال : خرجتُ ليلةً من الليالي ، فإذا رسولُ الله ﷺ يمشي وحدَه ، ليس معه إنسان . قـال : فظنَنتُ أنـه يكرَهُ أن يمشيَ معه أحد . قال : فجعلتُ أمشي في ظِل القَمرِ ، فالتفتَ فرآني ، فقال : « مَن هذا؟ » فقلت : أبو ذَرّ ، جَعلني اللهُ فداكَ . قالَ : « يا أبا ذر ، تَعَالـه » قـال : فَمَشَيتُ معـه سـاعـةً، فقال : « إن المُكْثِرين هم المُقِلّون يوم القيامَـةِ إلا من أعطـاه الله خيرًا ، فنفح فيـه

---

٢٩٦ ـ البخاري (١١ / ٢٠١) ـ ٨٠ ـ كتاب ـ ٦٤ ـ باب فضل التهليل .

ومسلم (٤ / ٢٠٧١) ـ ٤٨ ـ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ـ ١٠ ـ باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء .

٢٩٧ ـ مسلم (١ / ٥٣) ـ ١ ـ كتاب الإيمان ـ ٨ ـ باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله .... أحمد (٣ / ٤٧٢) .

والد أبي مالك هو : طارق بن أشْيَم بن مسعود الأشجعي ، صحابي له أحاديث .

٢٩٨ ـ البخاري (١١ / ٢٦٠) ـ ٨١ ـ كتاب الرقاق ـ ١٣ ـ باب المكثرون هم المقلون .

ومسلم (٢ / ٦٨٨) ـ ١٢ ـ كتاب الزكاة ـ ٩ باب الترغيب في الصدقة .

(تعَالَهْ) تعالَ ، أي : أدْنُ ، والهاء لبيان حركة اللام ، وتسمى هاء السكت .

(فنفح) نفح بيده : إذا أشار بها إلى جهة ، والمراد به هاهنا : أنه فرَّق المال بيديه يمينًا وشمالا . =

عن يمينه ، وشماله ، وبين يديه ، ووراءه ، وعَمل فيـه خيرًا » . قـال : فمَشَيْتُ معـه ساعة ، فقال لي : « اجْلِسْ هاهنا ، حتى أَرْجعَ إِلَيكَ » . قال : فأجْلَسَني في قَـاعٍ حَولَـه حِجارةٌ ، فقال لي : « اجْلِسْ هاهنا ، حتى أَرْجع إِليَكَ » قـال : فـانطلق في الحَرَّة حتى لا أراه ، فَلَبثَ عني ، فـأطـال اللُّبثَ ثم إني سمعتُـه يقول وهو مُقبل : « وإن سَرَقَ ، وإن زَنى ؟ » قـال : فلمـا جـاء لم أصْبِرْ ، فقلت : يـا نبيَّ الله جعلني اللهُ فِـداكَ ، مَنْ تُكَلِّمُ في جانب الحرَّةِ ، ما سمعتُ أحدًا يَرجعُ إليك شيئًـا ؟ قـال : « ذاك جبريلُ ، عَرَضَ لي في جَانب الحَرَّة ، فقال : بَشِّر أُمَّتَك أنَّه مَن مات لا يُشرك بالله شيئًا دخلَ الجنـة . فقلت : يـا جبريـلُ ، وإن سَرَق ، وإن زَنى ؟ قـال نعم . قلتُ : يـا رسـولَ الله وإن سَرَقَ وإن زَنَى ؟ قـال : « نعم » . قـال : قلت : وإن سرق وإن زنى ؟ قـال : « نعم وإن شربَ الخَمرَ » .

٢٩٩ ـ * روى أحمد عن عثمانَ بن عفَّانَ رضي الله عنه قـال : سمعتُ رَسولَ الله ﷺ يَقُول : « إِني لأَعْلَمُ كَلِمة لا يَقُولُها عبدٌ حَقًا مِنْ قَلبـه إلا حُرِّمَ عَلَى النّـار » . قـالَ عمرُ بنُ الخطَّاب : ألا أُحَدِّثُكَ مَا هي ، هي كلمةُ الإخْلاص التي أَلْزَمَها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُحَمدًا وأَصْحَابَهُ ، وَهِي كَلِمةُ التَّقوى التِي أَلاص عَلَيها نبيُ اللهِ ﷺ عَمَّـهُ أبا طَـالبٍ عِنْـد المَوتِ شهادة أن لا إله إلا اللهُ .

= (القاع) : الأرض المستوية .

٢٩٩ ـ مسند أحمد (١ / ٦٣) .

مجمع الزوائد (١ /١٥) . وقـال : لعُمَرَ حـديثٌ رواه ابن مـاجـه بغير هـذا السيـاق ورجـالـه ثقـات ، رواه أحمـد .

(ألاص) ألاصه على الشيء : أداره عليه وأراده منه .

تعليقات

إذا عرفت أهمية كلمة التوحيد فإن عليك أن تعرف ماذا يدخل فيها :

إن أول ما يدخل في كلمة التوحيد أن نعتقد أن الله واحد في ذاته وصفاته وأفعاله فلا ذاته تشبه الذوات ولا صفاته تشبه الصفات ولا أفعاله تشبه الأفعال وأن نعتقد أنه وحده المستحق للعبادة فلا يستحق العبادةَ غيرُه وبالتالي فلا يتوجه بأي نوع من أنواع العبادات إلا له .

فمن عرف الله عز وجل حق المعرفة بمعرفة ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله ومن عرف له حقوقه جلّ جلاله بالعبادة والعبودية فقد اجتمع له التوحيد .

أما من أعطى غيره حقَ العبادة فليس مُوحّدًا ، ومن لم يعطه العبودية كاملة بأن عرف له حق التشريع وحق الأمر فليس مُوحّدًا ، هذه القضايا هي أول ما يدخل في التوحيد بداهة ، وقد عبر بعضهم عن هذه القضايا تعبيرات كثيرة .

إن هناك أقوالاً وأفعالاً هي من باب العبادات فإذا توجه الإنسان بها لغير الله فقد أشرك : الصلاة والركوع والسجود والطواف والدعاء والنذر والذبح لغير الله بنية القربى .

﴿ يا أيُّها النَّاسُ اعبدوا ربَّكم ﴾ [1] ، **﴿ ولقد بعثنا في كلِّ أمَّةٍ رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾** [2] وهناك أفعال وأقوال هي مظنة نوع من الشرك مثل : ما شاء الله وشاء فلان .

وهناك اعتقادات تجعل الإنسان مشركًا من مثل إعطائه ما هو من خصائص الألوهية والربوبية لغير الله ، كاعتقاد أن أحدًا ما أو جهة ما لها حق التشريع المطلق ، أو اعتقادِ أن شيئًا له تأثير في الأمور بغير إرادة الله .

وهناك معانٍ عقلية إذا أخلّ الإنسان بها يُخشى عليه من الشرك ، أما الجانب العاطفي الجِبِليّ منها فله أحكامه ، فالتوكل والمحبة والخوف والرجاء والشكر والولاية والتقوى والطاعة

(١) البقرة : ٢١ .

(٢) النحل : ٣٦ .

كل ذلك يجب أن يعتقد المسلم أنها من حق الله أما إذا غلب على قلبه شيء من الاعتماد على المخلوق مع الاعتقاد الصحيح فذلك يكون أحيانًا مباحًا وأحيانًا إثمًا ، ومن منافيات التوحيد الإخلال بمقام العبودية ، والعبودية تقتضي تسليمًا واستسلامًا في الأمر والنهي والقضاء والقدر : ﴿ ألا له الخَلْقُ والأَمْرُ ﴾ [1] .

﴿ الحمدُ لله ربِّ العالمين ﴾ [2] . ﴿ فلله الحمدُ ربِ السماوات وربِ الأرض ربِ العالمين ﴾ [3] .

﴿ قل إن هُدَى الله هو الهدى وأُمرنا لنُسْلِمَ لربِّ العالمين ﴾ [4]﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربِّ العالمين ﴾ [5] ﴿ قل أغيرَ الله أتخذ وليًّا ﴾ [6] ، ﴿ قل إني أمرتُ أن أكون أولَ من أسلم ﴾ [7] .

﴿ ولا تَدْعُ من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرُّك فإن فعلت فإنك إذًا من الظالمين ﴾ [8] ، ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ [9] ، ﴿ فإياي فارْهَبون ﴾ [10].

* * *

إذا عرفت هذا أدركت محل الشهادتين في الإسلام ، وأن الإسلام كلَّه ينبثق منهما ، كما أنهما تتضمّنان الإسلام كله والإيمان كله . فشهادة الإسلام تتضمّن الإيمان بالله وبالرسل صراحة ، ومن آمن بالرسل آمن بالوحي فآمن بالملائكة وآمن بالكتب ، والإيمان بالقدر فرع الإيمان بالله ، ومن عرف الله وعرف عدله وعرف الرسل والكتب عرف التكليف وعرف مسؤولية الإنسان فعرف اليوم الآخر . ومن عرف كلمة الإله وما يدخل فيها من معاني العبادة والاستعاذة والتوكل والمحبة والربوبية والمالكية وعرف أن هذه الحقوق لله عز وجل إنما تعرف بواسطة الرسول ﷺ ، عرف ماذا ينبثق عن الشهادتين وعرف أن الالتزام بذلك والتسليم فيه

---

(١) الأعراف : ٥٤ . (٢) الفاتحة : ٢ .
(٣) الجاثية : ٣٦ . (٤) الأنعام : ٧١ .
(٥) الأنعام : ١٦٢ . (٦) الأنعام : ١٤ .
(٧) الأنعام : ١٤ . (٨) يونس : ١٠٦ .
(٩) المائدة : ٢٣ . (١٠) النحل : ٥١ .

وترك ما ينافيه كل ذلك أنه أثر عن الشهادتين .

ومن عرف أن كلمة أشهد : تأتي من الشهادة ومن المشـاهـدة وتـأتي بمعنى أحلف وأن بين ذلك ترابطًا أدرك أن عليـه أن يكون جـازمًـا بـالشهـادة ، وأن يحـاول الارتقـاء من الشهود العقلي إلى الشهود القلبي لـ « لا إلٰـه إلا الله » ، وأن الشهـود القلبي متـوقف على كثرة العمـل الصالح وكثرة الذكر ، وعلى كثرة العلم ، ومن مثل هذا نعرف لماذا كانت الشهادتان لهما هـذا الفضل ، ولماذا كانت المدخلَ إلى الإسلام .

مسائل وفوائد حول الشهادتين وكلمة التوحيد

١ ـ مما يوصف به الإسلام أنه دين الوحدة والتوحيد والوحدانية ، وهذه الكلمات القليلة يدخل فيها ما لا يحصى من المعاني : فنحن نثبت لله عز وجل الوحدة والوحدانية في ذاته وصفاته وأفعاله ونثبت أن الخلق كلهم عبيد لواحدٍ هو الله عزَّ وجلَّ ، وأن الذاتَ الإنسانية ينبغي أن تتوجه بالعبادة والعبودية والطاعة لواحدٍ هو الله عز وجل ، ونثبت أن الذاتَ البشريةَ ينبغي أن تكون موحدة في توجهاتها نحو الخالق ، وأن البشرية كلَّها ينبغي أن تكون واحدة في هذا التوجه وفي الخضوع وفي الطاعة وفي الاستسلام لله في دينه ، وإذا لم تتوحَّد البشرية على ذلك فالمستجيبون ينبغي أن يكونوا أمة واحدة وجسدًا واحدًا .

٢ ـ مما يخدش جناب التوحيد عند أهل السنة والجماعة : القول بالقوة المودَعة ولذلك قال صاحب الخريدة :

ومن يقلْ بالقوة المودَعَة فذاكَ بِدْعِيٌّ فلا تَلْتَفِتِ

فالقول بالقوة المودَعَة تعطيل لنصوص كثيرة ، وهو يخدش الفهم الصحيح لأحدية الذات الإلهية وصمديّتها وقيّوميّتها ، فمن عرف أحدية الذات الإلٰهية وصمديتها وقيُّوميَّتَها كما ورد ذلك في نصوص الكتاب والسنة نفى القوة المودَعَة ، ونفيُ القوة المودعة يقتضي منا أن نعتقد أنَّ كلَّ شيء ابتداء وحالاً واستقبالاً بعلم الله وإرادته وقدرته وإمداده وأنه لا تأثير لشيء من الكائنات في أثرٍ ما إلا بالله ، ومن قال غير ذلك فقد نفى افتقار كل شيء إلى الله ، ويدخل في نفي القوة المودَعَة اعتقاد أن شيئًا من الأشياء يؤثر بطبعه دون أن يكون للقدرة الإلٰهية دخل مباشر في ذلك فكل شيء في الماضي والحاضر والمستقبل مفتقر إلى إيجاده وإمداده ، وهذه المسألة من أهم المسائل التي وقع فيها خلاف بين أهل السنة والجماعة من جهة وبين المعتزلة من جهة أخرى وهي المسألة المشهورة بمسألة خلق الأفعال . فالنصوص متضافرة على أن كل شيء بفعل الله ابتداءً وانتهاءً . قال تعالى : ﴿ **الله خالق كل شيء** ﴾ [(١)] ، ﴿ **كل يوم هو في شأن** ﴾ [(٢)] ، ﴿ **والله خلقكم وما تعملون** ﴾ [(٣)] ، ﴿ **أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون** ﴾ [(٤)] ، ﴿ **أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم**

---

(١) الزمر : ٦٢ . (٢)الرحمن : ٢٩ .
(٣) الصافات : ٩٦ . (٤) الواقعة : ٥٨ ـ ٥٩ .

نحن الزارعـون ﴾ [١] ، ﴿ ومـا رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ [٢] ، ﴿ مـا شـاء الله لا قـوة إلا بـالله ﴾ [٣] ، ﴿ وإذا مرضت فهـو يشفين ﴾ [٤] ، ﴿ الله يتـوفى الأنفس حين موتها ﴾ [٥] ، ﴿ إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء ﴾ [٦] ، ﴿ قـاتلوهـم يعذّبهم الله بأيديكم ﴾ [٧] ، ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [٨] . وهذا لا ينفي أن الله عز وجل جعل قوانين وأسبابًا ، ولكن لو قلنا : إن هذه القوانين والأسباب تعمل بالقوة المودعة دون تدخل مباشر للذات الإلهية فكأننا نقول : إن الله لا دخل لـه بمـا يجري في هـذا الكون وإنما هي أسباب توصل إلى أسبـاب ، وأين هـذا من قولـه تعـالى : ﴿ هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء ... ﴾ [٩] ، ﴿ إن ينصركم الله فلا غالب لكم ﴾ [١٠] . وفي الحديث الذي رواه الحاكم [١١] « إنّ اللهَ خالقُ كُلِّ صانِع وصَنعَتِـه » ، فـإذا قـال قـائل كيف نوفق بين التكليف والمحـاسبـة وبين أن كلَّ شيء فعـلُ الله ؟ قلنـا : إن قـدرة الله تَخْلُـق على وفـقِ الإرادة، والإرادة تُخَصِّصُ على وفـق العلم، والعلم كاشفٌ لا مخبرٌ فـالله لم يعـطِ أحـدًا القـدرة على الفعـل المستقل وذلك مقتضى كماله ، ولكن أجرى أعمال الإنسان على علم منه بما سيختاره ، ويحاسبه على اختياره المحسوس الذي يحس به كل مكلف فلا منافاة .

وهذا الموضوع مفصل في كتب العقائد والتفسير وشروح السنـة ، ويغلـط فيـه الكثيرون لتأثرهم بالحس ونسيانهم النصوص وعدم دراستهم لعقيدة أهل السنة والجمـاعـة في كتبهـا ، مع أن دراستها حفظ للمسلم من الوقوع في ما ذهبت إليه الفرق الضالة .

٣ ـ ومن أراد الدخول في الإسلام فإنه يفترض عليه النطق بالشهادتين بنيـة الـدخول في الإسلام باللغة العربية أو بـأي لغـة ، أمـا من نشـأ في الإسلام وكان يعتقـد بـالشهـادتين فلا يفترض عليـه النطق بها بنيـة الـدخول في الإسلام لكنـه يفترض عليـه أن ينطق بها في كل

---

(١) الواقعة : ٦٣ ـ ٦٤ .

(٢) الأنفال : ١٧ .

(٣) الكهف : ٣٩ .

(٤) الشعراء : ٨٠ .

(٥) الزمر : ٤٢ .

(٦) الأعراف : ١٥٥ .

(٧) التوبة : ١٤ .

(٨) الفاتحة : ٥ .

(٩) آل عمران : ٦ .

(١٠) آل عمران : ١٦٠ .

(١١) المستدرك (١ / ٣١) . وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

صلاة أو يسن على خلافٍ بين الفقهاء في فرضية قراءة (التحيات) أو وجوبها أو سنيتها في الصلاة .

ويدخل في شهادة لا إله إلا الله الاعتراف باللسان والاعتقاد بالقلب أنه لا معبود إلا الله .

ويدخل في شهادة أنّ محمدًا رسول الله ﷺ الاعتراف باللسان والإذعان بالقلب أنّ محمدًا ﷺ مرسل من عند الله إلى الإنس جميعًا والجن جميعًا وأنه صادق في كل ما بلّغه عن الله عز وجل ، ولا يعتبر مسلمًا إلا من جمع الشهادتين وأقرّ بها وكلّ من ليس مسلمًا فإنه كافر ، ومن شك في كفره أو توقف فهو كافرٌ وقد رأينا فيما مضى حالَ من لم تبلغه الدعوة أو كان غير عاقلٍ أو غير بالغٍ أو فقد منذ الصغر وقبل التبليغ من الحواسّ مالا يستطيع معه إدراك الخطاب .

إنّه لا إيمان ولا إسلام ولا قبول للأعمال الصالحة إلا بالشهادتين ، وليعلمْ أنّ ممّا يخدش جناب التوحيد التوجّه بشيء ممّا هو من حقوق الربوبيّة لغير الله ، وأنّ ممّا يخدش جوانب التوحيد عدم التأدّب مع الذات الإلٰهية بما ينقض الشهادتين . وهذا بحث سيأتي معنا .

* * *



الفصل الحادي عشر

في:

الإيمان الذوقي وما يقابله

وفيه:

مقدمة ونصوص ومسائل وفوائد



المقدمة

قال تعالى : ﴿ قالتِ الأعرابُ آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمْنَا ولما يدخلِ الإيمانُ في قلوبكم ﴾ [١] ههنا صورة هي : أن الإيمان لم يدخل بعد إلى القلوب ولكنه على وشك الدخول . وهناك صورة ستتكرر معنا فيما يأتي : صورة الإيمان الذي لا يجاوز الحناجر وسنرى هذه الصورة تفصيلاً أثناء الكلامِ عن الخوارج .

وهناك صورة أخرى وردت في السنة هي صورة أخذ القرآن بلا إيمان .

ولكل من هذه الصور علامات يعرف بها أصحابها :

فالإيمان الذي لا يجاوز الحناجر علامته : سفاهة العقول ، وعدم التمكن في أخلاق الإيمان .

أخذ القرآن بلا إيمان علامته : عدم تدبر القرآن والتأثر به وانسجام السلوك معه .

ومن ههنا كان التركيز على الإيمان الذي يباشر القلوب مهماً ، ومن كلام هرقل كما في الصحيح : (وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشتُه القلوبَ) [٢] .

أما علامات الإيمان القلبي فإنها :

الرضى بربوبية اللهِ ورسالة الرسول ﷺ وبالإسلام دينًا والتوحيد والعبادة ودفع الزكاة ومحبة الله ورسوله أكثر من أي شيء آخر والإخاء في الله وكراهية العودة إلى الكفر ، وفي هذا كله وفيما سبق نقرأ النصوص التالية :

---

(١) الحجرات (١٤) .

(٢) البخاري (١ / ٣١) ١ ـ كتاب بدء الوحي ـ الحديث ٧ .

النصوص

٣٠٠ ـ * روى مسلم عن العباس رفعه : « ذاقَ طَعْمَ الإيمانِ مَنْ رَضِيَ باللهِ رَبًّا ، وبالإسلامِ دينًا ، وبمحمدٍ رسولاً » .

٣٠١ ـ * روى أبو داود عن عبدِ الله بنِ معاويةَ الغَاضِريِّ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فقدْ طَعِمَ طَعْمَ الإيمانِ : مَنْ عبدَ اللهَ وحدَه ، وعَلِمَ أنه لا إله إلا اللهُ ، وأعطى زكاةَ ماله طيبةً بها نفسُهُ رافِدَةً عليه كلَّ عامٍ ، ولم يُعطِ الهَرِمَةَ ، ولا الدَّرِنَةَ ولا المَريضَةَ ، ولا الشَّرَطَ اللئيمةَ ولكنْ مِن وَسطِ أموالِكم ، فإنَّ اللهَ لم يسألكم خَيْرَهُ ، ولم يأمُرْكم بشرِهِ » .

٣٠٢ ـ * روى البخاري ومسلم عن أنسِ بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجد بهنَّ طَعْمَ الإيمان : مَن كان اللهُ ورسولُهُ أَحبَّ إليه مما سِواهما ، ومَنْ أحبَّ عبدا لا يحبُّهُ إلا لله ، ومَنْ يكْره أن يعود في الكُفرِ ـ بعدَ أن أنقذَهُ اللهُ منه ـ كما يكرهُ أن يُلقى في النَّار» .

---

٣٠٠ ـ مسلم (١ / ٦٢) ـ١ ـ كتاب الإيمان ـ ١١ ـ باب الدليل على أن من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا فهو مؤمن ....

والترمذي (٥ / ١٤) ـ ٤١ ـ كتاب الإيمان ـ ١٠ ـ باب حدثنا قتيبة ...

وأحمد (١ / ٢٠٨) .

٣٠١ ـ أبو داود (٢ / ١٠٣) ـ كتاب الزكاة ـ باب في زكاة السائمة .

قال الحافظ في التخليص : رواه الطبراني وجوّد إسناده .

(رافدة عليه) الرافدة : الفاعلة من الرِّفد ، وهي العطاء والإعانة ، أي : معينة له على أداء الزكاةِ ، غير مُحدِّثة نفسه بمنعها ، فهي تَرْفِدُهُ وتُعينُهُ .

(الهرمة) : المسنَّة الكبيرة السنّ من كلّ حيوان .

(الدَّرِنة) : أراد بها الرَّديئة ، فجعل الرَّداءة درنًا ، والدَّرَن : الوسخ .

(الشرَطُ) : الرذيلة من المال كالصغيرة والمسنة والعجفاء ونحو ذلك .

(اللئيمة) : أرْدأُ المال وأرذله .

٣٠٢ ـ البخاري (١ / ٧٢) ـ ٢ ـ كتاب الإيمان ـ ١٤ ـ باب من كره أن يعود في الكفر ...

مسلم (١ / ٦٦ / ـ ١ ـ كتاب الإيمان ـ ١٠ ـ باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان .

الترمذي (٥ / ١٥) ـ ٤١ ـ كتاب الإيمان ـ ١٠ ـ باب حدثنا قتيبة .

وقال : هذا حديث حسن صحيح .

=

وفي أخرى (١) : « من كان أن يُلقى في النارِ أحبَّ إليهِ من أن يَرْجِعَ يهوديًا أو نصرانيًا » .

قال البيضاوي : المراد بالحب هنا ، الحب العقلي الذي هو إيثار ما يقتضي العقل السليم رجحانَهُ إن كان على خلاف هوى النفس ، كالمريض يعاف الدواء بطبعه ، فينفر عنه ، ويميل إليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله ، فإذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر ولا ينهى إلا بما فيه إصلاح عاجل ، أو خلاص آجل ، والعقل يقتضي رجحان جانب ذلك ، تمرن على الائتمار بأمره بحيث يصير هواه تبعاً له ويلتذ بذلك التذاذًا عقليًا ، إذ الالتذاذ العقلي إدراك ما هو كمال وخير من حيث هو كذلك .

ومن النصوص التي تتحدّث عمّا يقابل الإيمان الذّوقي هذه النصوص :

٣٠٣ ـ * روى الطبراني عن ابن عمرَ : قال : لقد عشْتُ بُرْهَةً من دَهْري وإنَّ أحَدَنا يُؤتى الإيمانَ قبل القرآنِ وتنزلُ السورةُ على محمد ﷺ فَنتعلمُ حلالَها وحرامَها وما ينبغي أنْ نقفَ عندَهُ منْها كما تَعَلَّمون أنتم القرآنَ ، ثم لقد رأيْتُ رجالاً يُؤتى أحدُهم القرآنَ قبل الإيمانِ فيقرأ ما بين فاتحةِ الكتاب إلى خاتمتهِ ما يدري ما آمِرُهُ ولا زاجِرُهُ وما ينبغي أنْ يَقفَ عندَهُ ، وينثُره نَثْرَ الدَّقَلِ (هو أردأ أنواع التمر) .

٣٠٤ ـ * روى مسلم عن زيد بن وَهْبٍ الجُهَنِيِّ رضي الله عنه أنه كان في الجَيشِ الذينَ كانُوا مع عليٍّ ، الذينَ ساروا إلى الخَوارج ، فقال عليٌّ : أيُّها الناسُ ، إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « يَخرجُ قومٌ من أُمَّتي ، يقرؤون القُرْآنَ ، ليس قِراءَتُكُمَ إلى قِراءَتِهم

= النسائي (٨ / ٩٤) ـ ٤٧ ـ كتاب الإيمان وشرائعه ـ ٢ ـ باب طعم الإيمان .

(١) مسلم (١ / ٦٧) ، في الموضع السابق .

٣٠٣ ـ مجمع الزوائد (١ / ٦٥) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح .

المستدرك (١ / ٣٥) . وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولا أعرف له علة ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

(ينثره نثر الدّقل) : يلفظه دون اهتمام .

(والدّقل) : التمر الرديء .

٣٠٤ ـ مسلم (٢ / ٧٤٨) ـ ١٢ ـ كتاب الزكاة ـ ٤٨ ـ باب التحريض على قتل الخوارج .

وأبو داود (٤ / ٢٤٤) ـ كتاب السنة ـ باب في قتال الخوارج .

بشيء ، ولا صلاتُكُم إلى صلاتهم بشيء ، ولا صِيامُكم إلى صِيامهم بشيء ، يقرؤون القرآنَ يحسبون أنه لهم وهو عليهم ، لا تُجاوِزُ صَلاتُهم تراقِيَهمُ ، يَمْرُقُون من الإسلام كما يمرُق السَّهمُ من الرَّمِيَّة .. » .

مسائل وفوائد

أدنى درجات الإيمان إيمان المقلّدين وهم الذين يأخذون بقول الغير دون دليل فمن كان هذا شأنه في العقائد ووافق إيمانه التقليدي الحقّ فما هو حكمه ؟

بعض علماء العقائد لا يعتبر هذا الإيمان شيئًا ، وبعضهم يعتبره إذا كان جازماً وكان المُقَلَّدُ معصومًا كالرسل أو كان جازمًا حتى لو رجع المُقَلَّدُ عن العقيدة لم يرجعْ المقلِّد ، وهؤلاء أنفسهم يعتبرون المقلِّد الذي أخذ الاعتقادَ الحقّ دون أن يعرف برهانه ولو إجماليًا يعتبرونه فاسقًا لأنّه مقصّر فيما هو من فروض الأعيان .

والدرجة الثانية في مراتب الإيمان هي الإيمان العقلي القائم على الدليل فهذا إيمان معتبر ، ولكن إذا لم يصل إلى القلب فيتنوّر القلب بنور الإيمان فإن صاحب هذا الإيمان مقصّر ويدخل في دائرة الفسوق لأنّ من تكليفات الإنسان أن يعمل على سلامة قلبه بتنويره بالإيمان وتخليصه من أمراضه وتحقيقه بما كُلّف به ، ومن هٰهنا كانت الدرجة الثالثة في مراتب الإيمان هي الإيمان الذوقي القلبي ، وهذا النوع من الإيمان يتفاوت الناس فيه ، فقلوب الصدّيقين ليست واحدة . ويدخل في هذا النوع من الإيمان إيمان المراقبة وإيمان المشاهدة وذلك كلّه أثر من آثار حياة القلب ويقظته :﴿ إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ [1] والمرجو من فضل الله أنّ من توجّه لتنوير قلبه وإصلاحه أن يكرمه بذلك أو بالعفو إن مات قبل الوصول فالقلوب بيد الله .

---

(١) ق ٣٧



الفصل الثاني عشر

في :

الجيل الأرقى تحققًا

وفيه :

مقدمة ونصوص



المقدمة

إنه من المناسب بعد أن تحدثنا عن أعمال الإسلام وشعب الإيمان أن نُذَكِّر بالجيل الأرقى تحققًا ، والأعلى مقاماً والأكثر أجرًا وهو : جيل الصحابة رضوان الله عنهم . مع أننا تحدثنا عن فضل الصحابة في القسم الأول بمناسبة الكلام عن دوائر شرف حول الرسول ﷺ . وسيمر معنا الكثير عن فضل الصحابة إلا إنه من المناسب أن نشير إلى هذا الموضوع هنا بمناسبة ما مر وبمناسبة ما سيمر عن أن من أسباب الضلال وافتراق الأمة : الموقف من الصحابة رضوان الله عنهم .

لقد وصف الله عز وجل أصحاب رسوله ﷺ بخير الصفات ونعتهم بخير النعوت ، فقال تعالى في أوائل سورة الأنفال ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقاً** ﴾ [1] .

وقد جاء في أواخر السورة قوله تعالى : ﴿ **والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً** ﴾ [2] .

فدل ذلك على أن الصحابة قد تحققوا بالإيمان تحققاً كاملاً بشهادة الله لهم ، وقال تعالى ﴿ **وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها** ﴾ [3] فهذه شهادة أخرى من الله للصحابة بكمال التحقق .

وقال تعالى : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً** ﴾ [4] .

---

(١) الأنفال : ٢ ـ ٤ .
(٢) الأنفال : ٧٤ .
(٣) الفتح : ٢٦ .
(٤) الفتح : ٢٩ .

وقال تعالى : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ﴾ [٥] .

وقال تعالى : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ [٦] .

والآيات في فضل الصحابة كثيرة وكلها تدل عل أنهم الجيل الأرقى مقاماً لأنهم أخذوا عن رسول الله ﷺ مباشرة . وهم الجيل الأكثر أجراً لأن من بعدهم في صحائفهم ، وهم ومن بعدهم في صحيفة رسول الله ﷺ . فالدال على الخير كفاعله . وهم الأكثر تحققاً ، فقد كانوا أكثر خلق الله قياماً بواجب ، ألا ترى قبورهم منتشرة في الأرض وهم يجاهدون لإعلاء كلمة الله ، ولذلك حكم علماء الجرح والتعديل للصحابة بأنهم عدول كلهم ولم يبالوا بالقلة النادرة المكشوفة المعروفة لدى بعض الصحابة بالنفاق ، ولا بالذين التحقوا بالإسلام أخيراً ، فارتد بعضهم فإما قتل أو تاب ، فهؤلاء لا يمثلون خلاصة الصحابة رضوان الله عنهم .

ومع ذلك فإن من ارتدّ من الحواشي ثم عاد ، فإن أمره إلى خير ، ولقد اختلف الصحابة فيما بينهم واقتتلوا وأمرهم إلى خير لأنهم كانوا مجتهدين ، ولكنه قد هلك بهم أناس كثيرون ، فضلوا وأضلوا بسبب الموقف من الصحابة فنشأت فرق ضالة يكفر بعضها بعضاً ويكفر كل من هؤلاء بعض الصحابة ، بل استحل بعضهم دماء بعض الصحابة الكبار ، فياويلهم فيما فعلوا .

ونحن هنا لا نريد أن نستقصي الكلام عن الصحابة ، فالكلام عنهم مفرق في هذا الكتاب بمناسباته وإنما أردنا الإشارة كي لا يخلوَ هذا الباب من الحديث عنهم خاصة وسيأتي فصل نتحدث به عن فرق الضلالة التي ضل بعضها بسبب الموقف من الصحابة وتمشياً مع مبدئنا في هذا الفصل بأن نشير ولا نستوعب لأننا توسعنا في أمكنة أخرى في هذا الكتاب ، فههنا نذكر بعض الأحاديث النبوية التي تذكر للأجيال الأولى فضلها ، رغم كل ما حدث فيها وفيما بينها ، لأنها هي التي حملت الإسلام وأوصلته إلينا ، وقامت بحق الله فيه ، ولقلة الشاذين والمنحرفين بعد جيل الصحابة بالنسبة لمجموع الأمة .

---

(١) الفتح : ١٨ .

(٢) التوبة : ١٠٠ .

النصوص

٣٠٥ ـ * روى البخـاري ومسلم عن أبي سعيـدِ الخُـدْرِيِّ قـال : قـال رسـولُ اللهِ ﷺ : « يـأتي على النـاس زمـانٌ فَيَغْزُو فِئـامٌ من النـاس ، فيقولون : فيكم مَنْ صـاحبَ رسولَ اللهِ ﷺ ؟ فيقولون لهم : نعم فيُفتحُ لهم . ثمَّ يأتي على النـاسِ زمـانٌ فيَغزو فِئامٌ منَ الناس فيُقالُ : فيكم مَن صاحَبَ أصحـابَ رسولِ الله ﷺ فيقولون : نعم فيُفتَحُ لهم . ثمَّ يأتي على الناس زمان فَيَغزو فِئامٌ منَ الناس فيقال : هل فيكم مَن صاحَبَ مَن صاحَبَ أصحابَ رسولِ الله ﷺ ؟ فيقولون نعم فيُفتَحُ لهم » .

وفي رواية [(١)] عَنْ جَابِرٍ ، قَـالَ : زَعَمَ أَبُو سَعِيـدٍ الْخُـدْرِيُّ قَـالَ : قَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَـانٌ يُبْعَثُ مِنْهُمُ الْبعْثُ فَيَقُولُونَ : انْظُرُوا هَلْ تَجِـدُونَ فِيكم أَحَداً مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ؟ فيُوجَدُ الرَّجُلُ ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ بِـهِ . ثُمَّ يُبْعَثُ الْبَعْثُ الثَّانِي فَيَقُولُونَ : هَلْ فِيهِمْ مَنْ رأَىٰ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ ؟ فَيُفْتَحُ لَهُمْ بِـهِ ثُمَّ يُبْعَثُ البعْثُ الثَّـالِثُ فيُقَـالُ : انْظُرُوا هَلْ تَرَوْنَ فِيهِمْ مَنْ رَأَىٰ مَنْ رأَىٰ أَصْحَـابَ النَّبِيِّ ﷺ ؟ ثُمَّ يكُونُ الْبعْثُ الرَّابِعُ فيُقَالُ : انْظُرُوا هَلْ تَرَوْن فيهِمْ أَحَداً رَأَىٰ مَنْ رَأَىٰ أحدًا رَأَىٰ أَصْحَابَ النَّبيِّ ﷺ ؟ فَيُوجَدُ الرَّجُلُ ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ بِهِ » .

٣٠٦ ـ * روى البخـاري ومسلم عن عِمْرانَ بن حُصَيْنٍ رضيَ اللهُ عنهما قـال : قـال رسولُ الله ﷺ « خيرُ أُمَّتي قَرني ، ثم الـذين يَلُونهم ثم الـذين يَلُـونهم ـ قـال عمرانُ : فـلا أدري أذكَرَ بعـدَ قَرْنِـه قرنين أو ثـلاثـاً ـ ثُمَّ إنَّ بَعـدكم قـومًـا يَشهـدون ولا يُسْتَشهـدون ويخونون ولا يُؤْتَمنُونَ ، ويَنذُرون ولا يَفُون ، ويَظهر فيهم السِّمَنُ » .

---

٣٠٥ ـ البخاري (٦ / ٨٨) ـ ٥٦ ـ كتاب الجهاد ـ ٧٦ ـ باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب .

مسلم (٤ / ١٩٦٢) ـ ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ـ ٥٢ ـ باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم .

(فئام) : أي جماعة .

(١) مسلم (٤ / ١٩٦٢) ، في الموضع السابق .

٣٠٦ ـ البخاري (٥ / ٢٥٨) ـ ٥٢ ـ كتاب الشهادات ـ ٩ ـ باب لا يشهد على شهادة زور إذا أُشهد .

مسلم (٤ / ١٩٦٤) ، في الموضع السابق .

قال الحافظ في الفتح : قوله : « خير أمتي قرني » أي أهل قرني ، والقرن أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة ،ويقال إن ذلك مخصوص بما إذا اجتمعوا في زمن نبي أو رئيس يجمعهم على ملة أو مذهب أو عمل ، ويطلق القرن على مدة من الزمان ، واختلفوا في تحديدها من عشرة أعوام إلى مائة وعشرين ... [وهناك] ما يدل على أن القرن مائة وهو المشهود ...

والمراد بقرن النبي ﷺ في هذا الحديث الصحابة . ا. هـ .

قوله : « يخونون ولا يؤتمنون » ؛ قال النووي : ومعناه يخونون خيانة ظاهرة بحيث لا يبقى معها أمانة . بخلاف من خان بحقير مرة واحدة ، فإنه يصدق عليه أنه خان ، ولا يخرج به عن الأمانة في بعض المواطن . ا. هـ .

قوله : « يظهر فيهم السمن » ؛ قال النووي : قال جمهور العلماء في معنى هذا الحديث : المراد بالسمن ، هنا ، كثرة اللحم . ومعناه أنه يكثر ذلك فيهم . وليس معناه أن يتمحضوا سمانا . قالوا : والمذموم منه من يستكسبه . وأما من هو فيه خلقة فلا يدخل في هذا ، والمتكسب له هو المتوسع في المأكول والمشروب زائدا على المعتاد . ا . هـ .

وفي رواية [1] عن عبدِ الله رضيَ الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « خيرُ النـاسِ قَرنِي ، ثم الذين يَلونَهم ، ثُمَّ يجيء قومٌ تَسبِقُ شهادةُ أحدهم يَمينَه ، ويَمينُه شهادتَه » . قال : قال إبراهيم : وكانوا يَضربوننا على الشهادةِ والعهدِ ونحن صغار .

قوله (تسبق شهادةُ أحدِهم يمينَهُ ويمينُهُ شهادَتَهُ) : قال النووي في شرح صحيح مسلم : هذا ذم لمن يشهد ويحلف مع شهادته ،ومعنى الحديث أنه يجمع بين اليمين والشهادة فتارة تسبق هذه وتارة هذه . ا . هـ .

قال الحافظ في الفتح : قوله (قال إبراهيم) ... وإبراهيم هو النخعي .

---

(١) البخاري (٥ / ٢٥٩) ـ ٥٢ ـ كتاب الشهادات ـ ٩ ـ باب لا يُشهد على جور إذا أُشهد .

ومسلم (٤ / ١٩٦٢) ـ ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ـ ٥٢ ـ باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم . =

قوله (كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد) ... قال أبو عمر بن عبد البر : معناه عندهم النهي عن مبادرة الرجل بقوله أشهد بالله وعليّ عهد الله لقد كان كذا ونحو ذلك . وإنما كانوا يضربونهم على ذلك حتى لا يصير لهم به عادة فيحلفوا في كل ما يصلح وما لا يصلح . ا. هـ .

وفي رواية [1] عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ : أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ ؟ قَالَ : « الْقَرْنُ الَّذي أَنَا فِيه ، ثُمَّ الثَّانِي ، ثُمَّ الثَّالِثُ » .

٣٠٧ - * روى مسلم عَنْ أَبِي بُرْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، ثمَّ قُلْنا : لَوْ جَلَسْنَا حَتَّىٰ نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ ! قَالَ فَجَلَسْنَا ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا ، فَقَالَ : « مَازِلْتُمْ هَهُنا ؟ » قلْنَا : يَا رَسُولَ الله ! صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ ، ثُمَّ قُلْنَا : نَجْلِسُ حَتَّىٰ نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاء . قَالَ « أَحْسَنْتُم » أو « أَصَبْتُمْ » . قَالَ : فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاء ، وَكَانَ كَثِيراً مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّماء ، فَقَال : « النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّماء . فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ . وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي . فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَىٰ أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ . وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي . فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَىٰ أُمَّتِي مَا يُوعَدُون » .

٣٠٨ - * روى مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَال : أَخْبَرَتْنِي أُمُّ مُبَشِّرٍ ؛ أَنَّها سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ ، عِنْدَ حَفْصَةَ : « لا يَدْخُلُ النَّارَ ، إِنْ شَاءَ اللهُ ،مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ ، أَحَدٌ . الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا » . قَالَتْ : بَلَىٰ يَا رَسُولَ الله ! فَانْتَهَرَهَا فَقَالَتْ حفصة :

= [1] مسلم (٤ / ١٩٦٥) ، في الموضع السابق .

(أمنة للسماء) قال العلماء : الأمنة والأمن والأمان بمعنى . ومعنى الحديث أن النجوم مادامت باقية فالسماء باقية فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة ، وهنت السماء فانفطرت وانشقت وذهبت .

(وأنا أمنة لأصحابي) أي من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من الأعراب ، واختلاف القلوب ، ونحو ذلك مما أنذر به صريحا . وقد وقع كل ذلك .

(فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون) : معناه من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه ، وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم عليهم وانتهاك المدينة ومكة ، وغير ذلك . وهذه كلها من معجزاته ﷺ .

٣٠٧ - مسلم (٤ / ١٩٦١) - ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٥١ - باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه وبقاء أصحابه أمان للأمة .

٣٠٨ - مسلم (٤ / ١٩٤٢) - ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٣٧ - باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان رضي الله عنهم .

=

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُها ﴾ [1] فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « قَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ » [2] .

٣٠٩ ـ * روى البخاري عن أبي سعيد الخدْرِيِّ رضيَ اللهُ عنه قال : قال النبيُّ ﷺ : « لا تَسُبُّوا أَصحابِى ، فلو أَنَّ أحدَكم أنفقَ مثلَ أُحُدٍ ذهَباً ما بَلغَ مُدَّ أَحدِهم ولا نَصيفَه » .

٣١٠ ـ * روى مسلم عن أبي هريرة قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي . فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا ، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ ، وَلا نَصِيفَهُ » .

قال الحافظ في الفتح :

قوله (فلو أن أحدكم) فيه إشعار بأن المراد بقوله أولاً « أصحابي » أصحاب مخصوصون ، وإلا فالخطاب كان للصحابة ، وقد قال : « لو أن أحدكم أنفق » ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ﴾ [3] الآية ، ومع ذلك فَنَهْيُ بعض من أدرك النبي ﷺ وخاطبه بذلك عن سب من سبقه يقتضي زجرَ من لم يدرك النبي ﷺ ولم يخاطبه عن سب من سبقه من باب الأولى ، وغفل من قال إن الخطاب بذلك لغير الصحابة وإنما المراد من سيوجد من المسلمين المفروضين في العقل تنزيلا لمن سيوجد منزلة الموجود للقطع بوقوعه ، ووجه التعقب عليه وقوع التصريح في نفس الخبر بأن المخاطب بذلك خالد بن الوليد وهو من الصحابة الموجودين إذ ذاك بالاتفاق .

[وقد ذكر الحافظ أنه في روايات أخرى ذُكِرَ سببٌ لهذا الحديث وهو ما وقع في أوله قال : كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيء ، فسبه خالد ، فذكر الحديث] .

= (١) مريم : ٧١ . (٢) مريم : ٧٢ .

٣٠٩ ـ البخاري (٧ / ٢١) ـ ٦٢ ـ كتاب فضائل الصحابة ـ ٥ ـ باب قوله النبي ﷺ : « لو كنت متخذًا خليلا » .

٣١٠ ـ مسلم (٤ / ١٩٦٧) ـ ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ـ ٥٤ ـ باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم .

(٣) الحديد : ١٠ .

قـولـه (مـد أحـدهم ولا نصيفـه) أي المـد من كل شيء ، والنصيف بـوزن رغيف هـو النصف ...

وقيـل النصيف مكيـال دون المـد ، والمـد بضم الميم مكيـال معروف ... [ويسـاوي ٦٧٥ غراماً] .

قال : والمراد به الفضل والطول ... قال البيضاوي : معنى الحديث لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أحد ذهبا من الفضل والأجر ما ينـال أحـدهم بـإنفـاق مـد الطعـام أو نصيفـه . وسبب التفـاوت مـا يقـارن الأفضل من مزيـد الإخلاص وصـدق النيـة . قلت : [أي ابن حجر] وأعظم من ذلك في سبب الأفضلية عظم موقع ذلك لشدة الاحتياج إليه . ا . هـ .

٣١١ ـ *روى مسلم عن هشَام بن عُرْوَة ، عَن أبيه عروة ، قال : قالت لي عائشة يـا ابن أختي ، أُمِروا أن يستغفِروا لأصحابِ رسول الله ﷺ ، فَسَبُّوهم .

ومن أقوال العلماء في الصحابة :

قال ابن الوزير في الروض الباسم : (إن الأدلـة دلت على مـا ذهب إليـه أهل الحـديث وغيرهم من قبول الصحابة رضي الله عنهم ، المعروف منهم بالعـدالـة ، والمجهول الحـال ، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة كثيرة) . ا . هـ .

وقال الإمام ابن حبان في كتاب المجروحين :

فإن قال قائل : فكيف جرحت من بعد الصحابة ، وأبيت ذلـك في الصحـابـة ، والسهو والخطأ موجود في أصحاب رسول الله ﷺ ، كما وجد فيمن بعدهم من المحدثين ؟

يقال لـه : إن الله ـ عز وجل ـ نزه أقـدار أصحـاب رسولـه ، عن ثلب قـادح ، وصـان أقـدارهم عن وقيعـة متنقص ، وجعلهم كالنجوم يقتـدى بهم ، وقـد قـال الله ـ جلّ وعلا ـ : ﴿ إن أولى الناس بإبراهيم لَلذين اتبعوه وهـذا النبي والـذين آمنوا والله ولي المؤمنين ﴾ [1]

---

٣١١ ـ مسلم (٤ / ٢٣١٧) ـ ٥٤ ـ كتاب التفسير ـ حديث (١٥) .

(١) آل عمران : ٦٨ .

ثم قال : ﴿ يوم لا يخزي الله النبيّ والذين آمنوا معه ﴾ [١] فمن أخبر الله أنه لا يخزيه يوم القيامة ، وقد شهد له باتباع ملة إبراهيم حنيفاً ، لا يجوز أن يجرح بالكذب ، لأنه يستحيل أن يقول الله - جلّ وعلا - : ﴿ يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه ﴾ ثم يقول النبي [٢] ﷺ : « من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » . فيطلق النبي ﷺ إيجاب النار لمن أخبر الله - جل وعلا - أنه لا يخزيه في القيامة ، بل الخطاب وقع على من بعد الصحابة ، وأما من شهد التنزيل ، وصحب الرسول ﷺ ، فالثلب لهم غير حلال ، والقدح فيهم ضد الإيمان ، والتنقيص لأحدهم نفس النفاق ، لأنهم خير الناس قرنا بعد رسول الله ﷺ ، بحكم من لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى صلى الله عليه وسلم .

وإن من تولى رسول الله ﷺ إيداعهم ما ولاه الله بيانه للناس ، لَبالحريّ من أن لا يجرح لأن رسول الله ﷺ لم يُودع أصحابه الرسالة ، وأمرهم أن يبلغ الشاهدُ الغائبَ ، إلا وهم عنده صادقون جائزو الشهادة ، ولو لم يكونوا كذلك ، لم يأمرهم بتبليغ من بعدهم ما شهدوا منه لأنه لو كان كذلك ، لكان فيه قدح في الرسالة . وكفى بمن عدّله رسول الله ﷺ شرفاً ، وإن من بعد الصحابة ليسوا كذلك ، لأن الصحابي إذا أدى إلى من بعده ، يحتمل أن يكون المبلَّغ إليه منافقاً ، أو مبتدعاً ضالاً ينقص من الخبر أو يزيد فيه ، ليضل به العالَم من الناس ، فمن أجله فرقنا بينهم وبين الصحابة ، إذ صان الله - عز وجل - أقدار الصحابة عن البدع والضلال . جمعنا الله وإياهم في مستقر رحمته ا . هـ .

وقال الخطيب البغدادي - رحمه الله - في الكفاية :

كل حديث اتصل إسناده بَيْنَ مَنْ رواه ، وبين النبي ﷺ لم يلزم العمل به إلا بعد ثبوت عدالة رجاله ويجب النظر في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه إلى رسول الله ﷺ لأن عدالة الصحابة ثابتة ، معلومة بتعديل الله لهم ، وإخباره عن طهارتهم ، واختياره لهم في نص القرآن .

---

(١) التحريم : ٨ .

(٢) مسلم (١ / ١٠) - المقدمة - ٢ - باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ .

قال أبو زرعة : إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ ، فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن رسول الله ﷺ عندنا حق ، والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحابُ رسول الله ﷺ ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ، ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى ، وهم زنادقة . ا . هـ .

وقال ابن الصلاح في علوم الحديث :

ثم إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة ، ومن لابس الفتن منهم فكذلك بإجماع العلماء الذين يُعتد بهم في الإجماع ، إحساناً للظن بهم ، ونظراً إلى ما تمهد لهم من المآثر وكأن الله سبحانه وتعالى أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة . ا . هـ .

قال أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب :

قد كفينا البحث عن أحوالهم لإجماع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول .

وقال الخطيب في الكفاية : هذا مذهب كافة العلماء ومن يُعتد بقوله من الفقهاء .

ونقل الإجماع محمد بن الوزير اليماني عن أهل السنة وعن الزيدية والمعتزلة أيضاً وكذا الصنعاني في توضيح الأفكار . ا.هـ

* * *



الفصل الثالث عشر

في :

الوساوس العارضة وفي خفوت نور الإيمان وزيادته وتجديده وإقلاعه

وفيه :

مقدمة ونصوص



المقدمة

هناك وساوس تعرض للقلوب في مراحل حياتية ، هذا النوع من الوساوس لا قيمة له مادام القلب يكرهه ويرفضه لأنه شيء خارجي فهو أشبه بأن يأتيك إنسان ويدعوك إلى شر وأنت ترفض .

وهناك وساوس يتجاوب معها القلب وتؤثر فيه وتحدث تشكيكات وشبهات فهذه خطرة ، وعلى الإنسان أن يجاهدها بالذكر ومجالسة العلماء العاملين ومذاكرتهم : ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ [(١)] .

« لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة » . أخرجه مسلم [(٢)] .

وهناك وساوس طارئة بسبب موقف ما كما في حادثة أبيّ بن كعب التي رواها مسلم [(٣)] :

« فسقط في قلبي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية » .

وكما قال ربنا عز وجل : ﴿ وتظنون بالله الظنونا ﴾ [(٤)] فهذه علاجها الكينونة مع الصادقين .

وهناك حالات من ذبول نور الإيمان سببها الاستغراق بالعمل والانشغال عن الذكر ، وكل هذه القضايا تحتاج إلى علاج ، ومن ألزم نفسه بالأوراد اليومية وقراءة القرآن ومجالسة العلماء والصالحين وحضر مجالس الذكر والعلم فالمرجو أن يكون إيمانه في تجدد دائم .

---

(١) الرعد : ٢٨ .

(٢) مسلم (٤ / ٢١٠٦) ـ ٤٩ ـ كتاب التوبة ـ ٣ ـ باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة ، وجواز ترك ذلك ...

(٣) مسلم (١ / ٥٦٢) ـ ٦ ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ ٤٨ ـ باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه .

(٤) الأحزاب : ١٠ .

وهناك إيمان عقلي قائم على الأدلة القطعية فهذا الذي لا ينبغي أن ينقص لأن نقصانه شك والشك كفر ، وهناك الإيمان القلبي الذوقي فهذا يزيد بزيادة نور القلب ويزيد بزيادة الطاعة المخلصة وينقص بنقص الطاعة أو بالوقوع في المعصية ، هذا فهمنا لقضية زيادة الإيمان ونقصه ، فقد قال أبو حنيفة : الإيمان لا يزيد ولا ينقص . وحمل مثل قوله تعالى : ﴿ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ﴾ [1] على زيادة المُؤْمَن به . وفهمي : أنه يريد الإيمان العقلي لأنه ينبغي أن يكون جازماً ، وأن الذين قالوا بزيادة الإيمان أخذاً من النصوص أرادوا زيادة الإيمان القلبي وذلك شيء مُحَسٌّ . وفي أجواء هذه المعاني ننقل النصوص التالية :

---

(١) الأنفال : ٢ .

النُّصُوصُ

٣١٢ - * روى أحمد عن عائشةَ رضي الله عنها أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ أحَدَكُم يَأتِيهِ الشَّيطَانُ فَيَقُولُ : مَنْ خَلَقَكَ ؟ فَيَقُولُ : الله . فَيَقُولُ مَنْ خَلَقَ الله ؟ فَإذا وَجَدَ أحَدُكُم ذلِكَ فَليَقُل : آمَنْتُ باللهِ وَرَسُولِهِ . فَإنَّ ذَلِكَ يُذهِبُ عَنْهُ » .

٣١٣ - * روى البزار عن عمارَةَ بنِ أبي الحَسَنِ أوْ ابنِ حَسَن عَنْ عَمِّهِ أنَّ النَّاسَ سَألُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الوَسْوَسَةِ التي يَجِدُها أحَدُهُم لأنْ يَسْقُطَ مِنْ عِنْدِ الثُّرَيَّا أحَبُّ إلَيهِ مِنْ أنْ يتكلَّم بِهِ . قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « ذَاكَ صَرِيحُ الإيْمانِ ؛ إنَّ الشَّيْطَانَ يَأتِي العَبْدَ فِيمَا دُونَ ذَلِكَ فَإذَا عُصِمَ مِنْهُ وَقَعَ فِيمَا هُنَالِكَ » .

٣١٤ - * روى مسلم عن عبدِ الله بن مسعود رضي الله عنه قال : سُئِلَ رسول الله ﷺ عن الوسوسة ؟ فقال : « تِلكَ مَحْضُ الإيمانِ » .

وفي رواية [(١)] عن أبي هريرة ، قال : جاء ناسٌ من أصحاب النبي ﷺ فسألوه : إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به قال : « وقد وجدتموه ؟ » قالوا : نعم . قال : « ذاك صريح الإيمان » .

٣١٥ - * روى أبو داود عن عبدِ الله بن عبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُما قَالَ : جَاء رجلٌ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فقَالَ : « يَا رَسُولَ اللهِ ، إنَّ أحَدَنا يَجِدُ في نفسِهِ - يُعَرِّضُ بالشَّيء -

---

٣١٢ - أحمد (٦ / ٢٥٧) .

كشف الأستار (١ / ٣٤) .

مجمع الزوائد (١ / ٣٢) . وقال : رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ورجاله ثقات .

٣١٣ - كشف الأستار (١ / ٣٣) .

مجمع الزوائد (١ / ٣٤) . وقال : رواه البزار ورجاله ثقات أئمة .

٣١٤ - أخرجه مسلم (١ / ١١٩) ١ - كتاب الإيمان - ٦٠ - باب بيان الوسوسة في الإيمان ومايقوله من وجدها .

الوَسْوَسَة : حديث النفس . محض الإيمان : خالصه .

يَخِرُّ : خَرَّ يَخِرُّ : إذا وقع من موضع عال .

أقول : وإنما كانت هذه الحالة محض الإيمان لأنه قد صاحبتها قمة الكراهية للوسوسة ومضونها .

(١) مسلم (١ / ١١٩) ، في الموضع السابق .

٣١٥ - أبو داود (٤ / ٣٢٩) - كتاب الأدب - باب في رد الوسوسة .

=

لأن يَكُونَ حُمَمةً أحبُّ إلَيْـهِ مِنْ أنْ يَتَكَلَّمَ بِـهِ . فَقَـالَ : « اللهُ أكْبَرُ ، اللهُ أكبرُ ، الحْمدُ للهِ الذي رَدَّ كَيْدَهُ إلى الوَسْوَسَةِ » .

وفـي رِوَايَـةٍ (١) قَالَ أبُو زُمَيْل : قُلْتُ لابْنِ عَبَّاسٍ : مَا شَيءٌ أجِدُهُ فِي صَدْرِي ؟ قَالَ : مَا هُوَ ؟ قُلْتُ : وَاللهِ لا أتَكَلَّمُ بهِ . فقال لِيْ : شَيءٌ مِنْ شكٍّ ؟ وَضحـك ، ثم قَـالَ :مَـا نَجَا مِنْ ذَلِكَ أحَدٌ حَتَّى أنْزلَ الله : ﴿ فَإنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أنزَلْنَا إلَيْكَ فاسْأَلِ الـذِينَ يَقْرؤُونَ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ (٢) ثمَّ قَالَ : إذَا وَجَـدْتَ شَيْئـاً مِنْ ذَلِـكَ فِي نفسـك ، فَقُلْ : هُوَ الأوَّلُ وَالآخِرُ ، والظَّاهِرُ والباطِنُ ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عليمٌ .

٣١٦ - * روى مسلم عن أبي بن كعب رضي الله عنـه قـال : كنتُ في المسجـد ، فـدخـل رجلٌ يُصَلِّي ، فقرأ قِراءَةً أنكرْتُهـا ، ثُم دخل آخَر ، فقرأ قراءةً سِوى قراءةِ صـاحبـهِ ، فلمَّـا قضيْنَا الصلاةَ ، دَخَلْنا جميعاً على رسولِ الله ﷺ ، فقلتُ : إنَّ هذا قرأ قراءةً أنْكَرتُها عليه ، فـدخـل آخر فقرأ سِـوى قراءة صـاحبـه ، فـأمَرهما رسـولُ الله ﷺ فَقَرَآ ، فحَسَّنَ النَّبيُّ ﷺ شأنهما ، فَسَقطَ في نفسي مِن التَّكْذيبِ ، ولا إذْ كُنْتُ في الجاهلية ، فلمـا رأى رسولُ الله ﷺ ما قد غَشِيَنِي ، ضَرَبَ في صَدْري ، فَفِضْت عَرقاً ، وكأنما أنظرُ إلى الله عز وجل فَرَقاً ، فقـال لي : « يا أُبَيُّ ، أُرْسِلَ إليَّ ، أنْ اقْرأ القرآن على حَرفٍ فَرَدَدْتُ إليـه : أنْ هَوِّنْ على أُمَّتي ، فردَّ إليَّ الثانية : أن اقْرأْهُ على حرفين ، فردَدْتُ إليه : أنْ هونْ على أمتي ، فردَّ إليَّ الثالثـة : أن اقرأهُ على سَبعـةِ أحرفٍ ، ولَـكَ بكُلِّ رَدَّةٍ رددْتُكَهـا مسـألـةٌ تسـألُنيهـا ، فقلتُ : اللَّهُمَّ اغفر لأُمتي ، اللهمَّ اغفر لأُمتي وأخَّرْتُ الثـالثـةَ ليـوم يرغبُ إليَّ الخَلْقُ كلُّهم حتي إبراهيمُ » .

حُمَمَة : الفحمة وجمعها : حُمَم . والمعنى لأن يصير فحماً .

(١) أبو داود (٤ / ٣٢٩) - كتاب الأدب - باب في رد الوسوسة .

وإسناده حسن .

(٢) يونس : ٩٤ .

٣١٦ - مسلم (١ / ٥٦٢) - ٦ - كتاب المسافرين وقصرها - ٤٨ - باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه .

والنسائي (٢ / ١٥٢) - ١١ - كتاب الافتتاح - ٣٧ - جامع ما جاء في القرآن .

والترمذي (٥ / ١٩٣) - ٤٧ - كتاب القراءات - ١١ - باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف .

وقال : هذا حديث حسن صحيح . ولكن رواه عن عمر بلفظ قريب .

أقول : في الحديث نموذج على ما يعرض للقلب من وساوس عارضة بسبب شبهة كما أن فيه ما يدل على الحال الموروث عن رسول الله ﷺ الذي يكون عند أهل القلوب .

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل أُبيًّا بضربة على صدره من حال الوسوسة إلى أعلى درجات اليقين ، وأما الأحرف السبعة فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يراعي فيها لهجات العرب ثم أجمعت الأمة على الرسم العثماني للمصحف وعلى القراءات العشر ، فالقراءات العشر كلها متفقة على الرسم العثماني وهو على لغة قريش .

والاختلافات في الأداء فيها هي في فهمي بقية الأحرف السبعة وليست هذه القراءات هي الأحرف السبعة .

٣١٧ - * روى مسلم عن أبي ربعي حنْظَلة بن الربيع الأُسَيِّدي الكاتب ، أحد كتَّاب رسول الله ﷺ قال : لقيني أبو بكرٍ رضي الله عنه فقال : كيف أنت ياحَنْظلة ؟ قلتُ : نَافَقَ حنظلةُ . قال سبحانَ الله ؟!! ما تقولُ ؟ قلتُ : نكونُ عند رسول الله ﷺ يذكِّرُنا بالجَنَّةِ والنَّارِ ، كأنا رَأيَ عَيْنٍ ، فإذا خرجْنَا مِنْ عند رسول الله ﷺ عَافَسْنَا الأزواجَ والأَوْلادَ والضَّيْعَاتِ نَسِينا كَثيراً . قال أبو بكر رضي الله عنه : فوالله إنَّا لَنَلْقَى مِثْل هذَا . فانطلقتُ أنا وأبو بكرٍ حتى دخَلْنَا على رسولِ الله ﷺ فقلتُ : نَافَق حنظلةُ يارسول الله . فقال رسولُ الله ﷺ : « وما ذاك ؟ » قلتُ : يارسول الله نكون عندك تُذكِّرنا بالنَّار والجنّةِ كأنَّا رَأيَ الْعَيْن ، فإذا خَرجْنَا مِنْ عِنْدك عَافَسْنَا الأَزْوَاج والأَولاد والضَّيعَاتِ نَسِينَا كثيراً . فقال رسولُ الله ﷺ : « والذي نفسي بيده إن لَوْ تَدُومون على مَا تكُونُونَ عِندي وفي الذِّكْرِ لصَافَحتْكُمُ المَلائِكةُ على فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ ، ولكن ياحَنْظَلة ساعةً وساعةً » . ثلاثَ مَرَّاتٍ .

أقول : في الحديث إشارة إلى ترقي الإيمان بمجالسة الصالحين وبالذكر ، وفيه إشارة إلى إمكانية الكشف لشيء من عالم الغيب كالملائكة ، وفيه إشارة إلى تغير حال القلب من حال إلى حال ، وفيه إشارة إلى الحال النبوي الذي كان يسري إلى الأصحاب بمجالسته والأخذ

---

٣١٧ - مسلم (٤ / ٢١٠٦) - ٤٩ - كتاب التوبة - ٢ - باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة .....

عنه ، ولذلك كان للصحابة من الفضل ما لا يلحقهم بهم أحد .

٣١٨ - * روى أحمد عن أبي هريرة رفعه : « جددوا إيمانكم » . قيل : يا رسول الله كيف نجدِّدُ إيماننا ؟ قال : « أكثروا من قول لا إله إلا الله » .

٣١٩ - * روى الحاكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ الإيمانَ ليَخْلَقُ في جَوْفِ أحَدِكُم كما يَخْلَقُ الثَّوْبُ فاسألوا الله أن يُجدِّدَ الإيمان في قلوبِكم » .

أقول في الحديثين إشارة إلى خفوت نور الإيمان وضعفه وطروء أسباب الضعف عليه ، وأنّ علاج ذلك بالدعاء والإكثار من النطق بكلمة التوحيد التي ينبغي أن تكون جزءاً من أوراد المسلم اليومية كما سنرى في جزء الأذكار .

٣٢٠ - * روى أبو دواد عن أبي هُرَيْرَةَ رَضي الله عنه ، قال : قال رَسُولُ الله ﷺ : « إذَا زَنَى الرَّجُلُ خَرجَ مِنْه الإيمانُ ، وكَانَ عَلَيه كالظُّلَةِ ، فإذا أَقْلَعَ رَجَعَ إليهِ الإيمانُ » .

---

٣١٨ - أحمد (٢ / ٣٥٩) .

مجمع الزوائد (١ / ٥٢) . وقال : رواه أحمد وإسناده جيد ، وفيه سمير بن نهار وثقه ابن حبان . وقال (١٠ / ٨٢) : رجاله ثقات . وفي موضع آخر (٢ / ٢١١) : وقال البزار : لا يروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد . قلت : ومداره على صدقة بن موسى الدقيقي ، ضعفه ابن معين وغيره ، وقال مسلم بن إبراهيم : حدثنا صدقة الدقيقي وكان صدوقا . ا هـ من مجمع الزوائد .

وقال صاحب فيض القدير (٣ / ٣٤٥) : قال الحاكم : صحيح . فاعترضه الذهبي بأن فيه صدقة بن موسى ؛ ضعفوه . ا هـ .

وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢ / ٤١٥) : رواه أحمد والطبراني ، وإسناد أحمد حسن . ا هـ .

قلت : قال في التقريب (١ / ٣٦٦) : صدقة بن موسى صدوق له أوهام . وذكر في تعجيل المنفعة (١٦٩) : أن سمير بن نهار هو شُتَيْر . وقال عنه في التقريب (١ / ٣٣٣) : صدوق . فالحديث حسن إن شاء الله . ويشهد لمعناه الحديث الذي بعده .

٣١٩ - المستدرك (١ / ٤) . وقال : رواته ثقات . ووافقه الذهبي .

مجمع الزوائد (١ / ٥٢) . وقال : رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن .

٣٢٠ - أبو داود (٤ / ٢٢٢) - كتاب السنة - باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه .

المستدرك (١ / ٢٢) . وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين . ووافقه الذهبي .

وفي رواية [١] « خَرَجَ مِنْهُ الإيمانُ ؛ وكَانَ فَوْقَ رَأسِهِ كالظُّلَّةِ فَإذَا خَرَجَ مِن ذلك العَمَل عَادَ إليه الإيمانُ » .

قال محمد الباقر : تفسيره : يخرجُ مِنْ الإيمان إلى الإسلام .

٣٢١ - * روى البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « لا يـزْني الـزَّاني حِيْن يَـزني وَهُـوَ مُـؤمِنٌ ، وَلا يَشرَبُ الخمر حِين يشْربُهـا وَهُـوَ مُؤمِنٌ ، ولا يَسْرِقُ حِيْنَ يَسْرقُ وَهُوَ مُؤمِنٌ » .

قال ابن عبَّاس[٢] : تَفْسيره : يُنْزَعُ مِنهُ الإيمان ، لأنَّ الإيمانَ نَزِهٌ ، فَإذا أَذْنَب العَبْدُ فَارقَهُ، فَإذَا نَزَعَ عَادَ إليه هكذا . وشبَّكَ بَيْن أَصَابعه ، ثُم فَرَّقَها .

وفي رواية للنسائي [٣] : « ولا يَقْتُل وهو مؤمن » .

٣٢٢ - * روى البخاري ومسلم عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنـهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قَـال : « لا يَزني الـزَّاني حيْنَ يَـزني وَهُـوَ مُـؤمنٌ ، وَلا يَسْرِقُ السَّـارقُ حين يسرِقُ وَهُـوَ مُؤمِنٌ ، وَلا يشرَبُ الخَمر حِيْنَ يَشْرَبُها وهُو مؤمِنٌ » . قَالَ - يَعْني أبَا بَكْرٍ الرَّاوِي عَنْ أَبي هَرَيْرَة : وكان أبو هريرة يُلحق معهنَّ « ولا ينتهِبُ نُهبَـةً ذات شَرفٍ يرفَـعُ النـاسُ إلَيهِ فيها أبْصَارَهُم حِين يَنتَهِبُها وهو مؤمِنٌ » .

وزاد مسلم [٤] « وَلا يَغُلُّ أحدُكم حِين يَغُلُّ وهوَ مُؤمِنٌ فإيَّاكم إيَّاكُم » .

---

(١) الترمذي (٥ / ١٥) - ٤١ - كتاب الإيمان - ١١ - باب ماجاء لا يزني الزاني وهو مؤمن .

٣٢١ - البخاري (١٢ / ٨١) - ٨٦ - كتاب الحدود - ٦ - باب السارق حين يسرق .

(٢) البخاري (١٢ / ١١٤) - ٨٦ - كتاب الحدود - ٢٠ - باب إثم الزناة .

(٣) النسائي (٨ / ٦٣ ، ٦٤) - ٤٥ - كتاب القسامة - ٤٨ - باب تأويل قول الله عز وجل : - ﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها ﴾ .

نزع عن الأمر : إذا أقلع عنه وفارقه .

٣٢٢ - البخاري (١٠ / ٣٠) - ٧٤ - كتاب الأشربة - ١ - باب قول الله تعالى : ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ﴾ .

مسلم (١ / ٧٦) - ١ - كتاب الإيمان - ٢٤ - باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ...

(٤) مسلم (١ / ٧٧) ، في الموضع السابق .

وفي رواية للترمذي [١] قال : « لا يَزْني الزَّاني وهو مُؤمنٌ ، ولا يَسْرِقُ وهو مؤمنٌ ، ولكنَّ التَّوبَةَ معروضَةٌ » .

وفي رواية للنسائي [٢] قال : « لا يَزْني الزَّاني وهو مؤمنٌ ، ولا يَسرقُ وهو مؤمنٌ ، ولا يشربُ الخمرَ وهو مؤمنٌ » ـ وذكر رابعةً فنسيتُها ـ « فإذا فَعَلَ ذلك فقد خَلَعَ رِبْقَةَ الإسلامِ من عُنقِه ، فإنْ تابَ تابَ اللهُ عَلَيْهِ » .

٣٢٣ ـ * روى البخاري ومسلم عن حُذَيفة بن اليَمانِ رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ حديثين ، قد رأيتُ أحدَهما ، وأنا أنتظرُ الآخر ، حَدَّثنا أنَّ الأمانَة نزلت في جَذْرِ قُلوبِ الرِّجال . ثم نزل القرآنُ فَعلموا من القرآن ، وعَلِموا من السُّنَّةِ . ثمَّ حَدَّثنا عن رفع الأمانة ، فقال : « ينامُ الرجلُ النومَةَ ، فَتُقْبض الأمانةُ من قلبه ، فَيظَلُّ أَثَرُها مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْت ، ثُمَّ ينامُ النومَةَ فتقْبَضُ الأمانة من قَلبه ، فيظَلُّ أَثَرُها مِثْلَ أَثَرِ الْمَجْل ، كَجَمْرٍ دَحْرَجتَهُ عَلى رِجْلِكَ فَنَفِطَ ، فَتراهُ مُنْتَبِرًا ، وليس فيه شيءٌ » ـ ثم أَخَذَ حصىً فَدَحْرَجَه على رِجْلِه ـ « فَيُصبحُ النَّاسُ يتَبايعون ، فلا يكادُ أحدٌ يؤدي

---

(١) الترمذي (٥ / ١٥) ـ ٤١ ـ كتاب الإيمان ـ ١١ ـ باب ماجاء لا يزني الزاني وهو مؤمن .

(٢) النسائي (٨ / ٦٥) ـ ٤٦ ـ كتاب قطع السارق ـ ١ ـ باب تعظيم السرقة .

لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن : قيل : معناه : لا يزني وهو كامل الإيمان ، وقيل معناه : إن الهوى يغطي الإيمان ، فصاحب الهوى لا يرى إلا هواه ، ولا ينظر إلى إيمانه الناهي له عن ارتكاب الفاحشة ، فكأنَّ الإيمان في تلك الحالة قد عُدِمَ . وقال ابن عباس : الإيمان نَزِهٌ ، فإذا أذنب العبد فارقه ، فإذا نزع عاد إليه .

نُهبة ذات شَرف : أي : ذات قدر ، فيرفع الناس أبصارهم إليها ينظرونها لعظم قدرها .

رِبْقَة الإسلام : يريد بها عصمته وحكه ، وأصل الرِّبقةِ : العُروةُ تكون في الحبل ، يُشَدُّ فيها الجَدْيُ إذا وُلد ، فكأنَّ المسلم الملتزم أحكام الدِّين قد جعل عروة الإسلام في عنقه ، فإذا فعل فِعْلاً يخرج به عن الإسلام ، فكأنه قد خلع تلك العروة عن رقبته .

٣٢٣ ـ البخاري (١١ / ٣٣٣) ـ ٨١ ـ كتاب الرقاق ـ ٣٥ ـ باب رفع الأمانة .

مسلم (١ / ١٢٦) ـ ١ ـ كتاب الإيمان ـ ٦٤ ـ باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب ...

الترمذي (٤ / ٤٧٤) ـ ٣٤ ـ كتاب الفتن ـ ١٧ ـ باب ماجاء في رفع الأمانة .

جَذْر الشيء ، بفتح الجيم وكسرها : أصله .

الوَكْتُ : النُّقْطَةُ في الشيء من غير لونه .

المَجْلُ : غلظُ الجلدِ من أثر العمل ، وقيل : إنما هي النّفاطات في الجلد .

مُنْتَبِرًا : المُنْتَبِرُ : المنتفخ وليس فيه شيء ، وكل شيء رفع شَيْئًا فقد نَبَرهُ . ومنه اشتق المِنبر .

=

الأمـانَـةَ ، حتَّى يقَـالَ : إنَّ في بني فلان رَجُلاً أمينـا . حتى يقـال للرجـل : مـا أجلَدَه ، ما أظْرفَهَ ، ما أعْقَلهُ ، وما في قلبه مِثْقال حبـةٍ من خردلٍ من إيمـان » .
ولقد أتى عليَّ زمانٌ ومـا أُبـالي أيُّكم بـايعتُ ، لئن كان مسلمًـا ليَردَّنـه عليَّ دِينُـهُ ، وإنْ كان نَصرانِيّا أو يَهوديا لَيردنَّهُ عليَّ ساعيه ، وأما اليوم فما كنتُ أبايعُ منكم إلا فلاناً وفلانا .

* * *

= ساعيه : السّاعي ، واحد السُّعاة ، وهم الولاة على القوم ، يعني أنَّ المسلمين كانوا مُهْتَمّين بالإسلام ، فيحتفظون بالصدق والأمانةِ ، والملوكُ ذَوُو عَدْلٍ ، فما كنتُ أبالي مَنْ أُعامِل : إن كان مسلمًا ردَّه إليَّ بالخروج عن الحق عَمَلُهُ بمقتضى الإسلام ، وإن كان غير مُسلمٍ أنْصفني منه عامله .



الفصل الرابع عشر

في:

الفطرة وحقيقة الإيمان والكفر والنفاق

وفيه:

مقدمة ونصوص



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المقدمة

قال تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفًا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون * منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين * من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا ﴾ (١) ، فالفطرة هي أصل الخلقة ، وأصل خلقة الإنسان أنه مفطور على العبودية لله ، وبقدر بعد الإنسان عن العبودية يبتعد عن الفطرة :

﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ﴾ (٢) وما دام الإنسان على الفطرة فهو على هداية ، وإذا جانب الفطرة ضل ، والهداية نور في القلب ـ الله أعلم به ـ يدل على ذلك الحديث (٣) :

« خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل » .

فمن سلم له نوره كان هداية ، وما لم ينطفئ نور الفطرة فالأمل في هداية الإنسان لا يزال قائمًا ، ومتى انطفأ أصبح منافقًا خالصًا أو كافرًا لا أمل في هدايته .

وإنما يزداد نور الفطرة بالعمل بالشريعة فكلما ازداد العمل مع الإخلاص ازداد النور حتى يصبح الإنسان كله نورًا ، ولذلك ورد في الدعاء على لسان رسولنا ﷺ (٤) : « واجعلني نورًا » . وكثيرون من الناس يظنون أن مثل هذه الأمور من باب المجاز وهذا غلط فهذه حقائق يتذوقها المؤمنون .

---

(١) الروم : ٣٠ ـ ٣٢ .

(٢) الأعراف : ١٧٢ .

(٣) أحمد (٢ / ١٧٦) .

الترمذي (٥ / ٢٦) ـ ٤١ ـ كتاب الإيمان ـ ١٨ ـ باب ماجاء في افتراق هذه الأمة .

وقال : هذا حديث حسن .

المستدرك (١ / ٣٠) .

(٤) مسلم (١ / ٥٢٩) ـ ٦ كتاب صلاة المسافرين ـ ٢٦ ـ باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه .

إن هناك شيئًا مُغَيّبًا عنا موجودًا في القلب هو نور الفطرة ، وإن هناك أنوارًا تدخل القلب هي أثر الهبة الإلٰهية الخالصة أو أثر العمل الصالح ، وكأثر عن ذلك كله يبصر الإنسان الأشياء على حقيقتها ، فلا يرى الزنى على أنه شيء مبهج بل يراه قذرًا مظلمًا ويرى الدنيا أنها فتنة ، وإذا ادلهمت الأمور على غيره فهو يرى طريقه بنور الله عز وجل .

المهم أن نعلم أن هذه حقائق لها وجودها الحقيقي :

انظر إلى قوله تعالى : ﴿ **أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه** ﴾ [١] . قال القرطبي : وقيل البينة : معرفة الله التي أشرقت لها القلوب ، والشاهد الذي يتلوه : العقل الذي ركب في دماغه وأشرق صدره بنوره ، وانظر إلى قوله تعالى : ﴿ **الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة** ﴾ [٢] قال القرطبي : وكان أبي وابن مسعود يفسرانها : مثل نوره في قلب المؤمن كمشكاة .

هذا النور في قلب المؤمن تمده شريعة الله :

﴿ **يوقد من شجرة مباركة** ﴾ قال القرطبي : والشجرة المباركة هي الوحي .

وإذن فهناك نور حقيقي في القلب المؤمن وهناك مدد نوراني يصل إلى القلب كأثر عن العمل الصالح وكأثر عن هذا يتحدد سلوك الإنسان : ﴿ **أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه** ﴾ [٣] .

﴿ **أو من كان ميتًا فأحييناه وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس** ﴾ [٤] .

﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾ [٥] .

﴿ **إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانًا** ﴾ [٦] .

﴿ **ويجعل لكم نورًا تمشون به** ﴾ [٧] .

---

(١) هود : ١٧ .
(٢) النور : ٣٥ .
(٣) الزمر : ٢٢ .
(٤) الأنعام : ١٢٢ .
(٥) العنكبوت : ٦٩ .
(٦) الأنفال : ٢٩ .
(٧) الحديد : ٢٨ .

ومن ههنا استعمل أهل السلوك إلى الله فكرة الوارد الذي ينصب في القلب كأثر عن الأوراد والأعمال الصالحة : ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾ (١) فإذا أصبح القلب نورًا خالصًا فصاحبه هو المؤمن الخالص ، وإذا كان في القلب ظلمة ونور فصاحبه عنده إيمان ونفاق ، وإذا لم يبق في القلب نور مع تظاهر صاحبه في الإسلام فذلك المنافق الخالص ، وإذا لم يكن متظاهرًا في الإسلام بل معلنًا للكفر فهو الكافر الخالص ، والإيمان ينبثق عنه سلوك ، مظهره شعب الإيمان كما رأيناها ، والنفاق ينبثق عنه سلوك ، مظهره شعب النفاق كما سنراها ، والكفر له سلوكياته .

ومن سلوكيات الكفر التي فصّلها القرآن عدم قبول الإنذار ، والانخراط في اللهو واللعب وإتيان الشهوات واستغراق في الدنيا .

وكفر اليهود والنصارى خص بمزيد تفصيل في القرآن لانبثاق أنواع من السلوكيات عن هذا وهذا ، وأما النفاق فشعبه كثيرة ، أهمها الكذب والغدر والفجور في الخصومة ومخالفة الظاهر للباطن في شر والخداع وموالاة الكفر والسعي بالفساد فمتى وجد النفاق فهذه الأشياء تنبثق بشكل تلقائي عنه فإذا ما وجدناها فعلينا أن نعالجها وأن نعالج الأصل .

وهذه الأمور من أهم ما وقعت فيه الغفلة في عصرنا ، وقد نقل القرطبي عند قوله تعالى : ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور منْ ربه ﴾ ما يلي :
روى مُرةً عن ابن مسعود (٢) قال : قلنا يارسول الله ، قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صدرهُ للإسلام فَهُو عَلَى نُورٍ مِنْ رَبه ﴾ كيف انشرح صدره ؟ قال : « إذا دخل النور القلب انشرح وانفتح » . قلنا : يا رسول الله وما علامة ذلك ؟ . قال : « الإنابة إلى

(١) محمد : ١٧ .
(٢) الحديث له طرق عديدة عن ابن مسعود وعن ابن عباس ، وأرسله الحسن البصري وأبو جعفر المدائني ، هذا وقد سكت عنه العراقي في تخريجه على الإحياء .
وقال السيوطي في الدر المنثور : أخرجه ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا وابن جرير والحاكم والبيهقي في الشعب وغيرهم ...
وقال ابن كثير عنه : فهذه طرق للحديث مرسلة ومتصلة يشد بعضها بعضًا ، ومثل هذا قال ابن القيم ووافق ابنَ كثير الشوكانيُّ وجزم به الألوسي .
فالحديث يرتقي للحسن والله أعلم ، وقد ضعفه آخرون .

دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله » ، وأخرجه الترمذي الحكيم في « نوادر الأصول » من حديث ابن عمر [١] : أن رجلا قال يا رسول الله أي المؤمنين أكيس ؟ قال : « أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادًا وإذا دخل النور في القلب انفسح واستوسع » قالوا : فما آية ذلك يا نبي الله ؟ قال : « الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت » .

ومن هاهنا نفهم أن السلوك هو أثر ما في القلب وأن الإنسان عليه أن يجاهد نفسه سلوكيًا ليستقيم قلبه ، فإذا استقام قلبه استقامت الأطراف :

« إن في الجسد مضغةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسدُ كُلُّهُ وإذا فَسَدَت فَسَدَ الجسدُ كُلُّه ألا وهي القلبُ » [٢] .

والنصوص التالية نفهم منها حقيقة الكفر والنفاق والإيمان والفطرة :

---

(١) روى ابن ماجه بعضه : (٢ / ١٤٢٣) - ٣٧ - كتاب الزهد - ٣١ - باب ذكر الموت والاستعداد له .

(٢) مسلم (٣ / ١٢١٩) ٢٢ - كتاب المساقاة - ٢٠ - باب أخذ الحلال وترك الشبهات .

النصوص

٣٢٤ - * روى الإمام أحمد عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« القلوبُ أربعةٌ : قلبٌ أجردُ فيه مثلُ السراج يزهر ، وقلبٌ أغلفُ مربوطٌ على غلافِه ، وقلبٌ منكوسٌ ، وقلبٌ مصفَّحٌ ، فأما القلبُ الأجردُ ، فقلبُ المؤمن فَسراجُه فيه نورُه ، وأما القلبُ الأغلفُ ، فقلبُ الكافر ، وأما القلبُ المنكوسُ فقلبُ المنافق الخالص عَرف ثم أنكر ، وأما القلبُ المصفَّحُ فقلبٌ فيه إيمانٌ ونفاق ، ومَثَلُ الإيمان فيه كَمَثَلِ البقلَةِ يَمدُّها الماءُ الطيب ، ومَثَلُ النِّفاق فيه كَمَثَل القَرحَةِ يَمُدُّها القَيح والدَّم فأي المدَّتين غَلَبَتْ على الأخرى غلبت عليه » .

وهذا الحديث الصحيح المعنى يشهد لصحة معناه العشرون آية الأولى في سورة البقرة كما ذكرنا ذلك في تفسيرنا وهو أصل عظيم في معرفة القلوب وطريق إصلاحها وكيفية فسادها ، وهو دليل لأهل السلوك على فكرة الواردات القلبية التي تنصب في القلب كأثر عن الأعمال الصالحات والمجاهدات . ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ (١) . قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الحسن : « والمجاهد من جاهد في ذات الله » (٢) .

٣٢٥ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما مِن مَوْلودٍ إلا يُولَدُ على الفِطرَة » . ثم يقول : اقرؤوا : ﴿ فِطرةَ الله التي فَطر النَّاسَ عَليها

---

٣٢٤ - مسند أحمد (٣ / ١٧) .

مجمع الزوائد (١ / ٦٣) . وقال : رواه أحمد والطبراني في الصغير وفي إسناده ليث بن أبي سليم ا هـ . وقال ابن كثير : رواه الإمام أحمد بإسناد جيد حسن .

القلب الأجرد : مفسر بالحديث ، ومعنى الأجرد ليس فيه غل ولاغش فهو على أصل الفطرة .

القلب الأغلف : مفسر بالحديث ، والمراد بالأغلف : الذي عليه غشاء عن سماع الحق وقبوله .

القلب المنكوس : مفسر بالحديث ، والمراد بالمنكوس : المقلوب .

القلب المصفح : مفسر بالحديث ، ومن آثار القلب المصفح أنه : يلقى أهل الكفر بوجه وأهل الإيمان بوجه .

(١) العنكبوت : ٦٩ .

(٢) أحمد (٦ / ٢٠) .

الترمذي (٤ / ١٦٥) - ٢٣ - كتاب فضائل الجهاد - ٢ - باب ماجاء في فضل من مات مرابطا .

٣٢٥ - مسلم (٢٠٤٧ ، ٢٠٤٨) - ٤٦ - كتاب القدر - ٦ - باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ، وحكم موت أطفال الكفار ...

لا تَبديل لخَلقِ اللهِ ذلك الدِّينُ القيِّمُ ﴾ [١] .

وزاد البخاري [٢] : « فأَبَواهُ يُهَوِّدانِهِ ، أَو يُنَصِّرانِه ، أَو يمجسانِه ، كما تُنْتَجُ البَهيمَة بهيمةً جَمْعاءَ ، هل تُحِسُّون فيها من جَدعاءَ » .

وفي رواية [٣] قال : « ما من مولودٍ إلا يُولَدُ على الفطرةِ ، فأبواه يُهَوِّدانه ويُنَصِّرانه ، كما تُنْتِجُونَ الإبلَ ، فهل تَجدون فيها جَدْعاء ، حتى تكونوا أنتم تجدَعونها » . قالوا : يا رسول الله ، أفرأيت منْ يموت صغيرًا ؟ قال : « الله أَعْلَمُ بما كانوا عاملين » .

قوله (ما من مولود إلا يولد على الفطرة) :

قال ابن الأثير :

« من » زائدة ، « ومولود » : مبتدأ ، « ويولد » خبره ، وتقديره : ما مولود يولد على أمر إلا على الفطرة ، وهي لغة : الخِلْقَةُ ـ والمراد بها في أشهر الأقوال : الإسلام ، قال ابن عبد البر : وهو المعروف عند عامة السلف ، وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى : ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ [٤] الإسلام . ا. هـ .

أقول يولد الإنسان وقلبه نور خالص ، فإذا وجد في بيئة إيمانية خالصة وتجاوب معها فإن قلبه يبقى نورًا خالصًا وإلا فإنه يتأثر ببيئته فيخرج إمّا كافرًا خالصًا أو منافقًا خالصًا أو يخرج وقلبه فيه إيمان ونفاق ، فإذا بلغ فأصبح مسؤولاً عن نفسه فعليه أن يصل إلى الإيمان الخالص وبذلك يكون قد أعاد قلبه إلى أصل الفطرة .

---

(١) الروم : ٣٠ .

(٢) البخاري (٣ / ٢١٩) ـ ٢٣ ـ كتاب الجنائز ـ ٧٩ ـ باب إذا أسلم الصبي هل يُصلى عليه .

تنتج البهيمة : تلد .

الجمعاء : الجمعاء من البهائم وغيرها : التي لم يذهب من بدنها شيء .

الجدعاء : المقطوعة الأذن أو الأنف أو الشَفة أو اليد وغير ذلك .

(٣) البخاري (١١ / ٤٩٣) ـ ٨٢ ـ كتاب القدر ـ ٣ ـ باب الله أعلم بما كانوا عاملين .

ومسلم (٤ / ٢٠٤٨) ، في الموضع السابق .

(٤) الروم : ٣٠ .

وأمّا قوله عليه الصلاة والسلام عمّن يموت من أبناء الكافرين :

« الله أعلم بما كانوا عاملين » : فقد مر معنا من قبل وأنّ الشارع في هذا المقام علّمنا التفويض في هذا الشأن وأدّبنا إليه وترك لنا نصوصًا أخرى تحدّد مستقبل هؤلاء الأخروي ، ومن القواعد العامّة في الشريعة تعرف أنّهم ناجون لأنّه لا تكليف قبل البلوغ .

* * *



الفصل الخامس عشر

في:

الكفر والشرك والكبائر

وفيه:

مقدمة ونصوص وتحقيقات



المقدمة

إذا كان الخير كله انبثاقًا عن كلمة التوحيد فإن الشر كلـه أثر من آثـار الشرك ﴿ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ﴾ [١] . فـالشرك ليس لـه جـذور في أعماق النفس البشريـة ولا يخرج عنـه إلا الشر الخبيث ، ويـدخل في الشرك أن يتوجه الإنسان لغير الله بمعنىً من معاني العبادة ، ويدخل في الشرك أن يعطي لغير الله مـا هـو خـالص لله ، ويـدخـل في الشرك أن يعتقـد الإنســان أن لغير الله تـأثيرًا في الخلـق ، وبالجملة : فكل ما يتنـافى مع التوحيـد فهو شرك ، وهو نوعـان : شرك خفي وشرك جلي ، فالشرك الخفي هو أن يتحرك الإنسان حركة مما يُقصَد بـه وجـه الله لغير الله ، ولقـد جـاء الإسلام لينفي الشرك الخفي والجلي من روح الإنسـان ومن قلبـه ومن تصرفـاتـه وأحوالـه ، والشرك أحـد أنواع الكفر بل يكاد يـدخـل في كل نـوع منهـا ، وللكفر وللشرك ولـلإلحـاد سلوكيات وأخلاق فصلها القرآن الكريم ، وكثيرًا مـا تـذكر في النصوص الكبـائر والفواحش بجانب الشرك لأن أجرأ النـاس على الفواحش والكبـائر هم الكافرون والمشركون ، وإنْ كان المسلم قد يتلبّس ببعض الكبائر من غير الشرك ، وللصلة بين الكفر والفواحش أدخلنـا هـذه المعاني في فصل واحد ، وأمهات الفواحش هي مـا يطلق عليهـا الموبقـات ، وتسمى أحيـانًـا بالكبائر ، ومع أن الكبائر كثيرة لكن خُصَّ بعضها بـالـذكر أفحشهـا أو من أفحشهـا ، فقـد ذكر الكل وأريد به الجزء إشعارًا بأهمية هذا الجزء ، وكل ما سوى الكفر يمكن التجاوز عنـه إذا تعلقت مشيئة الله عز وجل بذلك . قال تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك بـه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [٢] . (فمذهب أهل السنة عدم تكفير أحـد من أهل القبلـة بـذنب ما لم يستحله أو يكن من نواقض الشهادتين . بينما مذهب الخوارج تكفير المسلمين بكل ذنب تمسكًا بظواهر بعض النصوص ـ وقد ردّه علمـاؤنـا ـ ووجـدت المرجئـة التي تقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله كما لا ينفع مع الكفر طاعة . ووجد المعتزلة الذين يقولون يحبط إيمانـه كلـه بـالكبيرة ولكن قـالـوا بـالمنزلـة بين المنزلتين : فمرتكب الكبيرة يخرج من الإيمـان ولا يدخل في الكفر وحكموا لأهل الكبائر بالخلود بالنار . والخوارج قالوا يخرج من الإيمان

---

(١) إبراهيم ٢٦ . (٢) النسـاء : ٤٨ .

ويدخل في الكفر ، أما أهل السنة فتفقون على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر ولا يخرج من الإيمان والإسلام ولا يدخل في الكفر ولا يستحق الخلود مع الكافرين . وقد تواترت النصوص الدالة على أنه يخرج من النار مَنْ في قلبه مثقالُ ذرة من إيمان سبق ذكر بعضها)[1] ا . هـ .

وكذلك دلت النصوص على ثبوت الإيمان قبل الأوامر والنواهي وعلى أن الإيمان والعمل الصالح يتغايران لأنه قد عطف العمل الصالح على الإيمان ، والعطف يقتضي التغاير ، والأصل أن يجتمعا ، كقوله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ﴾ [2] فإنه يفيد ثبوت الإيمان قبل الأمر بالصوم ، وقوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ [3] فإن أصل العطف للمغايرة ، وكقوله تعالى : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾ [4] بناء على أن المراد من الظلم المعصية ، فقد اقتضى بمفهومه اجتماع الإيمان مع المعاصي ، وقيل : إن المراد بالظلم الشرك ، لما روي أن الآية لما نزلت شق ذلك على الصّحابة ، وقالوا أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال ﷺ : « ليس كما تظنون ، إنما هو كما قال لقمان لابنه : ﴿ يابني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾ »[5] . وعليه فمفهوم الآية من باب ﴿ ومايؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ [6] فيكون المراد بالإيمان مطلق التصديق . وكقوله ﴿ ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم القِصَاص في القتلى ﴾ [7] فأثبت الإيمان للقاتل وكذلك : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ﴾ ، ﴿ إنما المؤمنون إخوة ... ﴾ [8] فأثبت الإيمان والأخوة وهي أخوة الإيمان لا ريب . وقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [9] هي الآية الأم في هذا الباب وعلى ضوئها تحمل النصوص المخالفة في ظاهرها .

---

(١) شرح الطحاوية بتصرف يوضح المعنى .
(٢) البقرة : ٨٣ .
(٣) البقرة : ٢٧٧ .
(٤) الأنعام : ١٨٢ .
(٥) البخاري (٦ / ٤٦٥) ـ ٦٠ ـ كتاب الأنبياء ـ ٤١ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة ... ﴾
(٦) يوسف : ١٠٦ .
(٧) البقرة : ١٧٨ .
(٨) الحجرات : ٩ ، ١٠ .
(٩) النساء : ٤٨ .

النصوص

٣٢٦ - * روى أبو داود عن أمّ الدرداء رضي الله عنها قالت : سمعت أبا الدرداء يقول : سمعت النبيّ ﷺ يقول : « كُلُّ ذَنْبٍ عسى أن يَغْفِرَهُ الله » ـ أو قال : « عَسَى الله أنَ يَغْفِرهُ ـ إلا من ماتَ مُشركاً ، أو مُؤمِنٌ قَتَلَ مُؤمِنًا مُتَعَمِّدًا » .

٣٢٧ - * روى البزار عن عبادةَ بن الصامتِ عن النبي ﷺ قال : « كُلُّ ذَنْبٍ عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركاً أو قتل مؤمناً متعمداً » .

هذا الحديث في ظاهره يدل على أنه لا يغفر للمؤمن الذي قتل مؤمناً متعمداً وعليه يدل ظاهر قوله تعالى : ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمدًا فجزاؤه جهنم ﴾ [1] . وهذا مذهب ابن عباس ، لكن جمهور السلف وجميع أهل السنة حملوا ماورد من ذلك على من استحل القتل أو على الزجر والتغليظ والتنفير إذ ماعدا الشرك من الكبائر يجوز أن يغفر وإن مات صاحبه بلا توبة . وصحح أهل السنة قبول توبة القاتل كغيره وحملوا قوله ﴿ فجزاؤه جهنم ﴾ أي إن شاء أن يجازيه ، تمسكاً بقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾ [2] واستدلالاً بحديث الإسرائيلي الذي قتل تسعة وتسعين ثم أتم المائة بقتل الراهب ، فإذا ثبت ذلك لمن قبل هذه الأمة فمثله لهذه الأمة أولى لما خفف الله عليها من الأثقال هذا مع تضافر النصوص على ذلك [3] .

أقول : التحقيق أن في القتل ثلاثة حقوق : حق الله وحق القتيل ، وحق أهل القتيل : فالتوبة والقصاص ، أو التوبة والدية يسقطان حق الله إن شاء وحق أهل القتيل ، ويبقى حق القتيل ، فإن شاء الله أرضاه وإن شاء عذب قاتله إلى أجل .

---

٣٢٦ - أبو داود (٤ / ١٠٣) - كتاب الفتن والملاحم - باب في تعظيم قتل المؤمن . وإسناده حسن .

أحمد (٤ / ٩٩) .

المستدرك (٤ / ٣٥١) . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

النسائي (٧ / ٨١) - ٣٧ - كتاب تحريم الدم - ١ - باب أخبرنا هارون بن محمد ...

وهو في الثلاثة الأخيرة عن معاوية بن أبي سفيان .

٣٢٧ - كشف الأستار (٤ / ١٢٤) . ورجاله ثقات .

(١) النساء : ٩٣ .

(٢) النساء : ٤٨ .

(٣) راجع عون المعبود (٤ / ١٦٧) .

٣٢٨ ـ * روى البخاري عن عبدِ اللهِ بنِ عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « الكبائرُ : الإشراكُ بالله ، وعُقوقُ الوالدين ، وقَتْلُ النفس ، واليمينُ الغَمُوسُ » .

وفي رواية (١) : أن أعرابياً جاء إلى النبيِّ ﷺ فقال : يارسول الله ، ماالكبائر ؟ قال : « الإشراكُ بالله » . قال : ثم ماذا ؟ قال : « اليمينُ الغَمُوس » . قلتُ : وما اليمينُ الغَمُوسُ ؟ قال : « الذي يَقْتَطِعُ مالَ امرئٍ مسلم » ـــ يعني : بيمين هو فيها كاذب .

٣٢٩ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي بكرَة رضِي الله عنه قال : كُنَّا عند رسولِ الله ﷺ فقال : « ألا أُنَبِّئُكم بأكْبَرِ الكَبائر » ـــ ثلاثاً ـــ قلنا : بلى يارسولَ الله . قال : « الإشراكُ بالله ، وعقوقُ الوالدين ، ألا وشهادةُ الزور ، وقولُ الزور » وكان متَّكئاً فجلس ـــ فمازال يُكَرِّرها حتى قلنا : ليته سكتَ .

٣٣٠ ـ * روى البخاري ومسلم عن أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه قال : ذكر رسولُ الله ﷺ الكبائر ، فقال : « الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس - وقال : - ألا أنَبِّئُكم بأكبر الكبائر ؟ قول الزور - أو قال : شهادة الزور » .

وفي رواية (٢) : أن النبيَّ ﷺ قال : « في الكبائر : الشّركُ بالله ، وعقوقَ

---

٣٢٨ ـ البخاري (١١ / ٥٥٥) ـ ٨٣ ـ كتاب الإيمان والنذور ـ ١٦ ـ باب اليمين الغموس .
الترمذي (٥ / ٢٣٦) ـ ٤٨ ـ كتاب تفسير القرآن ـ ٥ ـ باب (ومن سورة النساء) .
النسائي (٧ / ٨٩) ـ ٢٧ ـ كتاب تحريم الدم ـ ٣ ـ باب ذكر الكبائر .

(١) البخاري (١٢ / ٢٦٤) ـ ٨٨ ـ كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ـ ١ ـ باب إثم من أشرك بالله ... .
(الغموس) اليمين الغموس : هي اليمين الكاذبة التي تغمس حالفها في الإثم .
(يقتطع) الاقتطاع : الأخذ والانفراد بالشيء .

٣٢٩ ـ البخاري (٥ / ٢٦١) ـ٥٢ ـ كتاب الشهادات ـ ١٠ ـ باب ما قيل في شهادة الزور .
مسلم (١ / ٩١) ـ ١ ـ كتاب الإيمان ـ ٣٨ ـ باب بيان الكبائر وأكبرها .
الترمذي (٥ / ٢٣٥) ـ ٤٨ ـ كتاب تفسير القرآن ـ ٥ ـ باب (ومن سورة النساء) .
(الكبائر) جمع كبيرة ، وهي الذنوب العظام .

٣٣٠ ـ البخاري (١٠ / ٤٠٥) ـ ٧٨ ـ كتاب الأدب ٦ ـ باب عقوق الوالدين من الكبائر .
مسلم (١ / ٩٢) الموضع السابق .

(٢) الترمذي (٥ / ٢٣٥) الموضع السابق .
النسائي (٧ / ٨٩) ـ ٣٧ ـ كتاب تحريم الدم ـ ٣ ـ باب ذكر الكبائر .

الوالدين ، وقتلُ النفس ، وشهادةُ الزور » .

٣٣١ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ : أيُّ الذنب أعظمُ عند الله ؟ قال : « أن تجعلَ لله ندًّا وهو خَلَقَكَ » . قلتُ : إنَّ ذلك لعظيمٌ ، ثم أيٌّ ؟ قال : « أن تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخافةَ أن يَطْعَمَ مَعكَ » . قلتُ : ثم أيٌّ ؟ قال : « أن تُزانِي حَلِيلَةَ جَارِكَ » .

وفي رواية (1) : وتلا هذه الآية ﴿ والذين لا يَدْعُون مع اللهِ إلهاً آخر ولا يَقْتُلون النَّفْس التي حَرَّم اللهُ إلا بالحق ولا يَزْنُونَ ومَنْ يَفْعَلْ ذلك يَلْقَ أثاماً * يُضاعَفْ له العذابُ يوم القيامة ويَخْلُدْ فيه مُهاناً ﴾ (2) .

* * *

٣٣٢ - * روى النسائي عن أبي أيوب الأنصاري أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « مَنْ جاءَ يعبدُ اللهَ ولا يشركُ به شيئاً ، ويقيمُ الصلاةَ ، ويؤتي الزكاةَ ، ويجتنبُ الكبائر : كان له الجنةُ » . فسألوه عن الكبائر ؟ فقال : « الإشراكُ بالله ، وقتلُ النفسِ المسلمةِ ، والفرارُ يوم الزحف » .

٣٣٣ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال :

---

٣٣١ - البخاري (٨ / ١٦٣) - ٦٥ - كتاب التفسير - ٢ - باب قوله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون ﴾ .

مسلم (١ / ٩٠) - ١ - كتاب الإيمان - ٣٧ - باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده .

الترمذي (٥ / ٣٣٦) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٢٦ - باب (ومن سورة الفرقان) .

النسائي (٧ / ٨٩) ٣٧ - كتاب تحريم الدم - ٤ - باب ذكر أعظم الذنب .

(1) الترمذي (٥ / ٣٣٧) في الموضع السابق .

النسائي (٧ / ٩٠) ، الموضع السابق .

ندًا : النِّدُّ : المثل .

حليلةَ جارك : حليلةُ الرجل : زوجته ، والرجل حليل امرأته .

أثامًا : الآثام : الإثم ، وقيل : هو العذاب .

(2) الفرقان : ٦٨ ، ٦٩ .

٣٣٢ - أخرجه النسائي (٧ / ٨٨) - ٣٧ - كتاب تحريم الدم - ٣ - ذكر الكبائر .

وإسناده حسن .

٣٣٣ - البخاري (٥ / ٣٩٣) - ٥٥ - كتاب الوصايا - ٢٣ - باب قول الله تعالى ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا... ﴾ .

=

« اجتنبوا السبعَ الموبقـاتِ » . قيل يـارسول اللهَ ، ومـاهُـنَّ ؟ قـال : « الشركُ بـالله ، والسِّحْرُ ، وقَتْلُ النفس التي حَرَّم الله إلا بالحق ، وأكلُ مـال اليتيم ، وأكل الرِّبـا ، والتولِّي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » .

٣٣٤ ـ * روى الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن عمرو قال : قـال رسـول الله ﷺ لأصحابه : « أبـايعكم على أن لا تُشركوا بـالله شيئـاً ولا تَقتُلوا النفسَ التي حَرمَ اللهُ إلا بالحقِ ولا تَزْنوا ولا تَسرقوا ولا تشْربوا مُسكراً فمن فعل من ذلـك شيئـاً فـأقيم عليه حدهُ فهو كَفَّارةٌ ومَنْ ستر الله عليه فَحِسَـابـه على الله عز وجل ومن لم يفعل من ذلك شيئاً ضَمِنْتُ له على الله الجنة » .

٣٣٥ ـ * روى البزار عن أبي هريرة قـال : قـال رسـول الله ﷺ : « الكبـائر أولهن الإشْراكُ بـالله وقتـلُ النفسِ بغيرِ حَقهـا وأكلُ الربـا وأكلُ مـالِ اليتيمِ وفِرارُ يـومِ الزحفِ ورمي المحصنات والانتقالُ إلى الأعراب بعد هجرته » .

٣٣٦ ـ * روى الطبراني في الأوسط عن عبدِ الله بنِ أنيس الجُهَني عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من أكبر الكبائر الشرك بالله واليمين الغموس » .

٣٣٧ ـ * روى الطبراني عن سَلَمَـةَ بن قيس قـال : قـال رسـول الله ﷺ « إنمـا هي

= مسلم (١ / ٩٢) ـ ١ ـ كتاب الإيمان ـ ٣٨ ـ باب بيان الكبائر وأكبرها .

أبو دواد (٣ / ١١٥) ـ كتاب الوصايا ـ باب ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم .

النسـائي (٦ / ٢٥٧) ـ ٣٠ ـ كتاب الوصايا ـ ١٢ ـ اجتناب أكل مال اليتيم .

الموبقات : جمع موبقة ، وهي : الخَصلة المهلكة .

قذف المحصنات : المحصَناتُ : جمع محصنة ، وهُنَّ العفائف ذوات الأزواج ، وقَذْفُهنَّ : رَمْيُهُنَّ بالزنـا . ولفـظ المحصنـات هنا عام في العفيفات متزوجات وغير متزوجات .

٣٣٤ ـ مجمع الزوائد (١ / ١٠٤) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله موثقون إلا أنه من روايـة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، ا هـ من المجمع . وقد حسنها المحققون .

٣٣٥ ـ كشف الأستار (١ / ٧٢) .

مجمع الزوائد (١ / ١٠٣) . وقال : رواه البزار وفيه عمر بن أبي سلمة ضعفه شعبة وغيره ووثقه أبو حاتم وابن حبـان وغيرهما ا هـ من المجمع . وروى الطبراني نحوه عن سهل بن أبي حثمة عن أبيه (المعجم الكبير : ٦ / ١٠٣) وفيـه ابن لهيعة .

٣٣٦ ـ مجمع الزوائد (١ / ١٠٥) . وقال رواه الطبراني في الأوسط ورجاله موثقون . ا هـ من المجمع .

وروى نحوه الترمذي (٥ / ٢٣٦) . والبخاري (١١ / ٥٥٥) ولكن عنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

٣٣٧ ـ المعجم الكبير (٧ / ٣٩) . =

أربعٌ » فما أنا بأشحَّ مني عليهن يوم سَمِعْتُهُنَّ من رسول الله ﷺ « لا تُشْركوا بالله شيئاً ولا تَقتلوا النفس التي حرمَ اللهُ إلا بالحق ولا تَزْنوا ولا تَسرِقوا » .

٣٣٨ - * روى البزار عن ابن عباس أن رجلاً قال : يارسول الله ماالكبائرُ ؟ قال : « الشِّركُ بالله والإياسُ من رَوحِ الله والقُنوطُ من رحمةِ الله » .

٣٣٩ - روى الطبراني عن ابنِ مسعود قال : الكبائرُ الإشراكُ بالله والأَمنُ من مَكْرِ الله والقَنوطُ من رحمة اللهِ واليأسُ من رَوْحِ الله . وفي رواية : أكبرُ الكبائر .

٣٤٠ - * روى الطبراني عن عبدِ الله بن يزيد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يانعايا العرب يانعايا العرب إن أخوف ماأخافُ عليكم الزنا والشهوةَ الخفيةَ » .

٣٤١ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسولَ الله ﷺ قال : « إن من الكبَائرِ : شَتْمَ الرَّجُل والديه » . قال : وهل يشتِم الرجلُ والديه ؟ قال : « نعم ، يَسُبُّ الرجلُ أبا الرجل وأمَّه ، فَيَسُبُّ أباه وأمَّه » .

وفي رواية : [1]« إنَّ من أكبرِ الكبائر : أنْ يَلْعَنَ الرجلُ والديه .. » وذكر الحديث .

= قال في المجمع (١ / ١٠٤) : رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات .

٣٣٨ - كشف الأستار (١ / ٧١) .

قال في المجمع (١ / ١٠٤) : رواه البزار والطبراني ورجاله موثقون .

٣٣٩ - المعجم الكبير (٩ / ١٧١) .

كشف الأستار (١/ ٧١) .

قال في المجمع (١ / ١٠٤) : إسناده صحيح . وهو حديث حسن .

٣٤٠ - مجمع الزوائد (٦ / ٢٥٥) وقال : رواه الطبراني بإسنادين ، رجال أحدهما رجال الصحيح غير عبد الله بن بديل بن ورقاء وهو ثقة .

يانعايا العرب : نداء للتوبيخ وللتشهير ، ومنه (نعى على قوم شهوتهم) أي عاب عليهم .

الشهوة الخفيّة : شهوة النساء .

٣٤١ - البخاري (١٠ / ٤٠٣) - ٧٨ - كتاب الأدب - ٤ - باب لا يسب الرجل والديه .

مسلم (١ / ٩٢) - ١ - كتاب الإيمان - ٣٨ - باب بيان الكبائر وأكبرها .

والترمذي (٤ / ٣١٢) - ٢٨ - كتاب البر والصلة - ٤ - باب ما جاء في عقوق الوالدين ولكن عنده عن عبد الرحمن ابن عمرو بن العاص .

(١) أبو داود (٤ / ٣٣٦) - كتاب الأدب - باب في بر الوالدين .

٣٤٢ - * روى البزار عن أبي الدرْداءِ قال : قال رسول الله ﷺ « إن الشيطانَ قد يَئِسَ أن يُعْبَدَ في جزيرة العرب ولكن قد رضي بِمُحَقَّرَاتٍ » .

٣٤٣ - * روى البزار عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الشيطانَ قد أيس أن يعبد بأرضِكم هذه ولكن قد رضي منكم بالمحقَّراتِ » .

٣٤٤ - * روى أحمد عن ميمونةَ زوْجِ النبي ﷺ قالت سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « لا تزالُ أمتي بخيرٍ مالم يفشُ فيهم ولدُ الزنا فإذا فشا فيهم ولد الزنا فأوشك أن يَعُمَّهم الله بعذاب » .

ولفظ الطبراني : « لا تزال أمتي بخير مُتَماسِكٌ أمرُها مالم يظهرْ فيهم ولد الزنا ، فإذا ظهروا خشيت أن يعمهم الله بعقاب » .

٣٤٥ - * روى الطبراني في الصغير والأوسط عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : ذُكر في زمن رسول الله ﷺ خَسْفٌ قِبَلَ المَشْرِقِ ، فقال رجل : يارسول يُخْسَفُ بأرض فيها المسلمون ؟ فقال : « نعم إذا كان أَكْثَرُ أَهْلِها الخَبَثَ » .

ماذكر في النصوص السابقة نماذجُ على الكبائر ، وعرّف بعضهم الكبائر بأنّها كلّ معصية رُتّبَ عليها حدّ أو تُوعِّدَ عليها بالنار واللعنة والغضب وهذا مذهب ابن عباس والحسن البصري .

---

٣٤٢ - كشف الأستار (٣ / ٣٢٢) .

قال في المجمع (١٠ / ٥٤) : رواه البزار وإسناده حسن .

٣٤٣ - كشف الأستار ، الموضع السابق .

قال في المجمع (١٠ / ٥٤) رواه البزار : ورجاله رجال الصحيح .

٣٤٤ - أحمد (٦ / ٣٣٣) .

المعجم الكبير (٢٤ / ٢٣) .

قال في المجمع (٦ / ٢٥٧) : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ، وفيه محمد بن عبد الرحمن بن لبيبة وثقه ابن حبان وضعفه ابن معين ، ومحمد بن إسحاق قد صرح بالسماع فالحديث صحيح أو حسن .

٣٤٥ - الروض الداني (١ / ٨٢) .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٢٦٩) : رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله رجال الصحيح .

تحقيقات

وفيها يلي تحقيقات لبعض العلماء في موضوع الكبائر :

قال النووي :

وقال أبو حامد الغزالي في البسيط : والضابط الشامل المعنوي في ضبط الكبيرة أن كل معصية يقدم المرء عليها من غير استشعار خوف وحذار ندم كالمتهاون بارتكابها والمتجرئ عليه اعتيادا ، فما أشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة وما يحمل على فلتات النفس أو اللسان وفترة مراقبة التقوى ولا ينفك عن تندم يمتزج به تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لا يمنع العدالة وليس هو بكبيرة . وقال الشيخ الإمام أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله في فتاويه : الكبيرة كل ذنب كبر وعظم عظماً يصح معه أن يطلق عليه اسم الكبير ووصف بكونه عظيماً على الإطلاق . قال : فهذا حد الكبيرة ثم لها أمارات منها إيجاب الحد ومنها الإيعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها في الكتاب أو السنة ومنها وصف فاعلها بالفسق نصاً ومنها اللعن كلعن الله سبحانه من غيَّر منار الأرض ...

قال العلماء رحمهم الله : والإصرار على الصغيرة يجعلها كبيرة ، وروي عَن عمَرَ وابن عباس وغيرهما رضي الله عنهم : لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار . معناه أن الكبيرة تمحى بالاستغفار ، والصغيرة تصير كبيرة بالإصرار . قال الشيخ أبو محمد بن عبد السلام في حد الإصرار : هو أن تتكرر منه الصغيرة تكراراً يشعر بقلة مبالاته بدينه إشعار ارتكاب الكبيرة بذلك . قال : وكذلك إذا اجتمعت صغائر مختلفة الأنواع بحيث يُشْعر مجموعها بما يشعر به أصغر الكبائر ا.هـ[1].

وقد حاول سلطان العلماء العز بن عبد السلام أن يعطيك ميزاناً تتعرف من خلاله على الصغائر والكبائر فقال :

إذا أردت معرفة الفرق بين الصغائر والكبائر فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها ، فإن نقصت عن أقل مفاسد الكبائر ــ أي المنصوص عليها فهي من

---

(١) النووي في شرحه على صحيح مسلم .

الصغائر ، وإن ساوت أدنى مفاسد الكبائر ، أو أربت عليها ، فهي من الكبائر ، فمن شتم الرب أو الرسول ﷺ ، أو استهان بالرسل أو كذب واحداً منهم ... أو ألقى المصحف في القاذورات فهذا من أكبر الكبائر ، ولم يصرح الشرع بأنها كبيرة . وكذلك لو أمسك امرأة محصنة لمن يزني بها ، أو مسلماً لمن يقتله ، فلا شك أن مفسدة ذلك أعظم من مفسدة أكل مال اليتيم مع كونه من الكبائر . وكذلك لو دل الكفار على عورة المسلمين مع علمه بأنهم يستأصلونهم بدلالته ، ويسبون حرمهم وأطفالهم ويغتنمون أموالهم ويزنون بنسائهم ويخربون ديارهم ، فإنّ تسببه إلى هذه المفاسد أعظم من توليه يوم الزحف بغير عذر مع كونه من الكبائر . وقد نص الشارع على أن شهادة الزور وأكل مال اليتيم من الكبائر ، فإن وقعا في مال خطير فهذا ظاهر ، وإن وقعا في مال حقير ، فيجوز أن يجعل من الكبائر فطاما عن هذه المفاسد ، كما جعل شرب قطرة من الخمر من جملة الكبائر ، وإن لم يتحقق المفسدة فيه ... والوقوف على تساوي المفاسد وتفاوتها عزة ولا يهتدي إليها إلا من وفقه الله تعالى ، والوقوف على التساوي أعز من الوقوف على التفاوت ، ولا يمكن ضبط المصالح والمفاسد إلا بالتقريب ثم قال : وقد ضبط بعض العلماء الكبائر بأن قال : كل ذنب قُرِنَ به وعيد أو حدٌّ أو لَعْنٌ فهو من الكبائر ... فقتل المؤمن كبيرة ، لأنه اقترن به الوعيد واللعن . والمحاربة والزنا والسرقة والقذف كبائر ، لاقتران الحدود بها . وعلى هذا كل ذنب علم أن مفسدته كمفسدة ما قرن به الوعيد أو اللعن أو الحد ، أو أكبر من مفسدته فهو كبيرة ا . هـ [١] .

وللغزالي اتجاه في أن بعض الصغائر تصبح كبائر بملابستها لمعان كالتهاون بها والاستمرار عليها دون مبالاة ، كل هذا جعل العلماء يحاولون بناءً على القياس والموازنات أن يكتبوا في الكبائر مضيفين إلى المنصوص عليه ماكان من أمثاله في الفحش من خلال استقراء واسع لنصوص الشريعة ، وممن كتب في الكبائر فخصها بالتأليف : الذهبي في كتابه : « الكبائر » فذكَرَ سبعين كبيرة ، وابن حجر الهيثمي في كتابه : « الزواجر عن اقتراف الكبائر » وقد أوصلها إلى أربعمائة وسبع وستين كبيرة ، منها ماهو محل إجماع بين العلماء ، ومنها ماهو متردد بين كونه صغيرة أو كبيرة ، ومنها ماأصبح ذنباً بحيثياته ، والمسلم إذا عرف الطاعات

---

(١) قواعد الأحكام جـ ١ ص ٢٣ ـ ٢٤ .

والمعاصي فاجتنب المعاصي وأتىٰ بالفرائض وبما استطاع من النوافل فإنه على أبواب الولاية بإذن الله .

والسبب في توسيع دائرة الكبائر أو تصغيرها يرجع إلى اعتبارات متعددة ، ففي الشريعة أوامر ونواه وطاعات ومعاص ، فترك الأوامر والطاعات معاص يصل بعضها إلى أن يكون كبيرة .

والمعاصي منها الظاهر ومنها الباطن ، فمن قاس على ما ورد من كبائر من حيث الخطورة وفداحة الآثار أدخل كثيراً من النواهي والمعاصي في الكبائر ، وهذا الكتاب سيتعرض للطاعات وللمعاصي إذا جاءت مناسبتها فلا نتوسع في هذا الأمر .

وليبق على ذكرٍ منا قوله تعالى ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾ [١] .

فأهل السنة والجماعة خالفهم المعتزلة الذين يقولون بوجوب إنفاذ الوعيد ، وأن مرتكب المعصية كائن في النار لا محالة وهو بمنزلة بين المنزلتين فلا هو كافر ولا هو مؤمن . وأهل السنة والجماعة خالفهم الخوارج الذين يكفرون مرتكبي المعاصي .

إن أهل السنة والجماعة قالوا : إن لله أن يعفو عمن لا يشرك به ، ولكن ليس هذا واجباً عليه بل هذا شأنه ، وقالوا إن وعيده لأهل المعاصي لابد واقع على بعضهم على حسب المشيئة وذلك شأنه في المعاملة بالعدل أو بالفضل وذلك شأنه أن يعفو عن بعض أهل المعاصي لقبوله حسناتهم أو لوجود خصوصيات لهم تخفف عنهم الحساب ، والأمر إليه .

قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم [٢] :

وأما حكمه ﷺ على من مات يشرك بدخول النار ، ومن مات غير مشرك بدخول الجنة فقد أجمع عليه المسلمون . فأما دخول المشرك النار فهو على عمومه ، فيدخلها ويخلد فيها ، ولا فرق فيه بين الكتابي اليهودي والنصراني ، وبين عبدة الأوثان وسائر الكفرة . ولا فرق

---

(١) النساء : ٤٨ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٢ ص ٩٧ .

عند أهل الحق بين الكافر عنادًا وغيره ، ولا بين من خالف ملة الإسلام ، وبين من انتسب إليها ثم حكم بكفره بجحده وغير ذلك . وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع له به ، لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مات مصرا عليها دخل الجنة أوّلا . وإن كان صاحب كبيرة مات مصرّا عليها فهو تحت المشيئة ، فإن عُفي عنه دخل أولاً ، وإلا عُذّب ثم أخرج من النار وخلد في الجنة وأما قوله ﷺ : « وإن زنى وإن سرق » **فهو حجة** لمذهب أهل السنة أن أصحاب الكبائر لا يقطع لهم بالنار وأنهم إن دخلوها أخرجوا منها وختم لهم بالخلود في الجنة . ا . هـ

* * *

الفصل السادس عشر
في :
النفاق وعلاماته وشعبه
وفيه :
مقدمة ونصوص



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المقدمة

النفاق في الأصل : إظهار الإسلام وإبطان الكفر ، وقد يكون ابتداءً ، وقد يحدث بعد إيمان ، وقد يكون سببه الشك في الإسلام ، وهناك النفاق الخالص ، وهناك القلوب التي فيها إيمان ونفاق .

وللنفاق علاماته وآثاره في السلوك ، وقد أكثر الله عز وجل من ذكر علاماته وآثاره في القرآن لخطورة هذا المرض وجاءت السنة لتزيد الأمر تفصيلاً .

وقد ذكر بعض العلماء نوعين من النفاق ، نفاق الاعتقاد ونفاق العمل ، وعلى هذا التقسيم فإن هناك صوراً للنفاق ، فالصورة الأخبث هي نفاق الاعتقاد الذي تصحبه علاماته من كذب وخلف بالوعد ونقض للعهد ، وفجورٍ بالخصومة وإفسادٍ في الأرض ، ومودة للكافرين وولاء لهم إلى غير ذلك .

وهناك صورة أخرى وهي ألا يكون هناك شك في الإسلام ولكن تظهر أخلاقيات النفاق في سلوكيات بعض الناس كأثر عن فساد نية أو فساد بيئة أو جهل أو ظلمة جزئية في القلب . وهناك صورة أخرى وهي وجود الشك والنفاق في القلب ، ولكن يتكلف له صاحبه فلا تظهر على سلوكياته آثار النفاق إلا لماماً .

وأيا كان الأمر فإن علينا أن نطهر قلوبنا وأعمالنا من النفاق وآثاره ، وإذا رأينا النفاق عند أهلِه فلنحذر ولنعالج ، أما الحكم على إنسان بأنه منافق فهذا الذي ينبغي أن نتأنى فيه إلا إذا وضحت الأمور وقامت بينة .

وأكثر صور النفاق في عصرنا تتمثل بموالاة الكافرين الاختيارية ظاهراً وباطناً ، وأخطر مظهر لذلك الانتساب الطوعي المتفاعل لحزب من الأحزاب الكافرة التي لا تؤمن بالإسلام ولا تلتزم به أهدافاً وسلوكاً ، أمثال هؤلاء نستطيع أن نحكم عليهم بالنفاق أو بالردة على حسب مايظهر من أقوالهم وأفعالهم ، وبالتالي فلا نصلي عليه إذا مات ولا نتعامل معه كما نتعامل مع أهل الإيمان .

والأمور في عصرنا مختلطة فهناك اجتهادات تخطر لمسلمين عاديين فيرون أن مصلحة الإسلام أن يكونوا في حزبٍ ما ، ويرون أن الوضع العالمي المعقد يحتاج إلى نوع من المواقف ، والعبرة للفتوى البصيرة من أهلها ، فمن أفتاه إمام من أئمة الفتوى بعد أن يعرض عليه كل شيء ويستكتمه فله أن يفعل على ضوء الفتوى ، ولكن هذه فتوى استثنائية ، وإلا فالأصل أن يكون الإنسان قلباً وقالباً مع الصف المسلم ومع أهل الإيمان ، هذا مع صحة اعتقادٍ ، وسلامة عملٍ ، فذلك هو الإيمان الخالص .

ومن أراد استكمال صورة النفاق والمنافقين فلابد أن يتتبعها في نصوص القرآن وقد أبرزنا هذه الصورة في تفسيرنا وفي كتابنا (جند الله ثقافة وأخلاقاً) ولذلك نقتصر هنا على بعض ماورد في السنة :

النصوص

٣٤٦ - * روى البخاري ومسلم عن عبدِ اللهِ بنِ عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أربعٌ مَنْ كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً ، ومَنْ كانت فيه خَصلَةٌ منهنَّ كانت فيه خَصلَةٌ مِنَ النِّفاق ، حتى يَدَعَهَا : إذا اؤْتُمن خَانَ ، وإذا حدَّث كذَبَ ، وإذا عاهَدَ غَدَر ، وإذا خاصم فجر » .

وفي رواية [1] — عِوَضُ « إذا ائتُمِنَ خان » : « إذا وعَدَ أخلف » .

قال الترمذي : معنى هذا عند أهل العلم : نفاق العمل ، وإنما كان نفاق التكذيب على عهد رسولِ الله ﷺ .

أقول وقد ظهر نفاق التكذيب بعد رسول الله ﷺ مرات وكرات وبصورٍ شتى ، فمثلاً ظهر بالزنادقة والباطنيين وفي كثير من العاملين في الحقل السياسي في عصرنا إلى غير ذلك .

٣٤٧ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « آيةُ المنافِقِ ثلاثٌ » — زاد مسلم : « وإن صام ، وصلى ، وزعم أنَّه مسلم » — ثم اتفقا — « إذا حدَّث كذب ، وإذا وعَدَ أخلف ، وإذا عاهد غَدَر » وفي رواية ثالثة [2] : « إذا ائتمن خان » .

---

٣٤٦ - البخاري (١ / ٨٩) - ٢ - كتاب الإيمان - ٢٤ - باب علامة المنافق .

مسلم (١ / ٧٨) - ١ - كتاب الإيمان - ٢٥ - باب بيان خصال المنافق .

أبو داود (٤ / ٢٢١) - كتاب السنة - باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه .

الترمذي (٥ / ١٩) - ٤١ - كتاب الإيمان - ١٤ - باب ما جاء في علامة المنافق .

(١) النسائي (٨ / ١١٦) - ٤٧ - كتاب الإيمان - ٢٠ - باب علامة المنافق .

الفجور : الكذب والفسق ونحوهما ، والمراد به هاهنا : قول الفحش .

٣٤٧ - البخاري ، الموضع السابق .

مسلم ، الموضع السابق .

(٢) مسلم ، الموضع السابق .

الآية : العلامة .

٣٤٨ - * روى الطبراني عن ابن مسعود قال : أعتبروا المنافقين بثلاثٍ إذا حَدَّثَ كَذَبَ وإذا وَعَدَ أخلَفَ وإذا عَاهَدَ غَدَرَ فأنزل الله عز وجل تَصديقَ ذلك في كتابه ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله ﴾ إلى آخر الآية .

والآيات المشار إليها في الأثر :

﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقنّ ولنكوننّ من الصالحين * فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولّوا وهم معرضون * فأعقبهم نفاقًا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا اللهَ ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ﴾ (١) .

٣٤٩ - * روى البزار عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال : « ثَلاَثٌ من كُنَّ فيه فهو مُنافِقٌ وإن كان فيه خَصْلَةٌ ففيه خصلة من النفاق إذا حدث كذب وإذا ائْتُمِنَ خان وإذا وعد أخلف » .

٣٥٠ - * روى النسائي عن عبدِ الله بنِ مسعود رضي الله عنه قال : ثلاثٌ من كُنَّ فيه ، فهو منافق : إذا حدَّث كذب ، وإذا ائتُمنَ خان ، وإذا وعد أخلفَ ، فمن كانت فيه واحدةٌ منهن ، لم تَزَل فيه خَصْلةٌ مِنَ النفاق حتى يَتْرُكَها .

٣٥١ - * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « خَصْلَتَانِ لا تجتمعان في منافق : حُسْن سَمْتٍ ، ولا فِقْهٌ في الدِّين » .

---

٣٤٨ - المعجم الكبير (٩ / ٢٥٢) .

قال في المجمع (١ / ١٠٨) : رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح .

(١) التوبة : ٧٥ - ٧٧ .

٣٤٩ - كشف الأستار (١ / ٦٢) .

مجمع الزوائد (١ / ١٠٨) وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

٣٥٠ - النسائي (٨ / ١١٧) - ٤٧ - كتاب الإيمان - ٢٠ - باب علامة المنافق .

وإسناده صحيح .

٣٥١ - الترمذي (٥ / ٤٩ ، ٥٠) - ٤٢ - كتاب العلم - ١٩ - باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة .

وإسناده حسن .

السَّمْت : الطريقة والسَّجِيَّةُ التي تكون للإنسان من خير أو شرٍّ ، وهي الهدي والدَّل بمعنى .

٣٥٢ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « تَجِدون من شَرِّ الناس عند الله تعالى يومَ القيامة ذا الوجهين : الذي يأتي هؤلاء بوجهٍ ، وهؤلاء بوجهٍ » .

وفي رواية (١) قال : سمعتُه يقول : « إن شرَّ الناس ذُو الوجهين .. » الحديث .

٣٥٣ ـ * روى مسلم عن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال : قال رسولُ الله ﷺ : « مثلُ المُنافقِ كالشاة العَائِرَة بين الغَنَمين ، تَعِيرُ إلى هذه مرة ، وإلى هذه مرة » .

وزاد النسائي (٢) : « لا تدري : أيها تَتْبَعُ » .

٣٥٤ ـ * روى البخاري عن زيدِ بنِ عبدِ اللهِ بن عمر رضي الله عنه قال : قال ناسٌ لابن عمر : إنا لَنَدخلُ إلى سُلْطانِنا أو أمرائنا ، فنقول لهم بخلاف ماتتكلَّم إذا خرجنا من عندهم . فقال : كنا نَعُدُّ هذا نفاقاً على عهد رسولِ الله ﷺ .

٣٥٥ ـ * روى البخاري عن حذيفَة بنِ اليمان رضي الله عنهما قال : إنَّما كان النفاق على عهد رسولِ الله ﷺ ، فأما اليوم ، فإنه هو الكُفرُ بعدَ الإيمان وفي أخرى (٣) : [فإنما هو] الكفر أو الإيمان .

وفي أخرى (٤) قال : إن المنافقين اليومَ هم شر منهم على عهدِ رسول الله ﷺ ، كانوا يؤمئذ يُسرُّون ، واليوم يَجهرون .

---

٣٥٢ ـ البخاري (١٠ / ٤٧٤) ـ ٧٨ ـ كتاب الأدب ـ ٥٢ ـ باب ما قيل في ذي الوجهين .

مسلم (٤ / ٢٠١١) ـ ٤٥ ـ كتاب البر والصلة والآداب ـ ٢٦ ـ باب ذم ذي الوجهين وتحريم فعله .

الموطأ (٢ / ٩٩١) ـ ٥٦ ـ كتاب الكلام ـ ٨ ـ باب ما جاء في إضاعة المال وذي الوجهين .

(١) مسلم ، الموضع السابق .

٣٥٣ ـ مسلم (٤ / ٢١٤٦) ـ ٥٠ ـ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ـ الحديث السابع عشر .

(٢) النسائي (٨ / ١٢٤) ـ ٤٧ ـ كتاب الإيمان ـ ٣١ ـ باب مثل المنافق .

العائرة : عارت الشاة تعير ، إذا ذهبت كذا وكذا مترددّة .

٣٥٤ ـ البخاري (١٣ / ١٧٠) ـ ٩٣ ـ كتاب الأحكام ـ ٢٧ ـ باب ما يكره من ثناء السلطان وإذا خرج قال غير ذلك .

٣٥٥ ـ البخاري (١٣ / ٦٨) ـ ٩٢ ـ كتاب الفتن ـ ٢١ ـ باب إذا قال عند قوم شيئًا ثم خرج فقال بخلافه .

(٣) البخاري ، الموضع السابق .

(٤) البخاري ، الموضع السابق .

٣٥٦ - * روى أحمد عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ جالسًا في ظِلّ حُجْرَته قد كان يَقلِصُ منه الظل فقال لأصحابه : « يجيئكم رجل ينظر إليكم بِعينيْ شيطـان فـإذا رأيتموه فلا تُكلِّموه » . قـال : فجـاء رجل أزرق فلما رآه النبي ﷺ دعـاه قـال : « علام تشتمني أنت وأصحابك » ؟ قال : كما أنت حتى آتيك بهم . فـذهب فجـاء بهم يحلفون بـالله ما قـالوا ولا فعلوا ، وأنزل الله عز وجل ﴿ يومَ يَبعثهم اللهُ جميعًا فيحلفون لـه كما يحلفون لكم ﴾إلى آخر الآية .

وفي رواية الطبراني [1] قال : فجعلوا يحلفون بالله ما قالوا وما فعلوا حتى تجاوز عنهم .

وفي رواية [2] « يـدخل عليكم رجل ينظر بعيني شيطـان » . قـال : فـدخل رجل أزرق فقال : يا محمد علام تَسُبُّني ؟ أو : تَشْتِمُني ؟ أو نحو هذا قـال : وجعل يحلف . قـال : ونزلت هذه الآية في المجادلة ﴿ ويَحْلِفُون على الكذبِ وهم يعلمون ﴾ والآية الأخرى .

٣٥٧ - * روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قـالت : قـال النبي ﷺ : « مـا أظن فلانـا وفلانا يعرفان من ديننا شيئا » .

قال الليث : كانا رَجُلَيْنِ من المُنافِقِين .

وفي رواية [3] قالت : دخل النبيُّ ﷺ يومًا ، وقال : « يا عـائشـةُ ، مـا أظنُّ فلانًـا وفلانًا يعرفان دِينَنَا الذي نحن عليه » .

أقول : يبدو أن هذين ممن قال الله عز وجل فيهم :

---

٣٥٦ - أحمد (١ / ٣٥٠) .

كشف الأستار (٣ / ٧٤) .

(١) المعجم الكبير (١٢ / ٧) .

وباقي رواية الطبراني بنحو ما عند أحمد .

قال في المجمع (٧ / ١٢٢) : ورجال الجميع رجال الصحيح .

(٢) مجمع الزوائد ، الموضع السابق .

٣٥٧ - البخاري (١٠ / ٤٨٥) - ٧٨ - كتاب الأدب - ٥٩ - باب ما يجوز من الظن .

(٣) البخاري للوضع السابق .

﴿ ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفًا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم ﴾ (١) .

٣٥٨ - * روى مسلم عن سَلَمَةَ بنِ الأكوَع رضي الله عنه قال : عُدنا مع رسول الله ﷺ رَجُلاً مَوْعُوكاً . قال : فوضعتُ يدي عليه ، فقلت : والله ما رأيتُ كاليوم رَجُلاً أشدَّ حرًّا . فقال رسولُ الله ﷺ : « ألا أُخبِرُكم بأشدَّ حَرًّا منه يومَ القيامة ؟ هَذَيْنِكَ الرجلين الراكبين المُقَفِّيَيْنِ » . لرجلين حينئذ من أصحابه .

٣٥٩ - * روى البخاري عن الأسودِ بن يزيد النَّخَعِيِّ قال : كُنَّا في حَلْقَةِ عبدِ الله بن مسعودٍ ، فجاء حُذَيْفَةُ ، حتى قام علينا ، فسلَّم ، ثم قال : لقد أُنزل النفاقُ على قومٍ خيرٍ منكم . فقلنا : سبحان الله فإن الله عز وجل يقول : **﴿ إنَّ المنافقين في الدَّرْكِ الأسفل من النار ﴾** (٢) فتبسَّم عبد الله ، وجلس حذيفة في ناحية المسجد ، فقام عبد الله وتفرَّق أصحابه ، فرماني بالحصباء ، فأتيته ، فقال حذيفة : عَجِبْتُ من ضَحِكِه ، وقد عَلِمَ ما قلتُ ، لقد أنزل النفاق على قوم كانوا خيرًا منكم ، ثم تابوا فتاب الله عليهم .

قال ابن الاثير :

(الدرك الأسفل) : الطبق الأسفل من النار ، والنار دَرَكاتٌ ، لأنها مطبقة بعضها فوق بعض .

لقد أُنزِل النفاق على قوم خير منكم ، ثم تابوا ، فتاب الله عليهم : مقصوده أن جماعة من المنافقين صَلحوا واستقاموا ، وكانوا خيرًا من أولئك التابعين الذين كان يخاطبهم ، لمكان

---

(١) محمد : ١٦ .

٣٥٨ - مسلم (٤ / ٢١٤٦) - ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - الحديث السادس عشر .

الوعك : الحُمَّى ، وقيل : ألمها ، والمراد به المرضُ .

رجل مُقَفٍّ : إذا ولاك ظهره وقفاه ذاهبًا .

قال النووي في « شرح مسلم » : سماهما « من أصحابه » لإظهارهما الإسلام والصحبة ، لا أنهما ممن نال فضيلة الصحبة .

٣٥٩ - البخاري (٨ / ٢٦٦) - ٦٥ - كتاب التفسير - ٤ - سورة النساء ، ٢٥ - باب إن المنافقين في الدرك الأسفل ﴾ .

(٢) النساء : ١٤٥ .

الصحبة والصلاح ، فمن كان منافقًا وصلح أمره واستقام : مُجَمِّع ، ويزيد ، ابنا جارية بن عامر ، فكأنه أشار بالحديث إلى تقلُّب القلوب .

٣٦٠ - * روى مسلم عن جابر بنِ عبد الله رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال لهم : « مَنْ يصعد الثنيَّة ثَنيَّة المُرار ، فإنه يُحطُّ عنه ما حُطَّ عن بني إسرائيل » . قال : فكان أول مَنْ صَعِدَها خيلُنا ، خَيْلُ بني الخزرج ، ثم تتامَّ الناسُ . فقال رسولُ الله ﷺ : « وكلكم مغفور له ، إلا صاحِبَ الجمل الأحمر » . فأتيناه ، فقلنا : تَعالَ ، يستغفرْ لك رسولُ الله . فقال : والله ، لأن أجدَ ضالتي أحب إليَّ من أن يستغفرَ لي صاحبُكم . قال : وإذا هو ينشدُ ضَالَّةً له .

٣٦١ - * روى أبو داود عن بريدة بن الحُصَيب رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « لا تقولوا للمنافق سَيِّد ، فإنه إن يَكُ سيِّدًا فقد أسخطتم اللهَ عَزَّ وجلَّ » .

٣٦٢ - * روى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه : قال : مر رسول الله ﷺ على عبد الله بن أُبَيّ بن سلول وهو في ظِلٍّ فقال : قد غَبَّرَ علينا ابن أبي كَبشة . فقال ابنه عبد الله [أي لرسول الله] : والذي أكرمك وأنزل عليك الكتابَ لئن شئتَ لأتيتَكَ برأسِه . فقال النبي ﷺ : « لا ولكن برَّ أباك وأَحسن صحبته » .

---

٣٦٠ - مسلم (٤ / ٢١٤٤) - ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - الحديث الثاني عشر .

تَتَامَّ الناس : أي : تتابعوا واحدًا بعد واحدٍ ، وقيل : تتامّوا ، أي : جاءوا كُلُّهم وتَمُّوا ، وهو تَفاعَلُوا من التام .

٣٦١ - أبو داود (٤ / ٢٩٥) - كتاب الأدب - باب لا يقول المملوك : « ربي » و « ربتي » .

وإسناده صحيح .

قوله : (فإنه إن يك سيدًا فقد اسخطتم الله عز وجل) أي : إن يكن سيدًا في قومه فقد أغضبتم الله لأنه يكون تعظيمًا للمنافق ، وهو ممن لا يستحق التعظيم ، فكيف إن لم يكن سيدًا بأحد المعاني ؟ فإنه يكون مع ذلك كذبًا ونفاقًا .

وقيل : إن يكن سيدًا فتجب عليكم طاعته فإذا أطعتموه فقد أسخطتم ربكم - (عون المعبود : ٤ / ٤٥٣) .

٣٦٢ - مجمع الزوائد (١ / ١٠٩) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط وقال : تفرد به زيد بن بشر الحضرمي . قلت : وثقه ابن حبان وبقية رجاله ثقات . اهـ من المجمع .

٣٦٣ - * روى أحمد عن أبي هريرة : عن النبي ﷺ قال : « إن للمنافقين علامات يُعْرَفون بها : تحيتُهم لعنةٌ وطعامُهم نُهبةٌ وغنيمتُهم غُلولٌ ، لا يقربون المساجد إلا هَجْرًا ولا يأتون الصلاة إلا دُبُرًا مستكبرين لا يَألَفون ولا يُؤلَفون خُشُبٌ بالليل صُخُبٌ بالنهار » وقال يزيد مرة : « سخب بالنهار » .

٣٦٤ - * روى البزار عن ابن عباس قال : يقول أحدُهم : أبي صَحِبَ رسولَ الله ﷺ وكان مع رسول الله ﷺ ، ولَنعْلٌ خَلِقٌ خيرٌ من أبيه .

أقول هذا الحديث محمول على المنافقين ممن ظاهرهم الصحبة وباطنهم الكفر ، وهم قلة وقد عَرَّفَ رسول الله ﷺ حذيفة عليهم حتى يَكشف حالهم إذا قاموا مقامًا يخشى منهم على الإسلام ، ولذلك فالقول بعدالة الصحابة لا يقدح فيه أن يوجد مثل هؤلاء لهذا الاحتياط الذي احتاطه رسول الله ﷺ .

٣٦٥ - * روى أبو يعلىٰ عن أنسٍ بن مالك قال : غدا أصحابُ رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله هلكنا وربِّ الكعبة . قال « وماذاك » قالوا : النفاقُ النفاقُ . قال : « ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له وأن محمدًا عَبْدُه ورسولُه » . قالوا : بلى . قال : « ليس ذلك النفاق » قال : ثم عادوا الثانية فقالوا : يا رسول الله هلكنا ورب الكعبة . قال : « وما ذاك » . قالوا : النفاق النفاق . قال : « ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله » . قالوا : بلى . قال ، « ليس ذاكَ النفاقَ » . قال : ثم عادوا الثالثة فقالوا : يا رسول الله هلكنا

---

٣٦٣ - أحمد (٢ / ٢٩٣) .

كشف الأستار (١ / ٦١) .

قال في المجمع (١ / ١٠٢) : رواه أحمد والبزار وفيه عبد الملك بن قدامة الجمحي وثقه يحي بن معين وغيره ، وضعفه الدارقطني وغيره . ا هـ من المجمع . فالحديث حسن على مذهب يحي .

صخب : أي صياحون فيه متجادلون .

٣٦٤ - كشف الأستار ، الموضع السابق .

قال في المجمع (١ / ١١٣) : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

٣٦٥ - مجمع الزوائد (١٠ / ٣١٠) . وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير غسان بن برزين وهو ثقة .ا هـ .

قال في التقريب (٢ / ١٠٥) : صدوق ربما أخطأ .

ورب الكعبة . قال « وما ذاك » . قالوا : النفاق . قالوا : إنَّا إذا كنا عندك كنا على حال وإذا خرجنا من عندك همتنا الدنيا وأهلونا . قال : « لو أنكم إذا خرجتم من عندي تكونون على ما أنتم عليه لصافَحَتْكم الملائكة بطرق المدينة » .

٣٦٦ - *روى البزار عن حُذيفةَ قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّما أتخوف عليكم رجلاً قرأ القرآنَ حتى إذا رُئِيَ عليه بَهجَتُه وكان ردىءِ الإسلام اعتزل إلى ما شاء الله وخرج على جاره بسيفه ورماه بالشرك » .

٣٦٧ - * روى أحمد عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أكثر منافقي أمتي قراؤها » .

أقول : هذا الحديث محول على من اشترى بآيات الله ثمناً قليلاً وعلى من يلبس الحق بالباطل ويكتم الحقَ ، ويوالي الظالمين والكافرين فظاهره عالِم وباطنه منافق .

٣٦٨ - * روى أحمد عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « خَلْفٌ بعدَ الستينَ أضاعوا الصلواتِ واتبعوا الشهوات فسوف يَلْقون غيا ثم يكونُ خَلْفٌ يقرؤون القرآن لا يعدو تَراقِيَهم ويقرأ القرآن ثَلاثةٌ : مؤمنٌ ومنافقٌ وفاجر » . قال بشير فقلت للوليدِ ما هؤلاء الثلاثةُ ؟ قال : المنافق كافر به والفَاجر يتأكل به والمؤمن يؤمن به .

٣٦٩ - * روى الطبراني عن عِمْران بن حُصَيْنٍ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن

---

٣٦٦ - كشف الأستار (١ / ٩٩) .

مجمع الزوائد (١ /١٨٧) . وقال : إسناده حسن .

٣٦٧ - أحمد (٢ / ١٧٥) .

مجمع الزوائد (٦ / ٢٢٩) . وقال : رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات ، وكذلك رجال أحد إسناديْ أحمد ثقات .
ورواه أحمد عن عقبة بن عامر بإسناد رجاله ثقات أثبات .

٣٦٨ - أحمد (٣ / ٣٨) .

مجمع الزوائد (٦ / ٢٣١) . وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات ورواه الطبراني في الأوسط كذلك .

٣٦٩ - المعجم الكبير (١٨ / ٢٣٧) .

كشف الأستار (١ / ٩٧) .

قال في المجمع (١ / ١٨٧) : رواه الطبراني في الكبير والبزار ورجاله رجال الصحيح .

أخوفَ ما أخافُ عَليكم بعدي كلُّ منافقٍ عليمِ اللسانِ » .

٣٧٠ ـ * روى أحمد عن عُمَرَ بنِ الخطابِ قال : حَذَّرَنا رسول الله ﷺ كُلَّ منـافِقٍ عليم اللسـان .

أقول : في هذه النصوص الخمسة الأخيرة تحذير أي تحـذير لمن يحمل الإسلام ويقرأ القرآن ويكـون من المنـافقين وهـو لا يشعر ﴿ وإذا قيـل لهم لا تفسـدوا في الأرض قـالـوا إنّما نحن مصلحون * ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾ [(1)] . وقد أعطانا الحديث الثالث علامـة هي : « يقرأون القرآن لا يعـــدو تراقيهم » فهـو لا يصـل إلى قلـوبهم فيتـــدبرون ويتأثرون : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ [(2)] .

٣٧١ ـ * روى مسلم عن قَيْس بن عُبادٍ رضي الله عنه قال : قلتُ لعمَّـار : أرأيتم صَنِيعَكم هذا الذي صَنَعْتم في أمر عليٍّ ، أرأيًا رأيتموه ، أم شيئًـا عَهـدَه إليكم رسولُ الله ﷺ ؟ فقـال : مَا عَهِدَ إلينا رسول الله ﷺ شيئًا لم يَعْهَدْه إلى الناس كافَّةً ، ولكن أخبرني حُذيفـةُ أن رسولَ الله ﷺ أعلَمَـهُ اثنَيْ عَشَرَ مُنـافِقـا ، منهم ثمانيـة لا يـدخلون الجنـة حتى يلجَ الجمـلُ في سَمِّ الخِياط . وأربعةٌ لم أحفظ ما قال [شُعبة] فيهم .

وفي روايـة [(3)] : « ثمانيـــة [منهم] تكْفِيكَهم الـدُّبَيْلَـةُ ـ سِراجٌ من النـار يظهر في أكتافِهم ـ حتى يَنْجُمَ في صُدُورهم » .

٣٧٢ ـ * روى مسلم عن أبي الطُّفَيل رضي الله عنه قال : كان بين رجل من أهل العَقَبة

---

٣٧٠ ـ أحمد (٢ / ٢٢) .

كشف الأستار (١ / ٩٧) .

قال في المجمع (١ / ١٨٧) رواه البزار وأحمد وأبو يعلى ورجاله موثقون .

(١) البقرة : ١١ ، ١٢ .

(٢) محمد : ٢٤ .

٣٧١ ـ مسلم (٤ / ٢١٤٣) ـ ٥٠ ـ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ـ الحديث التاسع .

(٣) مسلم (٤ / ٢١٤٤) ، الموضع السابق : الحديث العاشر .

ينجُم : نجم الشيء ينجم بالضم ، نجومًا : ظهر وطلع .

٣٧٢ ـ مسلم (٤ / ٢١٤٤) ـ ٥٠ ـ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ـ الحديث الحادي عشر .

الحَرَّة : الأرض التي يكون فيها حِجارة سودٌ .

وبين حُذيفةَ بعض ما يَكونُ بين الناسِ ، فقال : أَنشُدُكَ الله ، كَم كان أصحابُ العَقَبة ؟ قال : فقال له القومُ : أَخْبِره إذْ سَأَلَكَ . فقال : كُنّا نُخْبَرُ أَنّهم أربعةَ عَشَرَ ، فإن كنتَ منهم فقد كان القومُ خمسةَ عشَر ، وأَشْهدُ بالله : أن اثني عشر منهم حَرْبٌ لله ولرسوله في الحياة الدنيا ، ويوم يَقومُ الأشهادُ ، وعذَر ثلاثةً ، قالوا : ما سَمِعْنا مُنَاديَ رسول الله ﷺ ، ولا عَلِمْنَا بِما أراد القومُ ، وقد كان في حَرَّةٍ ، فمشى ، فقال : « إن الماء قليلٌ ، فلا يَسْبِقْني إليه أحدٌ » فَوَجَدَ قومًا قد سبقوه ، فلعنهم يومئذ .

قال ابن الأثير : قد يَظنُّ بعضُ من لا علَم عنده ، أن أصحابَ العقبة المذكورين في هذا الحديث : هم أصحابُ العقبة الذين بايعوا النّبي ﷺ في أول الإسلام ، وحاشاهم من ذلك ، إنما هؤلاء قوم عَرَضُوا لرسول الله ﷺ في عقبة صَعِدَها لما قَفَلَ مِنْ غزوة تبوك ، وقد كان أمر مناديًا ، فنادىٰ : لا يَطْلُع العقبةَ أحدٌ . فلما أخذها النبيُّ ﷺ عَرَضوا له وهم مُتَلَثِّمُونَ ، لِئَلا يُعرَفوا ، أرادوا به سوءًا ، فلم يُقْدِرهم الله تعالى .

٣٧٣ - * روى أحمد عن أبي الطُّفَيْل ، قال : لما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أمر مناديًا فنادى أنَّ رسول الله ﷺ آخذٌ العقبةَ فلا يأخذْها أحدٌ ، فبينا رسول الله ﷺ يقوده عَمار ويسوقه حُذيفةُ إذ أَقبل رهط متلثمون على الرواحل ، حتى غَشَوا عَمارًا وهو يسوقُ برسول الله ﷺ ، وأقبل عمار يضرب وجوه الرواحل ، فقال رسول الله ﷺ لحذيفة : « قَدْ قَدْ » . حتى هَبطَ رسولُ الله ﷺ فلما هبط رسول الله ﷺ نزل ، ورجع عَمارٌ ، فقال : « يا عمارُ هل عرفت القوم » . قال : قد عرفت عامة الرواحِل ، والقومُ متلثمون . قال : « هل تدري ما أرادوا » . قال : الله ورسوله أعلم . قال : « أرادوا أن ينفروا برسول الله ﷺ ويطرحوه » . قال : فساب عمارٌ رضي الله عنه رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ فقال : نَشَدتُك بالله ما كان أصحابُ العقبة ؟ قال : أربعة عَشرَ . فقال : إن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عَشرَ فَعدٌ رسولُ الله ﷺ منهم ثلاثة قالوا : والله ما

= وقصة أهل العقبة هؤلاء ذكرها الهيثمي بسياق أتم .

٣٧٣ - أحمد (٥ / ٤٥٣) .

قال في المجمع (٦ / ١٩٥) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

سمعنا منَادِيَ رسول الله ﷺ وما علمنا ما أراد القوم . فقال عمار : أشهد أن الاثني عشر الباقين منهم حربٌ لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهادُ . قال أبو الوليد : وذكر أبو الطفيل في تلك الغزوة أن رسول الله ﷺ قال للناس ، وذكر له أن في الماء قلة فأمر رسول الله ﷺ مناديًا فنادى لا يرد الماء أحدٌ قبل رسول الله ﷺ ، فورده رسول الله ﷺ فوجد رهطًا قد وردوه قبله ، فلعنهم رسول الله ﷺ يومئذ .

٣٧٤ ـ * روى أحمد عن أبي سعيد رفعه : « لو أن أحدَكم يَعمَلُ في صَخْرَةٍ صَماءَ ، ليس لها باب ولا كُوَّة ، يَخْرجُ عَمَلُه للناس كائنًا ما كان » .

٣٧٥ ـ * روى البخاري تعليقًا : قال إبراهيمُ التَّيْميُّ : ما عَرَضْتُ قَولي عَلَى عملي إلا خَشِيتُ أنْ أكون مكَذِّبًا . وقال ابن أبي مُلَيكَةَ : أدرَكْتُ ثَلاثين مِنْ أصْحاب النبيِّ ﷺ كُلُّهُمْ يَخافُ النِّفاقَ على نَفْسِه [ولا يأمن المكر على دينه] ما مِنْهمْ أحَدٌ يَقولُ إنَّهُ عَلَى إيمان جِبْريلَ وَمِيكائيلَ ، وَيُذْكَرُ عَن الحَسَنِ : ما خافَهُ إلا مؤْمِنٌ ، ولا أمِنَهُ إلا مُنافِقٌ . وَما يُحْذَرُ مِنَ الإصْرارِ عَلَى النِّفاق والعِصْيانِ مِنْ غَيْرِ تَوْبةٍ ، لقول الله تعالى : ﴿ ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾ [1] .

قوله : (وما يحذر من الإصرار) : بعد أن بَيَّن الحسن أن النفاق لا يخافه إلا مؤمن ولا يحذره إلا مؤمن ، بيّن أن حال المؤمن الخوف والحذر من النفاق والخوف من الإصرار على العصيان من دون توبة .

٣٧٦ ـ * روى البخاري عن شُعبةَ قال أخبرني عبدُ الله بنُ عبد الله بن جَبْر قال : سمعتُ أنسًا عن النبي ﷺ قال : « آيةُ الإيمان حُبُّ الأنصار ، وآيةُ النِّفاق بُغْضُ الأنصار » .

---

٣٧٤ ـ أحمد (٣ / ٢٨) .

المستدرك (٤ / ٣١٤) . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد . ووافقه الذهبي .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٢٥) . وقال : رواه أحمد وأبو يعلى وإسنادهما حسن .

٣٧٥ ـ البخاري (١ / ١٠٩) ـ ٢ ـ كتاب الإيمان ـ ٣٦ ـ باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر .

(١) آل عمران : ١٣٥ .

٣٧٦ ـ البخاري (١ / ٦٢) ـ ٢ ـ كتاب الإيمان ـ ١٠ ـ باب علامة الإيمان حب الأنصار .

٣٧٧ - * روى البخاري ومسلم عن كعبِ بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مثلُ المؤمن : كمثل الخَامَة مِنَ الزَّرع ، تُفيئها الريحُ ، تصرعُها مرةً ، وتَعْدِلُها أخرى ، حتى تَهيجَ » .

وفي أخرى (1) « حتّى يأتيهُ أجلهُ ، ومثلُ المنافق : مثلُ الأَرْزَةِ المُجْذِيَةِ على أصْلِها ، لا يُفيئُها شيءٌ ، حتّى يكونَ انجعافُها مرَّةً واحدةً » .

٣٧٨ - * روى مسلم عن أبي هريرة رفعه : « من مات ولم يَغْزُ ولم يُحدِّثْ به نفسَه مات على شعبة من النفاق » .

٣٧٩ - * روى الطبراني عن ابن عُمرَ قال : كنت عند النبي ﷺ إذ جاء حرملة بن زيد فجلس بين يدي رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله الإيمان هٰهنا - وأشار إلى لسانه - والنفاق هٰهنا - وأشار إلى صدره - ولا يذكر الله إلا قليلاً . فسكت عنه النبيُّ ﷺ فردد ذلك عليه حرملةُ ، فأخذ النبيُّ ﷺ بطَرَف لسانِ حرملة فقال : « اللهم اجعل له لسانا صادقًا وقلبًا شاكرًا وارزقه حُبي وحُب من يُحِبُّني وصَيِّرْ أمره إلى الخير » . فقال حرملةُ : يا رسول الله إن لي إخوانًا منافقين كنت فيهم رأسًا ألا أدلُّك عليهم ؟ فقال النبي ﷺ : « من جاءنا كما جئتنا استغفرنا له كما استغفرنا لك ومن أصر على ذنبه فالله أولى به ، ولا نَخْرِقُ على أحد سترا » .

---

٣٧٧ - البخاري (١٠ / ١٠٣) - ٧٥ - كتاب المرضى - ١ - باب ما جاء في كفارة المرض .

مسلم (٤ / ٢١٦٣) - ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - ١٤ - باب مثل المؤمن كالزرع ومثل الكافر كشجر الأرز .

(1) مسلم (٤ / ٢١٦٤) ، الموضع السابق .

تَصْرَعُها : أي ترميها وتُلقيها ، من المصارعة .

تهيج : هاج النبات هيْجًا : إذا أخذَ في الجفاف والاصفرار ، بعد الغضاضةِ والاخضرار .

المجذية : الثابتة ، يقال : جَذا يجذو ، وأجْذَى يُجذي ، لغتان .

انجعافُها : الانْجعافُ : الانقلاع ، وهو مطاوع : جعَفْتُ الشيءَ : إذا قلعته .

٣٧٨ - مسلم (٣ / ١٥١٧) - ٣٣ كتاب الإمارة - ٤٧ - باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو .

أبو داود (٣ / ١٠) - كتاب الجهاد - باب كراهية ترك الغزو .

النسائي (٦ / ٨) - ٢٥ - كتاب الجهاد - ٢ - باب التشديد في ترك الجهاد .

٣٧٩ - المعجم الكبير (٤ / ٥) .

قال في المجمع (٩ / ٤١٠) ورجاله رجال الصحيح .

الفصل السابع عشر

في :

نواقض الشهادتين

وفيه :

مقدمة ونصوص ومسائل وفوائد


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المقدمة

قال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرًا ونذيرًا ﴾ [(١)] ، فمن بلغه الإسلام من أهل الأديـان وغيرهم فقـد تحتم عليهم أن يـدخلـوا فيـه ، ومن لم يـدخـل في الإسـلام فهـو الكافر الأصلي ، وأما من دخل في الإسلام في الظـاهر ولم يسلم قلبـه فهو المنـافق وهو من شر أنواع الكفار : ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرًا ﴾ [(٢)] أمـا من دخل في الإسلام ثم أتى بناقض من نواقض الشهـادتين فهو المرتـد ، وحكمـه أنَّ عليـه أنْ يتوب ممـا أتاه ، وإلا فإنه يستحق القتل .

ونواقض الشهادتين منها القولي ، ومنها النظري ، ومنهـا الفعلي ؛ فـالقولي كأن يتبرأ من الإسلام ، أو يذكر أنه كافر ، أو يسب الإسلام أو القرآن . والنظرى مثل أن يستحل محرمًـا قطعيًا ، أو ينفي المعلوم من الـدين بـالضرورة . والفعلي كأن يسجـد لصنم ، أو يصلي صلاة الكافرين ، أو يلقي القرآن في نجاسة .

ويعطى بعض المرتـدين فرصـة فينـاقشون حتى تقوم عليهم الحجـة ، وبـالتـالي يعطـون فرصة التوبة والأوبة ويُعْفَى عنهم ، إلا إذا شاء ولي الأمر تعزيرهم ، ولكنّ هناك صورًا لهـا أحكامها الخاصة ، كأن تتكرر منه الردة ، أو تكون ردتـه من نوع خـاص أو يجتمع مع الردة حق آخر كأنْ سبَّ رسول الله ﷺ ، فهذا ليس أمامه إلا القتل .

وعلى كل الأحـوال فقـد رتب الشـارع أحكامًـا بـالنسبـة للكفـار الأصليين ، وبـالنسبـة للمنـافقين ، وبـالنسبـة للمرتـدين ، فـالمرتـد يستحق القتـل إن لم يتب ، ويفرق بينـه وبين زوجته ، ولا تحل ذبيحته ولا إنكاحه .

وهناك قضايًا محل إجماع بين أهل العلم ، وهنـاك قضـايـا محل اختلاف ، وقضيـة الردة من أعقد قضايا العصر ، فهناك الآن ذراري المرتـدين الـذين ارتـد آبـاؤهم وهم على مـذاهب هؤلاء الآباء ، فهؤلاء لهم أحكام خاصة ، وهنـاك المرتـدون بسبب وجهـات نظر سيـاسيـة ،

---

(١) سبأ : ٢٨ .

(٢) النساء : ١٤٥ .

وهنـاك المرتـدون بسبب وجهـات نظر فلسفيـة ، والإسلام الآن ضعيف ، والعمل الإسلامي الدعوي البحت لا يشكل عليـه أمر التعـامل مع هؤلاء جميعًا ، ولكن إذا وصلنـا إلى العمل السياسي من خلال السلطة أو من خارجها فالأمر يصبح في غـايـة التعقيـد ، ولـذلـك فـإن للفتوى من أهلها محلاً في بعض الصور .

ومن تتبع نصوص الكتاب والسنة وجد الكثير ممـا لـه علاقـة بنواقض الشهـادتين ، ومن تتبع كلام العلماء في أبحاث الردة أو في الكتب المؤلفة خاصـة في هـذا الموضوع وجـد مئـات المسائل ، لأن الجهلـة في كل زمـان ومكان يغلب على بعضهم تصورات أو تصرفـات أو أقوال أو أفعـال هي من قبيـل الردة التي تنقض الشهـادتين ولكل جيـل في قطر مسـائلـه ، فـإذا جمعت مسـائل الأقطـار والأجيـال والأزمـان وجـدت الكثير من هـذه النـواقض ، ولعصرنـا خصوصيـاتـه التي اختص بهـا لـذلـك كان الأمر في غـايـة الخطورة ، فعلى كل مسلم أن يحرر نفسه وأن يحاسبها على كلماته وتصرفاته وأفعالـه ، وكان بعض شيوخنـا كثيرًا مـا يستشهـدنـا على تجديد نكاحه بعد أن يأخذ وكالة من زوجته خشية أن يكون قـد خرج على لسـانـه أو تصرف تصرفًـا وهو لم يشعر بخطورتـه ، ويكفي أن نتلى الحـديث الشريف الصحيح لنزيـد في مراقبة أنفسنا ومحاسبتها : « إن العبد ليتكلم بـالكلمـة من سخـط الله لا يلقى لهـا بالاً يهوي بها في نار جهنم سبعين خريفًا » [١] .

فأول ما يدخل في هذا الحديث مثل هذه المعاني التي نتحدث عنها ، قال تعـالى : ﴿ **إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرًا لن تقبل توبتهم** ﴾ [٢] وقال تعالى : ﴿ **فلمـا زاغوا أزاغ الله قلوبهم** ﴾ [٣] وقال تعالى : ﴿ **وما يضل به إلا الفاسقين *الذين ينقضون عهـد الله من بعد ميثـاقـه ويقطعـون مـا أمر الله بـه أن يـوصـل ويفســدون في الأرض أولئــك هم الخاسرون** ﴾ [٤] .

---

(١) البخاري (١١ / ٣٠٨) ـ ٨١ ـ كتاب الرقاق ـ ٢٣ ـ باب حفظ اللسـان . ومن كان يؤمن بـالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت .

مسلم (٤ / ٢٢٩٠) ـ ٥٣ ـ كتاب الزهد والرقائق ـ ٦ ـ باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار .

الترمذي (٤ / ٥٥٧) ـ ٣٧ ـ كتاب الزهد ـ ١٠ ـ باب فين تكلم بكلمة يضحك بها الناس .

(٢) آل عمران : ٩٠ . (٣) الصف : ٥ .

(٤) البقرة : ٢٦ ، ٢٧ .

وسنذكر في هذا الفصل بعض نصوص السنة التي تـذكر أصل هـذا الموضوع وهو نواقض الشهادتين ، ثم نذكر بعض هذه النواقض بإيجاز .

النصوص

٣٨٠ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة، فقال: « السلامُ عليكم دارَ قوم مؤمنين، وإنا إن شاءَ اللهُ بكم لاحقون، وَدِدْتُ أنَّا قد رأينا إخواننا ». قالوا: أولَسنا إخوانَك يا رسول الله؟ قال: « أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بَعْدُ ». قالوا: كيف تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يأت بَعْدُ من أمتك يا رسول الله؟ قال: « أرأيْت لو أن رَجُلاً له خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بين ظَهْرَي خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ، ألا يعرِف خيلَه ». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: « فإنهم يأتون غُرًّا مُحجَّلين من الوضوء، وأنا فَرَطُهم على الحوض، فَلَيُـذَادَنَّ رجالٌ عن حوضي، كما يُـذَادُ البَعير الضالُّ، أُناديهم: ألا هَلُمَّ. فيقال: إنهم قد بَدَّلوا بعدَك؟ فأقول: سُحقًا، سُحقًا ».

أقول (التبديل): تحتمل ههنا البدعة وتحتمل الفسوق العملي وتحتمل الردة، والنص ههنا: في الأمة المحمدية عامة وفي هذه الأمة وُجد مبتدعة وفساق ومرتدون.

٣٨١ - * روى البخاري ومسلم عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قال رسول الله ﷺ: « إني على الحوض أنْظُر مَنْ يَرِدُ عَليَّ منكم، وسيؤخذ ناس دُوني، فأقول: ياربِّ، مني ومن أُمتي ».

وفي رواية [1] « فأقول: أصحابي. فيقال: هل شَعَرْتَ ما عَمِلوا بعدك؟ والله ما بَرِحوا يَرْجِعون على أعقابِهم ».

أقول: هناك ناس ارتدوا بعد وفاة الرسول ﷺ وقتلوا أو ماتوا على الردة، فالمراد

---

٣٨٠ - مسلم (١ / ٢١٨) - ٢ - كتاب الطهارة - ١٢ - باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الضوء.

بُهم: البُهم: جمع بهيم، وهو اللون الواحدُ الذي لا يشاركه فيه لون آخر، أسود كان أو غيره.

ليُذادنَّ: ذدتُ فلانًا عن كذا: إذا دفعتُه عنه، أذوده ذودًا.

سُحْقًا: تقول: سحقًا لفلان، أي: بعدًا له، والسحق: البعد.

٣٨١ - البخاري (١١ / ٤٦٦) - ٨١ - كتاب الرقاق - ٥٣ - باب في الحوض. وقول الله تعالى ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾.

مسلم (٤ / ١٧٩٤) - ٤٣ - كتاب الفضائل - ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته.

(١) البخاري ومسلم، الموضع السابق.

بالنص هؤلاء ، والله أعلم . ولم يرتد من الصحابة الحقيقيين أحد ، وإنما ارتد بعض جفاة الأعراب ، ومع ذلك فقد رجع قسم كبير منهم إلى الإسلام فتابوا وحسنت توبتهم ، وذهب بعض العلماء إلى أن المراد بالرجوع : القهقرى ، أي إن البعض تأخر عما كان عليه في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام ، فواقع بعض الناس مالا يستأهلون معه الورود إلى الحوض .

٣٨٢ ـ * روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : سَمِعتُ رسول الله ﷺ يقولُ وهو بين ظَهْرَانَيْ أصحابه : « إني على الحوض أنتظر مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ ، فوالله لَيُقْطَعنَّ دُوني رجالٌ ، فلأقُولَنَّ : أيْ ربِّ ، مِني ومن أُمَّتي . فيقول : إنك لا تدري ما عَمِلوا بعدَك ، مازالوا يرجِعُون على أعقابهم » .

٣٨٣ ـ * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : « يَرِدُ عَلَيَّ يومَ القيامة رَهْطٌ من أصحابي » ـ أو قال : « من أُمَّتي ـ فَيُحَلَّؤُون عن الْحَوْضِ ، فأقول : ياربِّ ، أصحابي. فيقول : إنه لا عِلْمَ لك بما أحدثوا بعدَك ، إنهم ارتدُّوا على أدبارهم القَهْقَرى » . وفي رواية [1] : « فَيُجْلَوْن » .

الظاهر من هذا النص أن بعض الروايات فيمن يرد عن الحوض رواها بعضهم بالمعنى ، فذكر أحيانًا الأمة ، وأحيانًا الصحابة ، ورجح بعضهم من خلال الاستقراء أن المراد بهذه النصوص كلها الأمة ولكن تشبث زائغو القلوب بكلمة الأصحاب والصحابة ليطعنوا بالصحابة رضوان الله عنهم ، ونحن نعتقد أن الصحابة كلهم عدول ، وعلى فرض أن المراد ببعض النصوص الصحابة فهؤلاء لا تتوافر فيهم شروط الصحبة في الاصطلاح ؛ لأن من شرط ثبوت الصحبة أن يجتمع برسول الله ﷺ مؤمنًا به ويموت على ذلك ، ومن ارتد فمات كافرًا لا يعتبر من الصحابة ، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام في الموقف يسميهم صحابة بالنسبة لمعرفته لذلك في الدنيا .

---

٣٨٢ ـ مسلم ، الموضع السابق .

ليقتطعن : الاقتطاع : أخذ طائفة من الشيء ، تقول : اقتطعت طائفة ، من أصحابه : إذا أخذتهم دونه .

٣٨٣ ـ البخاري (١١ / ٤٦٥) ، الموضع السابق

(١) البخاري (١١ / ٤٦٤) ، الموضع السابق .

وإنما أوردنا هذه النصوص في بحث نواقض الشهادتين للإشعار بأن هناك ناسًا يدخلون الإسلام ثم يرتكبون ناقضًا من نواقض الشهادتين .

وللبخاري [١] : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « بينا أنا قائم على الحوض ، إذا زُمْرَةٌ ، حتى إذا عَرفْتُهُمْ خرج رجل من بيني وبينهم ، فقال : هَلُمَّ فقلتُ : إلى أين ؟ فقال : إلى النار والله . فَقُلْتُ : ما شأنهم ؟ فقال : إنَّهم قد ارتدُّوا على أدبارهم القَهقَرى . ثم إذا زُمرةٌ أخرى ، حتى إذا عرفتُهم خرج رجل من بيني وبينهم ، فقال لهم : هَلُمَّ . قلتُ : إلى أين ؟ قال : إلى النار والله . قلتُ : ما شأنُهم ؟ قال : إنَّهم قدِ ارتدُّوا على أدبارهم . فلا أراه يخلص منهم إلا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَم » .

ولمسلم [٢] : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « تَرِدُ عَليَّ أمتي الحوضَ ، وأنا أذُودُ الناس عنه ، كما يذودُ الرجلُ إبلَ الرجلِ عن إبله » . قالوا : يا نبيَّ الله تَعْرِفُنا ؟ قال : « نعم ، لكم سيما ليست لأحد غيركم ، تَرِدُونَ غُرًّا مُحَجَّلين مِن آثار الوضوء ولَيُصَدَّنَّ عَني طائفةٌ منكم ، فلا يَصِلون ، فأقول : يارَبِّ ، هؤلاء من أصحابي ، فيجيبني مَلَكٌ ، فيقول : وهل تدري ما أحدثوا بعدك ؟ » .

وفي أخرى [٣] قال : « إن حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ من عَدَنٍ ، لَهُوَ أشد بياضًا مِنَ الثلج ، وأحْلَى مِنَ العَسل باللبن ، ولآنيتُهُ أكثر مِنْ عدد النجوم ، وإني لأَصُدُّ الناس [عنه] كما يَصُدُّ الرَّجُلُ إبلَ الناس عن حَوضِه » . قالوا : يارسولَ الله ، أتَعرِفُنا يومئذ ؟ قال : « نعم ، لكم سِيما ليست لأحدٍ من الأُمَم ، تردُون عَليَّ غُرًّا مُحَجَّلين

---

(١) البخاري (١١ / ٤٦٥) ، الموضع السابق .

(٢) مسلم (١ / ٢١٧) - ٢ - كتاب الطهارة - ١٢ - باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء .

(٣) مسلم ، الموضع السابق .

فَيُحَلَّؤونَ : أي : يُدفعون عن الماء ، ويُطردون عن وروده ، ومن رواه « فَيُجْلَوْنَ » بالجيم ، فهو من الجلاء : النفي عن الوطن ، وهو راجع إلى الطرد .

زمرة الزمرة : الجماعة من الناس .

همَل النعم النَّعَم الهمَل : الإبل الضالة ، والمعنى : أن الناجي منها قليل كهَمَل النَّعم .

لأصدُّ الصَّدُّ : المنع .

سيما السِّيما : العلامة .

مِنْ أثر الوضوء » .

• ٣٨٤ - * رَوى البخاري ومسلم عن أبي قِلابَة أن ثابتَ بنَ الضحاك رضي الله عنـه أخبَره أنه بـايَعَ رسول الله ﷺ تحت الشجرة ، وأنَّ رسول الله ﷺ قـال : « مَنْ حَلَف على يمينٍ بملةٍ غير الإسلام كاذبًا متعمّدا ، فهو كما قال ، وَمَنْ قتل نفسه بشيء عُـذِّبَ بـه يوم القيامة ، ولَيْس على الرجل نَذْرٌ فيما لا يَملكُ » .

• زاد في رواية [١] : « ولَعْنُ المؤمنِ كقَتْلِه ، ومَنْ رَمَى مُؤمنًا بكُفْرٍ فهو كقتله ، ومَنْ ذَبَحَ نفْسَهُ بشيءٍ ذُبِحَ به يومَ القيامة » .

وزاد في أخرى [٢] : « ومن ادَّعى دَعوى كاذبـةً ليتكثَّر بهـا ، لم يَـزِدْه اللهُ إلا قِلَّة » .

وفي رواية الترمذي [٣] : أن النبيَّ ﷺ قال : « ليس على المرءِ نـذر فيما لا يَمْلِكُ ، ولاعِنُ المؤمن كقاتله ، ومن قَذَفَ مؤمنًا بكفر فهو كقاتله ، ومَنْ قَتَل نَفسَه بشيء عذَّبه الله بما قتل [به] نفسَهُ يومَ القيامة » .

٣٨٥ - * روى البزار عن عمرانَ بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قال الرجل لأخيه يا كافرُ فهو كقتله » .

٣٨٦ - * روى البخـاري عن أبي ذر الغِفـاري رضي الله عنـه أنـه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لا يَرمي رَجُلٌ رَجُلاً بالفسوقِ أو بـالكُفر ، إلا ارتـدَّتْ عليـه إن لم يكنْ

---

٣٨٤ - البخاري (١٠ / ٤٦٤) - ٧٨ - كتاب الأدب - ٤٤ - باب ما ينهى عن السباب واللعن .

مسلم (١ / ١٠٤) - ١ - كتاب الإيمان - ٤٧ - باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ...

(١) البخاري (١٠ / ٥١٤) - ٧٨ - كتاب الأدب - ٧٣ - باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال .

(٢) مسلم ، الموضع السابق .

(٣) الترمذي (٥ / ٢٢) ٤١ - كتاب الإيمان ١٦ - باب ما جاء فيمن رمى أخاه بكفر .

وقال : هذا حديث حسن صحيح .

٣٨٥ - كشف الأستار (٢ / ٤٣١) .

قال في المجمع (٨ / ٧٣) : رواه البزار ورجاله ثقات .

٣٨٦ - البخاري (١٠ / ٤٦٤) - ٧٨ - كتاب الأدب - ٤٤ - باب ما ينهى عن السباب واللعن .

صاحبُه كذلك » .

٣٨٧ ـ * روى أحمد عن أبي ذَر أنـه سَمِع رسولَ الله ﷺ يقول : « لا يرمى رجل رجلاً بالفُسوق ولا يَرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكنْ صاحبُه كذلك » .

٣٨٨ ـ * روى البخاري عن ابن عباسٍ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ » .

٣٨٩ ـ * روى أبو داود عن عبدِ اللهِ بن بُرَيْدَةَ ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَالَ إنِّي بَرِيءٌ مِنَ الإسلام فَإنْ كَانَ كَاذِبًا فَهُو كَمَا قالَ ، وَإنْ كانَ صادقًا لَمْ يَعُدْ إلَيْهِ الإسلامُ سالِمًا » .

٣٩٠ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ حَمَلَ علينا السلاحَ فليس مِنا » .

وسيمر معنا في حد الردة في القسم الخامس نصوص تتعلق بالردة وأحكامها .

---

٣٨٧ ـ أحمد (٥ / ١٨١) . كشف الأستار (٢ / ٤٣١) .

قال في المجمع (٨ / ٧٣) : رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح .

٣٨٨ ـ البخاري (٦ / ١٤٩) ـ ٥٦ ـ كتاب الجهاد ـ ١٤٩ ـ باب لا يُعذَّب بعذاب الله .

أحمد (١ / ٢١٧) .

ابن ماجه (٢ / ٨٤٨) ـ ٢٠ ـ كتاب الحدود ـ ٢ ـ باب المرتد عن دينه .

٣٨٩ ـ أبو داود (٣ / ٢٢٤ ، ٢٢٥) ـ كتاب الأيمان والنذور ـ باب ما جاء في الحلف بالبراءة وبملة غير الإسلام .

ابن ماجه (١ / ٦٧٩) ـ ١١ ـ كتاب الكفارات ـ ٣ ـ باب من حلف بملة غير الإسلام .

المستدرك (٤ / ٢٩٨) . وإسناده لا بأس به .

٣٩٠ ـ البخاري (١٣ / ٢٣) ـ ٩٢ ـ كتاب الفتن ـ ٧ ـ باب قول النبي ﷺ : « من حمل علينا السلاح فليس منا » .

مسلم (١ / ٩٨) ـ ١ ـ كتاب الإيمان ـ ٤٢ ـ باب قول النبي ﷺ : « من حمل علينا السلاح فليس منا » .

الترمذي (٤ / ٥٩ ، ٦٠) ـ ١٥ ـ كتاب الحدود ـ ٢٦ ـ باب ما جاء فيمن شهر السلاح .

ابن ماجه (٢ / ٨٦٠) ـ ٢٠ ـ كتاب الحدود ـ ١٩ ـ باب من شهر السلاح .

وهو عند ابن ماجه بلفظ : « من شَهَرَ » .

مسائل وفوائد

في نواقض الشهادتين وتعداد بعضها

١ ـ لقد كُتِبتْ الكتب الكثيرة في المكفرات وفي موجبات الردة ، وندر أن يوجد كتاب فقهي جامع إلا وفيه كلام طويل عن الردة وأحكامها وما يؤدي إلى الردة ، وذكرنا في كتابنا : « الإسلام » حوالي عشرين ناقضًا من نواقض الشهادتين ، وقد اشتطَّ ناسٌ في موضوع التكفير حتى تجاوزوا الحدود العلمية والفقهية في هذا الشأن ، فاقتضى ذلك تنبيهًا ؛ لأن المسارعة إلى التكفير ليست خلق أهل السنة والجماعة ، فأهل السنة والجماعة لا يكفرون إلا بما يوجب التكفير قطعًا ، فالهجوم على التكفير خطر ، إلا فيما كان واضحًا وضوح الشمس لا يحتمل تأويلاً أو ما حكم فيه أهل الفتوى أنه ردة .

ولما كان الإيمان التصديق بجميع ما جاء به الرسول ﷺ بدليل قاطع ، كان الكفر نقيض الإيمان ، فالكفر إذن هو عدم التصديق ولو بشيء مما جاء عن النبي ﷺ ووصل إلينا بطريق يقيني .

قال الرازي في تفسيره : (الكفر عدم تصديق الرسول ﷺ بشيء مما علم بالضرورة مجيئه) .

٢ ـ نواقض الشهادتين على أنواع ، فمنها الاعتقادي ومنها الفعلي ومنها القولي .

فمن النواقض الاعتقادية مما يدخل في باب الألوهيات : إنكار الخالق سبحانه وتعالى ، وإنكار صفة من صفات الكمال ، أو وصفه بما هو منزه عنه ؛ كوصفه بأنه ثالث ثلاثة ، أو أنه جسد ، أو أنه غير محيط علمًا بكل شيء ، أو وصفه بأن له ولدًا أو صاحبةً ، وشريكًا أو معاونًا ، أو وصفه بصفة من صفات النقص كالجهل والعجز والتعب ، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا .

ومن النواقض الاعتقادية فيما يتصل بالنبوات : إنكار الأنبياء الذين ورد الخبر القاطع بالإعلام بهم أو إنكار أحدهم ، أو إنكار عموم رسالة محمد ﷺ وأنه خاتم النبيين .

ومما يدخل في النواقض الاعتقادية مما يتصل بالسمعيات : إنكار البعث والقيامة بالروح والجسد ، أو اعتقاد أن النعيم والعذاب روحاني لا صلة للجسم بذلك ، وأيضًا إنكار الملائكة والجن والكتب السماوية إجمالاً ، أو إنكار القرآن ولو آية من آياته .

ومما يتصل بالنواقض الاعتقادية إنكار الأركان الخمسة من الصلاة والزكاة .

٣ - ومن صور نواقض الشهادتين جحود أمر معلوم من ديننا بالضرورة وهو ما يعرفه عوام المسلمين وخواصّهم ، وهو ما يثبت بالقرآن الكريم وكان قطعي الدلالة ، أو بالسنة المتواترة القطعية الدلالة وليس فيه شبهة ، أو بإجماع جميع الصحابة المتواتر إجماعًا قطعيًا قوليا غير سكوتي ، وكذلك إذا استباح محرمًا مجمعًا على تحريمه معلومًا من الدين بالضرورة .

يقول الإمام النووي : وكذلك الأمر في كل من أنكر شيئًا مما أجمعت الأمة عليه من أمور الدين إذا كان علمه منتشرا كالصلوات الخمس ، وصوم شهر رمضان ، والاغتسال من الجنابة ، وتحريم الزنا والخمر ، ونكاح ذوات المحارم ونحوها من الأحكام ، إلا أن يكون حديث عهد بالإسلام ولا يعرف حدوده ، فإنه إذا أنكر شيئًا منها جهلاً به لم يكفر .. فأما ما كان الإجماع فيه معلوما من طريق علم الخاصة ، كتحريم نكاح المرأة وعمتها وخالتها ، وأن القاتل عمدا لا يرث ، وأن للجدة السدس ، وما أشبه ذلك من الأحكام فإن من أنكرها لا يكفر بل يعذر فيها لعدم استفاضة علمها في العامة .

٤ - ومن المكفرات القولية أن يقول ما لا يجوز مما يستحيل على الله عز وجل ، كالوصف بالجهل وغير ذلك ، أو الاستهزاء بشيء من أركان الإيمان أو الإسلام أو أن يقول إنه غير مقتنع بجدوى الزكاة أو يقول إنه غير مقتنع بأن الإسلام فيه السعادة للإنسان وأنه يكفي لإقامة الحياة ، وكذلك الاعتراف بالعقائد الكافرة ، وكذلك الاعتراض على عدل الله وقضائه وقدره واتهامه بالجور سبحانه وتعالى .

٥ - ومن المكفرات الفعلية : تعليق شعار الكفر على نفسه من غير اضطرار مع الاستحباب ، أو تمزيق المصحف للإهانة أو رميه في القاذورات أو السجود لصنم .

٦ ـ ومما ينقض دعوى الشهادتين :

ا ـ التوكل والاعتماد على غير الله إذا أخذ طابع الاعتقاد : ﴿ **وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين** ﴾ (١) .

ب ـ عدم اعتراف الإنسان بأن كل نعمة هو فيها ظاهرة وباطنة حسية ومعنوية هي من فضل الله ، وأن ما يصيبنا هو من الله وأنه المانع والمعطي .

جـ ـ إعطاء غير الله حق الأمر والنهي المطلقين والتحليل والتحريم وحق التشريع المطلق : ﴿ **ألا له الخلق والأمر** ﴾ (٢) ، ﴿ **إن الحكم إلا لله** ﴾ (٣) .

د ـ ومما ينقضها : استحباب الحياة الدنيا على الآخرة وجعل الدنيا هدفه الوحيد إن كان ذلك عن كفر بالآخرة : ﴿ **وويل للكافرين من عذابٍ شديدٍ * الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة** ﴾ (٤) .

هـ ـ ومما ينقض دعوى الشهادتين تحليل ما حرم الله أو استحلاله ، وتحريم ما أحل الله مما لا خلاف بين أئمة الاجتهاد في حله :﴿ **ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرآم لتفتروا على الله الكذب ...** ﴾ (٥) .

و ـ ومما ينقض دعوى الشهادتين موالاة الكفار وأهل النفاق وكراهية أهل الإيمان والتوحيد ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ...** ﴾ (٦)

٧ ـ ومن صور نقض الشهادتين الحكم بغير ما أنزل الله على تفصيلاتٍ للفقهاء في ذلك ، قال ابن أبي العز الحنفي في شرحه للعقيدة الطحاوية : وذلك بحسب حال الحاكم فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله

---

(١) المائدة : ٢٣ .
(٢) الأعراف : ٥٤ .
(٣) يوسف : ٦٧ .
(٤) إبراهيم : ٢ ، ٣
(٥) النحل : ١١٦ .
(٦) المائدة : ٥١ .

فهذا كفر أكبر وقال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ﴾ [1] : ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير ، الناهي عن كل شر ، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال ، بلا مستند من شريعة الله ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات ، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم ، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكزخان الذي وضع لهم (الياسق) ، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها ، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه ، فصارت في بنيه شرعًا متبعًا يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، فمن فعل ذلك منهم ، فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير ا.هـ .

وموضوع نواقض الشهادتين واسع لو أردنا أن نتوسع فيه لاقتضى ذلك منا مجلدًا ضخمًا ، ولذلك نكتفي بهذه الإشارات ، وطالب العلم عليه أن يتتبع هذا الشأن ويتوسع فيه ليستطيع تصحيح عبارات الناس وأفعالهم واعتقاداتهم ، وما أقل من يمتلك الدقة العلمية في الاعتقادات والتصرفات والأقوال في عصرنا ، حتى إنك لتجد خطباء ومحاضرين ومدرسين ودعاة يغلب عليهم الخطأ ، وأحيانًا يكون الخطأ اعتقاديًا ، نسأل الله الحفظ والسلامة ، وكذلك لابد من دراسة كتب العقائد كما استقر عليه التأليف عند أهل السنة والجماعة .

* * *

---

(١) المائدة : ٥٠ .

الفصل الثامن عشر

في:

الاعتصام بالكتاب والسنة

وفيه:

مقدمة ونصوص



المقدمة

الكتاب والسنة أصلا الإسلام والإيمان ، فهما ركن من أركان الإيمان ، فمن كفر بالكتاب أو بالسنة فقد كفر بالإسلام كله ، فعلى كل مسلم أن يؤمن بالكتاب والسنة وأن يعظمهما ويجلهما ويخدمهما ، قال تعالى : ﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾ [١] فإذا كان هذا شأن تعظيم الشعائر فكيف بكلام الله ؟ فكيف بوحي الله ؟

كما أنه يفترض على كل مسلم أن يعتقد وجوب التزام الكتاب والسنة ، ومن لم ير ذلك فهو كافر ، ولكن السنة منها المتواتر ومنها ما سوى ذلك ، ومنها ما هو قطعي الثبوت وما هو ظني الثبوت ، ومنها ما هو قطعي الدلالة ظني الثبوت ، وظني الدلالة قطعي الثبوت ، وظني الثبوت ظني الدلالة ، والقرآن كله قطعي الثبوت ، ولكن منه ما هو قطعي الدلالة ، ومنه ما هو ظني الدلالة ، فالحكم بالكفر إنما هو على من أنكر وجوب الالتزام بالكتاب أو السنة أصلاً ، ومن أنكر ما هو قطعي الثبوت قطعي الدلالة ، ثم بعد ذلك توجد تفصيلات ولذلك نقول : إن تفصيل مدلول الالتزام بالكتاب والسنة بالنسبة لكل نص على حدة منوط بتفسير أهل الحق من أئمة الاجتهاد وأئمة العقائد وأئمة التفسير والسنة ، فهم الذين أعطوا هذا المعنى مضمونه التفصيلي ، ومن تكلم في هذا الشأن من غيرهم أو مخالفًا لاجتهاداتهم فإنه يَسِف أو يَضِل أو يُخْطِئ على حسب نوع الكلام الذي يقوله وحكمهم عليه .

وقد توزعت أقوال الأئمة المرتبطة بموضوع الالتزام بالكتاب والسنة في كتب العقائد والفقه وأصول الفقه وأصول علم التفسير وأصول علم الحديث ، والعالِم المحيط بهذه العلوم هو الذي يدرك تفصيلات المراد بالتزام بالكتاب والسنة ، فالالتزام بالكتاب والسنة يعني الالتزام بالإجماع والقياس والعرف الصالح والمصالح المرسلة والاستحسان والاستصحاب ، وهناك قواعد تضبط الفهم وتضبط كيفية استنباط الحكم ، وهناك قواعد للترجيح بين الأدلة ، وهذا وغيره من كلام الأئمة كله تفصيل دقيق للمراد بالتزام الكتاب والسنة .

---

(١) الحج : ٣٢ .

ولقد رفع الخوارج شعار « لا حكم إلا لله » ، وهو شعار صحيح ، ثم وصلوا منه إلى ضلال ، وهناك ناس يرفعون شعار العودة إلى الكتاب والسنة ، ولكن رافق دعوة غلاتهم من الخطأ ما يلغي التراث الفقهي والعلمي ، ويشكك بالأمة والأئمة ، فاقتضى ذلك التنبيه .

وقد حضت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة على الالتزام بها ، فمن آيات القرآن في ذلك :

﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾[1] ، ﴿ **قل أطيعوا الله والرسول** ﴾[2] ، ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾[3] ، ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا** ﴾[4] ﴿ **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام** ﴾[5] ، ﴿ **واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم** ﴾[6] ، ﴿ كتاب أنزلناه إليك مباركٌ ليدبروا آياته ﴾[7] . قال الحسن : تدبُّر آياته : اتباعه والعمل بعلمه . وقال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ **يتلونه حتى تلاوته** ﴾[8] يعملون به حق عمل به . ومن قوله تعالى : ﴿ **ومن يَعشُ عن ذكر الرحمن نُقَيِّض له شيطانًا فهو له قرين** ﴾[9] ، قيل معناه : من يعرض عن ذكر القرآن وما فيه من الحكم إلى أقاويل المضلين وأباطيلهم نعاقبه بشيطان نقيضه له حتى يضله ويلازمه قرينًا له وقوله ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة ...** ﴾[10]. (شرح السنة) .

فالإسلام في البداية والنهاية هو التسليم للكتاب والسنة ، والكتاب والسنة فيهما بيان كل شيء مما يحتاجه المكلف ، قال تعالى عن القرآن : ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء** ﴾[11] ، ﴿ **وتفصيل كل شيء** ﴾[12] . فالكتاب والسنة وما انبثق عنهما من فهوم

(١) النساء : ٥٩ .
(٢) آل عمران : ٣٢ .
(٣) الحشر : ٧ .
(٤) آل عمران : ١٠٣ .
(٥) المائدة : ١٥ ، ١٦ .
(٦) الزمر : ٥٥ .
(٧) ص : ٢٩ .
(٨) البقرة : ١٢١ .
(٩) الزخرف : ٣٦ .
(١٠) الأحزاب : ٣٦ .
(١١) النحل : ٨٩ .
(١٢) يوسف : ١١١ .

صحيحة ، وما استنبط منها بطريقٍ صحيحٍ كل ذلك إسلام ، فالإسلام واسع لأنه ما من قضية من قضايا الحياة إلا ولله فيها حكم ، فالإسلام هو الحياة بكل ما فيها : ﴿ يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ [1] ، وكان ولا يزال رمز الدخول في الإسلام هو الشهادتين ، وكان رسول الله ﷺ يدل الداخلين في الإسلام على معالم كبرى من هذا ليبدأوا عهدهم بالإسلام فيها ، ثم لتكون هي البداية في السير على ضوء الكتاب والسنة ، وقد غلط من فهم أن مثل هذه النصوص هي الدين كله ، فَذِكْرُ الخاصِّ وإرادةُ العامِّ أو ذِكْرُ العامِّ وإرادةُ الخاصِّ ، وذِكرُ الجزء وإرادةُ الكلِّ وذِكرُ الكلِّ وإرادةُ الجزء هي بعض أساليب الخطاب التي تعرفها العرب بفطرتها ، والراسخون في العلم يضعون الأمور في مواضعها ، وهذه بعض النصوص التي تحض على التزام الكتاب والسنة .

---

(١) الأنفال : ٢٤ .

النصوص

٣٩١ - * روى البخاري عن ابن مسعودٍ قال : أحسن الحديث كتاب الله ، وأحسنَ الهَدْي هديُ محمد ﷺ وشرُّ الأمورِ مُحْدَثَاتُها وإن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين .

٣٩٢ - * روى الترمذي عن المِقْدام بن مَعْدِ يكَرِب رفعه : « ألا هل عسى رَجُل يَبْلُغُه الحديثُ عني وهو متكئ على أريكَتِه فيقول : بيننا وبينكم كتابُ الله ، فما وجدنا فيه حَلالاً استَحْلَلْناه ، وما وجدنا فيه حرامًا حرّمناه . وإن ما حَرَّمَ رسولُ الله كما حرم الله » .

ولأبي داود [1] : « ألا وإني أوتيت الكتاب ومثلَه معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته » .

٣٩٣ - * روى ابن ماجه عن أبي الدرداء رفعه : « وايْمُ اللهِ لقد تَرَكْتُكُم على مثلِ البيضاء ليلُها ونهارُها سواءٌ » .

٣٩٤ - * روى مالك بن أنس رحمه الله أنه بَلَغَهُ ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « تَرَكْتُ فيكم أمرَيْن لنْ تَضلُّوا ما تَمَسَّكْتُمْ بهما : كتابَ الله ، وسنةَ رسوله » .

---

٣٩١ - البخاري (١٣ / ٢٤٩) - ٩٦ - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - ٢ - باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ ، وقول الله تعالى : ﴿ واجعلنا للمتقين إماما ﴾ .

٣٩٢ - الترمذي (٥ / ٣٨) - ٤٢ - كتاب العلم - ١٠ - باب ما نُهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ .

وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

(١) أبو داود (٤ / ٢٠٠) - كتاب السنة - باب في لزوم السنة .

بنحو ما عند الترمذي .

ابن ماجه (١ / ٦) المقدمة - ٢ - باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه .

ورواية أبي دواد أتم من رواية الترمذي وابن ماجه .

٣٩٣ - ابن ماجه (١ / ٤) - المقدمة - ١ - باب اتباع سنة رسول الله ﷺ .

ورجاله ثقات .

٣٩٤ - الموطأ (٢ / ٨٩٩) - ٤٦ - كتاب القدر - ١ - باب النهي عن القول بالقدر .

ويشهد له حديث ابن عباس عند الحاكم (١ / ٩٣) بسند حسن فيتقوى به .

٣٩٥ - * روى الترمذي عن زيد بن أَرْقَم رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ « إنّي تَارِكٌ فيكم ما إن تَمسَّكْتُمْ به لن تَضِلُّوا بعدي ، أَحدُهما أعظمُ من الآخر ، وهو كتابُ الله ، حبلٌ ممدودٌ من السَّماء إلى الأرض ، وعِتْرتي أهل بيتي ، لنْ يَفترقا حتى يرِدَا عَلَيَّ الحوضَ ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ؟ » .

٣٩٦ - * روى أبو داود عن عبد الرَّحمن بن عمرو السُّلَمي وحُجْر بن حُجْر ؛ أتينا العِرباض بن سَارِيَة رضي الله عنه ، وهو ممَّن نَزَل فيه ﴿ ولا عَلَى الذين إذا ما أتوك لِتحملهُم قلتَ لا أجدُ ما أحْمِلكم عليه ﴾ [1] فَسلمنا ، وقُلنا : أتيناك زائرين ، وعائدين ، ومُقْتَبسَيْن ، فقال العِرباضُ : صلى بنا رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم ، ثم أقبلَ علينا بوجهه ، فوعَظَنا موعظةً بَليغةً ، ذَرَفتْ منها العيون ، وَوجلتْ منها القلوبُ ، فقال رجل : يا رسول الله ، كأن هذه موعظةُ مودِّع ، فماذا تَعْهدُ إلينا ؟ قال : « أُوصيكم بتَقْوَى الله . والسَّمْع والطَّاعة ، وإنْ عَبْدًا حبشيًا ، فإنه من يَعش منكم فسيري اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدينَ المهديِّين ، تمسكوا بها ، وعَضُّوا عليها بالنَّواجذ ،

---

٣٩٥ - الترمذي (٥ / ٦٦٣) - ٥٠ - كتاب المناقب - ٣٢ - باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ .

وقال : هذا حديث حسن غريب .

٣٩٦ - أبو داود (٤ / ٢٠١) - كتاب السنة - باب في لزوم السنة .

الترمذي (٥ / ٤٤) - ٤٢ كتاب العلم - ١٦ - باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع .

وفي آخره تقديم وتأخير .

ورواه أيضًا أحمد (٤ / ١٢٦ ، ١٢٧) .

وإسناده صحيح .

(١) التوبة : ٩٢ .

مقتبسَيْن : الاقتباس في الأصل : أَخْذُ القبس من النار ، وأراد به : الأخذ من العلم والأدب .

ذرفت : العينُ تذرفُ : إذا دَمعت .

وَجلتْ : وَجِل القلبُ يوجَلُ : إذا خاف وفزع ، والوجَلُ : الفزع .

تعهد : عهد إليه بكذا يعهد : إذا أوصى إليه .

وإنْ عَبْدًا حبشيًا : أي : أَطِعْ صاحبَ الأمر ، واسمع له ، وإن كان عبدًا حبشيًا ، فحذف « كان » وهي مرادة .

الراشدين : الراشد : اسم فاعل من رَشِدَ يَرْشَدُ ، ورَشَد يرْشُد رشدًا ، وهو خلاف الغَيّ ، وأرشدتُه أنا : إذا هديته .

المهديين : المهدي : الذي قد هداه الله إلى الحق ، هداه يَهديه فهو مَهديٌّ ، والله هاديه .

وعَضُّوا عليها بالنواجذ : النَّواجذُ : الأضراس التي بعد الناب ، جمع ناجذ ، وهذا مَثَلٌ في شدَّة الاستمساك بالأمر ، لأن العَضَّ بالنَّواجذ عَضٌّ بمعظم الأسنان التي قبلهاوالتي بعدها .

=

وإياكم ومُحْدَثاتِ الأمور ، فإنَّ كلَّ مُحْدَثَة بدْعة ، وكلّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ » .

٣٩٧ - * روى البزار عن ابن مسعود قال : عليكم بهذا القرآن فإنه مَأْدَبَةُ الله فمن استطاع منكم أن يأخذ مأدبة الله فليفعلْ فإنما العلم بالتعلم .

٣٩٨ - * روى الطبراني عن مَعْقِل بن يسار رفعه : « اعملوا بالقرآن ، وأحِلُّوا حَلاله وحَرّموا حَرَامَه ، واقتدوا به ولا تكفروا بشيء منه ، وما تشابَه عليكم فردوه إلى الله وإلى ولي الأمر من بعدي كيما يُخْبِرَكم ، وآمنوا بالتوراة والإنجيل والزبور وما أُوتي النبيون من ربهم ، وليشفيكم القرآنُ وما فيه من البيان فإنه شَافع مُشَفَّعٌ ومَاحِلٌ مُصَدَّق ولكل آية منه نور إلى يوم القيامة ، أما إني أُعطيتُ سورة البقرة من الذكر ، وأُعطيت طه والطور من ألواح موسى ، وأعطيتُ فاتحةَ الكتاب وخواتيم سورة البقرة من كَنْزٍ تحتَ العَرش ، وأُعطيتُ المُفَصَّل نافلةً » .

وفي رواية (١) : « فما اشتبه عليكم منه فأسألوا عنه أهل العلم يخبروكم » .

٣٩٩ - * روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عَن النَّبيِّ ﷺ قالَ : « إنَّما مَثَلي ومَثَلُ مَا بَعَثَني اللهُ به كَمَثلِ رَجُلٍ أتى قَوْمًا ، فقَالَ : يَاقَوم إنِّي رَأَيْتُ الجيْشَ بعَيْني ، وإني أنَا النَّذيرُ العُرْيَانُ ، فَالنَّجاءَ ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَومه ، فَأدْلَجُوا ، فانْطَلَقوا عَلى مَهْلِهم ، فَنَجَوْا ، وَكَذَّبَتْ طَائفَةٌ مِنْهُم ، فَأصْبَحُوا مَكَانَهُمْ ، فَصَبَّحَهُم الجيْشُ ، فَأهْلَكَهُمْ واجْتَاحَهُمْ ، فَذَلِك مَثَلُ مَنْ أطَاعَني ، فَاتَّبَع مَا جِئتُ بِه ، ومَثَلُ مِنْ عَصَاني ، وكَذَّبَ بِما جِئْتُ بِه مِنَ الحَقِّ » .

= محدثات الأمور : ما لم يكن معروفًا في كتاب ولا سنة ولا إجماع .

٣٩٧ - كشف الأستار (١ / ٩٢) .

قال في المجمع (١ / ١٢٨) : رجاله موثقون .

٣٩٨ - المعجم الكبير (٢٠ / ٢٢٥) .

(١) مجمع الزوائد (١ / ١٧٠) . وقال : رواه الطبراني في الكبير ، وفيه عبيد الله بن أبي حميد أجمعوا على ضعفه . اهـ من المجمع . وهو حسن لتعدد رواياته .

٣٩٩ - البخاري (١٣ / ٢٥٠) - ٩٦ - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - ٢ - باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ ، وقول الله تعالى : ﴿ واجعلنا للمتقين إماما ﴾ .

مسلم (٤ / ١٧٨٨) - ٤٣ - كتاب الفضائل - ٦ - باب شفقته ﷺ على أمته ، ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم .

٤٠٠ - * روى أحمد عن يحي بن ميمون الحضرمي أن أبا موسى الغافقي سمع عقبة بن عامر الجهني يحدث على المنبر عن رسول الله ﷺ أحاديثَ ، فقال أبو موسى : إن صاحبكم هذا لحافظٌ أو هالك إنّ رسولَ الله ﷺ كان آخرَ مَا عَهدَ إلينا أن قال : « عليكم بكتاب الله ، وستَرْجعون إلى قوم يُحبون الحديثَ عني ، فمن قال علي ما لم أقلْ فليتبوأ مَقْعَدَه من النار ومن حفظ شيئًا فليحدّثْ به » .

٤٠١ - * روى البزار عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أحلَّ الله في كتابه فهو حَلالٌ ، وما حَرَّمَ فهو حرامٌ ، وما سكتَ عنه فهو عفو ، فاقبلوا من الله عافيته ، فإن الله لم يكن لينسى شيئًا » . ثم تلا ﴿ **وما كان ربك نسيًا** ﴾[1] .

٤٠٢ - * روى مالك عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويسخط لكم ثلاثًا ، يرضى لكم : أن تَعْبُدوه ولا تُشركوا به شيئًا ، وأن تعتصموا بحبلِ اللهِ جميعًا ، وأن تُناصِحُوا من ولَّى اللهُ أمرَكم . ويَسخطُ لكم : قيل وقال ، وإضاعةَ المالِ ، وكثرةَ السؤالِ » .

٤٠٣ - * روى الطبراني عن أبي أيوب الأنصاري ، قال خرج علينا رسول الله ﷺ وهو مرعوبٌ فقال : « أطيعوني ما كنت بين أظهُرِكم وعليكم بكتابِ الله أحلوا حلاله وحرموا حرامه » .

---

٤٠٠ - أحمد (٤ / ٣٣٤) .

كشف الأستار (١ / ١١٧) .

قال في المجمع (١ / ١٤٣ ، ١٤٤) : رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير ورجاله ثقات .

٤٠١ - كشف الأستار (٣ / ٥٨) .

قال في المجمع (١ / ١٧١) : رواه البزار والطبراني في الكبير وإسناده حسن ورجاله موثقون .

(١) مريم : ٦٤ .

٤٠٢ - الموطأ (٢ / ٩٩٠) - ٥٦ - كتاب الكلام - ٨ - باب ما جاء في إضاعة المال وذي الوجهين .

وروى مسلم نحوه (٣ / ١٣٤٠) - ٣٠ - كتاب الأقضية - ٥ - باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة .

٤٠٣ - مجمع الزوائد (١ / ١٧٠) . وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون .

٤٠٤ ـ * روى الطبراني عن ابن شَرِيح الخُزاعي قـال : خرج علينـا رسـول الله ﷺ فقال : « أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله » قـالوا : بلى . قـال : « إن هذا القـرآن طَرفُهُ بيدِ الله وطَرفُهُ بأيديكم فتمسكوا بـه فـإنكم لن تَضلوا ولن تهلِكوا بعده أبدًا » .

* * *

---

٤٠٤ ـ مجمع الزوائد (١ / ١٦٩) . وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح .

الفصل التاسع عشر
في
التمسك بالسنة
وفيه
التحذير من البدعة وأهلها



النصوص

٤٠٥ ـ * روى البخاري ومسلم عن عائشة ، رفعته : « مَنْ أحدثَ في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدّ » .

٤٠٦ ـ * روى الطبراني عن عبدِ الله بن مسعودٍ قال : اتبعوا ولا تَبتدعوا فقد كُفِيتم .

٤٠٧ ـ * روى الطبراني عن ابن عباس قال : ما أتى على الناس عامٌ إلا أحدثوا فيه بدْعَة وأماتوا فيه سُنَّةً ، حتى تحيا البِدَعُ وتموتَ السُّنَنُ .

٤٠٨ ـ * روى الطبراني في الأوسط عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله حَجَبَ التوبَةَ عن كل صَاحِبِ بدعَة » .

أقول : أي إن صاحب البدعة لا تقبل توبته حتى يتوب من بدعته .

٤٠٩ ـ * روى أحمد عن ابنِ مسعودٍ قال : خطَّ لنا رسول الله ﷺ يومًا خطًا ، ثم قال : « هذا سبيلُ الله » . ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله ثم قال : « هذه سُبُلٌ على كلّ سبيلٍ مِنها شيطان يدعو إليه » . ثم تلا : ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾ .

---

٤٠٥ ـ البخاري (٥ / ٣٠١) ـ ٥٣ ـ كتاب الصلح ـ ٥ ـ باب إذا اصطلحوا على صلح جَور فالصلح مردود .
مسلم (٣ / ١٣٤٣) ـ ٣٠ ـ كتاب الأقضية ـ ٨ ـ باب نقض الأحكام الباطلة ، ورد محدثات الأمور .
أبو داود (٤ / ٢٠٠) ـ كتاب السنة ـ باب في لزوم السنة .
رد : أي مردود من قبلنا وعلى صاحبه ، وكل ما أجازه الأئمة المجتهدون أو أحدهم لايُعتَبَرُ بِدْعَةً ، وما عليه الراسخون في العلم مِنْ فَهْمٍ لنصوص الكتاب والسنة لا يُعتَبَرُ بدعة .

٤٠٦ ـ المعجم الكبير (٩ / ١٦٨) .
قال في المجمع (١ / ١٨١) : رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح .

٤٠٧ ـ المعجم الكبير (١٠ / ٣١٩) .
قال في المجمع (١ / ١٨٨) : رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون .

٤٠٨ ـ مجمع الزوائد (١٠ / ١٨٩) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى الفروي وهو ثقة .

٤٠٩ ـ أحمد (١ / ٤٦٥) .
مجمع الزوائد (٧ / ٢٢) . وقال : رواه أحمد والبزار وفيه عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه ضعف .
المستدرك (٢ / ٣١٨) . وصححه . ووافقه الذهبي .

٤١٠ - * روى أحمد عن مجاهدٍ قال : كنا مع ابن عمر في سفر فمر بمكان فحاد عنه فسئل : لم فعلت ؟ قال : رأيت رسول الله ﷺ فَعَلَ هذا فَفَعَلْتَهُ .

٤١١ - * روى البزار عن مجاهد أن ابن عمر رضي الله عنه كان يأتي شجرة بين مكة والمدينة فَيَقِيل تحتها ، ويُخْبِرُ أن النبي ﷺ كان يفعل ذلك .

٤١٢ - * روى أبو داود عن معاذٍ : إنَّ وراءكم فِتَنًا يَكْثُرُ فيها المال ، ويُفتح فيها القرآنُ حتى يأخذَه المؤمنُ والمُنافقُ ، والرجلُ والمرأةُ ، والعبدُ والحرُّ ، والصغير والكبيرُ ، فيُوشكُ قائلٌ أن يقولَ : ما للناس لا يتَّبعوني وقد قرأتُ القرآن ؟ وما هم بمُتَّبِعِيَّ حتى أبتدعَ لهم غيره ، فإياكم وما ابْتُدع ، فإنما ابتُدِع ضلالةٌ ، وأحذركم زَيْغَةَ الحكيم ، فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسانِ الحكيم ، وقد يقول المنافقُ كلمةَ الحق ، قال : قلت لمعاذٍ : وما تدري رحمك الله أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالةِ ، وأنَّ المنافق يقول كلمةَ الحق ؟ قال : بلى : اجتنبْ من كلام الحكيم المشْتَهِراتِ التي يقال : ما هذه ؟ ولا يَثْنِيَنَّكَ ذلك عنه ، فإنه لعلهُ يُراجع ، وتَلَقَّ الحقَّ إذا سَمِعْتَهُ ، فإنَّ على الحق نورًا .

٤١٣ - * روى أحمد عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما أخاف على أمتي الأئمةَ المضلين » .

---

٤١٠ - أحمد (٢ / ٣٢) .

كشف الأستار (١ / ٨١) . وإسناده جيد .

قال في المجمع (١ / ١٧٤) . رواه أحمد والبزار ورجاله موثقون .

٤١١ - كشف الأستار ، الموضع السابق . وإسناده لا بأس به .

قال في المجمع (١ / ١٧٥) : رواه البزار ورجاله موثقون .

٤١٢ - أبو داود (٤ / ٢٠٢) - كتاب السنة - باب لزوم السنة .

وإسناده صحيح .

زيغة الحكيم : الزَّيغ ، وأراد به : الميل عن الحق . والحكيم : العالم العارف ، أراد به : الزلل والخطأ الذي يعرض للعالم العارف ، أو يَتَعمَّدَه لقلة دينه .

٤١٣ - أحمد (٥ / ٢٧٨) .

قال في المجمع (٥ / ٢٣٩) : رواه أحمد ورجاله ثقات .

الترمذي (٤ / ٥٠٤) - ٣٤ - كتاب الفتن - ٥١ - باب ما جاء في الأئمة المضلين .

وقال : هذا حديث حسن صحيح . وقال عنه السيوطي : حسن .

٤١٤ ـ * روى الطبراني في الصغير عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال لعائشة : « يا عائشةُ ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا ﴾ (١) هم أصحابُ البدَعِ وأصحابُ الأهواء ليس لهم توبة أنا منهم بريءٌ وهم مني براء » .

٤١٥ ـ * روى الدارمي عن الحسن وابن سيرين أنهما قالا : لا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم .

٤١٦ ـ * روى الدارمي عن عُمَر بن عبد العزيز قال : سأله رجلٌ عن شيء من الأهواء ، فقال : عليك بدين الأعرابي والغلام في الكُتَّاب والهَ عما سوى ذلك . قال أبو محمد : كَثُر تَنَقُّلُه أي ينتقل من رأي إلى رأي .

٤١٧ ـ * روى الدارمي عن أبي صادق الأزدي عن ربيعة بن ناجذ قال : قال علي : كونوا في الناس كالنحلة في طيرانها ليس من الطير شيء إلا وهو يستضعفها ولو يعلم الطير ما في أجوافها من البركة لم يفعلوا ذلك بها . خالطوا الناسَ بألسنتكم وأجسادكم وزايلوهم بأعمالِكم وقلوبكم فإن للمرء ما اكتسب وهو يومَ القيامة مع من أحب .

* * *

---

٤١٤ ـ الروض الداني (١ / ٣٣٨) . وإسناده جيد .

قال في المجمع (١ / ١٨٨) : رواه الطبراني في الصغير و فيه بقية ، ومجالد بن سعيد ، وكلاهما ضعيف .

(١) الأنعام : ١٥٩ .

٤١٥ ـ الدارمي (١ / ١١٠) ـ المقدمة ـ باب اجتناب أهل الأهواء والبدع والخصومة .

وإسناده حسن .

٤١٦ ـ الدارمي (١ / ٩١) ـ المقدمة ـ باب من قال العلم الخشية وتقوى الله .

وإسناده صحيح .

قوله : كَثُرَ تَنَقُّلُهُ : أي من استمع إلى أهل الأهواء فإنه لا يسلم من أن ينتقل من مذهب باطل إلى مذهب باطل آخر .

٤١٧ ـ الدارمي (١ / ٩٢) ـ المقدمة ـ باب في اجتناب الأهواء .

ولا بأس بإسناده .



الفصل العشرون
في:
البدعة



من بـدهيـات الإسلام التمسـك بسنـة رسول الله ﷺ ، كيف لا والله عز وجـل يقـول : ﴿ لقـد كان لكم في رسـول الله أسـوة حسنــة لمن كان يرجـو الله واليــوم الآخر وذكر اللهَ كثيرًا ﴾ [١] .

ومن بدهيات الإسلام الحذر من البدعة وكراهيتهـا ، ولكن هـذين الموضوعين يلبس بهما أهل الجهل على المسلمين فاقتضى ذلك تبيينهما .

فيما يدخل في التمسك بالسنة : الاقتداء برسول الله ﷺ بـالكليـات والجزئيـات ، وذلـك يقتضي فهم سيرتـه ومعرفـة سننـه ، ولكن درجـات الإلزام في ذلـك يحـددهـا أئمـة الاجتهـاد والفتوى الصحيحة من أهلها ، فهناك سنة عادة وسنة عبادة وسنة دائمة وتشريع مؤقت ، ومـا دام المسلم على فتوى إمام مجتهد أو عالم معتمد فهو على إسلام وعلى سنة وعلى اقتداء برسول الله ﷺ في حده الأدنى أو حده الأعلى ، وما دام المسلم على العقائد الإسلامية كما هي في صريح الكتـاب والسنة وما دام على فهم الراسخين في العلم من الأئمة في المتشابهات فهو على سنـة ، وبـالتـالي لا يعتبر مبتدعًا من كان في المحكات على الكتـاب والسنـة وفي التشـابهـات والمشتبهـات على مذاهب الراسخين في العلم من أئمة أهل السنـة والجمـاعـة ، ومن ضلل من تـابع الأئمـة في مثل هذين الأخيرين فقد ضل لأنه يريد أن يلقي بالأمة في أحضـان الجـاهليـة وأن يتهم الأئمـة وحاشاهم .

وأخطر أنواع البدع بدع الاعتقاد التي تخرج الإنسان عن كونـه من الفرقـة النـاجيـة إلى أن يـدخـل في الفرق الثنتين والسبعين التي نص رسـول الله ﷺ على استحقــاقهـا النـار ، ويدخل في الابتداع ابتداع العمل ، ولكن لا نحكم على إنسان في العقائد أنـه مبتـدع مـا دام على فهم الراسخين في العلم للمتشابهات ، قال تعالى ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ﴾ [٢] فالقراءة التي تقف على قوله تعالى : ﴿ والراسخون في العلم ﴾ تفيد إفادة صريحـة كما ذكرناه ، ولا نحكم على عمل أنه بدعه محرمة إلا إذا أجمع أئمـة الاجتهـاد أو أئمـة الفتوى على أنه بدعة ، أما إذا اختلفوا في بدعيته وتحريمه فالأمر واسع بـالنسبـة للعـامي ، وهو أضيق في

---

(١) الأحزاب : ٢١ .

(٢) آل عمران : ٧ .

حق من يعرف مسالك الدليل ، فمن ترجّح لديه أن الدليل الأقوى يوصل إلى البدعية فعليه أن يجتنب ، ولكنه لا يحق له أن يشتد في الإنكار على من يتابع أئمة الاجتهاد أو أئمة الفتوى في مثل هذه الحالة ، فالسير على اجتهاد إمام من أئمة الاجتهاد ، أو على فتوى إمام من الأئمة المعتبرين في الفتوى يخرج صاحبه من إثم الابتداع المحرم أو المكروه ، إلا إذا كان من أهل العلم الذين يعرفون مسالك الأدلة فالأمر في حق مثل هؤلاء أشدُّ ، ولا يصح لواحد منهم أن يشتد على من خالفه مادام على رأي إمام معتمد .

٤١٨ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي عَبْدِ اللهِ النُّعْمَان بن بشير رضي اللهُ عنهما قَالَ : سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « إنَّ الحَلال بَيِّنٌ ، وإنَّ الحرام بَيِّنٌ ، وَبَيْنَهُما أُمُورٌ مُشْتَبِهاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثيرٌ مِنَ النَّاس ، فَمَنِ اتَّقى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبرأ لِدينِه وعِرْضِه ، ومَنْ وَقَعَ في الشُّبُهَات وَقَعَ في الحرام ، كالرَّاعي يرْعى حَول الحِمى يُوشِكُ أنْ يَرتَعَ فيه . ألا وإنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمى ، ألا وإنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ . ألا وإنّ في الجَسدِ مُضغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسدُ كلُّهُ ، وإذا فَسَدت فَسدَ الجسدُ كُلُّهُ : ألا وهي القَلْبُ » .

دل هذا الحديث على أن بعض مسائل الحرام والحلال مشتبهة لا يعلمها الكثير ، وإذن فالقليل يعلمها وهم الأئمة المجتهدون المستشرفون لنصوص الكتاب والسنة والقادرون على

---

٤١٨ ـ البخاري (١ / ١٢٦) ـ ٢ كتاب الإيمان ـ ٣٩ ـ باب فضل من استبرأ لدينه .

مسلم (٣ / ١٢١٩) ـ ٢٢ ـ كتاب المساقاة ـ ٢٠ ـ أخذ الحلال وترك الشبهات .

بين : ظاهر ، وهو ما نص الله ورسوله أو أجمع المسلمون على تحليله بعينه . وكذلك بالنسبة للحرام .

مشتبهاتٌ : مشكلات ، لما فيها من عدم الوضوح في الحل والحرمة بسبب تنازع الأدلة فتشبه مرة الحلال ومرة الحرام .

اتقى الشبهات : أي ابتعد عن المشكلات واجتنبها .

فقد استبرأ لدينه وعرضه : أي طلب البراءة ، أو حصل عليها ، لحفظ دينه من الذم الشرعي ، وعرضه يصونه عن كلام الناس بما يعيبه .

وقع في الشبهات : أي تجرأ عليها وفعلها . وهذا ربما يؤدي به إلى تساهل وجُرْأة يحملانه عادةً على فعل الحرام الظاهر .

الحمى : أي المحمي . وهو المحظور على غير مالكه . وقيل : هو الكلأ الذي يمنعه الحاكم ويتوعد من يرعى فيه .

محارمه : معاصيه التي حرّمها الله تعالى ، وهي الجناية على النفس والعرض والمال وغيرها . كالقتل والسرقة والزنا ... إلخ .

الاستنباط منها ، وعلى هذا فإذا كان أحد العلماء مظنة الاجتهاد وقال قولاً لا يخالف صريح كتاب أو سنة قطعية الثبوت قطعية الدلالة ليس لها معارض ، فللمسلم أن يتابعه ولا حرج ، ولا يكون بذلك مبتدعًا ، فالمبتدع هو من سار في أمر العقائد على غير أقوال الراسخين في العلم ، وفي الفروع على غير أقوال الأئمة المجتهدين ، نفهم ذلك من هذا الحديث في قضايا الحلال والحرام ، ومن قوله تعالى : ﴿ هو الذي أنزل الكتاب منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ﴾ [١] .

وقد قال الإمام أحمد [٢] عن عائشةَ رضي الله عنها ، قالت : قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾ إلى قوله : ﴿ أولو الألباب ﴾ فقال : « إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عَنَى اللهُ فاحذروهم » .

وفي البخاري [٣] ومسلم وأبي داود عن عائشة رضي الله عنها قالت : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات ﴾ إلى قوله : ﴿ وما يذّكر إلا أولو الألباب ﴾ قالت : قال رسول الله ﷺ : « فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّى الله فاحذروهم » .

ويدخل في ذلك كل من اتبع المتشابه وترك المحكم .

ويدخل في ذلك فرق الضلال كلّها ، كما سنرى في مباحث لاحقة .

أمّا من تابع الراسخين في العلم من أهل السنّة والجماعة الذين يحملون المتشابه على المحكم فحاشاهم من الابتداع .

---

(١) آل عمران : ٧ .

(٢) أحمد (٦ / ٤٨) .

(٣) البخاري (٨ / ٢٠٩) - ٦٥ - كتاب التفسير - ١ باب ﴿ منه آيات محكمات ﴾ .

مسلم (٤ / ٢٠٥٣) - ٤٧- كتاب العلم - ١ - باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه ...

أبو داود (٤ / ١٩٨) - كتاب السنة - باب مجانبة أهل الأهواء .

وقد تشدّد قوم في موضوع البدعة نتيجة لسوء الفهم ، فحكموا على أشياء أجازها أئمة الاجتهاد أو بعضهم على أنّها بدع ضالّة وضللوا أهلها ، وليس لهم ذلك وفهمهم للحديث [١] : « كلّ ما ليس عليه أمرنا فهو رَدّ » فهم مغلوطٌ في هذه الحالة ، فأمر رسول الله ﷺ هو ما وافق الكتاب والسنّة ، وما أحال عليه الكتابُ والسنّةُ من مسالك الاجتهاد كالقياس والإجماع والاستحسان ـ عند القائلين به ـ وتحكيم العرف حيث سكت النصّ ـ عند القائلين به ـ وكل ذلك داخل في أمر رسول الله ﷺ ، ولكن لا يحسن كلّ أحد أن يستنبط ما يوافق أمر رسول الله ﷺ إلا من وصل إلى رتبة الاجتهاد أو وصل إلى الإمامة في الفتوى ، أمثال هؤلاء يستطيعون أن يميّزوا بين ماوافق أمر رسول الله ﷺ وأصحابه من اعتقادات وأعمال وما لا يوافق ، وبالتالي ففتوى هؤلاء أو أحدهم بالموافقة يُخْرِج مَنْ أخذ بفتواه من أن يكون من أهل الابتداع ، وهذا الذي قلناه تشهد له أعمال الصحابة ، فكثيرًا ما حدث أنّ الصحابي كان يقول أو يفعل الفعل بناء على فهمه لشريعة الله ، دون أن يكون هناك نص خاصّ في عمله أو في قوله ، وكان رسول الله ﷺ يعجبه ذلك إن وافق فعلا أمره ، وإلا صحّح وسدّد ، وهذا الذي كان يفعله الصحابة فهمًا من النصوص ، وكان رسول الله ﷺ يقرّه ويعجبه هو الذي يجعلنا نقول : إن كثيرًا من الاجتهادات التي حدثت بعده عليه الصلاة والسلام قد توافق أمره وقد تخالفه ، فمن الذي يحكم عليها ؟ لا شكّ أن أئمة الاجتهاد وأئمة الفتوى المؤهّلين للتمييز بين ما يوافق الأمر وما يخالفه ، فإذا أجمعوا فذلك الذي لايسع مسلمًا أن يخالفه ، وإذا افترقوا فالأمر واسع ، وأحيانًا يحدث فيما بينهم نقاش ثم يستقر الأمر عند الأمّة على شيء متّفق عليه ، فبعد الاتّفاق واستقرار أمر الأمّة على شيء فهنا كذاك لا ينبغي أن يخالف ، ومن خالف كان مبتدعًا .

وقد تتبع بعضهم ما فعله الصحابة ابتداءً دون أمر خاصّ وأقرّهم الرسول ـ ﷺ ـ عليه ،

---

(١) البخاري (٥ / ٣٠١) ـ ٥٣ ـ كتاب الصلح ـ ٥ ـ باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود .
مسلم (٢ / ١٣٤٣) ـ ٣٠ كتاب الأقضية ـ ٨ ـ باب نقض الأحكام الباطلة وردّ محدثات الأمور .
أبو داود (٤ / ٢٠٠) ـ كتاب السنة ـ باب في لزوم السنة .
ابن ماجه (١ / ٧) ـ المقدمة ـ ٢ ـ باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه .

وذلك كلّه يشهد لما ذكرناه ، فنذكر من ذلك المسائل التالية :

٤١٩ ـ * الحديث الأول : ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن نبيَّ الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لبلال عِنْد صلاةِ الفجر : « يا بلالُ حَدِّثْني بأرجى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ في الإسلامِ فإني سمعت دَفَّ نَعْليك في الجنة » . قال : ما عَمِلتُ عَمَلاً أرجى عندي أني لم أتطهَر طَهورًا في ساعة من ليل أو نهار إلا صَليتُ بذلك الطُّهور ما كُتِبَ لي .

وفي حديث الترمذي [1] قاله لبلال : « بمَ سبقتني إلى الجنة » ؟ قال : ما أَذَّنْتُ قطُّ إلا صليت رَكْعتين ، وما أصابني حدث قط إلا توضأت ورأيت أن لله علي ركعتين . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « بها نِلْت » . أي تلك المَنْزلةَ .

قال الحافظ ابنُ حجرٍ في الفتح : يُستفاد منه جَوازُ الاجتهاد في توقيتِ العبادة ؛ لأن بلالاً توصل إلى ذكره بالاستنباطِ فصوبه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم [2] ومثلُ هذا حديثُ خبيب في البخاري وفيه : وهو أول من سنَّ الصلاة لكلِّ مقتول صبرًا رَكْعتين [3] . فهذه الأحاديثُ صريحةٌ في أن بلالاً وخبيبًا اجتهدا في توقيت العبادة ، ولم يَسْبِقْ من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أمرٌ ولا فعلٌ إلا الطلبُ العام . وإن الصلاة خيرُ موضوعٍ فأقلل منها أو استكثر كا في الحديث ، فلو أن أحدًا أراد إيقاعها في الأوقات المنهي عن الصلاة فيها لكانت بِدْعَة عند مَنْ يرى عموم النهي ، وغير بدعةٍ عند مَنْ يرى تخصيص النهي بالنفل المطلق ، ومع أن الشافعيةَ رَحِمَهم الله يرون تخصيص النهي بغير المؤقت بذي السبب ، فإنهم اختلفوا في سنة الوضوء فالإمام الغزالي يمنع فِعلَها فيه ، ويقول : يتوضأ

---

٤١٩ ـ البخاري (٣ / ٣٣ ، ٣٤) ـ ١٩ ـ كتاب التهجد ـ ١٧ ـ باب فضل الطهور بالليل والنهار ، وفضل الصلاة بعد الوضوء بالليل والنهار .

مسلم (٤ / ١٩١٠) ـ ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ـ ٢١ ـ باب من فضائل بلال رضي الله عنه .

أحمد (٢ / ٣٣٣) .

(١) الترمذي (٥ / ٦٢٠) ـ ٥٠ ـ كتاب المناقب ـ ١٨ ـ باب في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وقال : هذا حديث صحيح غريب .

المستدرك (٣ / ٢٨٥) . وقال : صحيح على شرطهما . وأقره الذهبي .

(٢) فتح الباري جـ ٣ ص ٣٤ .

(٣) فتح الباري : جـ ٧ ص ٣٧٩ .

ليصلي وليس يصلي لأنه توضأ . فليست بذات سبب ، ولكلٍّ نَهْجَهُ وفَهْمُهُ واستدراكه ، رضوان الله عليهم أجمعين .

٤٢٠ ـ * الحديث الثاني ما رواه البخاري عن رِفاعة بن رافع قال : كنا نصلي وراء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما رفع رأسه من الركعة قال : « سَمِعَ اللهُ لمن حمده » . قال رجل وراءه ربنا ولك الحَمْدُ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه . فلما انصرفَ قال : « من المتكلم ؟ » قال : أنا . قال : « رأيت بضْعَةً وثلاثين مَلَكًا يبتدرونها أيهم يَكْتُبُهَا » .

قال الحافظ في الفتح : يُستَدَلُّ به على جَواز إحداث ذِكْرٍ في الصلاة مأثور إذا كان غير مخالفٍ للمأثور ، وعلى جَواز رفع الصوتِ بالذِّكر ما لم يشوشْ .

ومثله ما رواه الصَّنْعاني عبدُ الرزاق في المصنف [1] عن ابن عمر قال إنَّ رجلاً والناسُ في الصلاة فقال حين وصل إلى الصف : الله أكبر كبيرًا والحمدُ لله كثيرًا وسبحانَ اللهِ بُكْرَةً وأصيلاً . فلما قضى النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلاته قال : « مَنْ صاحبُ الكلمات ؟ » قال الرجل : أنا يا رسول اللهَ ، والله ما أردتُ بهن إلا الخيرَ . قال : « لقد رأيت أبواب السماء فتحت لهن » . قال ابن عمر . فما تَرَكْتُهن منذ سَمِعْتُهن .

ورواه النسائي [2] إلا أنه قال : « لقد ابتدرها اثنا عشر ملكًا » . وفي رواية أخرى فيه [3] قال : « عجبت لها » . وذكر كلمةً معناها : « فتحت لها أبواب السماء » . وفيه قال ابن عمر : ما تركته منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقوله .

---

٤٢٠ ـ البخاري (٢ / ٢٨٤) ـ ١٠ ـ كتاب الأذان ـ ١٢٦ ـ باب حدثنا معاذ بن فضالة .

(١) المصنف (٢ / ٧٦) .

(٢) النسائي (٢ / ١٢٥) ـ ١١ ـ كتاب الافتتاح ـ ٨ ـ باب القول الذي يفتتح به الصلاة .

(٣) النسائي ، الموضع السابق .

والحديث في مسلم والنسائي وأبي داود عن أنس ، وحديث رفاعة بن رافع الزرقي عند أبي داود أيضًا . وفي أبي داود عن عبد الله بن عامر عن أبيه قال : عطس شاب من الأنصار خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في الصلاة فقال : الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركا فيه حتى يرضى ربنا من أمر الدنيا والآخرة فلما انصرف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من القائل الكلمة » . وفيه : فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « فما تناهت دون عرش الرحمن تبارك وتعالى » .

فانظر ـ وفقنا الله وإياك إلى الحق ـ كيف أقرّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم زيادة ذِكر لم يؤثر عنه في افتتاح الصلاةِ ، وأقرّ فاعِلِيها بأعلى درجات الإقرار والرضاء ، وذلك لأنّ الموضعين من مواضع الثناء على الله في الصلاة .

والمقصود أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أقر الصحابيين على إحداث أذكار في الصلاة لم تكن مأثورة عنه ، وهذا موضع الاستدلال كما سبق ، وأنه كان اجتهادًا واستنباطًا منها .

٤٢١ ـ * الحديث الثالث ما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قُبَاء كلما قرأ افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به ثم افتتح بقل هو الله أحد حتى يفرغ منها ، ثم يقرأ سورة أخرى معها ، وكان يصنع ذلك في كل ركعة ، فكلمه أصحابُهُ فقالوا : إنك تَفْتَتِحُ بهذه السورة ثم لا ترى أنها تُجزِئُكَ حتى تقرأ بأخرى ، فإمّا أن تقرأ بها ، وإما أنْ تدعها وتقرأ بأخرى . فقال : ما أنا بتاركها ، وإن أحببتم أن أؤمّكم فعلت ، وإن كَرِهتُم تَرَكْتُكم . وكانوا يرون أنه من أفضلهم ، وكَرِهوا أن يؤمّهم غَيْرُه ، فلما أتاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبروه فقال : « يا فلان ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابُك ، وما يَحمِلُكَ على لزوم هذه السورة في كل رَكْعة » ؟ فقال : إني أحبُّها . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « حبك إياها أدخلَكَ الجنةَ » .

قال الحافظ في الفتح : (قوله : ما يَمْنَعُكَ وما يحملك . سأله عن أمرين فأجابه بقوله : إني أحِبُّها . وهو جواب عن السؤال الثاني مستلزِمٌ للأول بانضمام شيء آخر إليه وهو إقامة السنةِ المعهودة في الصلاة . فالمانعُ مركب في المحبة والأمر المعهود والحاملُ له على الفعل المحبةُ وحدَها ، ويوحي إلى أن في فِعله زيادةً على فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم . فدل تبشيره بالجنة على الرضاء بفعله . قال ناصر الدين ابن المنير في هذا الحديث : « إن المقاصد تغَيِّرُ أحكام الفعل لأن الرجل لو قال : إن الحامل له على إعادتها أنه لم يحفظ غيرها . مثلاً ، لأمكن أن يأمره بحفظ غيرها لكنه اعتل بحبها فظهرت صحة قصده فصوبه » .

---

٤٢١ ـ البخاري (٢ / ٢٥٥) ـ ١٠ ـ كتاب الأذان ـ ١٠٦ ـ باب الجمع بين السورتين في الركعة .

قال : وفيه دليل على جواز تخصيص بعض القرآن بميل النفس إليه والاستكثار منه ولا يُعَدُّ ذلك هِجرانًا لغيره ، ومع هذا التقرير من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وتبشير الرسول صلى الله عليه وآله وسلم له بالجنة لم نجد من العلماء ولا من الصحابة قبلهم من يقول بأن فعله هذا سنة ثابتة ، ذلك لأن ما واظب عليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي تنبغي المحافظة عليه ، ولكنه يُعطينا الدليل على أن مثل هذا وإن كان في صورته مُخالفةٌ لفعل الرسول ﷺ في الجملة فإن الامر واسع لا كما يظن البعض ما دام الفعل في إطار المشروع والمطلوب ، [ويدخل في عمومات الشريعة]) .

٤٢٢ ـ * الحديث الرابع روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم بعثَ رجلاً على سَرِيةٍ ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فَيَخْتِمُ بقل هو الله أحد ، فلما رَجَعوا ذَكَروا ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : « سلوه لأي شيء يَصْنَعُ ذلك » . فسألوه ، فقال : لأنها صِفةُ الرحمن وأنا أحبُّ أن أقرأ بها فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « أخبروه أن الله يحبه » .

قال الحافظ في الفتح : قال ابن دقيق العيد : هذا يدل على أنه كان يقرأ بغيرها ثم يقرأها في كل ركعة وهذا هو الظاهر . ويحتمل أن يكون المرادُ أنهُ يختم بها آخِرَ قراءته فيختص بالركعة الأخيرة ا . هـ [1] . أي وكلا الأمرين لم يُعْهَد فعلُهُ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع ذلك أقره بأعلى درجات الإقرار وهو التبشيرُ بمحبةِ الله له .

ومع كل هذا فلم نعلم أن أحدًا من العلماء قال باستحباب ذلك افتتاحًا كالحديث السابق ، ولا اختتامًا كما هنا ، لأن ما واظب عليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو الأفضل ، ولكن إقراره لمثل هذا يُوضحُ سُنّتَهُ صلى الله عليه وآله وسلم في قبول ما كان مثل ذلك من أوجه الطاعات والعبادات ، ولا يُعتبرُ مثلُهُ حدثًا مذمومًا كما يتسابق المتشددون إلى

---

٤٢٢ ـ البخاري (١٣ / ٣٤٧) ـ ٩٧ ـ كتاب التوحيد ـ ١ ـ باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى .

مسلم (١ / ٥٥٧) ـ ٦ ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ ٤٥ ـ باب فضل قراءة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ .

(١) فتح الباري (١٣ / ٣٥٦) .

التبديع والتضليل في أفعاله . هذا وظاهرٌ من سياق الحديثين (هذا والذي قبله) أنهما قضيتان ، فحديث أنس الأول فيه أن الفاعل لتخصيص هذه السورة إمام قومه في مسجد قباء ، وفي حديث عائشة كان أميرَ سَريةٍ . وأن هذا كان يختتم بقل هو الله أحد ، وذاك كان يفتتح بها . وهذا بشره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بحب الله له ، وذاك بشره بالجنة . فالتعدد فيهما واضح لا يحتمل الجمع ولا التأويل . والأحاديث التي مرت كلها في الصلاة كما ترى ، وهي أهم أعمال العبادات البدنية وفيها قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم [1] : « صلوا كما رأيتموني أصلي » . ومع ذلك قَبِلَ هذه الاجتهادات لأنها لا تخرجُ عن الهيئة التي حَدَّدَها الشارعُ . [ولأنها داخلة في العمومات التي ندب إلى أصلها الشارع] .فَكلُّ حَدٍّ لابد من الالتزام به ، وما عدا ذلك فالأمر مُتسعٌ ما دام داخلاً في الأصل المطلوب . هذه هي سنة الرسول ﷺ وطريقَتُهُ . وهذا في غاية الوضوح . ويؤخذُ منها ما أصَّلَهُ العلماء أن كل عَمَل يَشْهَدُ له الشرع من الطلب ولم يصادِم نصًّا ولا تترتب عليه مَفْسَدةٌ فليسَ داخلاً في حدود البدعة ، بل هو من السنة وإن كان غيره أفضل : فالعبادات فيها المفضول وفيها الفاضل ، ولا يعاب ولا يُبَدَّعُ من استروح شيئًا منها مادام الأصلُ عِبادةً . والآن نأتي على شيء من الاجتهادات التي أقرها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في غير الصلاة ، لترى كيف أقرها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

٤٢٣ ـ *الحديث الخامس : حديثُ الرُّقْيَة . وقد رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رَهْطًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم انطلقوا في سَفْرَة سافروها حتى نزلوا على حي من أحياء العرب فاستضافوهم ، فأبَوا أن يضيفوهم ، فَلُدِغَ سيدُ ذلك الحي فسعَوا له بكلّ شيء ، لا يَنْفَعهُ شيءٌ . فقال بعضُهم : لو أتيتم هؤلاء الرهطَ الذي نزل بكم لعله أن يكون عند بعضهم شيءٌ فأتوهم فقالوا : ياأيُّها الرهط إن سيدنا لُدغ فسعينا له

(١) البخاري (٢ / ١١١) ـ ١٠ ـ كتاب الأذان ـ ١٨ ـ باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة ...
أحمد (٥ / ٥٣) .
الدارمي (١ / ٢٨٦) ـ كتاب الصلاة ـ باب من أحق بالإقامة .

٤٢٣ ـ البخاري (١٠ / ٢٠٩) ـ ٧٦ ـ كتاب الطب ـ ٣٩ ـ باب النفث في الرقية .

بكل شيء فهل عند أحدٍ منكم شيءٌ ؟ فقال بعضُهم : نَعم والله إني لراقٍ ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا فما أنا براقٍ لكم حتى تجعلوا لنا جُعْلاً فصالحوهم على قطيع مِن الغنمِ ، فانطلقَ فجعل يَتْفُلُ ويقرأ : ﴿ الحمدُ لله رب العالمين ﴾ . حتى لكأنما نَشِطَ من عِقالٍ فانطلقَ يمشي ما به قَلَبَةٌ . فأوفَوْهُم جُعْلَهم الذي صَالَحوهم عليه ، فقال بعضُهم : اقْسِموا . وقال الذي رقى : لا تفعلوا حتى نأتيَ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم فَنَذْكُرَ له الذي كان فننظرَ ما يأمُرُنا . فَقَدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكروا له فقال : « وما يُدْرِيك أنها رُقْيَةٌ . أصبتم اقْسموا واضرِبوا لي معكم بسَهْمٍ » .

قال الحافظ في الفتح في كتاب الإجارَة [1] : قوله « وما يدريك » إلخ هي كلمة تقال عند التعجب من الشيء ، وتستعمَلُ في تعظيم الشيء أيضًا ، وهو لائق هنا . زاد شعبةُ في روايته : ولم يذكر نهيًا . أي من النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وزاد سليمان بن قتة في روايته بعد قوله : « وما يدريك أنها رُقية » ؟ قلت أُلقي في روعي ا هـ .

وهذا صريح في أن الصحابي لم يكن عنده علم متقدم بمشروعية الرُّقْية بالفاتحة ، ولكنه شيء فعله باجتهاده ، ولما لم يكن فيه مخالفةٌ للمشروع أقره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لأن هذه سنتُه وطريقتُه في إقْرار ما كان من الخير ولا تترتبُ عليه مفسدةٌ ، وإنْ لم يكن من عمل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نصًا . وقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « قد أصبتم اقسموا واضربوا لي معكم بسهم » . كأنه أراد المبالغة في تأنيسهم كما قال الحافظ .

٤٢٤ ـ * الحديث السادس : وقد وقعت للصحابه قصة أخرى في رجل مُصاب في عقله فقرأ عليه بعضُهم فاتحةَ الكتابِ فبرأ .

روى أبو داود من طريق خارجةَ بن الصلت عن عمه : أنه مر بقوم وعندهم رجل مجنون

= الجُعل : هو ما جعل للإنسان من أجر في مقابل شيء .
مابه قَلَبَةٌ : أي مابه أثر من مرض .

(١) فتح الباري (٤ / ٤٥٧) .

٤٢٤ ـ أبو داود (٤ / ١٤) ـ كتاب الطب ـ باب كيف الرقى ؟
وانظر فتح الباري (٤ / ٤٥٥) .

مُوثَقٌ في الحديد ، فقالوا : إنكَ جئتَ من عند هذا بخير ، فارق لنا هذا الرجل . فرقاه بها .

٤٢٥ ـ * الحديث السابع : روى أبو يعلى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ على مبتلىً في أذنه فأفاق ، فقال له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « ما قرأت » ؟ قال : ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا ﴾ إلى آخر السورة . فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « لو أن رجلاً موقنًا قرأ بها على جبلٍ لزال » .

وفي الحديث تقرير النبي صلى الله عليه وآله وسلم لابن مسعود في قراءته الآيات من آخر سورة المؤمنون على المبتلى ، ولم يكن قد سمع ذلك من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإنما هو شيء استنبطه باجتهاده . ولما كان من الخير الذي لا يعارض المشروعَ أقره كصاحب الرُقية عند البخاري ، والتي عند أصحاب السنَن ، وهما قضيتان إحداهما لأبي سعيد الخدري ، والثانية لعم خارجة بن الصلت ، وهذه الثالثة لابن مسعود ، وهناك رابعة عند ابن حبان لعِلاقة بن صُحَار وهي الحديث الثامن .

٤٢٦ ـ * الحديث الثامن : روى ابن حبان عن عِلاقة بن صُحَار السليطي التميمي أنه أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم أقبل راجعًا من عنده فمر على قوم عندهم رجل مُوثق بالحديد ، فقال أهلُهُ : إنه قد حُدِّثْنَا أن صاحبكم قد جاء بخير . فهل عندك شيء ترقيه ؟ فَرَقَيْتُه بفاتحة الكتاب فبرأ فأعطوني مائة شاة فأتيتُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « خذها فلعمرى لَمَن أكل بُرقْيَة باطلٍ فقد أكلتَه برقية حق » .

٤٢٧ ـ * الحديث التاسع : روى البخاري عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ بقل هو الله أحد يُرَدِّدُها ، فلما أصبح جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكر له

---

٤٢٥ ـ مجمع الزوائد (٥ / ١١٥) . وقال : رواه أبو يعلى وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصحيح ، ا هـ من المجمع . ومثله في المطالب العالية للحافظ ابن حجر .

٤٢٦ ـ الإحسان بترتيب ابن حبان (٧ / ٦٣٦) ـ كتاب الرقاء والتمائم ـ باب ذكر بإباحة أخذ الراقي الأجرة على رقيته التي وصفناها .

٤٢٧ ـ البخاري (٩ / ٥٨ ، ٥٩)ـ ٦٦ ـ كتاب فضائل القرآن ـ ١٣ ـ باب فضل ﴿ قل هو الله أحد ﴾ .

ذلك وكأن الرجلَ يتقالُّها ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « والذي نفسي بيده إنها لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القرآن » .

قال الحافظ في الفتح : القارئ هو قتادةُ بن النعمان . أخرجه أحمدُ بنُ طريف بن الهيثم عن أبي سعيد ، قال : بات قتادة بن النعمان يقرأ من الليل كله : ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ لا يزيد عليها . والذي سمعه لعله أخوه لأمه أبو سعيد ، وكانا متجاورين ، وبذلك جزم ابنُ عبد البر . وقد خرج الدارقطني من طريق إسحاق بن الطباع عن مالك في هذا الحديث بلفظ إن لي جارًا يقوم بالليل فما يقرأ إلا بقل هو الله أحد . ا هـ [(١)] .

وفي الحديث إقرار الرسول صلى الله عليه وسلم له على هذا التخصيص والاقتصار على هذه السورة في قيام الليل ، مع ما فيه من التخصيص الذي لم يكن من عمله صلى الله عليه وآله وسلم . وفيه ما في سابقيه برقم ٣ ، ٤ من الدلالة على جواز تخصيص بعض القرآن بميل النفس إليه والاستكثار منه ، ولا يعد ذلك هجرانا لغيره . ومع كل هذا فلم نجد من العلماء من قال بأفضلية قيام الليل بها وحدها ، لأن ما كان عليه عمل الرسول ﷺ من القراءة بالقرآن كله أفضل من ذلك ، ولكن عمله وما يشبهه داخل في نطاق السنة ، وليس فيه ما يُذَمُّ ، بل هو محمود على كل حال . وفيه ردّ على المُبَدِّعين [بالباطل] كالأحاديث السابقة والتي ستأتي .

٤٢٨ ـ * **الحديث العاشر** : روى ابن حبان عن ابن بُرَيْدَةَ عن أبيه قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسجدَ فإذا رجل يصلي يدعو : اللهم إني أسألُكَ بأني أشهد أنكَ أنت الله لا إله إلا أنت الأحدُ الصمدُ الذي لم يلدْ ولم يولدْ ولم يكن له كفوًا

---

(١) فتح الباري (٩ / ٥٩ ، ٦٠) .

٤٢٨ ـ ابن حبان (٢ / ١٢٥) ـ كتاب الرقائق ـ باب ذكر البيان بأن دعاء بما وصفنا إنما هو دعاؤه باسم الله الأعظم الذي لا يخيب من سأل ربه به .

أحمد (٥ / ٣٤٩) .

أبو داود (٢ / ٧٩) ـ كتاب الصلاة ـ باب الدعاء .

الترمذي (٥ / ٥١٥) ـ ٤٩ ـ كتاب الدعوات ـ ٦٤ ـ باب جامع الدعوات عن النبي ﷺ .

ابن ماجه (٢ / ١٢٦٧) ـ ٣٤ ـ كتاب الدعاء ـ ٩ ـ باب اسم الله الأعظم .

ورواه أيضًا النسائي في الكبرى في كتاب التفسير .

أحد . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « والذي نفسي بيده لقد سأل اللهَ باسمه الأعظم الذي إذا سُئِلَ به أعطى وإذا دُعِيَ به أجاب » اهـ وهذا دعاء أنشأه الصحابي فيا يظهر ، ولما كان مطابقًا للمطلوب أقره صلى الله عليه وآله وسلم بأعلى درجات الإقرار والرضاء ، ولم يُعْلَمْ أن الرسولَ صلى الله عليه وآله وسلم عَلّمَهُ إياه ، فنصوص الشريعة فيها العامُّ المخصوص ، والعامّ الذي أريد به الخصوص ، وفيها الحقيقةُ والمجازُ وما يجب أن يُصارَ إليه عند التعارض ، إلى غير ذلك من القواعد الأصولية حتى قالوا : (ما من عامّ إلا وخُصّصَ) ، ولا يمنعُ وجودُ (كل) من التخصيص كما هو في آيات الكتاب الكريم .

فدل هذا كله على أن إنشاء أمر ما يدخل ضمن عمومات الشرع ، أو يعتبر تفريعًا لأصل من أصوله ، أو يعتبر انبثاقًا عنه ، أو استنباطًا من الكتاب والسنة لا يعتبر بدعة ، ولكن يخشى أن يكون هذا الإنشاء غير مستند استنادًا صحيحًا إلى عام يدخل فيه هذا الخاص إلى هذا النوع ولا يعتبر انبثاقًا صحيحًا من الأصول أو أن هذا الاستنباط خاطئ ولذلك قلنا لابد من موافقة أهل الاجتهاد أو بعضهم لهذا الإنشاء حتى يخرج من البِدْعَة السيئة ليدخل في السُّنة الحسنة .

لقد غلط أناس كثيرون في أمر البدعة ، وإذا صحت نية بعضهم فهم مأجورون ونخشى على بعضهم أن يدخلوا في دائرة الهالكين ، ونخشى على بعضهم أن يدخلوا في دائرة الضالين .

فهناك من هو على بدعة في الاعتقاد أجمع على بدعيتها الراسخون في العلم ولا يُتردد في بدعيتها .

وهناك من هو على بدعة في العمل أجمع على بدعيتها الراسخون في العلم ولا يتردد في بدعيتها .

وهناك من يعتبر بعض القضايا بدعة ضالة ، وهي مما أجمع على جوازه الراسخون في العلم .

وهناك من يعتبر بعض القضايا بدعة ضالة ، ويشتد على أهلها مع إجازة بعض أئمة الاجتهاد أو الفتوى لها ، وكل ذلك غلط كبير إلا في الأخيرة فلا حرج في الإنكار ولكن

دون شدة وغلظة بل بالبيان الرفيق وذكر الدليل وذكر من أفتى بذلك من أئمة الفتوى .

إن ما ذكرناه هو الأمر الجامع وهو الذي ينسجم مع النصوص ومع فعل الصحابة وإجماع أهل الفتوى المعتبرين : ألا ترى إلى إجماع الصحابة على جمع عمر الناس في صلاة التراويح على إمام واحد وجعلها عشرين ، وقول عمر (نعمت البدعة هذه) وكل ذلك قد صح عن عمر وعن الصحابة [1] . ألا ترى أن الذين يضللون عمر والصحابة بسبب ذلك قد دخلوا في دائرة الضلال ، فعمر من الخلفاء الراشدين المهديين الذين أمرنا بالاقتداء بهم والاقتداء بهديهم ، وأصحاب رسول الله ﷺ كلهم عدول وهم أعمق الناس فهمًا لكتاب الله ، ولم تزل الأمة تفعل ما فعله دون نكير إلا من دخل في دائرة الغلو ولم يستطع الخروج منها .

وهذه نقول عن العلماء توضّح ما ذكرناه وتؤكّده :

قال الإمام الشافعي : البدعة بدعتان محمودةٌ ومذمومةٌ ، فما وافقَ السُّنةَ فهو محمودٌ وما خالفها فهو مذمومٌ .

ويشهد لهذا المعنى حديث جرير عند مسلم [2] « من سَنَّ في الإسلام سنةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُها وأَجرُ من عَمِلَ بها بعده من غير أن ينقصَ من أجورهم شيء ، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وِزْرُها ووزرُ من عمل بها من بعده من غير أن ينَقُصَ من أوزارهم شيء » ومثلُ هذه الأحاديث أحاديثُ أخرى تدور حولها منها : حديث ابن مسعود عند مسلم [3] : « من دل على خير فله مثلُ أجرِ فاعله » . وحديث أبي هريرة عند مسلم [4] : « من دعا إلى هُدى كان له من الأجر مثلُ أجور من تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذلك من أجورهم شيئًا ومن دعا إلى ضَلالة كان عليه من الإثم ... » .

إن ما يُحدَثُ يجبُ أن يُعْرَض على قواعد الشريعة ونصوصها فما شَهِدَتْ له الشريعةُ بالحُسن فهو حَسنٌ مقبولٌ وما شهدت له الشريعة بالمخالفة والقُبحِ فهو المردود وهو البدعةُ

(١) راجع شرح السنة (٤ / ١١٦ ـ ١٢٥) بتحقيق الأستاذ شعيب الأرناؤوط .

(٢) مسلم (٤ / ٢٠٥٩) ٤٧ ـ كتاب العلم . ٦ ـ باب من سن سنة حسنة أو سيئة ، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة .

(٣) مسلم (٣ / ١٥٠٦) ٣٣ ـ كتاب الإمارة . ٣٨ ـ باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير .

(٤) مسلم (٤ / ٢٠٥٩) ٤٧ ـ كتاب العلم . ٦ ـ باب من سن سنة حسنة أو سيئة ، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة .

المذمومة . وقد يسمون الأول (بِدْعَةً حسنةً) من حيثُ اللغة باعتباره مُحْدَثاً وإلا فهو في الواقع ليس ببدعةٍ شَرعيةٍ بل هو (سُنَّةٌ مُسْتنبطةٌ) ما دامت شواهد الشريعة تشهد لها بالقبول . وعلى هذه البدعة اللغوية يُحْمَل قولُ سيدنا عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح (نِعْمتِ البدعةُ) .

إن ما شهد له شاهد من الشرع بالطلب خاصا أو عاما ليس من البدعة وإن لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعله بخصوصه أو أمر به أمرًا خاصًا .

قال النووي : [1] في قوله صلى الله عليه وآله وسلم [2] : « وكل بِدْعَة ضَلالة » هذا عام مخصوص المرادُ به المُحْدَثاتُ التي ليس في الشريعة ما يشهدُ لها بالصحة فهي المرادة بالبدع . وقال الحافظ أبو بكر بن العربي في شرحه على سنن الترمذي :ـ (السابعة) [3] : « وإياكم ومُحْدَثَات الأمور » اعلموا عَلمكم الله أن المُحْدَثَ على قسمين : مُحْدَثٌ ليس له أصل إلا الشهوةَ والعملَ بمقتضى الإرادة فهذا باطلٌ قطعًا (أي) وهو البدعة الضلالة . ومحدث يَحمل النظير على النظير فهذه سنةُ الخلفاء والأئمة الفضلاء . قال وليس المحدث والبدعة مذمومين .. [لمجرد النظر إليهما] (محدث وَبدعة) ولا لمعناهما فقد قال الله تعالى : ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم مُحْدَث ﴾ [4] وقال عمر [5] (نعمت البدعة) وإنما يذم من البدعة ما خالف السنةَ وَيذم من الحدث ما دعا إلى ضَلالة ا.هـ .

وهكذا نجد الأئمة الذين جاءوا بعد الشافعي مثل سلطان العلماء العز بن عبد السلام من الشافعية والإمام النووي وابن الأثير من الشافعية وابن العربي والقرافي من المالكية

---

(١) راجع حاشية السيوطي على سنن النسائي ص ٢٣٤ جـ ٢ .

(٢) أحمد (٤ / ١٢٦) .

مسلم (٢ / ٥٩٢) ٧ ـ كتاب الجمعة . ١٣ ـ باب تخفيف الصلاة والخطبة .

أبو داود (٤ / ٢٠١) كتاب السنة ـ باب في لزوم السنة .

الترمذي (٥ / ٤٤) ٤٢ ـ كتاب العلم . ١٦ ـ باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع .

وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) المواضع السابقة .

(٤) الأنبياء : ٢ .

(٥) البخاري (٤ / ٢٥٠) ٣١ ـ كتاب صلاة التراويح . ١ ـ باب فضل من قام رمضان .

وغيرهم كثير آخرهم الحافظ ابن حجر العسقلاني كلهم أقروا تقسيم المحدث إلى محمود ومذموم وأنه قد تعتريه الأحكامُ الخمسةُ بحسب الأصل الذي يبنى عليه والشواهد التي تشهد له أو عليه أو لما يترتب عليه من المصالح أو المفاسد أو مصادمة الشرع أو موافقته .

ومع كل هذا فإن لهم تقسيمًا آخرَ : البدعة المُكَفِّرَةُ والبِدعة المُحَرَّمَةُ والبِدعةُ المكْروهةُ تحريمًا والبِدعَة المكروهة تنزيهًا .

وهناك جمهور من العلماء قرروا هذا التقسيم منهم النووي وابن العربي وخاتمة الحفاظ ابن حجر .

* * *

إن البدعةَ المضلةَ الواردة في الحديث الشريف هي المنافية لأمر الشرع والتي ليست هي مما طلبه الشرع بدليل خاص أو عام . وإن كل ما كان من الشرع وشهد له بالطلب دليل خاص أو عام فليس هو بالبدعة الشرعية المرادة في الحديث وإن سمي بدعة باعتباره اللغوي الشامل للحسن والقبيح .

عن عبد الله بن مسعود [1] قال إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رأوا سيئًا فهو عند الله سيئ .

ولابن تيميّة كلمة جاءت في سياق كلام في كتابه : (جواب أهل العلم) تدلّ على أنّ ابن تيمية يرى أنّ كلام السلف من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين إذا قالوا قولاً فذلك يكون حجّة يخرج أصحابه من الابتداع . قال رحمه الله : والمقصود أن هذين القولين لا يقدر أحد أن ينقل واحدا منها عن أحد من السلف أعني الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين المشهورين بالعلم والورع في الدين الذين لهم في الأمة لسان صدق لا في زمن أحمد بن حنبل

---

(١) أحمد (١ / ٣٧٩) .

قال في المجمع (١ / ١٧٧) : رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله موثقون .

ولا زمن الشافعي ولا زمن أبي حنيفة ولا قبلهم . ا . هـ [٢] .

وقد تحدث الإمام العز بن عبد السلام في مقدمة ردّه على ابن الصّلاح بخصوص صلاة الرغائب ـ عن البدعة وأقسامها فقال : إن البدعة ثلاثة أضرب :

١ ـ ما كان مباحًا كالتوسع في المأكل والمشارب والملابس والمناكح فلا بأس بشيء من ذلك .

٢ ـ ما كان حسنًا ، وهو كل مُبْتَدَعٍ موافق لقواعد الشريعة غير مخالف لشيء منها كصلاة التراويح ، وبناء الرُّبُط والخانات والمدارس ، وغير ذلك من أنواع البر التي لم تُعْهَدْ في الصدر الأول ، فإنّه موافق لما جاءت به الشريعة من اصطناع المعروف والمعاونة على البر والتقوى ، وكذلك الاشتغال بالعربية فإنه مبتدع ، ولكن لا يتأتى تدبر القرآن ، وفهم معانيه إلا بمعرفة ذلك فكان ابتداعه موافقًا لما أمرنا به من تدبر آيات القرآن وفهم معانيه ، وكذلك الأحاديث وتدوينها وتقسيمها إلى الحسن والصحيح والموضوع والضعيف ، مبتدع حسن ، لما فيه من حفظ كلام رسول الله ﷺ أن يدخله ما ليس فيه ، أو يخرج منه ما هو فيه ، وكذلك تأسيس قواعد الفقه وأصوله وكل ذلك مبتدع حسن ، موافق لأصول الشرع غير مخالف لشيء منها .

٣ ـ ما كان مخالفًا للشرع ، أو ملتزمًا لمخالفة الشرع. اهـ[٢] .

وقد كان الإمام حسن البنا رحمه الله يحذر أتباعه من الانشغال بمحاربة البدع الإضافية لأن في محاربة البدع الحقيقية شغلاً ويريد بالبدع الحقيقية ما خالف الدين من المنكرات التي لاخلاف بين العلماء في واحد منها وضررها على الدين وما أكثرها وأخطرها بين المسلمين ومراده بالبدع الإضافية ما اندرج تحت أصل عام في الطلب ولكن صورته غير مأثورة كسائر المسائل المستنبطة ، والمختلف فيها بين الفقهاء وهذا منه إدراك لخطورة البدع الحقيقية وخطورة السكوت عنها والانشغال بغيرها . أما الخلافات المذهبية فهي أمر ضروري

---

(١) انظر ص ٢٣ في كتاب جواب أهل العلم .

(٢) من كتاب « العز بن عبد السلام وأثره في الفقه الإسلامي » للدكتور علي الفقير .

والإجماع على أمر فرعي متعذر . فعلينا أن نعتقد الحق فيما بلغنا ونلتمس العذر كل العذر لمن يخالفوننا في بعض الفرعيات ولا يكون حائلاً بين ترابط القلوب وتبادل الحب والتعاون على الخير [١] .

وإليك نقولاً عن أهل العلم تزيد ما قلناه تأكيدًا وتعطيك تصورًا أكمل عما يعتبرونه بِدْعَة :

البِدْعَةُ في اللغة : كلُّ شيءٍ أُحْدِثَ على غير مثال سابق كان محمودًا أو مذمومًا .

والبِدْعُ : الأمر الذي يكون أولاً ومنه قوله تعالى ﴿ قل ما كنت بِدْعًا من الرسل ﴾ [٢] أي لست أول من جاء بالوحي ... أو ما كنت مبتدعًا فيما أقوله .

ومن أسمائه تعالى البديع : لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها فيكون بمعنى مُبْدِعٍ أو من بَدَعَ الخَلْقَ أي بَدَأَهُ .

وغالبًا ما تدور مادة بَدَعَ على الإحداث والاختراع .

البدعة في الاصطلاح :

اختلفت أنظار العلماء فيها فمنهم من توسع في تحديدها ومنهم من ضيقها :

١ ـ الإمام الشافعي ـ رحمه الله :

يقسم البدعة إلى حسنة وسيئة ، أو محمودة ومذمومة . وهي على هذا تشمل كل حادث بعد عصر الرسول ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين :

عن حَرملة بن يحيى قال : سمعت الشافعي رحمه الله تعالى يقول : البِدْعَةُ بدعتان : بدعة محمودة ، وبدعة مذمومة .. فما وافق السنة فهو محمود ، وما خالف السنة فهو مذموم [٣] .

---

(١) من مراجع هذا البحث ، كتاب للسيد عبد الله بن محفوظ باعلوي الحسيني الحضرمي رئيس القضاء الشرعي في حضرموت سابقًا .

(٢) الأحقاف : ٩ .

(٣) الباعث لأبي شامة ص ١٣ ، وفتح الباري جـ ١٧ ص ١٠ ، وقال أخرجه أبو نعيم بمعناه من طريق إبراهيم بن الجنيد عنه .

وقال الربيع : قال الشافعي رحمه الله تعالى : المُحْدَثاتُ من الأمور ضربان :

أحدهما ما أُحدِثَ يخالف كتابًا أو سنة أو إجماعًا أو أثرًا ، فهذه البدعة الضلالةُ .

والثاني : ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا ، فهي مُحْدَثَةٌ غير مذمومةٍ [١] . وقد استند في كلا التعبيرين إلى قول عمر رضي الله عنه ، في صلاة التراويح : نعمت البدعة هذه [٢] .

٢ ـ وابن حزم رحمه الله يقول :

البدعة في الدين : كل ما لم يأت في القرآن ، ولا عن رسول الله ﷺ ، إلا أن منها ما يُؤجَر عليه صاحبه ويُعْذَرُ بما قصد إليه من الخير ، ومنها ما يؤجر عليه صاحبه ويكون حسنًا ، وهو ما كان أصله الإباحة ، كما روي عن عمر رضي الله عنه : نعمت البدعة هذه [٣] ، وهو ما كان فعل خير جاء النص بعموم استحبابه وإن لم يقرر عمله في النص . ومنها ما يكون مذمومًا ولا يعذر صاحبه ، وهو ما قامت الحجةُ على فساده ، فتمادى القائل به .

٣ ـ والإمام الغزالي رحمه الله يقول في إحيائه عن الأكل على السفرة :

وما يقال إنه أُبدِعَ بعد رسول الله ﷺ ، فليس كل ما أبدع مَنهيًا عنه بل المنهي ـ عنه ـ بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع أمرًا من الشرع مع بقاء علته ، بل الإبداع قد يجب في بعض الأحوال إذا تغيرت الأسباب [٤] .

٤ ـ وابن الأثير رحمه الله ، يقول :

البدعة بدعتان : بدعةُ هدىً وبدعةُ ضلالٍ .. فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله ﷺ ، فهوَ في حيز الذم والإنكار ، وما كان واقعًا تحت عموم ماندب الله إليه وحض عليه أو

---

(١) المصدران السابقان ، وذكره السيوطي في الحاوي جـ ١ ص ٥٣٩ .

(٢) البخاري (٤ / ٢٥٠) ٣١ ـ كتاب صلاة التراويح . ١ ـ باب فضل من قام رمضان .

(٣) الموضع السابق .

(٤) الإحياء جـ ٢ ص ٢ ط . عيسى الحلبي .

رسوله ﷺ فهو في حيز المدح ، وما لم يكن له مثال موجود كنوع من السخاء والجود وفعل المعروف فهو من الأفعال المحمودة ، ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما ورد في الشرع به ، لأن النبي ﷺ قد جعل له في ذلك ثوابا فقال « من سَنَّ سُنَّةً حَسنةً كان لـه أجرهُ وأجرُ من عَمل بها »[١] وقال في ضده « من سنَّ سنة سيئة كان عليه وِزرُها ووِزرُ من عمل بها »[٢] .. وذلك إذا كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله ﷺ . ومثلُ البدعة الحسنة يقول عمر في صلاة التراويح : نعمت البدعة . ثم قال : وهي على الحقيقة سنة لقوله ﷺ[٣] : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين » وقوله[٤] : « اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر » .

وعلى هذا التأويل يحمل الحديث الآخر « كل محدثة بدعة »[٥] على ما خالف أصول الشريعة ولم يوافق السنة[٦] .

٥ ـ وقال الشيخ عبد الحق الدهلوي في شرح المشْكَاةِ :

اعلم أن كل ما ظهر بعد رسول الله ﷺ بدعة ، وكل ما وافق أصول سنته وقواعدها أو قيس عليها فهو بدعة حسنة ، وكل ما خالفها فهو بدعة سيئة وضلالة ، وإلى هذا الاتجاه مال الشيخ عز الدين بن عبد السلام والنووي وأبو شامة[٧] .

---

(١) مسلم (٤ / ٢٠٥٩) ٤٧ ـ كتاب العلم . ٦ ـ باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة .

(٢) مسلم : الموضع السابق .

(٣) أبو داود (٤ / ٢٠١) كتاب السنة ـ باب في لزوم السنة .

(٤) أحمد (٥ / ٣٨٥) .
الترمذي (٥ / ٦٠٩) ٥٠ ـ كتاب المناقب . ١٦ ـ باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كليهما .
وقال : حديث حسن .

(٥) أحمد (٤ / ١٢٦) .
مسلم (٢ / ٥٩٢) ٧ ـ كتاب الجمعة . ١٣ ـ باب تخفيف الصلاة والخطبة .
أبو داود (٤ / ٢٠١) كتاب السنة ـ باب في لزوم السنة .
الترمذي (٥ / ٤٤) ٤٢ ـ كتاب العلم . ١٦ ـ باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع .
وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٦) النهاية جـ ١ ص ٧٩ .

(٧) كشاف اصطلاحات الفنون جـ ١ .

٦ ـ ابن رجب الحنبلي يقول :

والمراد بالبدعة : ما أُحْدِث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه ، أما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعًا ، وإن كان بدعة لغةً [١]

٧ ـ ويقول ابن حجر العسقلاني :

والبدعة : أصلها ما أحدث على غير مثال سابق . وتطلق في الشرع في مقابل السنة فتكون مذمومة ..

ويقول في موضع آخر : والمُحْدَثَاتُ جمع محدثة ـ والمراد بها ـ أي في حديث « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ » [٢] ما أحدث وليس له أصل في الشرع ـ ويسمى في عرف الشرع بدعةً ، وما كان له أصل يدل عليه الشرع فليس ببدعة .

٨ ـ ويقول ابن حجر الهيثمي :

وهي ـ أي البدعة ـ لغة : ما كان مخترعًا ... .

وشرعًا : ما أحدث على خلاف أمر الشرع ودليله الخاص والعام [٣] .

٩ ـ وقال الزركشي :

البدعة في الشرع موضوعة للحادث المذموم [٤] .

١٠ ـ وقال الشيخ محمد بخيت في رسالته عن البدعة :

إن البدعة الشرعية هي التي تكون ضلالة ومذمومة ، وأما البدعة التي قسمها العلماء إلى واجب وحرام ... إلخ فهي البدعة اللغوية ، وهي أعم من الشرعية لأن الشرعية قسم منها .

---

(١) جامع العلوم والحكم .

(٢) البخاري (٥ / ٣٠١) ٥٣ ـ كتاب الصلح . ٥ ـ باب إذا [illegible]لحوا على صلح جور فالصلح مردود .
مسلم (٣ / ١٣٤٣) ٣٠ ـ كتاب الأقضية ٨ ـ باب نقض الاحكام الباطلة ورد محدثات الأمور .
أبو داود (٤ / ٢٠٠) كتاب السنة ـ بابٌ في لزوم السنة .

(٣) التبيين بشرح الأربعين ص ٢٢١ .

(٤) الإبداع ص ٢٢ .

١١ ـ وقال الدكتور دراز ما مضمونه :

صارت كلمة البدعة في الاستعمال الشرعي إلى معنى أخص من معناها في الاستعمال اللغوي ، فلا تتناول على حقيقتها الشرعية في الصدر الأول إلا ما هو باطل ، وهو تلك الطرائق المخترعة التي ليس لها مستند من كتاب أو سنة أو ما استنبط منها [١] .

---

(١) الميزان بين السنة والبدعة ص ٥ .

تقسيمات البدعة

للبدعة تقسيمات متعددة باعتبارات متنوعة :

أولاً : تقسيم البدعة إلى عادية وتعبدية :

الأمر العادي شرعًا ما يجري بين الناس من التصرفات والمحاولات التي هي وسيلة لاستغلال الدنيا وتحقيق المصلحة فيها : كتنظيم أمور الزراعة والصناعة وشتى أنواع العلاقات الدنيوية بين انناس ، وإن كانت النية الخالصة تحوّل مثل هذه الأمور إلى عبادات لها ثواب .

الأمر التعبدي : ما وضع بالأصل للتقرب إلى الله تعالى بصرف النظر عما يعرض له من عوارض قد تخرج به عما وضع له بالأصل كالذكر والصلاة والحج .

ولا خلاف بين العلماء أن الابتداع يدخل في الأمور التعبدية سواء أكانت من أمور الاعتقاد أو أعمال القلب أو أعمال الجوارح ، واختلف في وقوع الابتداع في الأمور العادية .

ثانيًا : تقسيم البدعة إلى حقيقية وإضافية

قسم الشاطبي البدعة إلى قسمين : حقيقية وإضافية .

وعرف **الحقيقية** بأنها ما لم يدل عليها دليل شرعي لا من كتاب ولا من سنة ولا من إجماع ولا استدلال معتبر عند أهل العلم لا في الجملة ولا في التفصيل ، وإن ادعى مبتدعها ومن تابعه أنها داخلة فيا استنبط من الأدلة ، لأن ما استند إليه شُبه واهية لا قيمة لها . فكأنها هي البدعة حقيقة وما عداها على المجاز ومن أمثلتها :

تحريم الحلال أو تحليل الحرام استنادًا إلى شبه واهية وبدون عذر شرعي أو قصد صحيح واختراع عبادات وإنكار حجية السنة ...

وعرّف البدعة **الإضافية** بأنها ما لها شائبتان :

إحداهما : لها من الأدلة متعلق فلا تكون من تلك الجهة بدعة .

والأخرى : ليس لها متعلق إلا مثل ما للبدعة الحقيقية ، أي أنها بالنسبة لإحدى الجهتين سنة لاستنادها إلى دليل ، وبالنسبة للجهة الأخرى بدعة ، لأنها مستندة إلى شبهة لا إلى دليل ، أو لأنها غير مستندة إلى شيء .

وسميت إضافية لأنها لم تتخلص لأحد الطرفين « المخالفة الصريحة » أو « الموافقة الصريحة » .

وقسم الشاطبي ـ البدعة الإضافية ـ إلى قسمين :

أحدهما : ما يقرب من الحقيقية حتى تكاد البدعة تعد بدعة حقيقية .

والآخر : ما يبعد منها حتى يكاد يعد سنة محضة [1] .

ثالثًا : تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة

للبدعة كما قدمنا مفهومان : لغوي وشرعي .

أما على مفهومها اللغوي فتشمل كل حادث محمودًا كان أو مذمومًا ، حدث قبل عصر النبوة الكريم أو بعدها ..

وأما على مفهومها الشرعي فقد اختلف العلماء كما قدمنا :

فعلى رأي الشافعي ومن وافقه ، تشمل البدعة كل ما حدث بعد عصر الرسول ﷺ حسنًا كان أو سيئًا ..

وقيدها بعضهم بما حدث بعد الرسول ﷺ وخالف سنته .

وقيدها الشاطبي بقصد مضاهاة الشارع فضلاً عن كونها محدثة بل ومخالفة للشارع .

وبالنظر إلى هذه المفاهيم والآراء نتبين أن تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة إنما يتمشى مع المعنى اللغوي للفظ البدعة ، ومع ما رآه الشافعي ومن وافقه في معنى البدعة في نظر الشرع .

---

(١) الاعتصام للشاطبي جـ ١ ص ١٧٩ .

وعلى أساس هذا المعنى اللغوي تنقسم البدعة إلى خمسة أقسام :

(١) واجبة : وهي ما تناولتها قواعد الوجوب وأدلته من الشريعة ، وتشمل كل ما يرجع لحفظ الدين أو بيان أحكامه ونحو ذلك ، ومن أمثلتها :

جمع المصحف وقصر الناس عليه ، ومواجهة كل محاولات أعداء الدين لتحريف القرآن والقضاء عليها أولاً بأول .

(٢) محرمة : وهي ما تناولتها قواعد التحريم وأدلته من الشريعة ، وأمثلتها كثيرة ، وهي البدعة الحقيقية التي اتفق العلماء على أنها مرادة بأدلة التنفير من البدع ، ومن أمثلتها :

ـ المذاهب والأهواء الفاسدة المخالفة للقرآن والسنة كمذهب الخوارج ، وبعض آراء المعتزلة ، والقول بالتجسيم والتشبيه ، ونحو ذلك .

(٣) مندوبة : وهي ما تناولتها قواعد الندب وأدلته من الشريعة ، ومن أمثلتها :

ا ـ صلاة التراويح جماعة بالمسجد في رمضان .

ب ـ كل إحسان لم يعهد في العصر الأول وليس مخالفًا للمشروع كتخطيط الطرق ، وتيسير الحياة ببناء المباني المتينة الواسعة ومدها بالمياه والكهرباء وغيره من مرافق الحياة .

جـ ـ تنظيم التعليم الديني ، واستخدام الوسائل الملائمة لاختيار الأصلح ، كنظام الامتحانات وغير ذلك .

(٤) مكروهة : وهي ما تناولتها قواعد الكراهة وأدلتها من الشريعة ، ومن أمثلتها:

الزيادة في المندوبات المحددة شرعًا : كزيادة التسبيح والتحميد والتكبير عقب الصلاة عن ثلاث وثلاثين لكل واحدة بدون قصد الاستظهار على الشارع والرغبة عن السنة ، لأن في ذلك خروجًا عما حدده الرسول ﷺ ، ولو بقصد حسن وهو أمر مكروه ، لأن شأن العظماء إذا حددوا شيئًا أن يتوقف عنده ولا ينبغي تجاوزه .

(٥) البدعة المباحة : وهي ما تناولتها قواعد الإباحة وأدلتها من الشريعة ، ومن أمثلتها :

ـ التوسع في الطيبات بما لا يخرج بها إلى حدود المكروه أو الحرام ، كأكل ما تستلذه النفس وتستطيبه من المطاعم ، واستعمال ما يروق لها من الملابس والمساكن ونحو ذلك . والقاعدة في ذلك كما قال القرافي : أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة وأدلتها ، فأي شيء تناولها من القواعد ألحقت به من إيجاب أو تحريم أو غيرهما [١] .

رابعًا : تقسيم البدعة إلى فعلية وتَرْكية

والبدعة كما تشمل الفعل المخالف للسنة تشمل الترك المخالف للسنة كذلك ؛ فإذا ما عزم المسلم على ترك مباح من الطيبات لغير سبب مقبول كمرض يزيد بتناوله أو ضرر ينتج عنه ، أو شبهة عرضت له في اكتسابه ، فإن كان تركه لذلك على غير وجه التحريم بحيث لو رغب فيه لتناوله فلا شيء فيه لأن المباح يستوي فيه الفعل والترك .

وإن حرّمه على نفسه ، أو نذر ترك تناوله مطلقاً أو لمدة محدودة ، فهو مبتدع بهذا التحريم ، وبهذا النذر ، وهو داخل فيمن رغب عن السنة ، كما قال الرسول ﷺ لمن همّ أن يصوم فلا يفطر ، ومن هم أن يقوم فلا يفتر ، ومن همَّ أن يمتنع عن النساء : « فمن رغب عن سنتي فليس مني » [٢] . وموقفه في ذلك التحريم ، أو نذر الترك ، هو موقف أبي إسرائيل ، الذي أمره الرسول ﷺ بترك ما هو عليه من معصية بنذره ترك المباح ، ووفائه بهذا النذر ، والبقاء على ما هو عليه من طاعة بالصوم وفاء للنذر .

ومن أظهر مظاهر البدع التركية في عصرنا هذا ترك العمل بأحكام الدين والحكم تبعا لنصوصه ، وترك المسلمين لستر العورة ، وتركهم إخراج الزكاة وترك الحكام جبايتها وتعيين العاملين عليها .

---

(١) الفروق للقرافي جـ ٤ ص ١٩١ .

(٢) البخاري (٩ / ١٠٤) ٦٧ ـ كتاب النكاح . ١ ـ باب الترغيب في النكاح .

مسلم (٢ / ١٠٢٠) ١٦ ـ كتاب النكاح . ١ ـ باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة ، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم .

هذا فضلاً عن تركهم لكثير من السنن واستبدالهم بها غيرها من البدع . أما عن البدعة الفعلية فهي كثيرة ، ومنها اختراع أحاديث مكذوبة على رسول الله ﷺ ، والزيادة في شرع الله ما ليس منه ، كمن يزيد في الصلاة ركعة ، أو يزيد في وقت الصيام المحدد من اليوم ، أو يصلي في أوقات النهي عن الصلاة ، أو يصوم في أوقات النهي عن الصيام ، أو يدخل في الدين ما ليس منه من الآراء أو الأفعال .

خامساً ـ تقسيم البدعة إلى اعتقادية وقولية وعملية

تنقسم البدعة إلى بدعة في الاعتقاد : إذا كانت اعتقادًا للشيء على خلاف ما جاء به الرسول ﷺ كبدعة المجسمة والخوارج ونحوها .

وإلى بدعة في القول : إذا كانت تغييرًا لما ورد عن الرسول ﷺ من الأقوال ، أو كانت قولا مخالفًا للسنة ، كقول المبتدعة في أكثر الفرق المشهورة ، مما هو ظاهر الفساد والقبح .

وإلى بدعة في العمل : العمل الظاهر كصلاة تخالف ما ورد عن الرسول ﷺ ونحو ذلك ، أو العمل الباطن : كمعاملة المؤمنين بالنفاق أو بما ينافي أخوة الإيمان من الحب والإخلاص ونحو ذلك .

ومما تجدر الإشارة إليه أن بدعة الاعتقاد هي أخطر أنواع البدع ، وغالب إطلاقات الشرع في ذم البدعة منصب عليها ، وهي المتبادرة في السبق إلى الذهن من إطلاق اسم البدعة شرعًا ، والمبتدع ، وأهل الأهواء .

سادسًا : تقسيم البدعة إلى كلية وجزئية

تتفاوت البدع فيما بينها من ناحية آثارها ، ومن ناحية الخلل الواقع بسببها في الشريعة .

إذا كانت البدعة لا يقتصر أثرها على المبتدع بل يتعداه إلى غيره ، كانت كلية لسريانها في كثير من الأمور أو بين الكثيرين من الأفراد ، كبدعة التحسين والتقبيح بالعقل بدلاً من الشرع وبدعة إنكار حجية خبر الآحاد أو إنكار وجوب العمل بما يقتضيه ، ونحو ذلك .

أما إذا كانت البدعة قاصرة على المبتدع لا تتعداه إلى غيره فهي بدعة جزئية كرجل التزم مخالفة للسنة على أنها من الأمور الحسنة في نظر الشرع ، ولا يمتد أثر هذه المخالفة لغيره لكونه لا يؤبه له ، وليس ممن يقتدى بهم فيما يرون من آراء أو يؤدون من أعمال .

سابعًا : تقسيم البدعة إلى بسيطة ومركبة

وتكون البدعة بسيطة إذا كانت مجرد مخالفة بسيطة لا تستتبع مخالفات أخرى .

وتكون مركبة إذا اشتملت على عدة بدع تداخلت وصارت كأنها وحدة واحدة .

ونحن إذ توسعنا في بحث البدعة [١] لإخماد حدة بعض المتنطعين فإننا ندعو دائمًا إلى التحقيق على ضوء الكتاب والسنة وسيرة رسول الله ﷺ وأصحابه .

ونختم الفصل ـ تأكيدًا لما ذكرناه ههنا ـ بهذه النصوص :

كان ابن عباس إذا سُئل عن الأمر وكان في القرآن ، أخبَرَ به ، فإن لم يكن وكان عن رسول الله ﷺ ، أخبر به ، فإن لم يكن فعن أبي بكرٍ وعمر ، فإن لم يكن قال فيه برأيه [٢] .

وقال أبيٌّ بن كعب : إن اقتصادًا في سَبيلٍ وسُنَّةٍ خيرٌ من اجتهادٍ في خلاف سبيلٍ وسُنَّةٍ . ومثله عن ابن مسعود .

وقال ابن عونٍ : ثلاثٌ أحبُّ لنفسي ولإخواني : هذه السنَّة أن يتعلموها ، ويَسألوا عنها ، والقرآنَ أن يتفهموه ، ويسألوا عنه ، ويَدَعُوا الناس إلا مِنْ خير .

وقال الأوزاعيُّ : خمسٌ كان عليه أصحاب النبي ﷺ : لزومُ الجماعة ، واتّباعُ السنّة ، وعمارةُ المسجد ، وتلاوة القرآن ، وجهادٌ في سبيل الله .

* * *

---

(١) من مراجع تعريف البدعة وتقسيمها كتاب : البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها . للدكتور عزت على عطية .
(٢) الدارمي (١ / ٥٩) المقدمة ـ ١٩ ـ باب الفتيا وما فيه من الشدة .

الفصل الحادي والعشرون

في:

افتراق هذه الأمة افتراق اليهود والنصارى وزيادة

في:

وجوب الكينونة مع الفرقة الناجية وهم أهل السنة والجماعة واعتزال فرق الضلال

وفيه:

نصوص ووصول



النصوص

٤٢٩ ـ * روى أبو داود عن معاويةَ بن أبي سفيانَ رضي الله عنه قال : قام فينا رسولُ الله ﷺ فقال : « ألا إنَّ مَنْ كَانَ قبلَكم من أهلِ الكتابِ افترقُوا على ثنتيْنِ وسَبعينَ ملَّةً ، وإن هذه الأُمَّةَ ستفترقُ على ثلاثٍ وسبعينَ ، ثِنْتانِ وسبعونَ في النارِ ، وواحدةٌ في الجنَّةِ ، وهي الجماعةُ » .

زاد في رواية : « وإنه سيخرجُ في أمَّتي أقْوَامٌ تتجارَى بهم الأهواءُ ، كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبِهِ ، لا يبقَى منه عِرْقٌ ولا مفْصَلٌ إلا دَخَلَه » .

٤٣٠ ـ * روى الترمذي عن أبي هريرة رضى الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « تَفرَّقَتِ اليهودُ على إحدى وسبعين فِرقَةً ، أو اثنتين وسبعين ، والنصارى مثل ذلك ، وستفترق أُمَّتي على ثلاث وسبعين فرقة » .

وفي رواية أبي داود [1] قال : « وتفرقتِ النصارى على إحدى وسبعين ، أو اثنتين وسبعين فرقة » .. وذكر الحديث .

٤٣١ ـ * روى الطبراني في الأوسط والكبير عن أبي أمامة قال : سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول : « تفرقت بنو إسرائيلَ على إحدى وسبعينَ فرقةً ، وتفرقَتِ النصارى على

---

٤٢٩ ـ أبو داود (٤ / ١٩٨) . كتاب السنة ، باب شرح السنة .

وأحمد في مسنده (٤ / ١٠٢) . وإسناده صحيح .

(يتجارى الكَلَب) التجاري ، تفاعل من الجَري ، وهو الوقوع في الأهواء الفاسدة ، والتداعي فيها ، تشبيها بجري الفرس . والكَلَب داءٌ معروف يعرض للكَلْب ، إذا عضَّ حيوانًا عَرَض له أعراض رديئة فاسدة قاتلة ، فإذا تجارى بالإنسان وتمادى هلك .

٤٣٠ ـ الترمذي (٥ / ٢٥) ٤١ ـ كتاب الإيمان ، ١٨ ـ باب : ما جاء في افتراق هذه الأمة .

قال الترمذي : حديث أبي هريرة حسن صحيح . قال محقق الجامع : وهو كما قال ، وفي الباب عن سعد ، وعبد الله ابن عمرو ، وعوف بن مالك .

(١) أبو داود (٤ / ١٩٨) . كتاب السنة ، باب شرح السنة .

٤٣١ ـ المعجم الكبير (٨ / ٣٢١) .

أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٢٥٨) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير بنحوه وفيه أبو غالب وثقه ابن معين وغيره ، وبقية رجال الأوسط ثقات وكذلك أحد إسنادي الكبير .

اثنتين وسبعين فرقةً ، وأُمَّتِي تـزيـدُ عليهم فرقـة كلُّهم في النـارِ إلا السـوادَ الأعظم » .

أقول : بناءً على هذه النصوص فسنعقد الوصول التالية :

الوصل الأول : في أشهر فرق اليهود .

الوصل الثاني : في أشهر فرق النصارى .

الوصل الثالث : في افتراق الأمة الإسلامية .

* * *

الوصل الأول

في:

أشهر فرق اليهود



أشهر فرق اليهود

باتفاق المؤرخين ويشهد لذلك كتب اليهود أنفسهم أن التوراة قد ضاعت ثم كتبت أسفار موسى الخمسة بعد الأسر البابلي ، ولذلك نجد الآن عند يهود السامرة ما يسمونه توراة تختلف عن أسفار موسى الخمسة التي يعتبرها يهود اليوم والنصارى توراتهم ، وتذكر أسفار العهد القديم أنه من قبل ضاع سفر التثنية أهم الأسفار ، بل هو مظنة أن يكون بعضه هو التوراة المنزلة على موسى ، وعثر عليه بعد مئات السنين ، وتذكر أسفار العهد القديم كثرة وجود الأنبياء الكذبة وتذكر تسلل عبادات البلدان المجاورة إلى الشعب اليهودي ، وهذا يستتبع كثرة الفرق ، ثم كان التشتت العالمي لليهود وتأثرهم في البيئات التي عاشوا فيها ، وقد أثر هذا على كثرة فرقهم ، ويظهر ذلك في عصرنا إذ نجد كثيرًا من الجاليات اليهودية المهاجرة إلى فلسطين تختلف مع الأخرى نوع اختلاف ، وكنموذج على تأثر اليهود بالشعوب وجود فرقة « الدونمة » في البلاد العثمانية وفرقة « الفلاشا » في الحبشة ، والعرض التاريخي للفرق اليهودية والفوارق فيما بينها ليس من غرض هذا الكتاب ، لأن الروايات في هذه الشؤون تحتاج إلى تمحيص وتحقيق ، إن كتب العهد الجديد تذكر مثلاً كيف أن اليهود الذين واجهوا عيسى عليه السلام كانوا منقسمين إلى « صدوقيين » و « فريسيين » ، والمدققون في أسفار العهد القديم يذكرون أنها كتبت على مراحل وبأقلام مختلفة ، ومن خلال الروايات الشفهية ، وكل ذلك يستتبع خلافات وتمزقات ، ويذكر مالك بن نبي في كتابه (الظاهرة القرآنية) عن بعض المؤرخين أنه لا يوجد سوى سفر « أرميا » يمكن أن يقبل اعتماده ، وأرميا نفسه يلعن أقلام النساخ الكذبة .

ومن الأسباب التي أدت إلى كثرة فرق اليهود الموقف من التلمود ومحله بالنسبة للتوراة ، فبعضهم يعتبره أفضل ، وبعضهم يعتبره دون التوراة ، وهكذا نجد عوامل كثيرة أثرت في تفرق اليهود ، وهذه نقول من كتاب الدكتور شلبي عن اليهودية تعرض لبعض الفرق أو تذكر بعض أسباب التفرق :

يقول : وبسبب كثرة الكتّاب الذين اشتركوا في تدوين العهد القديم ، كثرت الأخطاء فيه ، ويمكننا أن نعطي منها بعض نماذج :

ـ لم يكن للعدد مدلول دقيق في أسفار العهد القديم ، فقد ورد في سفر الخروج أن إقامة بني إسرائيل في مصر كانت ٤٣٠ سنة ، وهي في الحقيقة ٢١٥ سنة ، وقد اعترف مفسرو العهد القديم بوقوع الخطأ في هذا الرقم ، وعدد الرجال الذين بلغوا سن العشرين قبيل خروج موسى من مصر كما ورد في سفر العدد لا يمكن عقلا أن يكون صحيحًا ، فقد كان عدد بني إسرائيل عند دخولهم مصر سبعين ، ومحال أن يصيروا في مدى قرنين آلافًا كثيرة أو ملايين . وهكذا .

ـ ورد في أسفار التوراة ما يقرر أن الأبناء يؤخذون بذنب الآباء حتى الجيل الثالث والرابع ، وهاك نص العبارة : « مُفْتَقِدٌ إثم الآباء في الأبناء وفي أبناء الأبناء حتى الجيل الثالث والرابع » . وفي سفر حزقيال ما يعارض هذا الاتجاه ، فقد جاء به : « النفس التي تخطئ هي تموت ، الابن لا يحمل من إثم الأب ، والأب لا يحمل من إثم الابن ، بِرُّ البار عليه يكُون ، وشر الشرير عليه يكون » وهذا تناقض واضح .

ـ تختلف الأحكام اختلافًا واضحًا وصريحًا من سفر إلى آخر ، ويبدو ذلك بمقارنة الإصحاح الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من سفر العدد ، بالإصحاح الخامس والأربعين والسادس والأربعين من سفر حزقيال .

ـ في سفر أخبار الأيام الثاني وردت الفقرة التالية « ... لأن الرب ذلل يهوذا بسبب آحاذ ملك إسرائيل » ، ولفظ إسرائيل غلط يقينًا لأن آحاذ كان ملكًا ليهوذا لا لإسرائيل ، ومثل هذا الخطأ وقع في الإصحاح الأخير من هذا السفر ، فقد ورد به أن نبوخذ نصر عزل يهوياكين وَملّكَ بَدله صِدْقِيًا أخاه ، والحقيقة أن صِدْقِيًا كان عمّ يهوياكين لا أخاه ، ولذلك صحح مترجمو العهد القديم هاتين الكلمتين لتتفق الفكرتان مع الحق والتاريخ .

ـ تنص الفقرات السابقة على أن نبوخذ نصر أسر يهوياكين إلى بابل ، ولكن الحقيقة التاريخية أنه قتله في أورشليم ، وأمر أن تلقى جثته خارج السور ومنع من دفنها كما ذكر المؤلف اليهودي « يوسيفس » .

ـ وقع في الفقرة الثامنة والعشرين من الزبور الخامس بعد المائة في النسخة العبرانية

العبارة التالية « لم يعصوا كلامه » . وفي النسخة اليونانية جاءت هذه العبارة هكذا : « قد عصوا كلامه » . وأحدهما خطأ يقينًا وقد اعترف بذلك مفسرو العهد القديم من الغربيين .

هذه نماذج قليلة مما في العهد القديم من ... [تناقض] لم نقصد بها الحصر وإنما قصدنا مجرد التمثيل .

... فإن العلماء مجمعون على أن أقدم ما كتب من أسفار التوراة هو سفر التكوين ، وقد كُتِب بعضه في يهوذا وبعضه في إسرائيل ثم تم التوافق بين ما كتب هنا وهناك بعد سقوط دولتي اليهود ، والرأي الغالب أن سفر التثنية من كتابة عزرا ، ويبدو أن أسفار التوراة الخمسة قد اتخذت صورتها الحاضرة حوالي عام ٣٠٠ ق . م ...

يقرر Wells أن أسفار العهد القديم جُمعت لأول مرة في بابل وظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد ...

ذلك موجز القول عن ظروف تدوين الأسفار ، أما كتّابها فكثيرون ، ويبرز من بين الكتّاب اسم الكاهن عزرا ، مرتبطًا بتدوين التوراة ، ويذكر Hosmer أن عزرا هو الذي ـ في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد ـ قاد جماعة من اليهود إلى فلسطين ، حيث استعاد بها الحياة اليهودية ، وهو الذي أبرز أجزاء كثيرة مما سمي فيما بعد بالعهد القديم ، وقد أكمل الكهنة الذين جاءوا بعد عزرا ما بدأه هذا الكاهن ، وفي عهد المكابين كانت أجزاء العهد القديم قد وجدت تقريبًا ، ولكنها لم تكن وضعت في نظامها المعروف الآن ...

تكثر الفِرَق في اليهودية كثرة بالغة ، وتختلف هذه الفرق في مبادئها وأسس حياتها ونظرتها إلى الكون ، وإلى ما وراء الكون ، وسنتكلم هنا عن أهم الفرق في اليهودية ، شارحين أبرز نقاط الاتفاق والاختلاف بينها :

(الفرِّيسيون) :

أعلن الفريسيون أن للحاخامات سلطة عليا ، وأنهم معصومون ، وأن أقوالهم صادرة عن الله ، وأن مخالفتهم هي مخافة الله ، ومن قولهم في ذلك : « ويلزم المؤمن أن يعتبر أقوال

الحاخامات كالشريعة لأن أقوالهم هي قول الله الحيّ ، فإذا قال الحاخام إن يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس ، فصدّق قوله ولا تُجادله ... » وتبعًا لذلك ليس هناك اجتهاد عند الفريسيين ، وما الحاجة للاجتهاد إذا كان الحاخام مقدسًا ومعصومًا ؟ وعنده لكل سؤال جواب ...

ويقول القس « بوكس » : لقد أسس الفريسيون نظام الفردية في الدين ، ووضعوا طقوسًا روحية بحتة ، وتعمقوا في الاعتقاد في الآخرة ، ودافعوا عن قضية العلمانية أمام الكهنوت المتطرف ...

(الصدّقيون) :

يرى بعض الباحثين أن هذه التسمية نسبة إلى صادوق الكاهن الأعظم في عهد سليمان ، أو إلى كاهن آخر بهذا الاسم وجد في القرن الثالث قبل الميلاد ...

وهم ينكرون البعث والحياة الأخرى والحساب والجنة والنار ، ويرون أن جزاء الإنسان يتم في الدنيا ، فالعمل الصالح ينتج الخير والبركة لصاحبه ، والعمل السيئ يسبب لصاحبه الأزمات والمتاعب .

وينكر الصدوقيون كذلك التعاليم الشفوية « التلمود » ، وحتى التوراة لا يرون أنها مقدسة قدسية مطلقة ، وينكرون الخلود الفردي ، كما ينكرون وجود الملائكة والشياطين ، ولا يقولون بالقضاء والقدر ويؤمنون بحرية الاختيار ، ويرون أن الأفعال مخلوقة للإنسان لا لله ، وينكرون كذلك المسيح المنتظر ولا يترقبونه ...

(القراءون) :

كان القرّاءون يمثلون القِلّة بين اليهود ، فلما تدهور شأن الفرّيسيين ، نما فريق القرائين ووَرِث أتباع الفريسيين ونفوذهم .

والقرّاءون لا يعترفون إلا بالعهد القديم كتابًا مقدسًا ، وليست عندهم روايات شفوية كالتي قيل إن الحاخامات توارثوها الواحد بعد الآخر ، وبالتالي لا يعترف القراءون بالتلمود .

ويقول القراءون بالاجتهاد ، فإذا تبين الخلف خطأ السلف كالخطأ الذي لاحظوه في المحرمات في الزواج ، فإن للخلف تصحيح هذا الخطأ ، ومن هذه الأخطاء التي لاحظها المتأخرون وصححوها ، خطأ تحليل بنت امرأة الأب مع وضوح تحريمها بنص الآية الخامسة من آيات المحارم .

(الكتبة) :

تطلق هذه التسمية على مجموعة من اليهود كانت معتمدة كتابة الشريعة لمن يطلبها ، فهم أشبه شيء بالنُّساخ ...

وكانوا يسمّوْن أحيانًا بالحكماء ، وأحيانًا السادة « Rabbis » كما كان الواحد منهم يُنادى بلقب « أب » عند المخاطبة ، وقد برز الكتبة كحملة للواء الشريعة عندما جذب النفوذ السياسي غيرهم من رجال الدين إلى مجاله ، فأصبح هؤلاء حلفاء للحكام الأجانب من فرس وإغريق ورومان ، وأخلوا المجال الديني للكتبة ، فاحتلوه .

وجاءت خطوة ثانية رفعت من شأن الكتبة وأعْلَتْ من قدرهم ، هي أن كل واحد منهم عَنِيَ بإنشاء مدرسة أصبح هو راعيًا لها ومعلمًا بها ، وكان له مريدون يسمعون تعليماته ويذيعونها ...

(المتعصبون) :

فرقة أخرى من الفرق اليهودية خصص لها (Guignebert) حديثا ، نورد فيما يلي ترجمة أبرز فقراته :

كان في فلسطين بين الفرق الأخرى فريق وثيق الصلة بالفرّيسيين ، يتفق معهم في أكثر عقائدهم ، كالقول بالمسيح المنتظر ، وكالحماسة الوطنية والميل للعبادة ، ولكن هذا الفريق امتاز بعدم التسامح ، بل بالعدوانية ضد المواطنين الذين اتُّهموا باللادينية ، أو بقبول الخضوع لغير اليهود ....

ففي بلدة « شيرين » ظهر رجل من اليهود في القرن الثامن الميلادي ، وادعى أنه المسيح المنتظر ، ووعد بأنه سيحقق معجزة استعادة فلسطين ، وفي نفس القرن ظهر فارسي

آخر في بلدة « أصفهان » اسمه أبو عيسى وادعى أنه المسيح ، وقال إن عودة فلسطين لن تتم إلا على أسنة الرماح ، وأعد جيشًا قوامه عشرة آلاف جندي من اليهود ، وواتته فترة الاضطرابات التي كان يعانيها العالم الإسلامي عند سقوط الدولة الأموية وقيام دولة بني العباس ، فعاشت حركة أبي عيسى فترة لأن أبا العباس السفاح انشغل عنها بما صادفه من مشكلات في مطلع الدولة العباسية ، فلما آل السلطان للخليفة المنصور اتجه بضربة قاصمة إلى جيش اليهود فهزمه ، وفر أبو عيسى تجاه الشمال ، ذاكرًا أنه سيتقابل هناك مع أحد قادة اليهود المختفين ليتعاون معه على استعادة فلسطين .

وفي القرن السابع عشر ظهر في « سالونيك » يهودي اسمه سبتاي زيفي ، كان واسع الاطلاع على الثقافة اليهودية مما جعله على صلة بأقوال اليهود حول المسيح المنتظر ، ورأى زيفي ما عاناه اليهود في حرب الثلاثين بأوربا ، فقد أمضى طفولته وشبابه وهذه الحرب مشتعلة ، حيث كان اليهود وقودًا لها ، وساورته نفسه أن يعلن أنه المسيح المنتظر ، فعكف على الصلاة والصوم ، وأخذ يطوف البلاد هنا وهناك ، ويدعو لنفسه ويعلن قرب ظهور المسيح المبارك ، ولما حلّت سنة ١٦٦٦ أعلن زيفي أول رسالة لليهود ، واختار لإعلانها يومًا يمضيه اليهود في صوم وحزن لأنه يرتبط بذكريات أليمة عندهم ، وفي هذه الرسالة يقول :

« من أول ابن لله سبتاي زيفي ، المسيح ، مُخلّص شعب إسرائيل ، إلى جميع أبناء إسرائيل .... السلام .... لما كان قد قدّر لكم أن تكونوا جديرين برؤية اليوم العظيم وإنجاز وعد الله إلى أبنائه ، فلابُد أن تغيروا أحزانكم فرحًا وصومكم مرحًا ، لأنكم لن تبكوا بعد الآن ، فاستمتعوا وغنُّوا واستبدلوا باليوم الذي كان من قبل يُقضى في حزن وآلام ، يوم عيد ، لأنّي ظهرت ... » .

وراح سبتاي في حماسة ظاهرة ينتقل هنا وهناك ويواصل دعوته ، ولم يستطع الربانيون أن يوقفوا حركته التي أخذت تنتشر في كل مكان بين اليهود ، حتى أصبح له أتباع في أمستردام وهامبورج ولندن بالإضافة إلى أتباعه بالشرق . وقد بلغ تصديقه مبلغًا عظيمًا حتى إن أتباعه راحوا يبيعون ممتلكاتهم ، ويجمعون ثروتهم ، ويعدون أنفسهم للعودة من المهجر إلى فلسطين خلف « سبتاي » ، وفي فارس توقف العمال اليهود عن طاعة ساداتهم ، ورفضوا أن

يستمروا في فلاحة الأرض ، وبدأ اليهود في كل مكان وكأنما مسهم طائف من الجنون وأصبحوا عبيدًا للأمل الذي جددته دعوة « زيفي » .

وانتشى « زيفي » بالنصر الذي حققه ، فراح يُدخل تعديلات جريئة في التقاليد والنظم اليهودية ، فغيّر وقت الصوم ومواعيد الأعياد كما جاء في رسالته التي ذكرناها آنفًا ، ووصلت به النشوة إلى أن تخيل نفسه صاحب سلطان شامل ، فأخذ يوزع التيجان على إخوته وأصدقائه المقربين ؛ بعد أن عين كلا منهم ملكًا على منطقة من المناطق التي رأى أن سلطانه سيزحف عليها ، واحتفظ لنفسه بلقب « ملك الملوك » .

ووصل « زيفي » في تجواله إلى القسطنطينية حيث عاصمة الخلافة العثمانية ، ويلاحظ أن الخليفة المسلم لم يتعرض له في المدة السابقة ؛ لأنه فيما يبدو لم يُرِد أن يواجه الحماس والصخب الذي أحاط باسم « سبتاي » في أول أمره ، وهذا التصرف من الخليفة المسلم شجع سبتاي إلى أن يدخل عاصمة الخلافة ؛ وهناك ألقى الخليفة القبض عليه ، وأحكم قيده ، وألقى به في قلعة الدردنيل ، واكتفى الخليفة المسلم بذلك فترة نَعِم خلالها « سبتاي » بالكرم والحفاوة ، وزحف كثير من اليهود إلى القسطنطينية ليروا مصير قائدهم ، ولكن أحد اليهود الربانيين البولنديين أعلن أن « سبتاي » كاذب ، وأن حركته تهدد الأمن والسلام ، وانتهز السلطان محمد الرابع هذا الخلاف ، فأحضر « سبتاي » أمامه في جمع حافل ؛ وأعدّ بعض الجند المهرة لقتله ، ثم أعلن هذا السلطان استعداده ليتحول إلى اليهودية إذا استطاع « سبتاي » ابنُ الله ، والمسيح المنقذ كما يدعي ، أن يمنع الرصاص من الانطلاق ، وفي نفس الوقت منح الخليفة فرصة « لسبتاي » ليُعلن أنه كاذب مُدَّعٍ ، وأن يدخل الإسلام إن كان يعرف أنه لن يستطيع إيقاف الرصاص من الانطلاق ، وسرعان ما اختار « سبتاي » السلامة ، وأعلن أنه كاذب ، واعتنق الإسلام أو لم يجد مناصًا من ذلك ، وسُمّي محمد أفندي ؛ وانتهت بذلك هذه الزوبعة التي أثارها هذا المدعي ، ولا يزال اليهود حتى الآن ينتظرون المسيح . اهـ شلبي .

* * *



الوصل الثاني

في:

أشهر فرق النصارى



أشهر فرق النصارى

أشهر فرق النصارى في عصرنا الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت ، وكلها تتبنى الأناجيل الأربعة ، فهي من آثار مدرسة بولس الذي حرف دين المسيح ، وتعتبر البروتستانتية احتجاجًا على الكنيستين الأخريين ، وكل من الكاثوليك أو الأرثوذكس أو البروتستانت توجد بين كل واحدة من هذه الفرق فرق كثيرة ، ومن قبل أن تستقر المسيحية على أربعة أناجيل كانت هناك أناجيل كثيرة كما سنرى ، وكل فرقة تتبع إنجيلاً ، ولكثرة الخلافات بين فرق المسيحية الأولى عقد مجمع « نيقية » ، ولكثرة الخلافات بين فرق المسيحية الثانية عقدت مجامع أخرى ، وها نحن ننقل لك من كتاب الدكتور شلبي عن النصرانية ومجامعها لتعرف من خلالها كيف كثرت الخلافات بين المسيحيين ، وكيف كان الاضطهاد والقهر ومن قِبَل أعداء المسيحية ابتداء وبين المسيحيين أنفسهم انتهاء عوامل أوجدت فرقًا كثيرة ثم وقفت على فرق كثيرة :

« المجامع » :

والمجامع قسمان : مجامع مسكونية (أي عالمية وكلمة مسكونية نسبة إلى الأرض المسكونة) . ومجامع محلية أو مكانية ، وقد عُقدت المجامع المسكونية عدة مرات في القرون الأولى ، وشهدها ممثلو الكنائس من جميع الأقطار وكان السبب الرئيسي لعقدها ظهور مذاهب دينية غريبة ينبغي فحصها وإصدار قرارات بشأنها وشأن مبتدعيها ، وقد عقد من المجامع المسكونية ثمانية ، من أهمها :

مجمع نيقية ومجمع القسطنطينية الأول ، وفيهما تقررت العقائد الرئيسية للمسيحية التي تلتقي حولها جميع الفرق والمذاهب المسيحية ، (ألوهية المسيح وألوهية روح القدس واستكمال عقيدة التثليث بذلك) .

وأما المجامع المكانية فكثيرة . وكانت الكنائس ولا تزال تعقدها في حيزها الخاص لإقرار عقائد معينة ، أو رفض بعض العقائد ، أو للنظر في بعض الشئون المحلية .

ولعل من الخير ونحن على ذكر بكثير من المجامع أن نلم إلمامة قصيرة شاملة بأهم المجامع

المسيحية ، مسكونية أو محلية ، وأن نبين ما اتخذته من قرارات ، وفيما يلي هذا الحديث :

١ ـ مجمع نيقية Nicaea سنة ٣٢٥ وكان عَقْدُه ردًّا على الوحدانية التي تزعم « أريوس » القول بها ، ويُعَدُّ مؤتمر نيقية أم المجامع المسيحية ، إذ اتُّخِذَت فيه أخطر القرارات ، وكان عقده بأمر الإمبراطور قسطنطين الكبير وقد حضره من الآباء الروحانيين ٢٠٤٨ وإن الخلاف اشتد بينهم حول القول بألوهية المسيح ، ووصل الخلاف إلى المعارك ، وتبنَّت الأغلبية الساحقة رأي « أريوس » ، فأصدر الإمبراطور قراره بفض الاجتماع ، ثم أعيد عقد الاجتماع عقب ذلك ولم يحضره إلا الأعضاء القائلون بالتثليث وبألوهية المسيح وعددهم ٣١٨ وحضر الإمبراطور نفسه الاجتماع ، واتُّخِذَت فيه قرارات خطيرة وضعت الأساس للمسيحية التي لا تزال تتبعها الكنائس ، وأهم هذه القرارات ما يلي :

(أ) القول بألوهية المسيح ونزوله ليصلب تكفيرًا عن خطيئة البشر .

(ب) عدم التصريح لمَن يترمل من الكهنة بأن يتزوج مرة أخرى . كي يكون كل منهم كما قال بولس الرسول : (بعل امرأة واحدة) .

(جـ) اختار المجمع الكتب المقدسة التي لا تتعارض مع القرارات السابقة وقرر تدمير ما عداها من الرسائل والأناجيل .

أقول : وهكذا انتصرت البوليسية على هَدْي حواريِّ المسيح ، وحكمت بالإعدام على الهَدْيِ الصحيح للمسيح ، ومع قوة التوحيد وقتذاك فإنه آل أمر أتباعه إلى العكوف على الذات أو تحمل الاضطهاد بعد أن تبنت الدولة الرومانية رسميًّا ضلالات بولس .

٢ ـ مجمع صور الإقليمي الذي عُقِدَ بعد ذلك ببضع سنوات وقرر وحدانية الله وأن المسيح رسوله ، فكان بذلك تجديدًا لرأي أريوس القائل بالوحدانية ، وهذا المجمع لم يُعْتَرف به.

٣ ـ مجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١ م وقد قرر هذا المجمع أن روح القدس إله .

٤ ـ مجمع إفسس الأول Ephesus سنة ٤٣١ الذي تقرر فيه أن المسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة ، وأن العذراء ولدت إلهًا وتدعى لذلك أم الإله ، وكان ذلك ردًّا على نسطور .

٥ ـ مجمع إفسس الثاني سنة ٤٤٩ ، وقد دعا لعقده بطريرك الإسكندرية « ديسقورس » للرد على إحياء آراء « نسطور » التي نادى بها « ثاذوريشوس » أسقف كورش وإيرينا وأسقف صور ، واتخذت فيه قرارات بحرمان هذين الأسقفين . ولم تعترف كنيسة روما بهذا المجمع .

٦ ـ مجمع خلقيدونية Chalecodon سنة ٤٥١ م ، وقد أيّد هذا المجمع قرار مجمع إفسس الأول ورفض قرار مجمع إفسس الثاني ، ولعن نسطور وديسقورس وأتباعهما ، وكان هذا المجمع قد عقد أولاً في القسطنطينية ثم انتقل إلى خلقيدونية ، وقد حضره أساقفة روما ، كما حضره البابا ديسقورس بطريرك الإسكندرية ومعه أساقفته . وقد اشتد الخلاف بين الفريقين في اليوم الأول ، حتى إذا كان اليوم الثاني مُنِعَ البابا ديسقورس وأساقفته بالقوة من حضور الجلسة ، واتخذ المجتمعون قرارًا يقول بالطبيعتين والمشيئتين ، ورفض ديسقورس طلب الإمبراطور الموافقة على هذا القرار ، فنفاه الإمبراطور بعيدًا عن مصر حيث مات في منفاه ، وقد ظل أقباط مصر حتى الآن يرفضون قرارات هذا المجمع ويدينون بالولاء لبطريرك الإسكندرية .

٧ ـ مجمع القسطنطينية الثاني سنة ٥٥٣ م ، وقد أيد قرارات مجمع نيقية ومجمع القسطنطينية الأول ومجمع خلقيدونية ، ولعن وطرد أصحاب الفكرة التي شاعت حينئذ عن تناسخ الأرواح ، وأن شخص المسيح لم يكن حقيقة بل خيالا .

٨ ـ مجمع القسطنطينية الثالث سنة ٦٨٠ وقد قرر هذا المجمع أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين ، وكان ذلك ردًّا على المذهب الماروني الذي كان يقول بطبيعتين ومشيئة واحدة .

٩ ـ مجمع رومة سنة ٨٦٩ وفي هذا المجمع تقرر :

(ا) اعتبار الروح القدس منبثقًا من الأب والابن .

(ب) مَنْ يريد المحاكمة في أمر يتعلق بالمسيحية يرفع دعوى إلى كنيسة روما .

(جـ) المسيحيون في جميع بلاد العالم يخضعون لقرارات رئيس كنيسة روما .

١٠ ـ مجمع القسطنطينية الذي عقد سنة ٨٧٩ برياسة فوسيوس بطريرك كنيسة القسطنطينية ، وفيه تقرر أن انبثاق الروح القدس من الأب فقط ، وبهذا المجمع وسابقه تمّ انقسام الكنيسة إلى غربية وشرقية ، وأصبحت المجامع خاصة بإحداهما وتُبْطِل قرارات الأخرى ولا تعترف بها .

١١ ـ مجمع رومة الذي عقد سنة ١٢٢٥ ، وفيه تقرر أن الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء .

١٢ ـ مجمع رومة سنة ١٨٦٩ وفيه أن البابا معصوم . ا هـ شلبي .

* * *

ولكي ندرك كثرة الفرق المسيحيّة يكفي أن ننقل لك ما ذكره فريد وجدي في دائرة معارفه عن المقدّمات التي أوصلت إلى حركة لوثر الذي تعتبر فرقته أكبر فرق البروتستانت :

البروتستانتية :

هو المذهب المسيحي الذي ظهر في القرن الخامس عشر إصلاحًا للكاثوليكية . فكلمة البروتستانتية تعني عند أهلها مجموع العقائد والفرق الدينية التي نجمت من حركة الإصلاح الديني في القرن السادس عشر ، سواء تكونت هذه الفرق من الكاثوليك الذين احتجوا (عملوا بروتستو) في ذلك العصر على الكنيسة الرومانية باسم الإنجيل والعقل ، أو التي تألفت بعد ذلك في قلب الجماعات البروتستانتية ذاتها .

كانت أوروبا تتهيأ لحركة إصلاح ديني عام ضد إفراط الكنيسة الرومانية منذ القرن الثاني عشر . فكانت الكنيسة كلما أمعنت في الحجر على حرية العقول ، تكون رأي جديد مؤداه أن المسيحية ليست إلا مجموع رسوم صورية تقليدية مجردة عن معانيها الروحية والأخلاقية ، وكانت كلما أغرقت في حفظ سلطانها الدنيوي على الأشباح ، وقهرت الشعوب ودوختهم لصيانة سطوتها الحسية نجمت نواجم التمرد عليها تنازعها الحرية ، وتجاذبها الغلبة ، وهي لا تدري أنها تنحط أمام نظر الأمم من أوج سلطتها الروحانية ، إلى حضيض

المنازعات المادية .

هذه الحركة الفكرية ضد الكنيسة الرومانية لم تكن بنت عالم من العلماء أو جماعة منهم ، بل نشأت في البيئات المختلفة في وقت واحد مما يدل على أن الروح السائقة إليها كانت روحًا عامة ، فنبغ العالم (امالريك دوبين) وتلميذه (داود دو دينان) وحاولا نشر مذهب وحدة الوجود في مدارس باريس . وظهرت في الوقت عينه بين العامة جماعات دينية ، ذات وجهات مختلفة كلها متأثرة بروح الانشقاق على الكنيسة الرومانية نَعُدُّ منها جماعة « الكانار » التي ظهرت في إيطاليا في القرن الثاني عشر واتخذت لها كنيسة مستقلة وامتدت إلى جنوب فرنسا أيضًا .

وجماعة « تاتشيلم » الذي ادعى أنه إله مساوٍ لعيسى في الدرجة ، فاتبعه خلق كثير فتألبت عليه الحكومة والكنيسة وأمسك في مدينة أنفير وقتل سنة ١١٢٤ .

وجماعة « أودون » الذي ادعى أنه هو عيسى نفسه قد ظهر يرد الناس عن غوايتهم ، ويُبصّرهم من عمايتهم ، فقبض عليه سنة ١١٤٨ م ، وأودع السجن حتى مات فيه .

وجماعة « بييرو دو برويس » الذي قبض عليه وأحرق بالنار حيًّا في مدينة تولوز من فرنسا سنة ١١٢٤ ، لأنه كان لايقر على التعميد ولا يقول بعقيدة حضور الله بذاته في الكنيسة ، ويرفض الرهبنة والصلاة على الموتى ، وعبادة الصليب ، وأمورًا أخرى لا محل لذكرها هنا .

وجماعة « الهنريسيان » الذين كانوا يضمرون لرجال الكنيسة حقدا يصل لحد الجنون ، وتلتحق بهم جماعة الباتاران .

ودون هذه الجماعات فرق البوبليكان والرجال الأطهار إلخ إلخ . ا . هـ فريد وجدي .

* * *



الوصل الثالث

في :

افتراق الأمة الإسلامية

وفي:

أشهر الفرق الضالة التي نشأت في بيئات إسلامية

وفي:

الفرقة الناجية

وفيه :

مقدمة وفقرات ونقول



المقدمة

في :

أسباب انشقاق الفرق الضالة

(١)

مرت معنا بعض النصوص التي تتحدث عن افتراق اليهود والنصارى إلى فرق تزيد على السبعين ، وأن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، ولا يهمنا كثيرًا أن نعرف فرق اليهود والنصارى فهذه تلزم المتتبعين ، أما من ناحية الجانب العلمي في ذلك فقد ذكر القرآن الكريم ما فيه الكفاية عن ضلال من ضل من اليهود والنصارى ليجتنب ما وقعوا فيه ، وهذا هو الجانب العملي والمهم في الموضوع ، أن المسلم غير مكلف بأن يتتبع ماهية فرق النصارى وآراء كل فرقة منهم من مثل اليعاقبة والديصانية والأريوسية والكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية والإنكليكانية وغيرها ، وما تشعبت عن كل واحدة منها ، وكذلك بالنسبة لليهود ، وإنما هو مكلف أن يتجنب ما وقع فيه هؤلاء من ضلال ، وقد بين القرآن ذلك أوضح بيان .

ولكن المهم بالنسبة للمسلم أن يعرف فرق الضلالة من هذه الأمة كي لا يواطئ واحدة منها على ضلالة ، وإن كان ذلك لا يلزم كفريضة عينية إلا بقدر ، لكنه مكلف أن يعرف من عقائد أهل السنة والجماعة ومن الكتاب والسنة ما يحفظه بإذن الله عن أن يقع في أسر فرقة ضالة ، وإنما تدخل المعرفة التفصيلية لهذه الفرق وأسباب ضلالها في باب فروض الكفايات ، وعلى العالمين بمسارات الفرق الضالة أن يحصنوا المسلمين حيثما كانوا بكل ما يحفظهم من أن يقعوا في أسر دعوة ضالة يخالطون أهلها أو يسمعون من أهلها بشكل مباشر أو غير مباشر ، ويدخل هذا في فروض العين ويختلف من بيئة لبيئة ، ومن زمان لزمان ، ولعل مهمة العلماء في عصرنا أكثر صعوبة من أي عصر سابق . والمسلمون يواجهون بقايا فرق ضالة أو يواجهون دعوات ضالة في عالم يموج بالمذاهب والفلسفات والأديان مع تقدم وسائل الإعلام والقدرة على الإيهام والتضليل ، وعلى هذا فواجب علماء المسلمين أن يحصنوا المسلم

بالعقيدة الصحيحة ، وأن يحصنوه من الوقوع في أسر مذهب أو فلسفة أو دين أو فرقة ضالة ، هذا عدا عن واجبات أخرى تلزم العلماء .

ومن ههنا نقول : إن فروض الكفاية تختلف سعة وعددًا وكمية وقائمين بها من زمن لزمن ، ومن مكان لمكان كما أن فروض العين العلمية والعملية في حق المسلم تختلف من زمن لزمن ، ومن مكان لمكان ، بل من شخص لشخص .

والموضوع الذي نحن فيه من أهم الموضوعات التي ينبغي أن تكون محل اهتمام : وذلك هو افتراق الأمة الإسلامية إلى فرق ، فرقة واحدة منها ناجية والباقية هالكة أخرويًّا ، على تفاوت في الهلاك الأخروي على حسب بعد أو قرب هذه الفرق من الاعتقاد الحق .

ما هي أسباب الضلال ؟ ما هي الفرق التي ذكرتها النصوص بأعيانها ؟ ما هي أهم هذه الفرق التي كثرت فيها النصوص ؟ ما هي الفرق التي أجمع أهل السنة والجماعة على تضليلها أو تكفيرها ؟ وما هي أهم مقولاتها ؟ وبعض هذه الفرق قد انقرض ولكنه قابل للظهور وبعضها لا زال موجودًا ، والأمة تعاني منه ، وبعضها قديم الظهور وبعضها حديث الظهور ، وبعضها يتجدد ظهوره في كل جيل وليس مثل العلم بعد هداية الله عاصمًا للإنسان ، والكتب في هذا كله كثيرة منها القديم ومنها الحديث ومنها ما يخص فرقًا ولا يخلو كتاب بعد القرآن ولا يخلو كلام بعد كلام الله وسنة رسوله ﷺ مما يمكن أن يؤخذ عليه ، ومن أشهر الكتب القديمة في هذة الشؤون : مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ، والفَرْقُ بين الفِرَقِ لعبد القاهر البغدادي ، والمِلَلُ والنِّحَلُ للشهرستاني ، ومثله لابن حزم ، وقد كتب المحدثون عن فرق ظهرت حديثًا كالقُرَّتِيَّة نسبة إلى قُرَّةِ العين الإيرانية الإباحية ، والبهائية ، والقاديانية ، وهذا الوصل يضعك على لبابٍ من الأمر .

* * *

(٢)

في تأملات شاملة لما وقعت به الأمم من قبل وخاصة اليهود والنصارى الذين قص الله علينا من أخبارهم نجد أنّ من أبواب الضلال الكبيرة :

أولاً : أمراض القلب وما يتفرع عنها من بغي وحسد واتباع هوى يجر إلى مواقف ظالمة ﴿ وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم ﴾ (١) .

ثانيًا : الغلو في الأشخاص والأعمال والمواقف : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيحَ ابنَ مريم ﴾ (٢) . ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا ﴾ (٣) .

ثالثًا : التأويل الجاهل ونسيان بعض الحق : ﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظًا مما ذكروا به ﴾ (٤) .

رابعًا : جعل ما ليس من الوحي وحيًا : ﴿ وإن منهم لفريقًا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ﴾ (٥) .

خامسًا : ترك المجمع عليه والدخول فيما يناقضه : ﴿وما تفرق الذين أتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة * وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ (٦) .

سادسًا : الجهل بالله ووصفه بما لا يليق بذاته : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾ (٧) . ﴿ الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ (٨) .

وقد وقعت أمتنا فيما وقعت به الأمم السابقة وقد ذكر ذلك رسول الله ﷺ وذلك من معجزاته عليه الصلاة والسلام ، فوجد عندنا من يغلو بغير الأنبياء فيثبت لهم العصمة حتى

---

(١) الشورى : ١٤ .

(٢) التوبة : ٣١ .

(٣) المائدة : ٧٧ .

(٤) المائدة : ١٣ .

(٥) آل عمران : ٧٨ .

(٦) البينة : ٤ ، ٥ .

(٧) المائدة : ٦٤ .

(٨) آل عمران : ١٨١ .

فيا خالفوا به النص كا فعلت طوائف من الشيعة ، ووجد من يُؤَلِّهُ البشر كا فعل النصيرية والدروز والإسماعيليون ، ووجد من يدعي النبوة ويُتَابَع كغلام أحمد القادياني ومسيلمة الكذاب ، ووجد التأويل الجاهل كا فعل المعتزلة ، ووجد التشبيه كا فعل المشبهة ، ووجدت المواقف الغالية كا فعل الخوارج ، ووجد تعطيل العمل كا فعل المرجئة ، ووجد الإباحيون الذين يستحلون المحرمات ، ووجد المعطلون للشريعة كا يفعل العلمانيون .

وسر الأسرار في الزيغ والضلال اتباع المتشابه وترك المحكم .

والمتشابه في هذا المقام نسبي ، فكثير من المتشابهات التي ضل بها أقوام إنما هي متشابهات بالنسبة لمُحْكَمٍ معيّن ، وهذه القضيّة من أخطر القضايا ولابد أن تفهم :

فالقرآن الكريم في حيثيّة من حيثيّاته كلّه محكم . قال تعالى : ﴿ كتاب أُحكمَتْ آياتُه ثمّ فصِّلتْ من لدن حكيمٍ خبيرٍ ﴾ [١] .

فالإحْكَامُ قدر مشترك في القرآن .

والقرآن من حيثيّة أخرى كلُّه متشابه : ﴿ الله نزّل أحسن الحديث كتابا متشابها ﴾ [٢] .

فالقرآن يشبه بعضه بعضًا من حيث كونه حقّا ومعجزًا إلى غير ذلك ، ولكن نصوص القرآن منها ما هو قطعي الدلالة ، فهذا محكم بالنسبة لغيره ومنه ما يحتمل أكثر من معنى ، ومن ههنا ذكر الأصوليّون أنّ النصوص أقسام فمنها :

المؤوّل وهو ما يَحْتَمِلُ أكثر من وجه أحدهما صحيح ، والباقي غير صحيح ، ومن المؤوّل المتشابهُ .

ومنها : النص وهو اللفظ الذي ظهرت دلالته على المعنى الذي سيق له مع احتمال التخصيص إن كان عامًا ، والتأويل إن كان خاصًا .

---

(١) هود : ١ .

(٢) الزمر : ٢٣ .

ومنها : الظاهر وهو اللفظ الذي ظهرت دلالته على المعنى الذي لم يسق له واحْتُمِلَ غيره احتمالاً مرجوحًا .

ومنها : المُفَسَّرُ وهو اللفظ الذي ظهرت دلالته على معناه الوضعي مع احتمال النسخ وحده .

ومنها : المُحْكَمُ وهو اللفظ الذي ظهرت دلالته على معناه الوضعي بدون احتمال شيء .

ومن ههنا وجد ما يسمى متشابهًا عند العلماء .

ولكن هناك نصوصًا هي متشابهة في حق الجهلة وبسبب من ذلك ضل من ضل ، فمثلاً يوجد من يأخذ من قوله تعالى : ﴿ والأرض وضعها للأنام ... ﴾[1] أن الأرض لا تُمْلَكُ لأنها لجميع بني البشر وبالتالي فلا ملكيّة في الأرض لأحد ، فهؤلاء تركوا الحكم في الشريعة الذي يجيز تملّك الأرض وبنوا على متشابه ، ولكن هذا التشابه متشابه في حقّهم وليس هو في الأصل متشابهًا عند العلماء ومن ههنا نقول :

إن أكثر من ضل عن الحق من هذه الأمة إنما ضل بسبب متابعته المتشابة وحَمْلِ المُحْكَمِ عليه ، سواء كان متشابهًا في الأصل في اصطلاح الفقهاء أو متشابهًا بسبب من الجهل أو الهوى ، والأصل أن يتابع المسلم المحكم ويحمل المتشابه عليه سواء كان متشابهًا في الأصل لا يدركه إلا الراسخون في العلم أو متشابهًا في توهم بعض الناس ، ومن ههنا نفرق بين فرقة ضلت في فهم المتشابه في اصطلاح العلماء كالمعتزلة ، وبين فرقة ضلت لمتابعة الجهل في قضية لُبّسَتْ عليهم كالخوارج والمرجئة وبعض فرق الباطنية .

وهناك ناس كفروا أصلاً ، وحاولوا أن يُكَفّروا المسلمين ولكن من خلال التلبيس عليهم ببعض النصوص المتشابهة فهؤلاء كفار يتعمدون الكفر والتكفير .

* * *

---

(١) الرحمن : ١٠ .

(٣)

والعاصم من الوقوع في الضلال : الاعتصام بالكتاب والسنة وما عليه سلفنا الصالح والعلم الصحيح وما عليه السواد الأعظم من علماء الأمة الإسلامية خلال العصور ، ومتابعة الراسخين في العلم من هذا السواد الأعظم ، ولم تخل الأمة في كل عصر من أهل رسوخ في العلم : كالأئمة الأربعة والنووي وابن حجر العسقلاني والسيوطي والعز بن عبد السلام وأمثال هؤلاء .

* * *

(٤)

وهناك إجماع عند الراسخين في العلم على أن هناك فرقًا دخلت في دائرة الضلال وفرقًا دخلت في دائرة الكفر ، ومن أمهات القضايا التي ضلت بسببها بعض الفرق :

١ ـ ادّعاء أن للقرآن باطنًا يخالف الظاهر .

٢ ـ الموقف من نصوص السنة أصلاً ثم من إلزاميّتها .

٣ ـ التشبيه .

٤ ـ التأويل الجاهل .

٥ ـ التكفير بالمعصية .

٦ ـ الموقف من الإمامة والخلافة .

٧ ـ التشكيك في الصحابة ، أو سب بعضهم أو تكفيره .

٨ ـ نفي القدر .

٩ ـ الجبر .

١٠ ـ الغلو .

* * *

(٥)

ونحب أن نقف وقفة عند الغلو :

فلم يـزل الغلـو بـابًـا من أبـواب الضـلال والانحراف عن هـدي الأنبيـاء عليهم الصلاة والسلام ، قال تعـالى : ﴿ قل يـاأهل الكتـاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل ﴾ [١] ، ﴿ يا أهل الكتـاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ... ﴾ [٢] .

وللغلو مظاهر منها : الغلو في الأشخاص : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيحَ ابنَ مريمَ ﴾ [٣] . ومنها الغلو في تطبيق الدين : وذلك بالتشديـد فيـه بتحريم الحلال واعتقاد فرضية ما ليس فرضًا . ومنهـا : التسرع في التكفير ، ومنهـا الغلو في العمل حتى تحمل النفس فوق طاقتها كالترهب وقد عالج الكتاب والسنة الغلو كله .

٤٣٢ - * روى الإمام أحمد عن ابن عبـاس رضي الله عنـه قـال : قـال رسول الله ﷺ : « ... وإياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو بالدين » .

٤٣٣ - * روى الطبراني عن أبي أمامـة رفعـه : « صنفـان من أمتي لن تَنـالَهما شفـاعتي : إمام ظَلُوم غَشُومٌ وكل غالٍ مارِق » .

* * *

---

(١) المائدة : ٧٧ .

(٢) النساء : ١٧١ .

(٣) التوبة : ٣١ .

٤٣٢ - مسند أحمد (١ / ٢١٥ ، ٣٤٧) .

والنسائي (٥ / ٢٦٨) ٢٤ - كتاب المناسك ، ٢١٧ - باب التقاط الحصى .

وابن ماجه (٢ / ١٠٠٨) ٢٥ - كتاب المناسك ، ٦٣ - باب قدر حصى الرمي . وإسناده صحيح .

٤٣٣ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٥ / ٢٣٥) . وهو حسن .

غال : من الغلو وهو مجاوزة الحد ببدعة أو كفر .

(٦)

ومع وضوح النصوص التي تبين الهدى من الضلال ، بحيث لا تغيب عن عالم منصف ماهية الهدى من الضلال ، فقد ذكر الرسول ﷺ ما يحدث في أمته من بعده ، ومن جملة ذلك الاختلاف والتفرق والقتال ، كما ذكر أن الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة ، واحدة منها ناجية والباقيات في النار ، وقد أعطانا القرآن الميزان الذي نعرف به فرق الضلالة وذلك هو اتباعهم المتشابِه وحملِ المحكم عليه بدلاً من اتباع المحكم وحمل المتشابه عليه ، وهذه هي ميزة الفرقة الناجية أنها تعمل بالمحكم وتؤمن بالمتشابِه وتحمله على المحكم ، وبهذا الميزان يعرف الإنسان أن أهل السنة والجماعة على حق .

* * *

(٧)

وقد حدث قتال بين الصحابة بين علي من جهة وبين معاوية من جهة أخرى ، وبين علي من جهة وبين عائشة وطلحة والزبير من جهة أخرى ، والجميع من أهل السنة والجماعة بشهادة النصوص ، لكن عليا كان على حقٍ وصواب ، والآخرون كانوا على خطأ ، ولضيق هذا المقام وللخوف على العامة أن يسبق إلى قلوبهم ما تزيغ به فقد نهى العلماء عن الخوض في ذلك إذ إن في كلٍ من الفريقين مبشرين بالجنة وإنهم كانوا متأولين ، وكلهم يعتقد أنه على الحق ، وحدث قتال بين علي والخوارج ، والنصوص واضحة أن عليًا على الحق والصواب ، والخوارج كانوا على خطأ وضلال بسبب ما اعتقدوه من تكفير علي وعثمان .

واعتقد ناس أن الحق في الخلافة لآل بيت الرسول ﷺ ونشأ بسبب من ذلك التشيّع ، لكن شيعة آل البيت افترقوا فمنهم غالٍ ومنهم مقتصدٌ ، والنصوص المحكمة حكم على الجميع ، وقد ورد عن علي بن أبي طالب قال : دعاني رسول الله ﷺ فقال : « إن فيك مثلاً من عيسى أبغضته اليهود حتى بَهَتوا أمه وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذي ليس به » ، ألا وإنه يَهْلِكُ فِيَّ اثنان محب مفرط يقرّظني بما ليس فِيَّ ومبغض يحمله شنآني على أن يَبْهَتَنِي ، ألا وإني لست بنبي ، ولا يوحى إلي ، ولكني أعمل بكتاب الله

وسنة نبيه ما استطعت فما أمرتكم من طاعة الله فحق عليكم فيما أحببتم وكرهتم [1] .

وهكذا وجدت فرقتان رئيسيتان منذ الصدر الأول تفرعت عنهما فرق كثيرة ، وبسبب من التباس الأمر على بعض الناس في الخلاف بين علي وخصومه فقد وجد الإرجاء ، وكان بسيطًا ثم تفلسف وانحرف ، وبسبب من الجنوح في التأويل وجد الاعتزال ، وهكذا وجدت أربع فرق رئيسية ضالة منذ الصدر الأول : الشيعة والخوارج والمعتزلة والمرجئة . وتَفَرَّعَ عن كلٍّ فِرَقٌ ، ثم ظهرت فرق أخرى كالذين يعتمدون القرآن دون السنة.... أو الذين يرون سقوط التكليف كبعض الصوفية ، ولم تزل الأيام تلد فرقًا جديدة فهذا القرن الماضي ولدت فيه القاديانية والبهائية ، ولا يخفى على العالم البصير ولا على الذين يخالطون أهل الحق ويقرؤون القرآن أن يدركوا الضلال بسرعة ويعرفوا أهله ، والملاحظ أن النصوص في شأن الخوارج كانت أكثر من النصوص التي ذكرت فرقًا أخرى وذلك لحِكَم :

أولاً : لأنهم أول الفرق ظهورًا والناس لا زالوا على ذكرٍ بأحاديث الرسول ﷺ .

ثانيًا : لأنهم يغرون العامة بسبب تشددهم وغلوهم .

ثالثًا : لأنهم يجتذبون أعدادًا كبيرة من الناس بسبب استعداد العامة للخروج على السلطان .

والخروج على السلطان أنواع ، والبغاة هم الخارجون على الإمام الحق بغير الحق ، أما سواهم فقد يكونون أهل حق وقد يكونون ظالمين بخروجهم .

* * *

(٨)

وأخيرًا نقول : هناك فرق ضالة أو كافرة مشهورة معروفة عند العامة والخاصة من أهل السنة والجماعة ، وهناك أئمة ضلال معروفون عند أهل العلم خاصة ، وبالتالي فقد لا يعرف

---

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٣٣) وقال : رواه عبد الله والبزار باختصار وأبو يعلى أتم منه ، وفي إسناد عبد الله وأبي يعلى الحكم بن عبد الملك وهو ضعيف . وفي إسناد البزار محمد بن كثير القرشي الكوفي وهو ضعيف . ا.هـ. قلت : ومع أن في الحديث ما رأيناه من ضعف فإن الحديث صحيح معناه وقد وقع .

غير المختص من المقصودُ بهؤلاء ، وهناك فرق تُذْكَرُ وهي تندرج في فرقة تعتبر أُمًّا لهم :

فالشيخ عبد القاهر البغدادي أوصل الخوارج إلى عشرين فرقة وكلهم فرقة واحدة ، وأوصل المعتزلة إلى عشرين فرقة وكلهم فرقة واحدة ، ونتيجة لذلك فإن بعضهم ذكر في كتب الفرق المؤلفة قديمًا أكثر من سبعين فرقة مع أنه قد وجدت بعد ذلك فرق أخرى ونحن نرى أن الفرق الاثنتين والسبعين الضالة التي ستوجد في هذه الأمة ليس شرطًا أن تكون قد وجدت كلها ، فقد تأتي العصور اللاحقة بجديد ، فالرسول ﷺ تحدث عن ثلاثين مدعيًا للنبوة سيكونون في هذه الأمة وذكر دجالين كثرًا وقد يكون بعض هؤلاء لم يظهروا بعد ، ولذلك فنحن سنعرِّف في هذا الفصل على بعض الفرق مما أجمع أهل السنة والجماعة على تضليل أهلها أو تكفيرهم .

وبعض هذه الفرق لازالت موجودة وبعضها قد انقرض ، والموجودون في عصرنا على أنواع فمنهم من تستطيع تكفيره دون تردد ما دام يؤمن بما هو المعروف عن فرقته ، وبعضهم يمكن أن تتوقف في الحكم عليه حتى تعرف حدود أخذه عن فرقته .

وسنذكر في هذا الوصل الفقرات التالية :

الفقرة الأولى : في ضرورة التعرف على فرق الضلال وفي بعض الملاحظات حول ذلك .

الفقرة الثانية : في نصوص تتحدث عن أعلام في الضلال .

الفقرة الثالثة : في أشهر الفرق التي نشأت في بيئات إسلامية وهي ليست من أهل السنة والجماعة .

الفقرة الرابعة : في الخوارج خاصة .

الفقرة الخامسة : في ضرورة لزوم الجماعة وفي التعرف على الفرقة الناجية .

* * *

الفقرة الأولى

في :

ضرورة التعرف على فرق الضلال

وبعض الملاحظات حول ذلك

لقد حَدَّثَ رسول الله ﷺ أصحابه عن قائد كل فتنة يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعداً كما ورد عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : والله ما أَدْري أَنَسِيَ أَصْحابي أَمْ تَناسَوْا ؟والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى انقضاء الدنيا ، يبلغ مَن معه ثلاثمائة فصاعداً ، إلا قد سَمَّاه لنا باسمِه واسمِ أبيه واسمِ قبيلتِه [(١)] .

فدل ذلك على أن التعرف على أئمة الضلال مما ينبغي أن يعرفه المسلم ، وأن التعريف على أئمة الضلالة من سنن رسول الله ﷺ ، ومن ثم كان قسم كبير من هذا الوصل في هذا الشأن .

* * *

الفرق التي خرجت عن الاعتقاد الحق على أنواع ، فمنها : ما خرج من الإسلام بالكلية وإن كانت أصوله إسلامية وادعى أنه يبني على فهمٍ لنصوصٍ ، وهل مثل هذه الفرق داخلة في الفرق الثنتين والسبعين أوْ لا ؟ الراجح أنها داخلة بها قياسًا على فرق اليهود والنصارى ، وبعض الفرق لم يصل إلى حد الكفر المطلق ، وإنما هم ضُلَّالٌ مُبْتَدِعون ، وبعضهم أكثر ضلالاً من بعضهم الآخر ، وبعضهم تعتبر بدعته خفيفة وبعضهم تعتبر بدعته شديدة ، وأفظع أنواع الابتداع ابتداع الاعتقاد ، أما بِدَعُ الأعمال فهذه على أنواع ، فمنها : ما يكره ، ومنها : ما يحرم، ومنها : ما يجوز . والعبرة فيها للفتوى من أهلها .

* * *

وهناك فرق بدأ ضلالها من غُلُوٍّ في فكرة صحيحة في الأصل ثم تشعبت من هذه الفرق

---

(١) أبو داود (٤ / ٩٥) . كتاب الفتن والملاحم ، باب ذكر الفتن ودلائلها . وإسناده صحيح .

فرق أشد غُلُوًّا ، وهكذا من غلو أخفَّ إلى غلو أشدَّ وصلت بعض التّوجهات إلى مداها المكفر ، فحب آل البيت ابتداء شيء مطلوب شرعًا ، واعتقاد أن عليًّا هو خليفة راشد وأن الحق والصواب كانا معه مدة خلافته ، كل هذه أفكار صحيحة ، فإذا قال قائل بعد ذلك : إنه الأحق بالخلافة من الأئمة الثلاثة الذين كانوا قبله مع التسليم بخلافتهم فهذه بدْعةٌ خفيفة مع أنها تخالف ما التقى عليه الصحابة ، فإذا ما رفض آخرون أن يسلموا بإمامة الشيوخ الثلاثة فقد دخلوا في بدعة ضلالة ، فإذا كفَّروا الأئمة الثلاثة فقد وصلوا إلى الكفر كما ذكر الشيخ عبد القاهر البغدادي : « فإذا ما غلوا بعلي وآل بيته حتى أعطوهم صفة الألوهية فذلك إيغال في الكفر ، فإذا ما اجتمع إلى هذا آراء كفرية أخرى كالقول بالتناسخ وأن للقرآن باطنًا يخالف الظاهر ، وأن الباطن يستقل بفهمه الإمام ، فإذا بلغهم عمن يدعي الإمامة ما ينقض الشريعة تابعوه فذلك كفر على كفر وظلمات بعضها فوق بعض » .

وكثيرًا ما حدث في تاريخ الفرق أن غلوًّا خفيفًا أوصل إلى غلو غليظ ، وأحيانًا يحدث العكس غلو شديد يعدَّل إلى غلو أخف ، فالمعتزلة مثلا عدلوا القول بنفي القدر بالجملة ، وعلى كلٍّ فإنه تتولد عن فرقة أُمّ فِرَقٌ مختلفة ، ومن الفرق التي لها وجود فعلي في الأمة : الشيعة الإثنا عشرية ، والإسماعيليون ، والدروز ، والنصيرية ، والجارودية ، واليزيدية عباد الشيطان ، فلهم بقية في سورية والعراق ، والمعتزلة فلم تزل بعض عقائدهم تتسلل إلى كثير من الناس ، والقاديانية ، والبهائية ، والقائلون بإسقاط التكليف ، والمشبهة ، والقائلون بوحدة الوجود ، والعلمانيون القائلون بفصل الدين عن الدولة وهم من المرتدين الذين يشكلون تيارًا عريضًا .

* * *

أما أحكام الفرق الثنتين والسبعين فتختلف من فرقة إلى فرقة ، فبعض الفرق الثنتين والسبعين لهم أحكام المسلمين الدنيوية كاملة ، وبعض أهل هذه الفرق لهم بعض أحكام المسلمين الدنيوية لا كلها ، وبعض هذه الفرق ليس لها أحكام المسلمين أصلاً بل ولا أحكام أهل الكتاب لأنهم مرتدون أو استمرار للمرتدين ، فلهم بذلك أحكام خاصة لأنهم ورثوا الردة ، فهؤلاء المرتدون ومن تابعهم على ردتهم لا يجوز تزويجهم ولا التزوج منهم ولا أكل

ذبائحهم ولا دفنهم في مقابر المسلمين ولا الصلاة عليهم .

قال عبد القاهر البغدادي :

[فإن كان على بدْعة الباطنية ، أو البَيَانية ، أو المُغِيرية ، أو الخَطَّابية الذين يعتقدون إلهية الأئمة أو إلهية بعض الأئمة ، أو كان على مذاهب الحلول ، أو على بعض مذاهب أهل التناسخ ، أو على مذهب الميمونية من الخوارج الذين أباحوا نكاح بنات البنات وبنات البنين ، أو على مذهب اليزيدية من الإباضية في قولها بأن شريعة الإسلام تُنْسَخ في آخر الزمان ، أو أباح ما نص القرآنُ على تحريمه ، أو حَرَّم ما أباحه القرآن نصًّا لا يحتمل التأويل : فليس هو من أمة الإسلام ولا كرامَةَ له . وإن كانت بدعته من جنس بِدَعِ المعتزلة ، أو الخوارج ، أو الرافضة الإمامية ، أو الزيدية ، أو من بدع النجَّارية ، أو الجَهْمية ، أو الضِّرارية ، أو المجسِّمة فهو من الأمة في بعض الأحكام ، وهو جواز دفنه في مقابر المسلمين ، وفي أن لا يُمْنَع حَظَّه من الفيء والغنيمة إن غزا مع المسلمين ، وفي أن لا يُمْنَع من الصلاة في المساجد ، وليس من الأمة في أحكام سواها ، وذلك أن لا تجوز الصلاة عليه ولا خَلفه ، ولا تحلّ ذبيحته ولا نكاحه لامرأة سُنِّية ، ولا يحل للسني أن يتزوج المرأة منهم إذا كانت على اعتقادهم . وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه للخوارج : علينا ثلاث : لا نَبْدَؤكم بقتال ، ولا نمنعكم مساجدَ الله أن تذكروا فيها اسمَ الله ، ولا نمنعكم من الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا] . ا . هـ (الفَرْقُ بين الفِرَقِ) .

والمسألة لها تفصيلات كثيرة ، وللفقهاء اجتهادات متعددة ، وبعض من انتسب في الفرقة قد لا يؤمن بكل ما عليه فرقته فله حكم خاص ، والعبرة في حق كل شخص بما هو عليه ،والفتوى البصيرة من أهلها هي محل العمل .

* * *

وإذ لم يكن هذا الكتاب ملتزمًا بالتفصيل إلا فيا تمس إليه الحاجة ، وإذ كان الكلام عن الفرق يحتاج إلى كتب خاصة بذلك ، فإننا نكتفي بإشارات مع ملاحظة أننا اعتمدنا في التعريف على بعض الفرق على كلام عبد القاهر البغدادي ، وقد كتب كتابه (الفَرق بين

الفِرَق) في القرن الخامس الهجري وبعض من كتب عنهم واستمروا بعده ، قد يكونون بقوا على ما كانوا عليه وقد يكونون ازدادوا غلوًّا وقد يكونون قد خف غلوهم .

* * *

الفقرة الثانية
في :
نصوص تتحدث عن أعلام في الضلال

منذ الصدر الأول ظهرت أربع فرق رئيسية في الأمة الإسلامية هي :

الخوارج والتشيّع الغالي والإرجاء والاعتزال .

فالخارجية غلت في التكفير ، والتشيّع الغالي قام على الغلو بعلي وبآل بيته رضي الله عنهم ، وعلى بغض الكثيرين من الصحابة ، والإرجاء أنواع والضالون من أهله هم الذين يقولون : لا تضر مع الإيمان معصية . والاعتزال يقوم على عدم إعطاء موضوع الإيمان بالقدر مداه الذي ذكرته النصوص .

ولأن هذه الفرق الأربع ظهورها متجدد في الأمة الإسلامية ، ولأنها ستظهر قريبًا من عهد النبوة فقد خصّت بالذكر في نصوص .

وسنذكر في هذه الفقرة بعض النصوص التي ذكرت هذه الفِرق ، ولأنّ أعظم ضلال في عصرنا هو الانطلاق من فكرة العلمانية بمعنى اللادينيّة وإقامة ذلك على فكرة الموضوعيّة بمعنى البحث العقلي المجرّد فسنذكر نصًّا في ذلك ، ولأنّ بعض أنواع من الضلال ينتشر بسبب تبنّي مَنْ له السلطانُ فسنذكر نصًّا يحدّد موقف أهل الهدى من ذلك ، وللتفريق بين ما هو فتنة قائمة على اجتهاد خاطئ وبين ما هو اجتهاد ضالّ فسنذكر نصّيْن . وهذه هي النصوص :

٤٣٤ - * روى الطبراني ، عن عوفِ بن مالك ، عن النبي ﷺ قال : « تفترق أمتي على بِضْع وسبعين فِرقةً . أعظمها فتنةً على أمتي قوم يَقيسون الأمورَ برأيهم فيُحِلون الحرام ويُحَرمون الحلال » .

لم تزل الأمّة الإسلاميّة تتأثّر بمثل هذا النوع من الناس الذين ذكرهم الحديث

---

٤٣٤ - المعجم الكبير (١٨ / ٥٠) .

أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٧٩) . وقال : ورجاله رجال الصحيح .

الشريف ، ولكن قد تمرّ على الأمّة الإسلاميّة موجات عاتية بسببِ من هؤلاء ، وأعتى موجتين هما : الموجة التي أنهاها الغزالي في كتابه : تهافت الفلاسفة ، والموجة التي شاهدها عصرنا في القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجريين ، إذ ظهرت في هذه الموجة أفكار التقدّميّة والرجعيّة واليمين واليسار والعلمانيّة والعقلانيّة والموضوعيّة والعاطفيّة ، والتفريق بين الدين والدولة ، ومحاولة إظهار العلم والعقل كمتعارضين مع الدين ، وتأثّرت الأمّة الإسلاميّة بهذه الأفكار كثيرًا ولكن أخذت هذه الأفكار تنحسر شيئًا فشيئًا ، وها نحن نشهد في بداية القرن الخامس عشر الهجري بداية النهاية لهذه الأفكار .

وليس المراد من هذا الحديث ما يفهمه منه بعض الجهلة من نفي القياس الشرعي المتعارف عليه في أصول الفقه ، فذلك من الدين ، وهو مما تبنى عليه الأحكام الشرعية .

٤٣٥ ـ * روى الطبراني عن ابن مسعودٍ قال : دخل رسولُ الله ﷺ فقال : « يا ابن مسعود » فقلت : لبيك يارسولَ الله . قالها ثلاثًا . قال : « تدري أيُّ الناسِ أفضل ؟ » قلتُ : اللهُ ورسولُهُ أعلم . قال : « فإن أفضل الناس أفضلُهم عملا إذا فَقُهوا في دينهم » . ثم قال : « يا ابن مسعود » . قلت : لبيك يارسول الله . قال : « تدري أيُّ الناسِ أعلم ؟ » قلت : اللهُ ورسولُه أعلم . قال : « إن أعلم الناسِ أبصرُهم بالحق إذا اختلفَ الناسُ ، وإن كان مقصرًا في العمل وإن كان يزحف على استه زحفًا . واختلف من كان قبلي على ثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاثة وهلك سَائرُهنّ ، فِرقةٌ وازت الملوكَ وقاتلوهم على دينهم ودين عيسى بنِ مريمَ ، وأخذوهم [أي : أخذ الملوك هؤلاء] وقتلوهم وقطعوهم بالمناشير . وفرقةٌ لم يكنْ لهم طاقةٌ بموازاة الملوك ولا بأن يُقيموا بين ظهرانيهم فيدعوهم إلى الله ودين عيسى بن مريم فساحوا في البلاد وتَرَهبوا » قال : « وهم الذين قال الله عز وجل ﴿ **رهبانيةً ابتَدَعوها ما كَتبناها عليهم إلا ابتغاءَ رضوانِ اللهِ** ﴾ » الآية . فقال النبي ﷺ : « من آمنَ بي

---

٤٣٥ ـ أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٢٦٠) . وقال : رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح غير بكير بن معروف وثقه أحمد وفيه ضعف . ا . هـ .

وأخرج نحوه ابن أبي حاتم وابن جرير .

قال ابن حجر : بكير بن معروف صدوق فيه لين . ا . هـ .

وصَدَّقَني واتبعني فقد رعاها حقَّ رعايتها ، ومن لم يتبعني فأولئكَ هم الهالكون » . وفي رواية « فرقةٌ أقامت في الملوك والجبابرة فدعت إلى دين عيسى فأُخِذَتْ وقُتِلَتْ بالمناشير ، وحُرِّقَتْ بالنيرانْ فصَبَرَتْ حتى لَحِقَتْ باللهِ » . والباقي بنحوه .

الملاحظ أن الرسول ﷺ ذكر ثلاث فرق تنجو ، ثم فصّل فلم يذكر إلا فرقتين ، فرقة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر للملوك والجبابرة ، وفرقة الرهبان . والظاهر أن الفرقة الثالثة هم الذين تمسكوا بالحق ولم يكن لهم طاقة على هذا وهذا ، وهم المغيرون للمنكر بقلوبهم . وبالنسبة لأمتنا جعل الناس على ثلاثة أنحاء كلهم ناجون ؛ المغيرون للمنكر بأيديهم إن استطاعوا ، والمغيرون بألسنتهم إن لم يستطيعوا إلا ذلك ، والمغيرون بقلوبهم إن لم يستطيعوا إلا ذلك .

٤٣٦ ـ * روى الطبراني في الأوسط عن أنس بنِ مالكٍ قال : قال رسول الله ﷺ : « القَدَرِيَّةُ والمُرْجِئَةُ مجوسُ هذه الأمةِ ، فإن مَرِضُوا فلا تَعُودوهم ، وإن ماتوا فلا تَشْهَدُوهم » .

المراد بالمجوس في الحديث عبّاد النار من الفرس ومن تابعهم ، وهؤلاء يقولون بوجود إله النور وإله الظلمة فيثبتون فاعلين ، والقدريّة يثبتون فاعلاً مع الله ولذلك شابهوهم ، والمجوس يعطون للشيطان نوع طاعة ، والمرجئة يطيعون الشيطان بترك التكليف فشابهوهم .

٤٣٧ ـ * روى الترمذي عن ابن عباس وجابر بن عبدِ الله قالا : قال رسول الله ﷺ : « صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَيْسَ لَهُمَا فِي الإِسْلامِ نَصِيبٌ أَهْلُ الإِرْجَاءِ وَأَهْلُ القَدَرِ» .

---

٤٣٦ ـ الهيثمي (٧ / ٢٠٥) وقال : رواه في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى الفروي ، وهو ثقة. اهـ.
ورواه عن ابن عمر دون ذكر المرجئة أبو داود (٤ / ٢٢٢) كتاب السنة ، ـ باب في القدر .
المستدرك (١ / ٨٥) . وهو حسن .

٤٣٧ ـ الترمذي (٤ / ٤٥٤) ٣٣ ـ كتاب القدر ، ١٣ ـ باب من جاء في القدرية .
ابن ماجه (١ / ٢٨) المقدمة ، ٩ ـ باب في الإيمان .

٤٣٨ - * روى الترمذي عن ابنِ عباسٍ قال : قال رسول الله ﷺ : « صِنْفَانِ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ لَيْسَ لَهُمَا فِي الإِسْلامِ نَصِيبٌ الْمُرجِئَةُ وَالْقَدَرِيَّةُ » .

٤٣٩ - * روى الطبراني عن ابن عباسٍ قال : كنتُ عند النبيِ ﷺ وعندَه عليٌّ فقال النبي ﷺ : « ياعلي سيكونُ في أمتي قومٌ ينتحِلون حبَّ أهلِ البيتِ لهم نَبَزٌ يُسَمَّوْنَ الرافضة قاتلوهم فإنهم مشركون » .

٤٤٠ - * روى الحاكم عن عِكْرِمَة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال له ولابنه علي : انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا منه حديثه في شأن الخوارج . فانطلقا فإذا هو في حائط له يصلح ، فلما رآنا أخذ رداءه ثم احتبى ، ثم أنشأ يحدثنا حتى علا ذكره في المسجد ، فقال : كنا نحمل لبنةً لبنةً ، وعمار يحمل لبنتين لبنتين ، فرآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فجعل ينفض التراب عن رأسه ، ويقول : « يا عمارُ ألاَ تحمل لبنةً لبنةً كما يحمل أصحابُك » . قال : إني أريد الأجرَ عند الله . قال : فجعل ينفض ويقول : « ويحَ عمارٍ تقتله الفئة الباغيةُ » . قال : ويقول عمارٌ : أعوذ بالله من الفتن .

فلقد قتلت عمّارًا فئة معاوية ، فدلّ ذلك على أنّ فئة معاوية كانت باغيةً على عليٍّ رضي الله عنه ، وكان عمار مع عليٍّ ، فدل ذلك على أن عَليًّا هو أهل الحقّ والصواب ، ومع هذا فإنّنا نحكم لمعاوية وجنده ولعائشة ومن معها على أنّهم من أهل السنّة والجماعة ، فههنا اجتهاد

---

٤٣٨ - الترمذي (٤ / ٤٥٤) ٣٣ - كتاب القدر ، ١٣ - باب ما جاء في القدرية .

ابن ماجه (١ / ٢٤) المقدمة ، ٩ - باب في الإيمان .

وقال الترمذي : غريب حسن صحيح . وضعفه والذي قبله بعض العلماء .

٤٣٩ - المعجم الكبير (١٢ / ٢٤٢) .

أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٢٢) وقال : إسناده حسن .

نَبَزٌ : النَّبَزُ اللَّقبُ .

٤٤٠ - المستدرك (٢ / ١٤٩) .وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه بهذه السياقة . وأخرج نحوه البخاري في الجهاد ٦ / ٣٠ .

(في حائط له) : أي في بستان .

(يحدّثنا حتّى علا ذكره في المسجد) : يظهر أنّ (في) ههنا بمعنى : (عن) لأنّ الحديث كان في البستان ، وكأنّ المراد أنّه حدّثها عن بناء المسجد النبوي وما كان يفعله عمّار وماذا قال له رسول الله ﷺ .

خاطئ لا يجعلُ أهلَهُ من الفرق الضالّة ، ومن ههنا نقول : إنه إذا وجد الاعتقاد الصحيح فقد وجد أهل السنّة والجماعة ،وإن حدث اجتهاد خاطئ ترتّب عليه عمل خاطئ بل حتّى لو وجدت معاصٍ لا تُكفِّرُ ولا تُضَلِّلُ .

سنرى في فقرة لاحقة من هم الخوارج وَأنّهم فرقة ضالة ، والملاحظ أنّ ابن عباس أرسل عكرمة وابنه للسؤال عن الخوارج فكان حديث أبي سعيد عن عمّار وقتله من قبل الفئة الباغية ، وقد قتلته فئة معاوية ، والبغاة هم الخارجون على الإمام الحقّ بغير الحقّ وهم نوعان : خارجون كأثر عن اعتقاد خاطئ ، وخارجون عن اجتهاد خاطئ ، فالأوّلون هم الخوارج والآخَرون بغاة ، وقد يكونون آثمين ،وقد يكونون مأجورين على حسب نوع اجتهادهم ومبررات خروجهم .

٤٤١ - * روى مسلم عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ ؛ قَالَ : كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِي . فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ أَو مُعْتَمِرَيْنِ فَقُلْنا : لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هؤُلاَءِ فِي الْقَدَرِ . فَوُفِّقَ لنا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلاً الْمَسْجِدَ . فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي . أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ

---

٤٤١ - مسلم (١ / ٣٦) - كتاب الإيمان ١ - باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ... إلخ .

قال النووي :

(أول من قال بالقدر) : معناه أول من قال بنفي القدر فابتدع وخالف الصواب الذي عليه أهل الحق . ويقال القدَر والقدْر ، لغتان مشهورتان .

واعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر . ومعناه أن الله تبارك وتعالى قدّر الأشياء في القدم ، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة . فهي تقع على حسب ما قدّرها سبحانه وتعالى .

(فوفق لنا) : معناه جعل وفقا لنا . وهو من الموافقة التي هي كالالتحام . يقال أتانا لتيفاق الهلال وميفاقه ، أي حين أهلّ ، لا قبله ولا بعده . وهي لفظة تدل على صدق الاجتماع والالتئام .

(فاكتنفته أنا وصاحبي) : يعني صرنا في ناحيتيه . وكنفا الطائر : جناحاه .

(ويتقفرون العلم) : ومعناه يطلبونه ويتتبعونه . وقيل معناه يجمعونه .

(وذكر من شأنهم) : هذا الكلام من كلام بعض الرواة الذين دون يحي بن يعمر . يعني وذكر ابن يعمر من حال هؤلاء ، ووصفهم بالفضيلة في العلم والاجتهاد في تحصيله والاعتناء به .

(وإن الأمر أنف) : أي مستأنف ،لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى . وإنما يعلمه بعد وقوعه . ا . هـ النووي .

وَالآخَرَ عَنْ شِمَالِهِ . فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلامَ إِلَيَّ . فقُلْتُ : أَبَا عَبْدِ الرَّحْمنِ ! إِنَّهُ قَد ظَهَرَ قِبَلَنا ناسٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ (وذَكَرَ مِنْ شأنهم) وأنهم يَزْعُمُونَ أَنْ لا قَدَرَ . وَأَنَّ الأَمْرَ أُنُفٌ . قَالَ : فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَني بَرِيءٌ مِنْهُمْ ، وأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي . وَالَّذي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ ! لَوْ أَنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهبًا فَأَنْفَقَهُ ، مَا قَبِلَ اللهُ مِنه حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ .

تعليق :

تطلق كلمة القدرية على نفاة القدر ، والقدرية قدريتان :

فالأولى : هي ما ذكرته هذه الرواية ، فهؤلاء ينفون القدر جملة وتفصيلاً ، والظاهر أنهم اندثروا بعد ملاحقة حكام المسلمين لأئمتهم .

وأما القدرية الثانية : فيطلقها أهل السنة والجماعة على المعتزلة القائلين بإثبات القوة المودعة ، والقائلين بأن الإنسان يخلق أفعال نفسه مما يلزم من قولهم أن ما يجرى في هذا العالم : أسبابًا ومسببات لا دخل مباشرة للإرادة الإلهية أو القدرة الإلهية فيها ، وذلك نوع نفي للقدر .

فالقدر هو الإيمان بأن كل شيء بعلم الله وإرادته وقدرته ، وأن ما حدث وما يحدث مسجل في اللوح المحفوظ .

وسنرى تفصيلات ذلك في الباب الثاني من هذا القسم .

* * *

الفقرة الثالثة

في أشهر الفرق التي نشأت في بيئات إسلامية وليست من أهل السنة والجماعة

لقد رأينا أنّ رسول الله ﷺ ذكر أنّ هناك ثنتين وسبعين فرقة من فرق الضلال ستظهر في أمته وهناك فرقة واحدة هي الفرقة الناجية وهي ما يطلق عليه اسم : أهل السنّة والجماعة .

وقد ظهر في تاريخ المسلمين فرق كثيرة لم يحكم عليها أهل السنّة والجماعة بالكفر ، وهناك فرق أجمع على كفرها أهل السنّة والجماعة ، وهناك أناس أصولهم إسلاميّة تابعوا مدّعي نبوّة كَذَبَةً وقد أخبر عليه الصلاة والسلام عن ظهور من سيدّعي النبوة في أمته ، وهناك ناس تابعوا مدّعي ألوهية فكل الفرق الكافرة هذه تدخل في الثنتين والسبعين فرقة ، أو أنّ المراد بالاثنتين والسبعين فرقة فرق لا زال لها من الإسلام نصيب على ضلال بقرب أو ببعد عن الحقّ ، وبعض الفرق الرئيسية التي أجمع أهل السنّة والجماعة على ضلالها افترقت على فرق كثيرة كالخوارج والمعتزلة ، فهل تعتبر كل شعبة من هذه الفرق فرقة برأسها ، أو أنّ الجميع يعتبرون فرقة واحدة . لهذه النقاط تجد كتّاب الفرق القدماء يوصلون الفرق التي ظهرت حتّى عصرهم إلى حوالي السبعين ، على أنّه قد ظهرت فرق أخرى بعد ذلك ، ولو أردنا تتبّع من ادّعى الألوهيّة أو ادّعى النبوة وأسماء أئمة الضلالة وبماذا ضلّوا لوجدنا الكثير ، ولطال بنا المقام ، ولخرج البحث عن الحدود التي يحتملها هذا الكتاب ، ومن أراد التتبع فالكتب المؤلفة قديمًا وحديثًا في هذا الشأن كثيرة ، وذكر بعض الأسماء من نافلة القول كمن ادعى النبوّة في الصدر الأوّل كسيلمة الكذاب وسَجَاح والأسودِ العَنْسي . وتعداد الفِرق التي توالدت عن أصل واحد محلّ الكتب المطوّلة ، وبعض الفرق قد اندثرت وبعضها لازال موجودًا ، ونحن ههنا ذاكرون ما يعتبر نموذجًا أو ما يمكن أن تتسلل أفكاره الضالّة من جديد أو ما يقتضيه تحصين المسلم من ضلال قديم أو جديد يأخذ طابعًا دينيًا ، أمّا ما يعطّل الأديان أصلا أو يلغيها كالشيوعيّة أو العلمانيّة فأمره معروف ولن نتعرض له .

ومن تتبع أصول الضلال أو الكفر وجدها إمّا في ادّعاء ألوهية أو نبوة ، أو في متابعة أهل الأديان الكافرة على تلق من نحلهم ، أو في غلو في آل بيت رسول الله ﷺ ، أو تأويل غير علم ، أو في تشبيه الله عز وجل بخلقه ، أو في غلو في اعتقاد أو عمل يبعد عن مذاهب أهل السنة والجماعة في الاعتقاد أو في الفقه أو في السلوك ، والذي يعرض للفرق مضطر أحيانًا لأن يعرضها من خلال أفكارها أو من خلال أسماء بعض أئمة الضلال ، وأحيانًا يتكرر العرض بمناسبة ذكر إمام ضلالة ، ثم بمناسبة عرضٍ لأفكار فرقةٍ أخذت بعضًا أو كلا منه ، نقول هذا اعتذارًا بين يدى ما سنعرضه عن أهم الفرق التي نشأت في بيئات إسلامية .

وهناك ملاحظة أننا قد نذكر بمناسبة تولّد فرقة ضلالة عن فرقة هدى إسم الفرقتين ، فليلاحظ ذلك ، كحديثنا عن زيد بن علي وأتباعه مع أنه مع أئمة الهدى ، فإنه قد تفرعت بعض الفرق الغالية عن شيعته .

والفرقة التي لازال لها وجود واسع من فرق الخوارج هي الإباضية ومؤسس مذهبهم عبد الله ابن إباض التميمي المتوفى عام ٨٠ هـ .

« ومن آرائهم أنهم لا يرون مخالفيهم من المسلمين مشركين وإنما كفار نعمة ، ويحرمون دماء مخالفيهم في السر [أي من خالفهم في السر يسكتون عنه] لا في العلانية ، ودارهم [دار مخالفيهم] دار توحيد إلا معسكر السلطان ، ولا يحل من غنائم مخالفيهم إلا الخيل والسلاح وكل ما فيه قوة في الحروب ، وتجوز شهادة المخالفين ومناكحتهم والتوارث معهم ، وما تزال هذه الفرقة قائمة في بلاد طرابلس الغرب ، وفي زنجبار وعُمَان . وعمدة كتبهم في الفقه : « شرح النيل وشفاء الغليل » للشيخ محمد بن يوسف بن أَطْفَيِّش ، في عشرة مجلدات ، المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٣ هـ . ومصادر فقههم : القرآن والسنة والإجماع والقياس ، إلا أن المراد بالإجماع عندهم هو إجماع طائفتهم ،ومن مخالفاتهم [لأهل السنة والجماعة] : إنكارهم حد الرجم للزاني المحصن وقولهم بجواز الوصية للوارث ، وقولهم بجواز الجمع بين المرأة وعمتها لعدم ذكره في القرآن ، وبأن المحرم من الرضاع هو الأم والأخت فقط . ويقولون بتخليد العصاة في النار : لأن الإيمان عندهم قول وعمل ، وهم الآن يرفضون تسميتهم بالخوارج » من كتاب الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي .

١ ـ فرق الخوارج

قال عبد القاهر البغدادي في كتابه : (الفَرْقُ بين الفِرَق) :

وأما الخوارج فإنها لما اختلفت صارت عشرين فِرقة ، وهذه أسماؤها : المُحكِّمة الأولى ، والأزارِقَة ، ثم النَّجَدات ، ثم الصُّفْرية ؛ ثم العَجَارِدة .

وقد افترقت العجاردة فيما بينها فرقا كثيرة ، منها الخازمية ، والشعبية ، والمعلومية ، والمجهولية ، والمعبدية ، والرشيدية ، والمكرمية ، والحمزية ، والإبراهيمية ، والواقفة .

وافترقت الإباضية منها فِرَقًا : حفصية ، وحارثية ، ويزيدية ، وأصحاب طاعة لا يُرَاد الله بها .

واليزيدية منهم : أتباعُ يزيد بن أبي أُنيسة ، ليست من فِرق الإسلام لقولها بأن شريعة الإسلام تُنْسَخُ في آخر الزمان بنبيٍّ يبعث من العجم .

وكذلك في جملة العَجَاردة فِرقة يقال لها « الميمونية » ليست من فرق الإسلام ، لأنها أباحت نكاح بنات البنات وبنات البنين كما أباحته المجوسُ ...

وقد اختلفوا فيما يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها ، فذكر الكعبي في مقالاته أنّ الذي يجمع الخوارج ـ على افتراق مذاهبها ـ إكفار عليٍّ ، وعثمان ، والحكمين ، وأصحاب الجمل ، وكل من رضي بتحكيم الحكمين ، والإكفارُ بارتكاب الذنوب ، ووجوبُ الخروج على الإمام الجائر .

وقال شيخنا أبو الحسن : الذي يجمعها إكفار عليٍّ ، وعثمان ، وأصحاب الجمل ، والحكمين ، ومن رضي بالتحكيم وصَوَّب الحكمين أو أحدهما ، والخروج على السلطان الجائر ، ولم يرضَ ما حكاه الكعبي من إجماعهم على تكفير مرتكبي الذنوب ، والصوابُ ما حكاهُ شيخنا أبو الحسن عنهم ، وقد أخطأ الكعبيُّ في دعواه إجماع الخوارج على تكفير مرتكبي الذنوب منهم . وذلك أن النَّجَدات من الخوارج لا يكفرون أصحاب الحدود من موافقيهم .

وقد قال قوم من الخوارج : إن التكفير إنما يكون بالذنوب التي ليس فيها وعيد

مخصوص ، فأما الذي فيه حدّ أو وعيد في القرآن فلا يُزَاد صاحبه على الاسم الذي ورد فيه ، مثل تسميته زانيًا ، وسارقًا ، ونحو ذلك .

وقد قالت النجدات : إن صاحب الكبيرة من موافقيهم كافرُ نعمةٍ ، وليس فيه -كُفْرُ دِينٍ .

وفي هذا بيان خطأ الكعبي في حكايته عن جميع الخوارج تكفيرَ أصحاب الذنوب كلهم منهم ومن غيرهم .

وإنما الصوابُ فيما يَجمع الخوارجَ كلها ما حكاه شيخُنا أبو الحسن رحمه الله من تكفيرهم عليا ، وعثمان ، وأصحاب الجمل ، والحكمين ، ومَنْ صوبها أو صَوَّب أحدهما ، أو رضي بالتحكيم . ا . هـ .

* * *

٢ ـ المعتزلة

قال عبد القاهر البغدادي :

وأما القدرية المعتزلة عن الحق فقد افترقت عشرين فرقة كلُّ فرقة منها تكفِّر سائرها ، وهذه أسماء فرقها : الواصلية ، والعَمْروية ، والهُذَلية ، والنَّظَّامية ، والمردارية ، والمعمرية ، والثُّمامية ،والجاحظية ، والخَابطية ، والحمارية ، والخياطية ، والشحامية ، وأصحاب صالح قبة ، والمَريسيَّة ، والكَعْبية ، والجُبَّائية ، والبَهْشَمِيَّة المنسوبة إلى أبي هاشم بن الجُبَّائي ، فهي ثنتان وعشرون فرقة ، ثنتان منها ليستا من فرق الإسلام ، وهما : الخابطية ، والحمارية ...

يجمعها كلها في بدعتها أمور ؛ منها : نفيُها كلها عن الله عز وجل صفاته الأزلية ، وقولُها بأنه ليس لله عز وجل علم ، ولا قدرة ، ولا حياة ، ولا سمع ، ولا بصر ، ولا صفة أزلية ، وزادوا على هذا بقولهم : إن الله تعالى لم يكن له في الأزل اسمٌ ولاصفة .

ومنها : قولُهم باستحالة رؤية الله عز وجل بالأبصار ، وزعموا أنه لا يَرَى نفسَه ، ولا يراه غيرُه ، واختلفوا فيه : هل هو رَاءٍ لغيره أم لا ؟ فأجازه قوم منهم، وأباه قوم آخرون منهم.

ومنها : اتفاقُهم على القول بحدوث كلام الله عز وجل ، وحدوث أمره ونهيه وخبره ، وكلهم يزعمون أن كلام الله عز وجل حادث ،وأكثرهم اليومَ يسمون كلامه مخلوقًا .

ومنها : قولهم جميعًا بأن الله تعالى غيرُ خالقٍ لأكْسَاب الناس ولا لشيء من أعمال الحيوانات ، وقد زعموا أن الناس هم الذين يقدرون على أكسابهم ، وأنه ليس لله عز وجل في أكسابهم ولا في أعمال سائر الحيوانات صُنْعٌ وتقدير ولأجل هذا القول سماهم المسلمون قدرية.

ومنها : اتفاقُهم على دعواهم في الفاسق من أمة الإسلام بالمنزلة بين المنزلتين ، وهي أنه فاسق ، لا مؤمن ولا كافر ، ولأجل هذا سماهم المسلمون « معتزلة » لاعتزالهم قولَ الأمة بأسرها.

ومنها : قولُهم إن كل ما لم يأمر الله تعالى به أو نهى عنه من أعمال العباد لم يشأ الله شيئًا منها . ا . هـ

* * *

٣ ـ المرجئة

قال عبد القاهر البغدادي :

وأما المُرْجِئة فثلاثة أصناف : صنف منهم قالوا بالإرْجَاء في الإيمان ، وبالقَدَر على مذاهب القدرية ، فهم معدودون في القدرية والمُرْجِئة ، كأبي شِمْرٍ المُرْجِئ ،ومحمد بن شبيب البصري ، والخالدي .

وصنف منهم قالوا بالإرجاء في الإيمان ، ومالوا إلى قول جَهْم في الأعمال والأكْسَاب ، فهم من جملة الجهمية والمرجئة .

وصنف منهم خالصة في الإرجاء من غير قَدَر ، وهم خمس فرق : يونسية ، وغسانية ، وثوبانية ، وتومنية ، ومريسية .

ـ وأما النجارية فإنها اليوم بالري [في عصر البغدادي] أكثر من عشر فرق ، ومرجِعُهَا في الأصل إلى ثلاث فرق : برغوثية ، وزعفرانية ، ومستدركة .

ـ وأما البكرية والضرارية فكل واحدة منهما فرقة واحدة ليس لها تبع كثير ، والجَهْمية أيضًا فرقة واحدة .

ـ والكرامية بخُرَاسان ثلاثُ فرق : حقائقية ، وطرائقية ، وإسحاقية ، لكن هذه الفرق الثلاث منها لا يُكَفِّر بعضُها بعضًا ، فعددناها كلها فرقة واحدة .

والمرجئة ثلاثة أصناف : صنف منهم قالوا بالإرجاء في الإيمان وبالقَدَر على مذاهب القدرية المعتزلة ، كغَيْلان ، وأبي شمر ، ومحمد بن شبيب البصري ، وهؤلاء داخلون في مضمون الخبر الوارد في لعن القدرية ، والمرجئة يستحقون اللعنة من وجهين ، وصنف منهم قالوا بالإرجاء بالإيمان ، وبالجبر في الأعمال ، على مذهب جهْم بن صَفوان ، فهم إذًا من جملة الجهمية ، والصنف الثالث منهم خارجون عن الجبرية والقدرية ،وهم فيما بينهم خمس فرق : اليونسية ، والغَسَّانية ، والثوبانية ، والتومنية ، والمريسية ، وإنما سموا مرجئة لأنهم أخَّروا العمل عن الإيمان ، والإرجاء بمعنى التأخير ، يقال : أرْجَيْتُه ، وأرْجَأته ، إذا أخرته . وروي

عن النبي ﷺ أنه قال : « لعنت المرجئة على لسان سَبْعِين نبيا » قيل : من المرجئة يارسول الله ؟ قال : « الذين يقولون الإيمان كلام » . يعني الذي زعموا أن الإيمان هو الإقرار وَحْدَه دون غيره ا.هـ.

أقول : هناك مرجئة أرجأت الحكم فيمن اقتتل من الصحابة فهذا إرجاء سني ، ولم يتعرض له الشيخ عبد القاهر رحمه الله لأنه لا يدخل في المذموم ، والمشهور عن المرجئة المذمومة أنهم يقولون إنه لا يضر مع الإيمان ترك العمل ولا فعل المعصية ، بل ذهب بعضهم إلى أن الإيمان قول فقط ولو لم يرافقه تصديق قلبي ، فهؤلاء والذين قبلهم كفروا بهذين المذهبين .

* * *

٤ ـ بعض الفرق الشاذة من الزيدية

وقد ذكر عبد القاهر البغدادي من فرقهم الغالية : الجارودية والسليمانية أو الجريريّة والبتريّة .

قال عبد القاهر : هؤلاء : البترية ، والسليمانية ، من الزيدية كلُّهم يكفرون الجارودية من الزيدية لإقرار الجارودية على تكفير أبي بكر وعمر ، والجارودية يكفرون السليمانية والبترية ؛ لتركهما تكفير أبي بكر وعمر .

وحكى شيخنا أبو الحسن الأشعرى في مقالته عن قوم من الزيدية يقال لهم اليعقوبية أتباع رجل اسمه يعقوب أنهم كانوا يتولون أبا بكر وعمر ، ولكنهم لا يتبرءون ممن تبرأ منهما .

إنما قيل لهذه الفرق الثلاث وأتباعها « زَيْدِية » لقولهم بإمامة زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب في وقته وإمامة ابنه يَحْيَى بن زيد بعد زيد . وكان زيدٌ بن علي قد بايعه على إمامته خمسَة عَشَر ألفَ رجلٍ من أهل الكوفة ، وخرج بهم على والي العراق وهو يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام بن عبد الملك على العراقين ، فلما استمر القتال بينه وبين يوسف بن عمر الثقفي قالوا له : إنا نَنْصُرُكَ على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر اللذين ظَلَمَا جدَّك عليَّ بن أبي طالب ، فقال زيد : إني لا أقول فيهما إلا خيرًا ، وما سمعت أبي يقول فيهما إلا خيرًا وإنما خرجْتُ على بني أمية الذين قتلوا جدّي الحسينَ ، وأغاروا على المدينة يوم الحَرَّةِ ، ثم رَمَوْا بيت الله بحجر المنجنيق والنار . ففارقوه عند ذلك حتى قال لهم « رفضتموني » ومن يومئذٍ سموا رافضة ، وثَبَتَ معه نضر بن خزيمة العنسي ، ومعاوية بن إسحاق بن يزيد بن حارثة في مقدار مائتي رجل ، وقاتلوا جند يوسف بن عمر الثقفي حتى قتلوا عن آخرهم ، وقتل زيد ، ثم نبش من قبره وصُلب ، ثم أحرق بعد ذلك .

وهرب ابنُه يحي بن زيد إلى خراسان ، وخرج بناحية الجوزجان على نصر بن سيار والي خراسان ، فبعث نصر بن سيار إليه سَلْمَ بن أحوز المازني في ثلاثةِ آلافِ رجلٍ ، فقتلوا يحي بن زيد ، ومشهدُه بجوزجان معروف .[١] هـ .

٥ ـ فرق الكيسانية

قال عبد القاهر :

هؤلاء أتباع المختار بن أبي عُبَيْد الثقفي الذي قام بثأر الحسين بن علي بن أبي طالب ، وقَتَل أكثرَ الذين قتلوا حسينا بكَرْبَلاء ، وكان المختار يقال له كَيْسَان . وقيل : إنه أخذ مقالته عن مولى لعلي رضي الله عنه كان اسمه كيسان وافترقت الكيسانية .

وافترقت الكيسانية فرقًا يجمعها شيئان :

أحدهما : قولُهم بإمامة محمد بن الحنفية وإليه كان يدعو المختارُ بن أبي عُبَيد .

والثاني : قولهم بجَوَاز البَدَاء على الله عز وجل ا . هـ .

أقول :

المراد بالبَدَاء على الله عز وجل :

أن الله عز وجل يبدو له الشيء فيكون ، وهذا ينقص العلم القديم ، وفيه تشبيه الله بخلقه ، إذ يظهر لهم الشيء بعد الشيء فيتبعون ما بدا لهم .

* * *

٦ ـ فرق النَّجّاريّة

قال عبد القاهر :

هؤلاء أتباع الحسين بن محمد النجار وقد وافقوا أصحابنَا في أصولٍ ووافقوا القدرية في أصولٍ ، وانفردوا بأصول لهم .

وأما الذي وافقوا فيه القَدَرية فنفيُ علم الله تعالى ، وقدرته ، وحياته ، وسائر صفاته الأزلية وإحالة رؤيته بالأبصار ، والقولُ بحدوث كلام الله تعالى .

وأكفرتهم القدرية فيما وافقوا فيه أصحابنا ، وأكفرهم أصحابنا فيما وافقوا فيه القدرية .

وزعم النجار أن الجسم أعراض مجتمعة ، وهي الأعراض التي لا ينفك الجسم عنها ، كاللون ، والطعم والرائحة ، وسائر ما لا يخلو الجسم منه ومن ضده ، فأما الذي يَخْلُو الجسم منه ومن ضده كالعلم والجهل ونحوهما فليس شيء منها بعضًا للجسم .

وزعم أيضًا أن كلام الله تعالى عَرَضٌ إذا قُرئ ، وجسم إذا كُتب ، وأنه لو كتب بالدم صار ذلك الدم المقطع تقطيع حروف الكلام كلامًا لله تعالى بعد أن لم يكن كلاما حين كان دما مَسْفُوحًا ؛ فهذه أصول النَّجّارية .

وافترقوا بعد هذا فيما بينهم في العبارة عن خَلْق القرآن وفي حكم أقوال مخالفيهم فرقًا كثيرة كلٌّ فرقةٍ منها تكفر سائرها ، والمشهورون منها ثلاث فرق ، وهي : البرغوثية ، والزعفرانية ، والمستدركة من الزعفرانية . ا . هـ .

* * *

٧ - فرق الكَرّامِيّة

قال عبد القاهر :

الكَرّامية بخرسان ثلاثة أصناف : حقائقية ، وطرائقية وإسحاقية .

وهذه الفرق الثلاث لا يكفر بعضُها بعضًا وإن أكْفَرَها سائر الفرق ؛ فلهذا عددناها فرقة واحدة .

وزعيمها المعروف محمد بن كَرّام كان مطرودًا من سجستان إلى غرجستان ، وضلالات أتباعه اليوم متنوعة أنواعًا لا نعدُّها أرباعًا ولا أسباعًا :

فمنها : أن ابن كَرّام دعا أتباعه إلى تجسيم معبوده

وزعم ابن كَرّام وأتباعه أن معبودهم محل للحوادث .

ومن جهالاتهم في باب النبوة والرسالة قولهم بأن النبوة والرسالة صفتان حالّتانِ في النبي والرسول ، سوى الوحي إليه ، وسوى معجزاته ، وسوى عصمته عن المعصية . وزعموا أن من فعل فيه تلك الصفة وجب على الله تعالى إرساله ، وفرقوا بين الرسُول والمرسَلِ بأن الرسول من قامت به تلك الصفة ، والمرسَل هو المأمور بأداء الرسالة .

ثم إنهم خاضوا في باب عصمة الأنبياء عليهم السلام ، فقالوا : كلُّ ذنبٍ أسقط العدالة أو أوجب حدًا فهم معصومون منه ، وغير معصومين مما دون ذلك .

ثم إن ابن كرّام أبدع في الفقه حماقاتٍ لم يُسْبَق إليها .

منها : قوله في صلاة المسافر : إنه يكفيه تكبيرتان ، من غير ركوع ولا سجود ولا قيام ولا قعود ولا تشهد ولا سلام ا . هـ .

* * *

٨ ـ الإمامية

قال عبد القاهر :

هؤلاء الإمامية المخالفة للزيدية والكَيْسانية والغُلاة : خمسَ عَشْرةَ فرقةً : الكاملية ، والمحمدية ، والباقرية ، والناووسية ، والشّمَيْطية ، والعمّارية ، والإسماعيلية ، والمباركية ، والموسوية ، والقَطْعية ، والاثنا عشرية ، والهشامية ، والزُّرَارية ، واليونسية ، والشيطانية.اهـ.

أقول : وقد غلب اسم الإمامية في النهاية على الاثنا عشرية ، وأكثر شيعة العالم في عصرنا منهم ، وهم يعتقدون أن الإمام الثاني عشر قد دخل في سرداب في سامراء وهم ينتظرون خروجه ليملأ العالم عدلاً وقسطًا بعد أن ملئ ظلمًا وجورًا ، ويسميهم عبد القاهر : القطعية .

يقول عنهم :

هؤلاء سَاقُوا الإمامة من جعفر الصادق إلى ابنه موسى ، وقطعوا بموت موسى ، وزعموا أن الإمامَ بعده سبط محمدِ بن الحسن الذي هو سبط علي بن موسى الرضا . ويقال لهم « الاثنا عَشْرِية » أيضًا ؛ لدعواهم أن الإمام المنتظر هو الثاني عشر من نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، واختلفوا في سن هذا الثاني عشر عند موته ، فمنهم من قال : كان ابنَ أربع سنين ، ومنهم من قال : كان ابنَ ثماني سنين ، واختلفوا في حكمه في ذلك الوقت ؛ فمنهم من زعم أنه في ذلك الوقت كان إمامًا عالمًا بجميع ما يجب أن يعلمه الإمامُ ، وكان مفروضَ الطاعة على الناس ، ومنهم من قال : كان في ذلك الوقت إمامًا على معنى أن الإمام لا يكون غيره ، وكانت الأحكام يومئذ إلى العلماء من أهل مذهبه إلى أوان بلوغه ، فلما بلغ تَحَقَّقَتْ إمامتُه ، وَوَجبت طاعته ، وهو الآن الإمامُ الواجبُ طاعتُه وإن كان غائبًا . ا . هـ .

ومن مبادئهم الرئيسية ما ذكره الشيخ حسن أيوب في : رسالة عن (رسل الله وكتبه واليوم الآخر) قال :

مبادئ الشيعة :

(١) إن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة ، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام ، ولا يجوز لنبي إغفالها : بل يجب عليه تعيين الإمام لهم ويكون معصومًا من الكبائر والصغائر .

(٢) عين رسول الله ﷺ عليًا للخلافة بنصوص ينقلونها ويؤولونها ، لا يعرفها نقلة الشريعة وأهل الحديث .

ومن هنا نشأت فكرة الوصية ولقب علي بالوصي ، فهو إمام بالنص لا بالانتخاب ، وقد أوصى علي لمن بعده وهكذا كل إمام وصي مَنْ قبله .

(٣) عليٌّ أفضل الخلق في الدنيا والآخرة بعد رسول الله ﷺ فمن عاداه أو حاربه فهو عدو الله إلا إن ثبتت توبته ومات على حبه . ا . هـ

ومن عقائدهم القول بعصمة الأئمة والتقية .

أقول :

وقد نبش المحدثون كتبهم المعتمدة لديهم فوجدوا فيها مكفرات كثيرة مما دعاهم إلى أن يقولوا : من علم هذه المكفرات واعتقدها منهم فهو كافر ، ومن كان على مذهبهم ولم يعلمها ولم يعتقدها وإنما ألحقه بهم حب آل البيت فأمره إلى الله .

* * *

٩ ـ فرق الباطنيّة

قال عبد القاهر :

اعلموا ـ أسعدكم الله ـ أن ضرر الباطنيـة على فِرَقِ المسلمين أعْظَمُ مِن ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم ، بل أعظم من مَضَرَّة الدهرية وسائر أصناف الكَفَرَةِ عليهم ، بل أعظم من ضرر الدَّجال الذي يظهر في آخر الزمان ؛ لأن الذين ضَلوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا أكْثَرُ من الذين يضلون بالدجال في وقت ظهوره ؛ لأن فتنة الدجال لا تزيد مدتها على أربعين يومًا ، وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقَطْرِ . ا . هـ .

والأصل الأصيل عند جميع فرق الباطنيّة قولهم إنّ للقرآن باطنًا يخالف الظاهر وينقضه ، ومن أشهر فرقهم التي لازال لها في عصرنا وجود :

١ ـ النصيرية .

٢ ـ الإسماعيليّة .

٣ ـ الدروز .

من عقائد النصيرية :

ذكر الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه (مذاهب الإسلاميين) عقائد النصيرية ، وهي :

١ ـ علي بن أبي طالب إله ، أو حلت فيه الألوهية ، وهو يسكن السحاب ، والرعد صوته والبرق ضحكه ، وهم لهذا يعظمون السحاب ، وهو أساس الدور السابع ، ويوصف بأنه « المعنى » غير أننا نعرف أن النصيرية ينقسمون إلى قسمين : الشمالية ، وهم الذين يسكنون السواحل في لواء اللاذقية . والكلازية ، وهم الذين يسكنون الجبال . والشمالية يقولون إن عليا حَالٌ في القمر . والكلازية يذهبون إلى أنه حَالٌ في الشمس .

٢ ـ سلمان الفارسي هو رسول علي . وكلمة السر عندهم ثلاثة أحرف وهي : ع (=

علي) . م (= محمد) . س (= سلمان الفارسي) .

٣ ـ وهم يخفون مقالتهم ، ومن أذاعها فقد أخطأ عندهم . ويرون أنهم على الحق . وأن مقالتهم مقالة أهل التحقيق . ومن أنكر ذلك فقد أخطأ .

٤ ـ « ولهم (اعتقاد) في تعظيم الخمر . ويرون أنها من النور ولزمهم من ذلك أن عظموا شجرة العنب التي هي أصل الخمر حتى استعظموا قلعها »*.

٥ ـ ويحبون ابن ملجم . قاتل علي رضي الله عنه . ويقولون إنه خلص اللّاهوت من الناسوت ويخطئون من يلعنه .

٦ ـ وقَسَمُهُمْ يُبينُ عن معتقداتهم : وقد أورد نصه ابن فضل الله العمري في « التعريف بالمصطلح الشريف » ونقله عنه القلقشندي في « صبح الأعشى » (جـ ١٣ ص ٢٥٠ ـ ٢٥١) وهذا نصه : « إنّني وحق العلي الأعلى ، وما أعتقده في المظهر الأسنى . وحق النور وما نشأ منه . والسحاب وساكنه وإلا بَرِئتُ من مولاى « علي » العلي العظيم . وولائي له . ومظاهر الحق . وكشفت حجاب سلمان بغير إذن ، وبَرِئتُ من دعوة الحجة « نُصَير » وخضت مع الخائضين في لعنة ابن ملجم ، وكفرت بالخطاب ، وأذعت السر المصون ، وأنكرت دعوى أهل التحقيق . وإلا قلعت أصل شجرة العنب من الأرض بيدي حتى أجتث أصولها وأمنع سبيلها . وكنت مع قابيل على هابيل ،ومع النمرود على إبراهيم . وهكذا مع كل فرعون قام على صاحبه . ألى أن ألقى العلي العظيم وهو عَليٌّ ساخط وأبرأ من قول قنبر وأقول إنه بالنار ما تطهر » .

وهذا القسم إذا حللناه وجدنا :

ا ـ أن عليًّ بن أبي طالب يلقب بلقب « العلي العظيم . وهما من أسماء الله . وإن كان لا يتحدث عن « عبادة » بل عن « ولاء » لعلي . وعلى هذا تكون العلاقة هي علاقة المولى بمن يتولاه . أو بالعبد .

ب ـ أن سلمان الفارسي هو صاحب الحجاب . أي الباب الذي يفضي إلى العلم والحكمة وأسرار الباطن وباطن الأسرار .

جـ - أن الخطاب هو الديانة والدعوة والبلاغ .

د - أن مبادئ النصيرية سر مصون لا يجوز إذاعته .

هـ - أن شجرة العنب مقدسة عندهم بحيث لا يجوز اقتلاعها . لأن من ثمرها تصنع الخمر وهم يعظمون الخمر كما رأينا .

و - وقوله : أبرأ من قول « قنبر » يشير إلى ما قاله علي بن أبي طالب :

لما رأيت الأمر أمرًا منكرًا   أججت ناري ودعوت قنبرًا

أ . هـ .

ومن كلام ابن تيمية في وصف مذهبهم :

فمن حقيقة الخطاب عندهم والدين : أن يعلم أن عليًا هو الرب ، ومحمد هو الحجاب . وسلمان هو الباب - وذلك على الترتيب . لم يَزَلْ ولا يزال . ومن شعر بعض ضلالهم - وكلهم ضلال - المشهور عنه قوله الملعون :

أشهد أن لا إله إلا   علي الأنزع البطين

ولا حجاب عليه إلا   محمد الصادق الأمين

ولا طريق إليه إلا   سلمان ذو القوة المتين

أ . هـ .

من عقائد الدروز :

١ - قولهم : بألوهيّة الحاكم بأمر الله الفاطمي .

٢ - قولهم : بالتناسخ والتقمص والحلول ، وهذه العقيدة تسلّلت إلى بعض الفرق الباطنيّة عن الديانة البرهميّة .

من عقائد الإسماعيليّة :

والإسماعيليّون على أنواع ، ومن أشدّ فرقهم غلوّا الفرقة القائلة بألوهيّة الإنسان وبالتناسخ .

وقد عقد الدكتور محمد أحمد الخطيب مقارنة بين عقائد الدروز النصيريّة والإسماعيليّة في كتابه الحركات الباطنيّة في العالم الإسلامي ذكر فيها :

« من خلال الاستعراض السابق الذي استكملنا فيه دراسة عقائد وأفكار الحركات الباطنية المتواجدة في العالم الإسلامي ، يمكننا أن نرى كثيرًا من أوجه الشبه أو الاختلافات بين عقائد هذه الحركات .

إلا أنه في الوقت نفسه ، يجب أن لا يغيب عن أذهاننا أن الحركة الإسماعيلية كانت المغذي الرئيسي لكثير من هذه الحركات ، ولن نتعدى الصواب إذا قلنا : إن الأفكار الرئيسية الموجودة في عقائد الإسماعيلية ، لا تختلف إلا في بعض التفاصيل عن عقائد الفرق الأخرى .

فكافة هذه الفرق اتخذت من الفلسفات الوثنية من إغريقية وإسكندرانية أداة لها في إثبات صحة مزاعمها ، وبالتالي في تشكيك الناس بدينهم وعقيدتهم .

وينبغي أن نلاحظ أن أتباع كل فرقة من هذه الفرق يعتبرون أنفسهم هم (الموحدون) ، أما غيرهم ـ على حسب زعمهم ـ فالمسافة شاسعة بينهم وبين التوحيد ، لذلك فالدروز يطلقون على مذهبهم (مسلك التوحيد) باعتبار أنهم وحدهم سلكوا هذا المسلك ؟ !

ومن الأمثلة الواضحة على أن الإسماعيلية كانت الرائدة في فلسفة كافة الفرق ، نظرية الفيض الأفلاطونية ، فقد كانت الإسماعيلية أول من حاول فرض هذه النظرية على العقائد الإسلامية ، لذا أصبحت علما في هذا الاتجاه .

وإذا تتبعنا أوجه الاتفاق بين الفرق الباطنية ، فإننا نرى أن نظرتهم للألوهية والتوحيد متشابهة رغم بعض الاختلافات في الأسماء والمسميات ، وذلك لانبثاقها عن نظرية الفيض ، فالإسماعيلية ـ حسب زعمها ـ ترى أن الخالق الحقيقي للكون هما (العقل الكلي والنفس الكلية) ، وأنها من جملة الحدود في العالم العلوي ، وهذان الحدان يقابلها ـ على حسب قاعدة المثل والممثول ـ في العالم السفلي حد النبي وحد الإمام أو الوصي ، لذا فإن كل

الألقاب التي تطلق على الله تطلق أيضًا على الوصي والإمام بصفتهما مُمَثِّلَي العقل الكلي . وهذه القاعدة تقول بها جميع الفرق الإسماعيلية الأخرى على اختلاف أسمائها .

ولكن الدروز رغم انشقاقهم عن الإسماعيلية ، وأخذهم الكثير من عقائدها ، إلا أنهم رفضوا نظرية المثل والممثول التي تقول بها الإسماعيلية ، وقرروا أن الحدود العلوية الموجودة في العالم العلوي هي ذاتها الموجودة في العالم السفلي ولا اختلاف بينها . وبما أن الدروز انشقوا عن الإسماعيلية لإظهارهم ـ الزعم ـ بألوهية الإمام الإسماعيلي (وهي العقيدة التي حاولت الإسماعيلية إخفاءها خوفًا وتقية) ، فقد أعلنوا جوهر هذه العقيدة وهي : أن الله يتخذ على مر العصور والأزمان حجابًا أو صورة ناسوتية يتجلى فيها لخلقه ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرًا ـ ، وأن الحجاب الأخير الذي ظهر فيه كان بصورة الحاكم بأمر الله العبيدي ،وبذلك أظهروا عقيدة كانت الإسماعيلية تخفيها ولا تعلنها .

وفي الوقت نفسه أخذوا عن الإسماعيلية نظرية العقول السبعة وطبقوها على ظهورات الله بالصورة الناسوتية ، وزعموا أن عدد هذه الظهورات كانت سبعًا ، آخرها الحاكم .

أما النصيرية ، فتعتبر أن الذات الإلهية متشخصة بالمعنى وهو (علي بن أبي طالب) ـ تعالى الله عن ذلك ـ ، ولكنها في الوقت نفسه لم تتجاهل نظرية الفيض التي قالت بها الإسماعيلية والدروز ، فزعمت أن العقل الكلي هو (الميم) أي محمد ﷺ ، وأن النفس الكلية هي (السين) أي سلمان الفارسي ، وهو حسب زعمهم الذي خلق السموات والأرض والأيتام الخمسة كذلك .

وجميع الصفات الإلهية التي وصف الله بها نفسه في القرآن الكريم لا تعترف بها كافة الفرق الباطنية ، فهم ينفون نفيًا مطلقًا هذه الصفات ، إيجابية كانت أم سلبية ، لأنه تعالى ـ على حسب زعمهم ـ فوق متناول العقل ، والعقل عاجز عن إدراك كنهه ، فإثبات هذه الصفات ـ حسب زعمهم ـ يعني عدم التوحيد . ولذلك فهم يزعمون أن هذه الصفات تليق فقط بحدوده وخاصة العقل والنفس ، باعتبارهما من فيضه ومبدعاته .

وثمة وجه آخر من أوجه الشبه بين هذه الفرق ، وهي عقيدة التناسخ ، ورغم أن

الإسماعيلية لا تجاهر أو تصارح بالقول بها ، إلا أن المتتبع لآراء الإسماعيلية يجزم أنها تؤمن بها شأنها شأن الفرق الأخرى ، ولكن هناك بعض الاختلافات بين هذه الفرق ، فالإسماعيلية والنصيرية تؤمنان بوجود عالم روحاني تسكنه الملائكة ، وعالم سفلي هو عالم الكون والفساد . وهم إضافة إلى ذلك يعتقدون بأن الأجساد مصدر الشقاء والآلام ، وأن المؤمن حين موته تذهب نفسه إلى العالم العلوي ، وأما الكافر فيتقلب في الأجساد البشرية وغير البشرية عقابًا له على ما قدم ، وعلى هذا فالإسماعيلية والنصيرية تؤمنان بالمسخ ، أي أن تأتي نفس الكافر عقابًا لها ـ على حسب زعمهم ـ بقمصان رديئة كالحيونات ، أو أن تأتي بصورة جامدة من معدن أو حجر فتذوق بذلك عذاب جهنم ؟ !

وهذا الاعتقاد بالنسخ والمسخ ، يخالف اعتقاد الدروز ، الذين ينحصر التناسخ عندهم في الصور البشرية فقط ، ولا يكون في البهائم أو الجمادات ، ولذلك فقد عبروا عن التناسخ بكلمة التقمص ، لأن في انتقال النفس إلى جسم حيوان ظلم لها ، فالثواب والعقاب بني ـ حسب زعمهم ـ على قاعدة العدل الإلهي في محاسبة الأرواح بعد مرورها في القمصان البشرية .

وهناك عقيدة أخرى لا يختلفون فيها أبدًا ، وهي عقيدة التَّقِيَّة ، فالتستر والكتمان عند جميع هذه الفرق فرض لا يجوز التهاون فيه ، لأن البوح بأسرار اعتقاداتها إلى غير أهلها تدنيس لها ، لذا فقد طالبت الإسماعيلية والدرزية والنصيرية أتباعها بالاستتار وعدم التظاهر بما يبطنون ، وهكذا فقد أصبحت هذه العقيدة عادة مستحكمة عند جميع أتباع هذه الفرق ، لأنها تعني التظاهر بشيء والإيمان بشيء آخر ، وبالتالي فقد جعلت هذه العقيدة من أتباعها بؤرة للنفاق والخداع يتصفون به جميعهم ، وهذا واضح في تاريخهم .

ويمكن أن يضاف إلى عقيدة التقية أمر آخر مرتبط بها ، وهو أن جميع هذه الحركات تطلب من المستجيبين لها عهودًا وأيمانًا غليظة يجب أن يؤديها حتى يوثق به ، ومع ذلك فإنهم لا يسلمونه كل الأسرار دفعة واحدة ، بل على التدريج وكما هو واضح عند الدروز والنصيرية .

وهناك أيضًا عقائد متشابهة بين الدروز والنصيرية أهمها :

« قضية العاقل والجاهل ، فالعقال يسترون دينهم عن الجهال منهم ، وإذا أراد أحد الجهال أن يدخل في أمور دينهم ، فلا يسلمون الديانة له إلا بالتدريج بعد أن يتتلمذ على أحد مشايخ دينهم ويتخذه والدا دينيا ، ويتفقون معهم أيضًا بقدمية العالم ، وأن العالم قد خلق على ما هو عليه الآن ، وأن عدد البشر كان كما هو الآن لا يزيد ولا ينقص » . وهم يتفقون كذلك بالإضافة إلى الإسماعيلية في تأويل آيات القرآن حسب معتقداتهم ، وأن له ظاهرًا وباطنًا حتى يثبتوا صحة معتقداتهم المناقضة للقرآن الكريم .

ونستنتج مما سبق ، أن نقطة الخلاف والالتقاء الرئيسية بين الإسماعيلية والدروز والنصيرية هي عقيدة الألوهية ، فجميعهم يقرون بإمكانية تجسد الألوهية في صورة إنسان ، ولكن الإسماعيلية تراها في الأئمة الإسماعيليين جميعًا ، بينما الدروز والنصيرية جعلتا لتجسد الألوهية ظهورًا أخيرًا ، فكان عند الدروز بشخص الحاكم ، وعند النصيرية بشخص علي بن أبي طالب ـ تعالى الله عن ذلك ـ أما بقية العقائد فقد يلتقون في شيء منها ، ويختلفون في شيء آخر ، ولكنهم متفقون في جوهرها . ا . هـ .

أقول :

إن من درس واقع الفرق الثلاث في عصرنا يجد زيادات كثيرة على ما ذكر فيما مضى ، فالألوهية عند النصيرية والإسماعيلية لا تزال تتجسد برجال ، ولا يزال يظهر عند النصيرية أنبياء ، والمرأة عند النصيرية لا دين لها ، وقد أسقط أئمة الإسماعيلية في هذا القرن تكاليف الاستتار عن المرأة ، وحاول بعض فلاسفة الدروز المحدثون أن يدخلوا الجديد على العقيدة الدرزية ، والملاحظ أن أبناء هذه الفرق هم أشد الناس غلوًا في فصل الدين عن الدولة ، وكثيرون من رجالهم يقومون بأدوار سياسية خطرة على الإسلام والمسلمين .

* * *

١٠ - في بعض فرق المشبهة

قال عبد القاهر في كتابه الفَرق بين الفِرق :

[اعلموا - أسعدكم الله - أن المُشَبِّهة صنفان : صنف شبهوا ذات الباري بذات غيره ، وصنف أخرون شبهوا صفاته بصفات غيره ، وكل صنف من هذين الصنفين مفترقون على أصناف شتى] .

والمشبهة الذين ضلوا في تشبيه ذاته بغيره أصناف مختلفة . وأوّلُ ظهور التشبيه صادر عن أصناف من الروافض الغُلاة .

فمنهم : السَّبَئِية الذين سموا عليا إلهًا ، وشَبَّهوه بذات الإله . ولما أحْرَق قومًا منهم قالوا له : الآن علمنا أنك إله ؛ لأن النار لا يعذب بها إلا الله .

ومنهم : البيانية أتباع بَيَان بن سمعان الذي زعم أن معبوده إنسان من نور على صورة الإنسان في أعضائه ، وأنه يفنى كله إلا وجهه .

ومنهم : المُغِيرية : أتباع المغيرة بن سعيد العِجْلي الذي زعم أن معبوده ذو أعضاء ، وأن أعضاءه على صور حروف الهجاء .

ومنهم المنصورية : أتباع أبي منصور العجلي الذي شبه نفسه بربه ، وزعم أنه صعد إلى السماء ، وزعم أيضًا أن الله مسح يده على رأسه ، وقال له : يا بُنَيَّ بلغ عني .

ومنهم : الخطابية الذي قالوا بإلهية الأئمة وبإلهية أبي الخطاب الأسدي .

ومنهم : الذين قالوا بإلهية عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر .

ومنهم : الحُلولية الذين قالوا بحلول الله في أشخاص الأئمة وعبدوا الأئمة لأجل ذلك .

ومنهم : الحلولية الحلمانية المنسوبة إلى أبي حلمان الدمشقي الذي زعم أن الإله يحل في كل صورة حسنة ، وكان يسجد لكل صورة حسنة .

ومنهم : المقنعية المبيضة بما وراء نهر جَيْحُون في دعواهم أن المُقَنَّع كان إلهًا ، وأنه مصور

في كل زمان بصورة مخصوصة .

ومنهم : العذافرة الذين قالوا بإلهيَّة ابن أبي العذافر المقتول ببغداد .

وهؤلاء الذين ذكرناهم في هذا الفصل كلهم خارجون عن دين الإسلام وإن انتسبوا في الظاهر إليه .

وبعد هذا فرق من المشبهة عَدَّهم المتكلمون في فرق الملة لإقرارهم بلزوم أحكام القرآن ، وإقرارهم بوجوب أركان شريعة الإسلام من الصلاة والزكاة والصيام والحج عليهم ، وإقرارهم بتحريم المحرمات عليهم ، وإن ضلوا وكفروا في بعض الأصول العقلية .

ومن هذا الصنف هشامية منتسبة إلى هشام بن الحكم الرافضي الذي شَبَّه معبوده بالإنسان ، وزعم لأجل ذلك أنه سبعة أشبار بشبر نفسه ، وأنه جسم ذو حد ونهاية ، وأنه طويل ، عريض ، عميق ، وذو لَوْنٍ ، وطعم ، ورائحة ، وقد روي عنه أن معبوده كسبيكة الفضة ، وكاللؤلؤة المستديرة ، وروي عنه أنه أشار إلى أن جبل أبي قُبَيْس أَعْظَمُ منه ، وروي عنه أنه زعم أن الشعاع من معبوده متصل بما يراه ، ومقالته في هذا التشبيه على التفصيل الذي ذكرناه في تفصيل أقوال الإمامية قبل هذا .

ومنهم : الهشامية المنسوبة إلى هشام بن سالم الجواليقي الذي زعم أن معبوده على صورة الإنسان ، وأن نصفه الأعلى مُجوَّف ونصفه الأسفل مُصْمَت ، وأن له شعرة سوداء وقلبًا تنبع منه الحكمة .

ومنهم : اليونسية المنسوبة إلى يُونس بن عبد الرحمن القُمِّي الذي زعم أن الله تعالى يحمله حَمَلَةُ عرشه ، وإن كان هو أقوى منهم ، كما أن الكركي تحمله رجلاه ، وهو أقوى من رجليه .

ومنهم : المشبهة المنسوبة إلى داود الجواربي الذي وصف معبوده بأن له جميع أعضاء الإنسان إلا الفرج واللحية .

ومنهم : الإبراهيمية المنسوبة إلى إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي وكان من جملة رواة الأخبار

غير أنه ضل في التشبيه ونسب إلى الكذب في كثير من رواياته .

ومنهم : الخابطية من القَدَرية ، وهم منسوبون إلى أحمد بن خابط وكان من المعتزلة المنتسبة إلى النَّظَّام ، ثم إنه شبه عيسى بن مريم بربه ، وزعم أنه الإله الثاني ، وأنه هو الذي يحاسب الخلق في القيامة .

ومنهم : الكرامية في دعواها أن الله تعالى جسم له حد ونهاية وأنه محل الحوادث ، وأنه مماسٌّ لعرشه ، وقد بينا تفصيل مقالاتهم قبل هذا بما فيه كفاية . فهؤلاء مشبهة لله تعالى بخلقه في ذاته .

ـ فأما المشبهة لصفاته بصفات المخلوقين فأصناف :

منهم : الذين شبهوا إرادة الله تعالى بإرادة خَلْقه ، وهذا قولُ المعتزلة البصرية الذين زعموا أن الله عز وجل يريد مُرَاده بإرادة حادثة ، وزعموا أن إرادته من جنس إرادتنا ، ثم ناقضوا هذه الدعوى بأن قالوا : يجوز حدوث إرادة الله عز وجل لا في محل ، ولا يصح حدوث إرادتنا إلا في محل ، وهذا ينقض قولهم : إن إرادته من جنس إرادتنا ؛ لأن الشيئين إذا كانا متماثلين ومن جنس واحد جاز على كل واحد منهما ما يجوز على الآخر ، واستحال من كل واحد منهما ما يستحيل على الآخر .

وزادت الكرامية على المعتزلة البصرية في تشبيه إرادة الله تعالى بإرادات عباده ، وزعموا أن إرادته من جنس إرادتنا ، وأنها حادثة فيه كما تحدث إرادتنا فينا ، وزعموا ـ لأجل ذلك ـ أن الله تعالى محل للحوادث ، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا .

ومنهم : الذين شبهوا كلام الله عز وجل بكلام خلقه ، فزعموا أن كلام الله تعالى أصوات وحروف من جنس الأصوات والحروف المنسوبة إلى العباد ، وقالوا بحدوث كلامه ، وأحال جمهورهم ـ سوى الجُبَّائي ـ بقاء كلام الله تعالى ، وقال النظام منهم : ليس في نَظْم كلام الله سبحانه إعجاز ، كما ليس في نظم كلام العباد إعجاز ، وزعم أكثر المعتزلة أن الزنج ، والترك ، والخزر قادرون على الإتيان بمثل نَظْم القرآن وبما هو أفصح منه ، وإنما عدموا العلم بتأليف نظمه ، وذلك العلم مما يصح أن يكون مقدورًا لهم .

وشاركت الكرامية المعتزلة في دعواها حدوث قول الله عز وجل . مع فَرْقِها بين القول والكلام في دعواها أن قول الله سبحانه من جنس أصوات العباد وحروفهم ، وأن كلامه قدرته على إحداث القول . وزادت على المعتزلة قولها بحدوث قول الله عز وجل في ذاته ، بناء على أصلهم في جواز كون الإله محلا للحوادث .

ومنهم : الزُّرَارية أتباع زُرَارة بن أعين الرافضي في دعواها حدوث جميع صفات الله عز وجل ،وأنها من جنس صفاتنا ، وزعموا أن الله تعالى لم يكن في الأزل حيًا ، ولا عالمًا ، ولا قادرًا ، ولا مريدًا ، ولا سميعًا ، ولا بصيرًا ، وإنما استحق هذه الأوصاف حين أحدث لنفسه حياة ، وقدرة ، وعلمًا ، وإرادة ، وسمعًا ، وبصرًا ، كما أن الواحد منا يصير حيًا ، قادرًا ، سميعًا ، بصيرًا ، مريدًا عند حدوث الحياة ، والقدرة ، والإرادة ، والعلم ، والسمع ، والبصر فيه .

ومنهم : الذين قالوا من الروافض بأن الله تعالى لا يعلم الشيء حتى يكون ، فأوجبوا حدوث علمه كما يجب حدوث علم العالم منا . ا . هـ .

* * *

١١ - في الجهميّة وهم من الجبرية

قال عبد القاهر عنهم :

أتبـاع جَهْم بن صَفْـوَان ، الـذي قـال بـالإجبـار والاضطرار إلى الأعمـال ، وأنكر الاستطاعات كلها ، وزعم أن الجنة والنار تَبِيدَانِ وتَفْنَيَانِ . وزعم أيضًا أن الإيمان هو المعرفة بالله تعـالى فقـط ، وأن الكفر هو الجهل بـه فقـط ، وقـال : لا فِعْلَ ولا عمل لأحـدٍ غير الله تعـالى ، وإنمـا تنسب الأعمـال إلى المخلـوقين على المجـاز ، كما يقـال : زالت الشَّمْسُ ، ودارتِ الرَّحَى ، من غير أن يكونا فاعلين أو مستطيعين لما وصفتا به . وزعم أيضًا أن علم الله تعـالى حادث ، وامتنع من وصف الله تعالى بأنـه شيء أو حَيٌّ أو عالم أو مريـد ، وقـال : لا أصِفـه بوصفٍ يجوز إطلاقـه على غيره كشيء ، وموجود ، وحي ، وعـالم ، ومريـد ، ونحـو ذلـك . ووصفه بأنه قادر ، ومُوجِد ، وفاعل ، وخالق ، ومحيي ، ومميت ، لأن هذه الأوصاف مختصة به وحده ، وقال بحدوث كلام الله تعالى كما قالته القدرية ، ولم يسمِّ الله تعالى متكلمًا به .

وأكفره أصحابنا في جميع ضلاته ، وأكفرته القدرية في قوله بأن الله تعـالى خـالق أعمـال العباد ، فاتفق أصناف الأمة على تكفيره .

وكان جَهْم - مع ضلالاته التي ذكرنـاهـا - يحمل السـلاح ويقـاتلُ السلطـان ، وخرج مع سريج بن الحارث على نصر بن سيار ، وقتله سلم بن أحوز المـازني في آخر زمـان بني مروان ا . هـ .

* * *

١٢ ـ الحلوليّون والإباحيّون

الحلوليّون هم الذين يقولون بحلول ذات الله عز وجل في الإنسان ـ تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا ـ والإباحيّون هم الذين يقولون بأنّه لا تكليف على الإنسان فكل شيء مباحٌ له ، ومنهم من يقول : إنّ الإنسان يصل إلى حالة يسقط عنه التكليف وتباح له المحرّمات .

قال عبد القاهر عن الحلوليّة :

الحلولية في الجملة عَشْرُ فرقٍ كلُّها كانت في دولة الإسلام ، وغرض جميعها القصد إلى إفساد القول بتوحيد الصانع . وتفصيلُ فرقها في الأكثر يرجع إلى غلاة الروافض . ا . هـ .

وقال عن الإباحيين :

فهؤلاء صنفان : صنف منهم كانوا قبل دولة الإسلام كالمَزْدَكية الذين استباحوا المحرمات ، وزعموا أن الناس شُرَكاءَ في الأموال والنساء ، ودامت فتنة هؤلاء إلى أن قتلهم أنو شروان في زمانه .

والصنف الثاني : الخرمدينية ، ظهروا في دولة الإسلام ، وهم فريقان بَابَكيَّة ، ومازِيَّاريّة ، وكلتاهما معروفة بالمُحَمِّرة . ا . هـ .

أقول : وبعض غلاة الصوفيّة يقولون بسقوط التكليف إذا وصل الإنسان إلى الله ،وقد ظهروا في عصر الجنيد وقال عنهم : (وصلوا إلى سقر) ولا زالت لهم بقايا حتّى اليوم ، وما أعظم فريتهم ، فهذا رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا أعظم العارفين بالله وبقوا محافظين على القيام بحقّ الله ، قال تعالى : ﴿ واعبد ربّك حتّى يأتيك اليقين ﴾[1] واليقين هنا : الموت.

* * *

(١) الحجر : ٩٩ .

١٣ ـ القائلون بوحدة الوجود

بمعنى أن الكون جزء من الذات الإلهية ، وهذا كفر صريح ، وقال تعالى ﴿ **وجعلوا له من عباده جزءًا إن الإنسان لكفور مبين** ﴾ (١) وقد كان بعض شيوخنا يفرق بين هؤلاء وبين آخرين يذكرون كلمة وحدة الوجود ويريدون بها أن هذا الكون قائم بأمر الله غير مستغن عنه ، فهؤلاء لا يدخلون في الأولين .

أقول : إن على علماء المسلمين أن يصفوا العقائد وأن ينقوها وأن يبتعدوا بأنفسهم عن كل ملتبسٍ ، وأن يقدموا العقائد للناس واضحة جليةً ، وذلك أدب الإسلام في كل شيء ، فقد نهينا عن التعمق والتفيهق وقد كان شيخنا الحامد رحمه الله لا يترك عبارة أو بيت شعر يمكن أن تلتبس على العامة إلا وعدلها وأصلحها أو فسرها التفسير الصحيح ، والمغرمون بالمعميات والألغاز لا يصلحون لإمامة الناس إذا أصبح هذا دأبهم وعادتهم ، فالناس يحتاجون إلى البيان الواضح الجلي قال تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم** ﴾ (٢) .

* * *

---

(١) الزخرف :١٥ .

(٢) النحل : ٤٤ .

١٤ ـ البابية

ظهرت في القرن الثالث عشر الهجري ، وهي في الحقيقة دين كفري لا صلة له بالإسلام .

وقد تحدث عنها فريد وجدي في دائرة معارفه . فقال :

« البابية » هي الديانة التي أسسها الباب ، والباب هو الميرزا علي محمد الشيرازي المولود حوالي سنة ١٨٢٤ مؤسس الفرقة المعروفة في بلاد الفرس وغيرها ، بدأ يدعو لمذهبه سنة ١٨٤٣ وهو ابن تسع عشرة سنة متلقبًا بالسيد إشارة إلى أنه من الأسرة النبوية الكريمة .

قال المسيو « جوبينو » في كتابه المسمى (الديانات والفلاسفة في آسيا الوسطى) المطبوع بباريس سنة ١٨٦٦ ما يأتي :

« كان الميرزا علي محمد مقصورًا على حاله ، مشتغلاً بالعبادة بسيطًا للغاية في أخلاقه ، حلو الشمائل جذابًا ، وكان بحداثة سنة ووسامة وجهه مكسبًا هذه المواهب رونقًا فيه . ولقد كان يؤكد الذين عرفوه أنه لم يحرك شفته حتى يحرك أقصى جهة من فؤاده وكان إذا تكلم عن النبيّ والأئمة تكلم باحترام عظيم يسر أشد المتعلقين بالأمور القديمة ، في حين أنه في محاضراته الخاصة كان يبهج العقول الحادة القلقة إذ لم تصادف فيه أقل خشونة في بث آرائه ، فكانت أحاديثه تفتح لهم كل هذه الآفاق المتنوعة السرية التي لا نهاية لها المبعثرة هنا وهناك تطير بها التصورات ثملا في تلك البلاد » .

قصد الميرزا علي محمد الحج ثم زار مسجد الكوفة وبدا له بعد ذلك تأسيس دين جديد يخلف الإسلام في بلاده ، وهناك وضع كتابين أحدهما في تفسير سورة يوسف والآخر في وصف رحلته . فذهب في تفسيره مذهبًا جديدًا في النظر واستنتج من آيات تلك السورة أصولاً لم يستنتجها أحد قبله فطار ذكره بين الناس واحتاط به الخلق يسمعون منه ، فكان يخطب الناس في المساجد ويوجه أشد الملام والتأنيب إلى قادة الدين ، فأحدث كلامه تأثيرًا سيئًا فيهم وتألبوا عليه لإحباط مساعيه ، فلم ينجحوا لأنه كان يقرعهم بحجة القرآن ، فزاد ذلك في شهرته وانضم إليه رجال من أنصاره فأفضى إليهم بمذهبه الجديد ، فكانوا أشد الناس

نصرة له . وإذ ذاك سمى نفسه بالباب مشيرًا بذلك إلى أنه الباب الوحيد الذي يدخل منه الطالب ليصل إلى حضرة الخالق عز وجل ، فأطلق عليه أشياعه لقبًا جديدًا وهو (حضرة العَلِي) فلم يسع رجال الدين إلا رفع أمره إلى حكومة طهران لكفه عن نشر مذهبه بالقوة . وفي هذا الوقت أعلن الباب أنه (النقطة) أي منبثق الحق وروح الله ومظهر قدرته وجلاله ، وتنازل عن لقب الباب لأحد أشياعه المدعو حسين بسرويه من أهل خراسان وهو الذي طبع البابية بطابع عملي قلبه إلى حزب سياسي شديد الخطورة .

نهض حسين بَسرويه هذا لنشر البابية في أرجاء فارس فأوجد لها أشياعًا في أصفهان وكاشان ثم نزل إلى طهران ولكن الحكومة أعلنته بعدم البقاء فيها .

وفي الوقت نفسه كان رجلان من البابية يطوفان البلاد لنشر الدعوة أحدهما الحاج محمد على بلفروسي اختص بمقاطعة مازنداران والأخرى امرأة تدعى (زرين تاج) ثم تلقبت (بقرة العين) وكانت هذه من مدهشات العصر في علمها وحماستها الدينية وفصاحتها المتدفقة وجمالها البارع .

فلما طرد حسين بسرويه من طهران قصد خراسان وكانت الدعوة قد أثرت فيها بعض التأثير .

وبعد حوادث يطول ذكرها قصد حسين المذكور مازنداران ومعه جم غفير من أنصاره المسلحين حتى انتهوا إلى قرية (بدخت) وهنالك اجتمع جميع قادة البابية على هيئة مؤتمر وكان من الحاضرين الميرزا يحيى الذي سيخلف (حضرة العلي) في رئاسة المذهب ، وقرة العين فخطبت هذه خطبة بديعة في ذلك المؤتمر كانت سببًا في تقاطر الناس على هذا المذهب الجديد ، فلم يسع حسين بسرويه إلا أن ابتنى له حصنا منيعًا في جبال مازنداران وغاباتها واجتمع حوله خلق كثير ليس فيهم واحد يضن بآخر قطرة من حياته في نصرة الدين الجديد فهال هذا الحال حكومة الفرس فأرسلت بعثة عسكرية فحدث بينها وبين أنصار المذهب الجديد قتال أفضى إلى هزيمتها وفقدها كثيرًا من رجالها فعادت بخفي حنين لم تنل منهم منالا فزاد هذا الأمر الحكومة قلقًا فأرسلت إليهم حملة تحت قيادة البرنس مهدي

كولي ميرزا من بيت الملك في فارس ، فلقيت هذه الحملة ما لقيته سابقتها بعد قتال عنيف فعززتها الحكومة بحملة ثالثة فلم تكن أسعد حظا من سابقتيها ولكن أصاب حسين بسرويه جرح مميت في هذه الموقعة مات منه ، فلم يثن ذلك من همة البابية بل استمروا يقاتلون بجلد وصبر عظيمين فلم يسع الحكومة إلا إرسال حملة رابعة معها مدافع ومدمرات من كل نوع فقاومها البابيون مقاومة عنيفة مدة أربعة أشهر حتى فني رجالهم ونفدت ذخائرهم ، فدخلت جنود الشاه إلى معقلهم فأسروا ٢١٤ نفسا من البابيين بين رجال وأطفال ونساء ورغما عن تأمينهم على حياتهم أوغل الجنود فيهم فتكا فبقروا بطونهم وسلوا ألسنتهم ومثلوا بهم أقبح تمثيل .

ولكن كل هذا لم يصد تيار البابية بل زاد في حماستهم وجعلهم يقاومون الحكومة في جهات أخرى مقاومات عنيفة .

فثارت (زندان) عاصمة مقاطعة كامسيه وكان قائد هذه الحركة مشرع مشهور اسمه محمد علي زنجاني فأرسلت الحكومة إليه جنودًا فدحرها وقاوم كل ما أرسل إليه من القوى الحربية أكبر مقاومة ثم انتهى الأمر بعد جهد جهيد بإطفاء هذه الثائرة . ولكن ذلك كله لم يعطل من حركة البابية بل زادها قوة وزاد أشياعها على المناضلة شدة فلم تدر الحكومة ماذا تصنع فعزمت على قتل زعيم البابية الأكبر (حضرة العلي) رغما عن تظاهره بالسكون وعدم التداخل في حركات عدائية ضد الحكومة ، ولكن أنى للحكومة أن تجد مسوغًا لقتله ؟

تذرعت الحكومة لنيل غرضها منه باستدعائه وسؤاله عن أمر دينه الجديد وبنت حكمها بإعدامه على خروجه عن مذهب الجماعة فأمرت بقتله فصلبوه هو وتلميذ له على حائط طويل فسمع الناس تلميذه يقول له على مسمع منهم :

« ألست ممتنا مني أيها الأستاذ » فلم يكد يتمها حتى صوب إليه جندي من الجنود الموكلين بقتلها رصاصة فقتله ، فانقطع الحبل وسقط الباب على الأرض فنهض مهرولا واندس في فصيلة من الجنود ففتكوا به .

قتل (حضرة العلي) فلم يؤثر ذلك بشيء في حركة مذهبه بل زاده أشياعًا وأنصارًا ،

وولى القوم خليفة له الميرزا يحي ولقبوه (حضرة الأزل) فرأى الرئيس الجديد أن يترك عاصمة البلاد هربًا من الاضطهاد ويتجول في الجهات ليثبت أشياعه في الإيمان .

ولكن البابيين لم ينسوا ثار رئيسهم الأكبر فأرادوا أن يغتالوا به الملك نفسه . فلما كان سنة ١٨٥٢ هجم ثلاثة منهم على الشاه بقصد اغتياله فلم يتمكنوا إلا من جرحه فقبض عليهم الجنود وأذاقوهم ألوان العذاب فاحتملوا كل ذلك بصبر حَيَّر الألباب ، ثم أوغلت الحكومة في القبض على البابية فأمسكت قرة العين وأمرت بإحراقها حية . ثم أمرت الحكومة بتعذيب من قبض عليهم من الرجال والنساء والولدان . وحملت الحماسة بعض رجال البلاط الملوكي على قتل بعض المقبوض عليه بأيديهم بطرق فظيعة يقشعر منها جلد الإنسان .

ورأى الناس في سوق طهران منظرا يفتت الأكباد ، ويذيب الأفئدة ، رأوا أسرابا من الرجال والنساء والأطفال مقودين بالحبال أجسادهم مجروحة وقد وضع الجلادون في كل جرح فتيلة ملتهبة ، وهم كيوم ولدتهم أمهاتهم يتلون جميعًا بصوت مرتفع قوله تعالى : ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ والجنود خلفهم يضربون من يتأخر أو من يقع منهم بالسياط فإذا مات طفل في الطريق ألقوه تحت أرجل أبويه فكانا يمران عليه غير ملتفتين إليه .

ثم لاح لأحد الجلادين أن يأتي بطفلين لأحدهم فيذبحها على صدره ففعل ولم يزدد الأب إلا صبرًا وثباتًا ، وقد أظهر الطفلان من آيات البطولة ما خلد ذكرهما في التاريخ إذ كانا يتسابقان إلى ورد الموت ، ويتزاحمان على حوضه المرير ليقتل أحدهما قبل الآخر .

ثم رميت الجثث بالأرض تسيل دماؤها وتجرى مهجاتها ، والكلاب تنوشها وترتع في أشلائها .

هذه الحركة أثرت على البابية تأثيرًا ما فأضعفت صوتها العلني ، ولكنها لم تبطل حركتها السرية ، فانقلبت إلى مذهب سِرّي سَرَى في كثير من الناس واعتنقه من كان لا يظن فيه أن يصبأ إليه .

(ما هي عقائد البابيين) : عقائد البابيين موجودة في كتبهم وأخصها كتاب البيان الذي وضعه باللغة العربية الباب نفسه ، ولم نعثر نحن عليه لننقل منه للقراء فنستدرك هذا

النقص بترجمة عقائدهم عن الفرنسية كما وردت في دائرة معارف القرن التاسع عشر .

في مذهب البابية الخلق مظهر الله ذاته ، فالخالق في الإسلام يخلق لأنه أراد أن يخلق . وعند البابية هو يخلق لأنه لا يُدرَك حيا مؤثرًا إلا بالخلق . وقد صرح البيان بأن مجموع الكائنات هو الله نفسه فإن فيه ما ترجمته :

« الحق ، يامخلوقاتي أنكِ أنا » فإذا قامت القيامة رجع الخلق إلى الله وفنوا في وحدته التي صدروا عنها ،فيتلاشى إذ ذاك كل شيء إلا الطبيعة الإلهية .

فيرى الرائي من هذا أن أساس البابية مذهب وحدة الوجود بعينه .

أما نظرية البابية في خلق الكون فهي : لله سبعة أحرف مقدسة تمثل صفاته الإلهية وهي القوة والقدرة والإرادة والتأثير والكبرياء والوحي ، ولله خصائص أخرى لا تتناهى ولكن هذه الخصائص السبع هي التي استخدمها في خلق الكون المرئي لنا . فالتمثيل المزدوج لهذه الخصائص السبعة القول والكتابة وهي التي منحتنا الخلقة المزدوجة من روح ومادة فباعتبارها قولا هي منبع الأشياء العقلية ، وباعتبارها أحرفا هي مصدر كل الأشياء المادية التي لولاها لم توجد المادة . فالعدد سبعة هو العدد المقدس عند البابية . ولكن يوجد عدد آخر أكبر شأنا عند البابية وهو ١٩ . وذلك أنه فوق العبارات الخالقة يجب وضع كلمة (حي) لأن الحياة هي مصدر وثمرة السبع خصائص المتقدمة في آن واحد . فإذا حسبنا كلمة حي بحساب الجمل وجدنا الحاء بثمانية والياء بعشرة فيكون المجموع ١٨ فيضم إليها ١ لتكون الكلمة (أحْيِ) فيكون المجموع ١٩ هذا العدد قال عنه الباب نفسه إنه المظهر العددي لله ذاته . قال ولا يجوز الشك في ذلك ، فإن كلمة (واحد) التي يعبر بها الله عن نفسه في القرآن لتدل على وحدانيته هي بحساب الجمل (١٩) أيضًا فالواو ستة والألف واحد والحاء ثمانية والدال أربعة فيكون المجموع ١٩ وعليه فالعدد ١٩ معناه (الواحد الذي يمنح الحياة) أي الله الواحد الخالق ثم إن هذا العدد يحصر العدد سبعة الذي هو جملة الخصائص الإلهية التي خلقت هذا الكون من العدم .

أما الصلاة عند البابية فيكتفى منها بمرة واحدة في كل شهر كما ورد في البيان كتابها المقدس . ولم تعترف بالنجاسة المعنوية التي يرفعها الوضوء فلم تعطه إلا جهة الفائدة العائدة

منـه على النظـافـة والتجمل وأبطلت وجوب القبلـة متمسكـة بقولـه تعـالى « أينما تولوا فثم وجه الله » .

أما من الوجهة الأخلاقية فالبابيـة تهتم قبل كل شيء بتهـذيب العواطف النفسيـة الجميلـة كالسخـاء ولطف المعـاشرة والأدب ، ولا يـوجـد في عقـوبتهـا المقررة عقـوبـة الإعـدام ولا التعذيب بالضرب ونحوه ، فقد قال البيان في هذا ما ترجمته :

« إن الله قد حرم استخدام الشدة حتى ولو ضربك ضارب بيده على الكتف » .

أما العقوبات المستعملة عنـد البـابيين للتـأديب فهي نوعـان (أولا) التغريم على حسب شدة الجريمة (ثانيًا) الابتعاد عن مقاربة النساء مدة مناسبة للذنب المقترف ا . هـ .

أقول : إن العرض الذي عرضه فريد وجدي ناقلاً إياه من المصـادر الأوروبيـة كان فيـه كثير من الحرارة التي تحوي في طياتها الدفاع عن فكرة المريض المنتن يصل إلى الإبـاحيـة في بعض صـوره حتى إن قُرَّة العين لم تقتـل حتى أبـاحت المحرمـات إلا أن العـاطفـة الأوروبيـة تكون دائمًا مع حريـة الاعتقـاد فتميل للـدفـاع الحـار عن المضطهـدين إلا إذا كانوا مسلمين ، لاحظ العبارات الحارة التي مرت معنـا في وصف مـا حـدث للبـابيـة ثم ابحث عن مثلهـا إذا اضْطُهِدَ المسلمون فإنك لا تجد إلا صمتًا .

* * *

١٥ ـ البهائية

البهائية هي البابية بعد تطويرها . وقد لخص حسن أيوب مذهبهم في رسالة عن (رسل الله وكتبه واليوم الآخر) فقال :

البهائية :

هم أتباع الميرزا حسين علي الذي لقب نفسه بالبهاء المولود في بلدة نور من ضواحي مازندران سنة ١٢٢٣ هـ قام في أول مرة بخلافة الباب ثم تدرج إلى المهدوية ثم النبوية والرسالة ثم الربوبية والألوهية . وقد عهد بالخلافة من بعده إلى ابنه عباس المسمى عبد البهاء وقد دان البهائيون لكل خليفة بعد البهاء وقدسوه وعبدوه مثل عبادتهم للبهاء .

وقد نزل خليفتهم بمصر سنة ١٨٩٢ م وأسس فيها الدعوة للبهائيين وهلك البهاء في مدينة عكا سنة ١٣٠٩ هـ ١٨٩٢ م .

دين البابية والبهائية

(١) إن للوحي تأويلات سامية ومفاهيم خفية لا يجليها إلا ربها (الباب) أو البهاء (وما يعلم تأويله إلا الله أي الباب أو البهاء) .

(٢) ادعى البهاء المهدوية ثم الرسالة وأنه نزل عليه كتاب الأقدس الذي نسخ جميع ما تقدمه من الكتب السماوية ثم ادعى الألوهية وأمر بعبادة البشر .

(٣) القول بموت عيسى صلبًا وعدم عودته بنفسه وإنما تحل روحه في غيره . والغير هنا رئيس المذهب الباب ثم البهاء .

(٤) إنكار معجزات الأنبياء والبعث والحشر والوعد والوعيد والجنة والنار ولهذا ارتكبوا تأويل النصوص الدالة عليها بما يتنافى مع اللغة والدين .

(٥) نسخ جميع الأديان ورسوم عبادتها والحدود الواردة فيها لعدم صلاحيتها للعالم في عصر التقدم ولهذا جاء البهاء بدينه الجديد للأحمر والأسود وقد ورد في أحكامه :

إن الصلاة تسع ركعات في البكور والزوال والآصال . وقد بطلت صلاة الجماعة . والقبلة عكا والحج إليها للرجال دون النساء ، وتحريم الحجاب وإباحة السفور والاختلاط وجعل الحدود عقوبات مادية وغير ذلك من مفترياتهم وكذبهم ا . هـ .

وكل عقيدة من العقائد السابقة مكفرة بنفسها فكيف وهي مجتمعة .

* * *

١٦ ـ القاديانيّة

وقد لخّص مذهبهم الشيخ حسن أيّوب في رسالة عن (رسل الله وكتبه واليوم الآخر) فقال :

هم أتباع غلام أحمد المولود في (قاديان) مركز بنجاب مديرية كورداسور بالهند سنة ١٢٥٢ هـ . وقد ظلوا فرقة واحدة مدة حياته وأيام خليفته نور الدين . وفي آخر حياة نور الدين ابتدأ الخلاف وكان من أثره انقسامهم بعد وفاته إلى شعبتين :

(١) **شعبة قاديان** : ورئيسهم محمود بن غلام أحمد .

(٢) **شعبة لاهور** : وزعيمهم محمد علي الذي ترجم القرآن إلى اللغة الإنجليزية .

والشعبة الأولى تدين بنبوة أحمد ، والثانية تعتقد أنه مصلح وهذا خلاف ما ورد في كتاب مبتدع النحلة من أنه مهدي ثم نبي مرسل ثم عيسى الموعود به ، وتوفي أحمد بعد حياة حافلة بنبوة تحرم الجهاد وتدعو إلى مساعدة الإنجليز لأنهم أرباب نعمته وأصحاب الفضل عليه في حمايته ونشر دعوته .

مبادئ القاديانية :

(١) القول بعدم ختم النبوة وتأويل ما يدل على ختمها .

(٢) غلام أحمد هو المهدي والنبي المؤيد لشريعة محمد ﷺ وهو المسيح الموعود به .

(٣) باب الوحي مفتوح للناس وقد نزل عليه ويسمعه بعض أتباعه .

(٤) تحريم الجهاد والدعوة لطاعة ولاة الأمر والإنجليز .

(٥) قاديان ومسجدها تماثل مكة ومسجدها ، والحج إليها مثل الحج إلى مكة فهي ثالث الأماكن المقدسة .

(٦) تكفير من لا يصدق به من المسلمين وتمثيلهم باليهود الذين كذبوا المسيح (يعني نفسه) في السلسلة المحمدية .

(٧) تفضيله وتفضيل أتباعه على جميع الأنبياء وأتباعهم

(٨) ادعاؤهم أن المعنى المقصود من الآيات لا يدركها إلا المسيح القادياني ، وإنكارهم أن سنّة الرسول ﷺ أصل في التشريع وهم يدعون الناس عن طريق أنهم مسلمون مصلحون.

والقاديانية والبهائية أخطر أصحاب المذاهب على الأمم الإسلامية وأشد كفرًا من اليهود والنصارى والمجوس ، ويبطل دعوتهم ما قدمناه من ثبوت عموم رسالة النبي ﷺ وختمها للرسالات ، وهم منتشرون في البلاد الإسلامية ويعاونهم الاستعمار بسلطانه الخفي وماله ؛ لأنهم أعوانه وأداته في إشاعة الفساد بين المسلمين .ا.هـ.

* * *

الفقرة الرابعة
في :
الخوارج خاصة
وفيها :
مقدمة ونصوص

المقدمة

الخارجية اعتقاد وخلق وسلوك ، والخارجية أخطر ما يفرزه المجتمع الإسلامي بشكل مستمر وأقوالها وأفعالها تلتبس لأنها في ظاهرها التطبيق الأرقى للإسلام بسبب من تشددها في المواقف وغلوها في العمل ، لذلك كان من أهم واجبات دعاة الإسلام أن ينبهوا على الخارجية.

والسلوك الخارجي يقوم على المسارعة في التكفير ، والخلق الخارجي يتمثل بكثرة العبادة دون أن يصل أثرها إلى القلوب ويتمثل بسفاهة العقول وتصرفات أحداث الأسنان ولو كبر أهله.

أما العقيدة الخارجية كما استقرت عليه فلها مبادئ :

من مثل تكفير علي وعثمان رضي الله عنهما ، ومن مثل اعتقاد وجوب الخروج على الولاة الذين يخالفونهم في وجهات النظر بصرف النظر عن الموازنات ، ومن مثل تكفير مرتكب الذنب سواء كان صغيرة أو كبيرة ، ومن مثل استحلال دماء وأموال وأعراض من خالفهم .

قد تكون العقيدة الخارجية الآن ليست موجودة إلا في دوائر ضيقة ولكن الخلق والسلوك الخارجي يظهران في كثيرين .

لقد ذكرنا من قبل أن للنفاق صورًا شتى : فهناك صورة النفاق الاعتقادي الذي ينبثق عنه سلوكه ، وهناك النفاق العملي . وكذلك الخارجية : فهناك خارجية الاعتقاد ، وهناك خارجية السلوك وعلى العلماء والمربين أن يحرروا المسلم من كلٍّ .

ولذلك فإن النصوص الآتية ينبغي أن ينظر إليها لا على أنها تصف قضية تاريخية ، بل على أنها تتحدث عن ظاهرة متجددة .

والملاحظ : أن النصوص في الخوارج كثيرة ، وقد عللنا لذلك في بدايات الفصل فليراجع.

النصوص

٤٤٢ - * روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « تَمْرُقُ مارِقَةٌ عند فُرقة من المسلمين يقتلها أَوْلَى الطائفتين بالحق » .

٤٤٣ - * روى البخاري ومسلم عن سويد بن غفلة ، قال : قال عليٌّ رضي الله عنه : إذا حدثتكم عن رسولِ الله ﷺ حديثًا ، فواللهِ لأنْ أخِرَّ من السماء أحبُّ إليّ من أنْ أكْذِبَ عليه .

وفي رواية (١) : منْ أنْ أقول عليه ما لم يقل ، وإذا حدَّثتكم فيما بيني وبينكم ، فإن الحرْب خَدعَةٌ ، وإني سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول : « سيخرُجُ قومٌ في آخرِ الزَّمانِ حدَثَاء الأسنانِ ، سفهاءُ الأحلام ، يقولون من قول خَيرِ البَريَّة ، يقرؤون القُرآن ، لا يجاوزُ إيمانُهم حَناجرَهُمْ ، يمرقُون من الدِّينِ كما يمْرُقُ السَّهمُ من الرَّميةِ ، فأينما لَقِيتُموهم فاقتلُوهُم ، فإنَّ في قَتْلِهم أجْرًا لمن قَتَلَهُم عندَ اللهِ يومَ القيامةِ » .

٤٤٤ - * روى مسلم عن عَبيدةَ بن عمرو السَّلْماني ، عن علي رضي الله عنه ، أنه ذكر الخوارجَ فقال : فيهم رجلٌ مُخْدَجُ اليَدِ ، أو مُثْدَونُ اليد ، أو مُودَنُ اليد ، لولا أن تَبْطَرُوا

---

٤٤٢ - مسلم (٢ / ٧٤٥) ١٢ - كتاب الزكاة ٤٧ - باب ذكر الخوارج وصفاتهم .

وأبو داود (٤ / ٢١٧) كتاب السنة ١٣ - باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة .

(تمرقُ مارقة) : مَرَقَ السهم في الهدَفِ : إذا نَفذَ منه وخرج ، والمراد : أنه تخرج طائفة من الناس على المسلمين فتحاربهم ، والمارق : الخارج عن الطاعة المفارق للجماعة وهم الخوارج ، وفي الحديث شهادة لعليّ رضي الله عنه أنه على الحق . وذلك من معجزاته ﷺ .

٤٤٣ - البخاري (١٢ / ٢٨٣) ٨٨ - كتاب استتابة المرتدين ٦ - باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم .

مسلم (٢ / ٧٤٦) ١٢ - كتاب الزكاة ٤٨ - باب التحريض على قتل الخوارج .

أبو داود (٤ / ٢٤٤) كتاب السنة - باب في قتال الخوارج .

(١) مسلم : الموضع السابق .

(أخر) : خرّ من السطح يَخِر : إذا وقع ، وكلُّ من سَقَطَ من موضع عالٍ فقد خرّ .

(حدثاء الأسنان) : أي شباب لم يكبروا حتى يعرفوا الحق ، وقد يكبرون سنًا ، ويبقون وكأنهم أحداث في تصرفاتهم.

(سفهاء الأحلام) : الأحلام : العقول . السفه : الخفةُ في العقلِ والجهلُ .

٤٤٤ - مسلم (٢ / ٧٤٧) ١٢ - كتاب الزكاة ٤٨ - باب التحريض على قتل الخوارج .

(مثدون اليد) : روي « مثدون اليد » و « مُثْدَن اليد » ومعناهما : صغير اليد مجتمعها ، بمنزلة ثُندُوة الثدي ، وأصله : مثند ، فقدّمت الدال على النون . (أو مودَن اليد) : رجل مُودَن ومودون اليد ، أي صغيرها وناقصها .

لَحَدَّثْتكم بما وعدَ الله الذين يقتلونَهم على لسان محمدٍ ﷺ . قال : فقلتُ : أنتَ سمعتَ هذا من محمد ﷺ ؟ قال : إي ، وربِّ الكعبة ـ قالها ثلاثًا ـ.

٤٤٥ ـ * روى مسلم عن عبيدِ اللهِ بن رافع ـ مولى رسولِ الله ﷺ ، أن الحَرُورِيَّةَ لما خرجت على عليِّ بن أبي طالب ، فقالوا : لاحكمَ إلا الله ، قال عليٌّ : كلمة حق أُريدَ بها باطلٌ ، إن رسولَ الله ﷺ وصفَ لنا ناسًا ، إني لأعْرِفُ صفتهم في هؤلاء ، يقولون الحقَّ بألسِنتهم ، لا يجاوز هذا منهم ـ وأشار إلى حَلْقِهِ ـ من أبْغَضِ خلق الله إليه ، منهم أسْودُ ، في إحدى يديه طُبْيُ شاة، أو حَلَمَةُ ثدي . فلما قتلهم علي بن أبي طالب ، قال : انظروا . فنظروا ، فلم يجدوا شيئًا ، فقال : ارجعوا ، فوالله ما كذَبتُ ولا كُذِبْتُ ـ مرتين أو ثلاثاً ـ ثم وجدوه في خَرِبةٍ فأتَوا به ، حتى وضَعُوهُ بين يَدَيْهِ ، قال عبيد الله : وأنا حاضرٌ ذلك من أمرهم وقولِ عليٍّ فيهم . زاد في رواية [١] : قال ابن حُنين : رأيتُ ذلك الأسودَ .

٤٤٦ ـ * روى مسلم عن زيدِ بن وَهْبٍ الجُهَني ، رضي الله عنه ، أنه كان في الجَيْشِ الذينَ كانُوا مع عليٍّ ، الذينَ سارُوا إلى الخَوارج ، فقال عليٌّ : أيُّها الناسُ ، إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « يَخرجُ قومٌ من أُمَّتي ، يقرؤون القُرْآنَ ، ليس قِراءَتُكُم إلى قِراءَتِهم بشيء ، ولا صلاتُكُم إلى صلاتهم بشيء ، ولا صيامُكم إلى صيامهم بشيء ، يقرؤون القرآنَ يحسبون أنه لهم وهو عليهم ، لا تُجاوزُ صلاتُهم تراقيهُم ، يَمْرُقُون من الإسلام كما يمرُق السَّهم من الرَّمِيَّة » لو يعلم الجيشُ الذين يصيبونهم ما قُضِيَ لهم على لسان نبيهم ﷺ لَنَكَلُوا عن العمل ، وآية ذلك : أن فيهم رجُلاً له عَضد ، ليس له ذراعٌ ، على عَضُدِه ، مثلُ حَلَمة الثَّدْي ، عليه شَعرات بيض ، فتذهبون إلى معاوية

---

٤٤٥ ـ مسلم (٢ / ٧٤٩) ١٢ ـ كتاب الزكاة ٤٨ ـ باب التحريض على قتل الخوارج .

(١) مسلم : الموضع السابق .

(الطُّبْيُ) : لذوات الحافر والسباع كالضرع لغيرها ، وقد يكون لذوات الخف .

٤٤٦ ـ مسلم (٢ / ٧٤٨) ١٢ ـ كتاب الزكاة ٤٨ ـ باب التحريض على قتل الخوارج .

وأبو داود (٤ / ٢٤٤) كتاب السنة ـ باب قتال الخوارج .

(تراقيهم) : التراقي : جمع تَرْقُوة ، وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق .

(الرمِيَّة) : ما يرمى من صيد أو نحوه .

(نكلت) : عن العَمَلِ أنكل : إذا فترتَ عنه وجبُنتَ عن فعله .

(وآية ذلك) : الآية : العلامة التي يستدل بها .

=

وأهلِ الشـام ، وتتركون هؤلاء يَخْلُفونكم في ذراريكم وأموالكم ؟ والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القومَ ، فإنَّهم قد سفكُوا الدَّمَ الحرامَ ، وأغاروا في سَرْحِ الناسِ ، فَسيروا . قال سلمةُ بن كُهيل : فَنَزَّلني زيـد بن وهب منزلاً ، حتى قـال : مَرَرْنا على قنطرة ، فلما التقينا ـ وعلى الخوارج يومئـذ : عبـد الله بن وهب الراسبي ـ فقـال لهم : ألقُوا الرِّمـاحَ ، وسُلُّوا سيوفكم من جُفُونِها ، فإني أخاف أن يُنـاشِـدوكم ، كما نـاشَـدُوكم يوم حَروراء ، فرجعوا فوحَّشُوا برمـاحِهم وسَلُّوا السُّيُوفَ ، وشَجَرهمُ الناسُ برماحهم ، قـال : وقُتل بعضهم على بعض ، ومـا أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان ، فقال عليٌّ : التَمِسُوا فيهم المُخدَج . ، فالتمسوا ، فلم يجدوه ، فقام عليٌّ بنفسـه ، حتى أتى نـاسًـا ، قـد قُتـل بعضهم على بعض ، قـال : أخِّروهم ، فـوجـدوه مما يَلي الأرضَ ، فكبَّر ثم قال : صدق الله ، وبلَّغ رسولُهُ ، قال : فقام إليه عَبيدةُ السَّلْمانيُّ ، فقـال : ياأمير المؤمنين ، آللهِ الذي لا إله إلا هو ، لَسمعتَ هذا الحديث من رسول الله ﷺ ؟ قـال : إي والله الذي لا إله إلا هو ، حتى استَحْلَفَهُ ثلاثًا وهو يحلف له .

وفي أخرى لأبي داود [١] عن أبي الـوَضِيء قـال : قـال عليٌّ : اطلبـوا المُخْدَج ... فـذكر الحـديث ، واستَخْرَجـوه من تحت قتلَى في الطين ، قـال أبـو الـوضيء : فكأني أنظر إليـه ، حَبَشِي عليه قُريطقٍ له ، إحدى يديه مثْلُ ثَدْي المرأة ، عليهـا شُعَيْراتٌ مثلُ الشُّعَيْراتِ التي تكون على ذنَبِ اليَرْبوع . قـال أبو مريم : إنْ كان ذلـك المخـدَج لمعنَـا يـومئـذ في المسجـد ، نُجالسه بالليل والنهار ، وكان فقيرًا ، ورأيته مع المساكين يشهد طعام عليٍّ مع الناس ، وقـد كَسَوتُه بُرنُسا لي . قال أبو مريم : وكان المخدَج يسمَّى نافِعًا ، ذا الثُّدَيَّـة ، وكان في يـده مثلُ ثدي المرأة ، على رأسه حَلَمةٌ مثل حَلَمةِ الثدي ، عليه شُعيراتٌ مثلُ سُبالة السِّنَّوْر .

= (جفون السيوف) : أغمادها .

(وَحَّشْتُ بسلاحي) : وبثوبي : إذا رميتَ به وألقيته من يدك .

(التشاجر بالرماح) : التطاعن بها ، وشجره برمحه : إذا طعنه .

(المخدَّج) : الناقص ، والخِداج : النقص .

(قُريطِق) : تصغير قُرْطَق ، وهو شبيه بالقباء ، فارسي معرب .

(ذو الثُّدَيَّة) : تصغير الثُّنْدُوَة .

(السَّبَالَةُ) : الشارب والجمع السِّبال ، والهاء في « سبالة » لتأنيث اللفظة .

(١) أبو داود في الموضع السابق .

قال الخطابي : قد أجمع علماء المسلمين على أن الخوارج على ضلالتهم فرقة من فرق المسلمين ، ورأوا مناكحتهم وأكل ذبائحهم ، وأجازوا شهادتهم ، وسُئِل عنهم علي بن أبي طالب ، فقيل : أكُفارٌ هُم ؟ قال : مِن الكُفْرِ فرُّوا ، فقيل : فمنافقون هم ؟ قال : إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً ، وهؤلاء يذكرون الله بكرة وأصيلا ، قيل : مَنْ هم ؟ قال : قوم أصابتهم فتنة فعموا وصَموا . قال الخطابي : فمعنى قوله ﷺ : « يمْرُقون من الدِّين » أراد بالدِّين : أنهم يخرجون من طاعة الإمام المفترض الطاعة ، وينسلخون منها ، والله أعلم .

أقول :

هؤلاء قوم دخلوا في الإسلام وخرجوا منه سريعًا ، ومظهر ذلك أن يقبلوه ثم لا يلتزموا بأحكامه .

أقول :

يلاحظ أنّه ورد في هذه الرواية (لا تجاوز صلاتهم تراقيهم) وفي رواية سويد بن غفلة (لا يجاوز إيمانهم حناجرهم) وفي رواية عبيد الله بن أبي رافع : (يقولون الحقّ لا يجاوز هذا منهم ـ وأشار إلى حلقه) فهذه كلّها علامات عليهم ، ومن ثم فإنّ على المربين في الأمّة الإسلاميّة أن يلحظوا هذا فيركّزوا على الإيمان القلبي وعلى الخشوع القلبي في الصلاة وعلى أن يوافق القول العمل ، وفي الرواية اللاحقة سنرى رواية أبي سعيد الخدري : (يقرأون القرآن لا يجاوز حلوقهم أو حناجرهم) . فقراءة القرآن وتأثّر القلب بها علامة على أن الإنسان ليس من هؤلاء وإلا فالخطر كبير .

٤٤٧ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، من رواية أبي سلمةَ وعطاء بن يسار ، أنهما أتيَا أبا سعيدٍ الخدري فسألاه عن الحَرُوريَّة ، هل سمعتَ رسولَ الله ﷺ يذكرها ؟ قال : لا أدري مَنِ الحَرُوريةُ ؟ ولكني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول :

---

٤٤٧ ـ البخاري (١٠ / ٥٥١) ـ ٧٨ ـ كتاب الأدب ٩٥ ـ باب ما جاء في قول الرجل « ويلك » .

مسلم (٢ / ٧٤٣) ١٢ ـ كتاب الزكاة ٤٧ ـ باب ذكر الخوارج وصفاتهم .

=

« يخرج في هـذه الأمَّـةِ - ولم يقل : منها - قومٌ ، تَحْقِرُونَ صَلاتَكُم مـع صـلاتِهِم ، يقرؤون القـرآنَ ، لا يجـاوزُ حُلُوقَهم - أو حَنـاجِرَهُم - يمرُقـونَ من الـدِّين مُرُوق السَّهْمِ من الرَّمِيَّةِ ، فينظر الرامي إلى سهمِه ، إلى نَصْلِه ، إلى رِصَافِهِ ، فيتمـارى في الفُوقَة : هل عَلِق بها من الدم شيء؟ » .

وفي رواية أبي سَلَمةَ والضَّحَّاك الهَمْداني [1] : أن أبا سعيد الخدري قـال : بينـا نحن عنـد رسولِ الله ﷺ وهـو يَقْسِم قَسْمًـا ، أتـاه ذو الخُـوَيصِرة - وهـو رجـل من بني تَميم - فقـال : يارسولَ الله ، اعْدِلْ ، فقال رسولُ الله ﷺ : « ويلَكَ ، ومن يَعْـدِلُ إذا لم أَعْـدِلْ » ؟ - زاد في رواية : « قد خِبْتُ وخَسِرْتُ إن لم أَعْدِلْ » فقال عمر بن الخطاب : ائذن لي فيـه فأَضْرِبَ عُنُقَهُ ، فقال رسولُ الله ﷺ : « دَعْهُ ، فإن له أَصْحَابًـا يَحقِرُ أَحَـدُكُم صلاتَـه مع صلاتِهِم ، وصيـامـه مـع صيـامهم » زاد في روايـة : « يقرؤون القرآن لا يُجـاوِزُ تراقِيَهم ، يمرقُـون من الإسـلام » . وفي روايــة : « من الـدِّين - كما يمرق السهمُ من الرَّمِيةِ ، ينظر أحـدهم إلى نَصلِـه فلا يوجـد فيـه شيء ، ثم ينظر إلى رِصـافـهِ فلا يوجد فيه شيءٌ ، ثم ينظر إلى نَضِيِّه فلا يوجـد فيـه شيءٌ - وهو القِـدْح - ثم ينظر إلى قُذَذِه فلا يوجد فيه شيءٌ ، سبق الفَرْثَ والـدَّم ، آيتهُمْ : رجلٌ أسودُ ، إحـدى عَضُديه - وفي رواية : إحدى يديه - مثلُ البَضْعة تَدَرْدَرُ ، يخرجون على حين فُرْقَـةٍ من النَّاس » قال أبو سعيد : فأشهد أني سمعتُ هذا من رسولِ الله ﷺ ، وأشهـد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه ، فأمرَ بذلك الرجلِ ، فالتُمِسَ فوُجِدَ ، فأُتِيَ به حتى نَظَرتُ إليه

= (الرِّصاف) : العَقِبُ الذي يكون فوق مدخل النصل في السهم ، واحدها : رَصَفَة ، بالتحريك .

(التمارى) : تفاعل من المرية : الشك ، والمراد : الجدال .

(١) مسلم (٢ / ٧٤٤) الكتاب والباب السابقان .

(النَّضِيُّ) : بالضـاد المعجمـة .. بوزن النقيِّ : القِـدْحُ أول مـا يكون قبل أن يعمـل ، ونَضِي السهم : مـا بين الريش والنصل ، ونِضْو السهم : قِـدْحـه ، وهـو مـا جـاوزَ الريش إلى النصـل ، وقيـل : النضي : نَصْـل السهم ، والمراد بـه في الحديث : ما بين الريش والنصل .

(قِدْح) : القِدْح : السهم قبل أن يُعمل فيه الريش والنصل ، وقبل أن يُبْرَى .

(الفَرْثُ) : السِّرجين وما يكون في الكَرِش .

(البَضْعة) : القطعة من اللحم .

(تَدَرْدَرُ) : التدردر : التحرُّك والترجرج مارًّا وجائيًا =

على نَعتِ رسولِ الله ﷺ الذي نعتَ .

وفي أخرى [١] ، قال أبو سعيد : بَعَثَ عليٌّ رضي الله عنه وهو باليمن إلى النبيِّ ﷺ بذُهَيْبَةٍ في تُربتها ، فَقَسَمَها بين أربعةٍ : الأقرع بن حابس الحَنْظَلي : ثم أحدِ بَني مُجاشِع ، وبين عُيَيْنَةَ بن بدر الفزاري ، وبين عَلْقمة بن عُلاثَةَ العامري ، ثم أحدِ بني كلاب ،وبين زيد الخيل الطائي ، ثم أحد بني نَبْهان ، فتغضَّبتْ قريش والأنصار ، فقالوا : يُعطيه صناديدَ أهل نجد ويَدَعُنا ؟ قال [رسولُ الله ﷺ] : « إنما أتألَّفُهم » فأقبَلَ رجل غائرُ العينين ، ناتِئُ الجبين كَثُّ اللحية ، مشرفُ الوَجْنتين ، محلوق الرأس ، فقال : يا محمد ، اتق الله ، فقال : « فمن يُطيع الله ، إذا عَصَيْتُه ؟ أفيأمَنُني على أهل الأرض ، ولا تأمنوني ؟ » فسأل رجلٌ من القوم قَتْلَهُ - أُراه خالد بن الوليد - فمنعه ، فلما ولَّى ، قال : « إن من ضِئْضِئِ هذا قومًا يقرؤون القرآن ، لا يجاوز حَناجِرَهم ، يمرقُون من الإسلام مُروقَ السهم من الرَّمية ، يقتلون أهلَ الإسلام ، ويَدَعون أهل الأوثان ، لئن أدركتُهم لأقتلنَّهم قتل عاد » .

ولمسلم نحوُهُ بزيادة ألفاظ [٢] ، وفيها : بِذُهَيْبَةٍ في أديمٍ مَقْروظٍ ، لم تُحَصَّل من ترابها - وفيها - والرابع : إما علقمة بنُ علاثة ، وإما عامر بن الطفيل - وفيها - « ألا تأمنوني وأنا أمين مَنْ في السماء ، يأتيني خبرُ السماء صباحًا ومساءً » - وفيها - فقال : يارسول الله ، اتقِ الله ، فقال : « ويلك ! أولست أحقَّ أهل الأرض أن يتقيَ الله ؟ » قال : ثم ولَّى الرجل ، فقال خالد بن الوليد : يارسول الله : ألا أضرب عنقه ؟ فقال : « لا ، لعلّه أن يكونَ يصلي » قال خالد : وكم من مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه ، فقال

---

(١) مسلم (٢ / ٧٤٢) الكتاب والباب السابقان .

(الصناديد) : جمع صنديد ، وهو السيد الشريف .

(التألُّف) : الإيناس والتحبب ، والمراد : لأحبِّب إليهم الإسلامَ وأزيل نفورَهم منه .

(٢) مسلم : الموضع السابق .

(الذُهَيْبَة) : تصغير الذهب ، وهو في الأصل مؤنث ، والقطعة منه ذهبة ، فلما صُغر أضيف إليه الهاء ، كما يقال في تصغير قوس : قُوَيسة ، وفي تصغير قدر قديرة .

(الأديم) : المقروظ المدبوغ بالقَرَظِ .

=

رسول الله ﷺ : « إني لم أُومَرْ أن أُنَقِّبَ عن قلوب النـاس ، ولا أُشُقَّ بطـونهم »، قال : ثم نظر إليه وهو مُقَفٍّ ، فقال : « إنَّه يخرج من ضِئْضِئِ هؤلاء قوم يتلون كتاب الله رَطْبًا ، لا يجـاوز حنـاجرهم ، يمرقُون من الـدين كما يمرق السَّهم من الرميـة » قال : أظنه قال : « لئن أدركتُهم لأقتلنَّهم قتل ثمود » .

وفي رواية (١) : فقام إليـه عمر بن الخطـاب فقـال : يـا رسول الله ، ألا أضرب عنقـه ؟ قال : « لا » فقام إليه خالـد سيف الله ، فقـال : يـارسول الله ، ألا أضرب عنقـه ؟ قـال : « لا » .

وفي روايـة البخـاري (٢) أنـه قـال : سمعت رسولَ الله ﷺ يقـول : « يخرج فيكم قـوم تَحْقِرون صلاتَكم مع صلاتهم ، وصيامَكم مع صيامهم ، وعملَكم مع عملهم ، ويقرؤون القرآن ، لا يجـاوز حَنـاجرهم ، يمرقُـون من الـدِّين كما يمرقُ السهم من الرميـة ، ينظر في النَّصْل فـلا يرى شيئًـا ، وينظر في القِـدْح فـلا يرى شيئًـا ، وينظر في الريش فلا يرى شيئًا ، ويتمارى في الفُوق » .

وللبخـاري (٣) طرف منـه أن النبيَّ ﷺ قـال : « يخرج نـاس من قِبَـل المشرق يقرؤون القرآن ،لا يجـاوز تراقيهم ، يمرقُـون من الـدِّين كما يمرُق السهم من الرميـة ، ثم لا يعودون فيـه حتى يعود السهم إلى فُـوقـه » قيـل : مـا سِيماهم ؟ قـال : « سِيماهم التحليقُ ـ أو قال : التَّسْبيدُ ـ » .

ولمسلم في أخرى (٤) : أن النبيَّ ﷺ ذكر قومًا يكونون في أمتـه ، يخرجون في فُرقـة من

= (أُنَقِّبُ) : التنقيب : التفتيش .

(مُقَفٍّ) : قفَى الرجلُ الرجلَ يُقَفِّي ، فهو مقفٍّ : إذا أعطاك قفاه وولى .

(الضِّئْضِئ) : بالهمزة : الأصل ، والمراد : يخرج من صُلبه ونَسله .

(١) مسلم (٢ / ٧٤٣) الكتاب والباب السابقان .

(٢) البخاري (٩ / ٩٩) ٦٦ ـ كتاب فضائل القرآن ٣٦ ـ باب إثم من راءى بقراءة القرآن ... إلخ .

(٣) البخاري (١٣ / ٥٣٥) ٩٧ ـ كتاب التوحيد ٥٧ ـ باب قراءة الفاجر والمنافق ... إلخ .

(التحليق) والتحالق : حلق الشعر ، وهو تفاعل منه ، كأن بعضهم يحلق بعضًا .

(التسبيد) : حلق الشعر واستئصاله .

(٤) مسلم (٢ / ٧٤٥) الكتاب والباب السابقان .

=

الناس ، سيماهم التحالق ، قال : « هم شرُّ الخلق - أو من أشرِّ الخلق - يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق » . قال فَضَرب النبيُّ ﷺ لهم مثلاً - أو قال قولاً - « الرجل يرمي الرمية - أو قال : الغرض - فينظر في النصل فلا يرى بصيرة ، وينظر في الفُوق فلا يرى بَصيرة » . قال أبو سعيد : وأنتم قتلتموهم يا أهل العراق .

أقول : الرميّة الصيد ومروق السهم منها دون أثر عليه يشير إلى الدخول فيها والخروج منها بسرعة دون أن يظهر أثر ضئيل عليه فهؤلاء دخلوا في الإسلام ولم يلبثوا أن خرجوا منه باعتقاداتهم الفاسدة يقرؤون القرآن يحسبونه لهم وهو عليهم ، وأخشى أن ينطبق هذا على بعض مسلمي عصرنا فليحاسب الإنسان نفسه .

٤٤٨ - * روى البخاري عن عبدِ الله بنِ عمرَ رضي الله عنهما ، أنه ذكر الحَرورِيَّة ؛ فقال : قال رسولُ الله ﷺ : « يَمرُقون من الإسلام مُروقَ السَّهْمِ من الرَّمِيّة » .

٤٤٩ - * روى البخاري ومسلم عن يسيرِ بن عمرو رضي الله عنه ، قال : قلتُ لسهل بن حُنَيْفٍ : هل سمعتَ النبيَّ ﷺ يقول في الخوارج شيئًا ؟ قال : سمعتُهُ يقول :- وأهْوَى بيده قِبَل العراق - « يخرج منه قومٌ يقرؤون القرآنَ ، لا يُجاوِزُ تَرَاقِيهم ، يمْرُقون من الإسلام مُرُوقَ السَّهمِ من الرَّمِيَّة » .

وفي رواية [1] قال : « يَتِيه قَومٌ قِبل المشرق ، محلّقَةٌ رؤوسهم » .

٤٥٠ - * روى النسائي عن شَريكِ بنِ شِهابٍ ، قال : كنتُ أتمنى أن ألقَى رجُلاً من

= (الغرض) : الهدف .

(البَصيرة) : الدليل والحجة الذي يستدل به لأن الدليل يوضح المعنى ويُحقّقه ، فكأن صاحبه يبصر به ، والبصيرة : هو شيء من الدم يستدل به على الرمية .

٤٤٨ - البخاري (١٢ / ٢٨٣) ٨٨ - كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ٦ - باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم .

٤٤٩ - البخاري (١٢ / ٢٩٠) ٨٨ - كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ٧ - باب ترك قتال الخوارج للتألف ... إلخ .

مسلم (٢ / ٧٥٠) ١٢ - كتاب الزكاة ٤٩ - باب الخوارج شر الخلق والخليقة .

(١) مسلم في الموضع السابق .

٤٥٠ - النسائي (٧ / ١١٩) ٣٧ - كتاب تحريم الدم ٢٦ - باب من شهر سيفه ثم وضعه في الناس . =

أصحاب النبيِّ ﷺ ، أسأله عن الخوارج ، فلَقِيتُ أبا بَرزَةَ في يوم عيد في نَفَرٍ من أصحابه ، فقلتُ له : هل سمعتَ رسولَ الله ﷺ يذكر الخوارج ؟ قال : نعم ، سمعتُ رسول الله ﷺ بأُذنيَّ ، ورأيتهُ بعَينيَّ ، أُتِيَ رسولُ الله بمالٍ ، فقَسَمَه ، فأعطى مَنْ عن يمينه ، ومَنْ عن شماله ، ولم يُعطِ مَنْ وراءَه شيئًا ، فقام رجلٌ مِن ورائه ، فقال : يامحمدُ ، ما عَدَلْت في القِسْمة ـ رجل أسودُ مطموم الشَّعر ، عليه ثَوْبانِ أبيضان ـ فغَضِب رسولُ الله غضبًا شديدًا وقال : « واللهِ لا تَجِدُون بعدي رجلاً هو أعْدَلُ مني » ثم قال : « يخرج في آخر الزمان قوم ، كأَنَّ هذا منهم ، يقرؤون القرآن ، لا يُجاوِز تَراقِيهم ، يمرُقون من الإسلام كما يَمرُقُ السَّهم من الرمية ، سِيماهُمُ التحليقُ ، لا يزالون يخرجون حتى يخرجَ آخرُهُم مع المسيح الدجال ، فإذا لَقِيتُمُوهم هم شَرُّ الخَلْق والخَلِيقَةِ » .

قال ابن الأثير : (مطموم الشعر) : كثيره ، قد طَمَّ رأسه ، أي : غطاه ، والطمُّ : الشيء الكثير .

أقول : ويحتمل أن يكون مطموم شعر اللحية حليق الرأس كما في رواية ستأتي معنا عن عامر بن واثلة .

وعلى فهم ابن الأثير أقول تعليقًا : هذا خارجي لم يحلق شعر رأسه فالظاهر أنّ حلق الشعر بعد ذلك كان شعارًا لجميع الخوارج وهو وحده ليس علامة فارقة فلقد حلق رسول الله ﷺ رأسه وكان بعض الصحابة يحلقون رؤوسهم ، ولم يزل بعض صالحي الأمّة يحلقون رؤوسهم وليس فيه نهي أمّا النهي فقد ورد في حلق اللحى ولذلك احتملت أن تشير كلمة (التسبيد) الواردة في بعض النصوص أنّها إشارة إلى خارجية تأتي بعد الخارجية الأولى سيماهم حلق اللحى وهو احتمال لم أر من نصّ عليه ، لكنه احتمال قوي خاصّة مع ورود النهي عن حلق اللحي فما لم يكن هناك عذر من خوف أو نحوه فإن المرجو من حملة الإسلام ألا يتساهلوا في حلق اللحي .

= قال محقق الجامع : وهو حديث حسن .

٤٥١ ـ * روى مسلم عن أبي ذَرٍّ الغِفَارِيِّ رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ بَعْدي من أمَّتي ـ أو سيكونُ بعدي من أمتي ـ قوم ، يقرؤون القرآن لايُجاوزُ حَلاقِيَهم ، يَخرُجون من الدِّين كما يَخرُجُ السهم من الرَّمِيَّـةِ ، ثم لا يعودون فيـه ، هم شرُّ الخَلْق والخَلِيقَةِ » .

قال ابن الصامت : فلقيتُ رافع بنَ عمرو الغفاري [أخا الحكم الغِفاري قلتُ : ما حديثٌ سمعتُهُ من أبي ذر كذا وكذا ؟] فذكرت له هذا الحديث ، فقال : وأنا سمعتُـهُ من رسولِ الله ﷺ .

٤٥٢ ـ * روى مسلم عن جابرِ بن عبدِ الله رضي الله عنهما : قال : أَتَى رجلٌ بالجِعْرَانة ـ مُنْصَرَفَنا من حُنَيْنٍ ـ وفي ثوب بلالٍ فِضةٌ ، ورسولُ الله ﷺ يَقْبِضُ منهـا ويُعطي النـاسَ ، فقال : يامُحمد ، اعْدِلْ ، فقال : « ويلَـكَ ومَنْ يَعْـدِلُ إذا لم أعْـدِلْ ؟ ! لقـد خِبْتُ وخَسِرتُ إن لم أكنْ أعـدِل » فقـال عمرُ بن الخطـاب : دَعْني يـارسـولَ الله فـأقتـلَ هـذا المنافقَ ، فقال : « مَعاذَ الله أن يتحدَّث النـاسُ أنَّ محمـدًا يقْتُلُ أصحـابـه ، إنَّ هـذا وأصحـابَـه يقرؤون القـرآن لا يُجـاوزُ حَنـاجِرَهم ، يَمْرُقـون من الـدين كما يَمْرُق السهمُ من الرَّمِيَّةِ » .

وأخرجه البخاري [١] قال : بينما رسول الله ﷺ يَقْسِم غَنيمةً بالجِعْرَانَةِ إذ قال لـه رجل : اعدل ، فقال : « لقد شَقِيتُ إن لم أعْدِلْ » .

٤٥٣ ـ * روى الترمذي عن عبـد الله بن مسعود رضي الله عنـه ، قـال : قـال رسولُ الله

---

٤٥١ ـ مسلم (٢ / ٧٥٠) ١٢ ـ كتاب الزكاة ٤٩ ـ باب الخوارج شر الخلق والخليقة .

(الخَلْق والخليقة) : اسمان بمعنى : وهم الخلائق كلُّهم . وقيل : الخلق : الناس . والخليقة : الدواب والبهائم .

أقول : المراد بالخلق : المسلمون ، فهم شرّ المسلمين ، لأن المرجو أن يكون مآلهم الجنـة على مـا هم عليـه . إلا من كفر منهم .

وقد رأينا في كلام عبد القاهر أن بعض الخوارج قد حكم عليهم بالكفر .

٤٥٢ ـ مسلم (٢ / ٧٤٠) ١٢ ـ كتاب الزكاة ٤٧ ـ باب ذكر الخوارج وصفاتهم .

(١) البخاري (٦ / ٢٣٨) ٥٧ ـ كتاب فرض الخمس ١٥ ـ باب ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين ... إلخ .

٤٥٣ ـ الترمذي (٤ / ٤٨١) ٣٤ ـ كتاب الفتن ـ ٢٤ ـ باب في صفة المارقة . وقال : حسن صحيح . وهو كما قال .

ﷺ : « يخرج في آخر الزمان قوم أحداثُ الأسنان ، سُفهاء الأَحلامِ ، يقرؤون القرآن ، لا يجاوز تراقيهم ، يقولون من خير قول البرية ، يمرُقون من الدين كما يمرُق السهم من الرمية » .

٤٥٤ - * روى أبو داود عن أبي سعيد الخدري ، وأنس بن مالك رضي الله عنهما ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « سيكونُ في أمتي اختلاف وفُرقة ، وقومٌ يحسنُون القيلَ ، ويُسيئونَ الفِعْلَ ، يقرَؤونَ القرْآن ، لا يجاوز تَراقيهم ، يمْرقُون من الدِّين كما يمرُق السهم من الرَّمية ، ثم لا يَرجعونَ حتى يَرتد على فُوقِهِ ، هُمْ شر الخلق ، طُوبى لمن قتلَهم وقتلوه ، يدعون إلى كتاب الله ، وليسوا منه في شيء ، مَن قاتَلَهم كان أولى بالله منهم » قالوا : يارسولَ الله ، ما سيماهم ؟ قال : « التحليقُ » .

وفي رواية عن أنس [1] نحوه قال : « سيماهم التحليق والتسبيد ، فإذا رأيتموهم فأنيموهم » .

أقول : إن القاعدة عند علماء التفسير أنه ما من وعيد في الكفار إلا وينبغي أن يأخذ المسلم منه عبرة ، وأن ينظر ما إذا كان فيه شيء من أخلاق الكافرين ليتجنبه ، فإذا كان هذا في الكفار فمن باب أولى أن يتخوف المسلم أن يكون على شيء من أخلاق فرقة ضالة ، ومن ههنا ننبه مسلمي عصرنا وكل عصر على أن يتأملوا في أخلاق الخوارج ويتجنبوها ، لأن الخارجية كما تفيد النصوص متجددة في الأمة الإسلامية .

ومن الأمثلة على ما ينبغي أن يحذره المسلم من أخلاقية الخوارج ما ورد في هذا النص :

١ - إحسان القول وإساءة الفعل .

٢ - عدم التأثر القلبي بالقرآن .

---

٤٥٤ - أبو داود (٤ / ٢٤٣) كتاب السنة - باب في قتال الخوارج . وهو حديث صحيح .

(١) أبو داود (٤ / ٢٤٤) الكتاب والباب السابقان .

(القيل) : هو القول .

(التسبيد) : هو حلق الرأس واستئصال الشعر ، وقيل : ترك التَّدَهُّن وغسلِ الرأس .

(الإنامة) : القتل ، يقال : ضربه فأنامه : إذا قتله .

٣ ـ الخروج السريع من الدين وذلك : كأن يدخل فيه ثم لا يأخذ حظه من العلم والحكمة والتزكية ، فيفتي بجهل ويعمل بهوى ويتصرف بسوء خلق ويعتبر ذلك كله دينًا وما هو من الدين .

٤ ـ يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء وذلك أنهم من حيث المبدأ يؤمنون بكتاب الله ويدعون إليه ولكن حظهم من التلاوة والفهم والتدبر والتأثر والحفظ شبه معدوم .

٥ ـ التحليق والتسبيد : لا يبعد أن يكون بعض الخوارج في بعض العصور ممن يحلقون لحاهم ويسبدون شعور رؤوسهم ، لأن حلق الرأس وحده وإكرام اللحية ليس مأخذًا شرعيًا ، ولذلك احتملنا أن يكون هذا الحديث في نوع من الخوارج يرتكبون منكر حلق اللحية وذلك هو المأخذ الشرعي . فالمسلم وهو يقرأ مثل هذا الحديث عليه أن يحاسب نفسه فيما إذا كان عنده شيء من مثل هذه الأخلاق .

٤٥٥ ـ * روى أحمد عن علي قال : قال رسول الله ﷺ « يكون في آخر الزمان قوم يقرؤون القرآن يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية قتالهم حق على كل مسلم » .

أقول : إن راوي الحديث وهو الإمام علي رضي الله عنه قد ابتلي بقتال الخوارج الأُوَل ، وقد سَنّ لنا في ذلك سننًا ، والعلماء بنوا أحكامهم في الخوارج على ما سَنّ ، لأنه خليفة راشد ، ونحن مأمورون باتباع سنة الخلفاء الراشدين ، ومما سَنّه الإمام عليّ رضي الله عنه ، أنه لم يبدأ الخوارج بالقتال إلا بعد ما قرروا القتال وبدأوه فعلاً . فالحديث محمول على مثل هذا ، وعلماء المسلمين قرروا أنه يجب القتال مع الإمام الحق إذا خرجت عليه طائفة بغير الحق ، فإذًا : لا يصح لأفراد الأمة الإسلامية أن يقتلوا من هو مظنة الخارجية إلا بقضاء إسلامي عادل وبعد تصرفات من الخارجي أو أقوال تبيح قتله ، ثم لابد من ملاحظة أنه : « لا تزر وازرة وزر أخرى » .

---

٤٥٥ ـ مسند أحمد (١ / ١٥٦) .

مجمع الزوائد (٦ / ٢٣١) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

٤٥٦ ـ * روى الحاكم عن عبدِ الله بن عباسٍ قال : لما اعتزلت [الحرورية في] حروراءَ وكانوا في دارٍ على حِدَتِهم قلت لعليٍّ : يا أمير المؤمنين أبرد [في] الصلاة لعلي آتي هؤلاء القومَ فأكلمهم . قال : فإني أتخوفُهم عليك ، قال : قلتُ كلا إن شاء الله . قال : فلبستُ أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية ثم دخلت عليهم وهم قائلون في نحر الظهيرة قد خلت على قوم لم أر قومًا قط أشدَّ اجتهادًا منهم ، أيديهم كأنها ثَفِنُ الإبل ووجوهم مُعْلَبَة من آثار السجود [أي فيها أثر بسبب السجود] ، قال : فدخلت ، فقالوا : مرحبًا بك يا ابنَ عباسٍ ما جاء بك ، قال : جئتُ أحدثُكم عن أصحاب رسول الله ﷺ نزل الوحي وهم أعلم بتأويله ، فقال بعضهم : لا تحدثوه . وقال بعضهم : لنُحدثَنَّه ، قال : قلتُ : أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله ﷺ وختنه وأول من آمن به وأصحابُ رسول الله ﷺ معه ؟ قالوا : نَنْقَمُ عليه ثلاثًا ، قلت : ما هن ؟ قالوا : أولهن أنه حَكَّم الرجال في دين الله وقد قال الله ﴿ إن الحكم إلا لله ﴾ (١) قال : قلت وماذا ؟ قالوا : وقاتل ولم يَسْبِ ولم يَغْنَمْ ، لئن كانوا كفارًا لقد حَلَّتْ له أموالُهم ولئن كانوا مؤمنين لقد حَرُمَتْ عليه دِماؤُهم . قال : قلت وماذا ؟ قالوا : ومحا نفسَه من أمير المؤمنين فإن لم يكن أميرَ المؤمنين فهو أميرُ الكافرين . قال : قلت أرأيتم إن قَرأتُ عليكم من كتابِ الله المُحْكَمِ وحدثتكم من سُنة نبيكم ﷺ ما لا تُنْكِرون أترجِعون ؟ قالوا نعم ، قال : قلت أما قولُكم إنه حكَّم الرجال في دين الله فإنه يقول ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ﴾ إلى قوله ﴿ يحكم به ذوا عدل منكم ﴾ (٢) وقال في المرأة وزوجها ﴿ وإن خفتم شِقاق بينهما فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها ﴾ (٣) أنشُدُكم الله ، أحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم وصلاح ذات بينهم أحق أم في أرنب ثمنها ربع درهم ؟ قالوا : اللهم في حقن دمائهم وصلاح ذات بينهم . قال :

---

٤٥٦ ـ المستدرك (٢ / ١٥٠) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

وقال الهيثمي : رواه الطبراني وأحمد ورجالهما رجال الصحيح . مجمع الزوائد (٦/ ٢٣٩) .

ثفن : جمع ثفنة وهي ما وَلِيَ الأرض من كل ذات أربع إذا بركت كالركبتين وغيرهما ، ويحصل فيها غلظ من أثر البروك .

(١) يوسف : ٤٠ .

(٢) المائدة : ٩٥ .

(٣) النساء : ٣٥ .

خرجت من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم . وأما قولكم إنه قاتل ولم يسب ولم يغنم . أتسبون أمكم [أي عائشة رضي الله عنها] أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها ؟ فقد كفرتم ، وإن زعمتم أنها ليست بأمكم فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام ، إن الله عز وجل يقول ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ﴾ فأنتم تترددون بين ضلالتين فاختاروا أيها شئتم ؟ أخرجتُ من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم . [قال] : وأما قولكم إنه محا نفسه من أمير المؤمنين فإن رسول الله ﷺ دعا قريشًا يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتابًا فقال : « اكتب [أي لعلي] هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله » فقالوا والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صَدَدْناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله ، فقال : « والله إني لرسولُ الله وإن كذبتموني اكتب يا علي محمد بن عبد الله » فرسول الله ﷺ كان أفضلَ من علي . أخرجت من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم . فرجع منهم عشرون ألفًا وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا .

أقول : يلاحظ من خلال النقاش الدائر بين ابن عباس رضي الله عنهما والخوارج أنه قد رجع القسم الأكبر منهم إلى جادة الصواب ، وهذا يفيد أنه بالعلم الصحيح وبالحجة القوية يمكن أن تعالج ظاهرة الخارجية في الأمة الإسلامية ، ومن هنا أكثرنا من الحض على التعرف على كل أصول الثقافة الإسلامية وفروعها ، لأنه بذلك وحده يوجد العاصم عن الخطأ الاعتقادي ، وتوجد الحصانة ضد الفكر الشاذ ، وشرطنا لهذه الثقافة أن تكون على ضوء فهوم الراسخين في العلم من هذه الأمة ممن شهدت لهم الأمة بالعدالة ، ولم يعرف عنهم شذوذ اعتقادي أو فتوى تخالف إجماعًا .

٤٥٧ - * روى الطبراني في الصغير والأوسط عن علي قال : لقد عَلِمَ أولو العلمِ من آل محمدٍ وعائشةُ بنتُ أبي بكر فاسألوها أن أصحابَ ذي الثُّدَيَّة ملعونون على لسان النبي الأمي ﷺ . وفي رواية أن أصحاب النهروان .

---

٤٥٧ - مجمع الزوائد (٦ / ٢٣٩) . وقال رواه الطبراني في الصغير والأوسط بإسنادين ورجال أحدهما ثقات . ا هـ وللحديث شواهد .

٤٥٨ - * روى أبو يعلى عن عبيد الله بن عِياض بن عمرو القاري أنه جاء عبدُ اللهِ بنُ شَداد بن الهادِ فدخل على عائشةَ ونحن عندها جلوسٌ مَرْجِعَهُ من العراق ليالِيَ قتِلَ عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه ، فقالت له : يا ابن شداد بن الهاد ، هل أنت صادق عما أسألك عنه ؟ حدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلَهُم علي قالَ : ومالي لا أصدُقُكِ ؟ قالت : فحدثني عن قصتهم . قال : فإنّ علي بن أبي طالب لما كاتبَ معاويةَ وحَكَّمَ الحكمان خرج عليه ثمانية آلافٍ من قُرّاء الناس فنزلوا بأرض يُقال لها حَرورا من جانب الكوفةِ وإنهم عابوا عليه فقالوا : انسلخت من قميصٍ كساكَهُ الله واسمٍ سَماك اللهُ به ثم انطلقت فحكمْتَ في دين اللهً . فلا حُكْم إلا لله . فلما بلغ عليًا ما عابوا عليه وفارقوه عليه فأمرَ مُؤذّنا فأذّنَ أن لا يَدْخُلَ على أمير المؤمنين إلا من قد حمل القرآن ، فلما امتلأتِ الدارُ من قُراء الناسِ دعا بمصحفٍ إمام عَظيمٍ فوضَعَه بين يديه فجعل يَصُكُّهُ بيده ويقول : أيها المصحفَ حَدّثْ الناسَ ، فناداه الناسُ : ياأمير المؤمنين ما تسأل عنه إنما هو مِداد في ورق يتكلّمَ بما رأينا منه ، فما يزيد ، قال : أصحابُكم أولئك الذين خرجوا بيني وبينهم كتابُ الله . يقول الله في كتابه في امرأة ورجل ﴿ **وإن خِفتم شقاق بينهما فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها إن يريدا إصلاحًا يوفق الله بينهما** ﴾ [(١)] فأمة محمد ﷺ أعظم حُرمَةً أو ذِمَّةً من رجل وامرأة : ونقموا عليَّ أني كاتبتُ معاويةَ ، وكتبتُ علي بن أبي طالب ، وقد جاء سهيل بن عمرو فكتب رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم قال : لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم . قال : « وكيف نكتب » ؟ قال سهيل : اكتب باسمك اللهم ، فقال رسول الله ﷺ : « فاكتب محمدٌ رسولُ الله » فقال : لو أعلمُ أنك رسولُ الله لم أخالِفْك . فكتب : هذا ما صالح عليه محمدُ بنُ عبدِ الله قريشًا . يقول الله في كتابه ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كانَ يرجو الله واليوم الآخر** ﴾ [(٢)] فبعث إليهم عبدَ الله بنَ عباسٍ فخرجت معه حتى إذا توسطنا عَسكَرهم قامَ ابنُ الكَوَّا فخطبَ الناس فقال : يا حَمَلَةَ القرآنِ هذا عبدُ الله بنُ عباس فمن لم يكنْ يَعرِفُه فليعْرِفْه فأنا أعرفه من كتاب الله هذا ممن نزل فيه وفي قومه ﴿ قومٌ

---

٤٥٨ - مجمع الزوائد (٦ / ٢٣٥) . وقال : رواه أبو يعلى ورجاله ثقات .

(١) النساء : ٣٥ .

(٢) الأحزاب : ٢١ .

خَصِمون ﴾[1] فَرَدوهُ إلى صاحبه ولا تُواضِعوه كتابَ اللهِ . قال : فقامَ خطباؤهم فقالوا والله لنواضِعَنَّه الكتابَ فإن جاءَ بالحق نَعرفه لنَتَّبِعَنَّهُ وإن جاءَ بباطل لَنُبَكِّتَنَّهُ بباطل ولَنَرُدَّنَّه إلى صاحبه . فواضعوا عبدَ الله بن عباسٍ ثلاثةَ أيام فَرَجع منهم أربعةُ آلاف كلهم تائبٌ فيهم ابن الكوا حتى أدخلهم على عليٍّ الكوفةَ فبعث عليٌّ إلى بقيتهم قال : قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم فَقِفُوا حيثُ شئتم ، بيننا وبينكم أن لا تسفِكوا دمًا حرامًا أو تَقْطَعوا سبيلاً أو تَظلِموا ذِمةً فإنكم إن فعلتُم فقد نبذنا إليكم الحربَ على سواءٍ إن الله لا يحب الخائنين قال فقالت له عائشة : ياابنَ شَدادٍ فقد قَتَلهم ، قالَ : فوالله ما بعثَ إليهم حتى قطعوا السبيلَ وسفكوا الدماءَ واستحلوا الذمةَ . فقالت : والله ؟ قال الله الذي لا إله إلا هو لقد كان . قالت : فما شيء بلغني عن أهل العراق يتحدثونه يقولون ذا الثدية مرتين . قال : قد رأيتَه وقمتُ مع علي معه على القتلى فدعا الناسَ فقال : أتعرفون هذا ؟ فما أكثر من جاء يقول رأيتَه في مسجد بني فلان يُصلي ولم يأتوا فيه بِثَبْتٍ يُعرَفُ إلا ذاك . قالت : فما قولُ عليٍّ حين قام عليه كما يَزعُمُ أهلُ العراق ؟ قال : سمعته يقول : صدق اللهُ ورسولُه . قالت : فهل رأيتَه قال غير ذلك ؟ قال : اللهم لا . قالت : أجل صدق الله ورسوله يرحم الله عليًا إنه كان من كلامه لا يرى شيئا يعجبه إلا قال صدق الله ورسوله . فيذهبُ أهل العراق فيكذبون عليه ويزيدون في الحديث .

أقول :

الظاهر من الرواية أن عائشة لم تر نسبة قضية ذي الثدية إلى رسول الله ﷺ ولم تكذب عليًا ، والروايات الصحيحة لم تدع مجالاً للشك أن عليًا سمع ذلك من رسول الله ﷺ ، ولا تناقض بين هذه الرواية والتي قبلها ، فقد ذكر الراوي هناك روايتين في الكلمة المنقولة عن علي وأصحاب الثدية أو أصحاب النهروان ، والظاهر أن عائشة لم تنكر قتل أهل حروراء بل ورد على لسانها ما يدل على معرفتها بغلوهم كما في سؤالها للمرأة (أحرورية أنت) .

---

(١) الزخرف : ٥٨ .

٤٥٩ ـ * روى الطبراني عن أبي أمامةَ عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ﴾ [(١)] قال : « هم الخوارج » .

٤٦٠ ـ * روى الطبراني في الكبير والأوسط عن حُميدِ بن هلال قَالَ : غَزَا عُمَارَةُ بنُ قرض الليثي غَزَاةً لَهُ فَمَكَثَ فِيها مَا شَاء اللهُ ثُمَّ رَجَعَ حَتَّى إذا كَانَ قَرِيبًا مِنَ الأهْوازِ سَمِعَ صَوْتَ الأذَانِ فَقَالَ : وَاللهِ مَالِي عَهْدٌ بصَلاةٍ بِجَمَاعَةٍ مِنَ المُسْلِمينَ منذ ثلاثٍ . وقَصَدَ نحْوَ الأذَانِ يُرِيدُ الصّلاة ، فإذا هو بالأزارقة فقالوا له : ما جَاءَ بِكَ يَاعَدُوَّ اللهِ فَقَالَ : مَا أَنْتم إخْوَانِي ؟ قَالُوا : أنْتَ أَخُو الشَّيْطَانِ لَنَقْتُلَنَّكَ . قال : أَمَا تَرْضَوْنَ مِنّي بِمَا رَضِيَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ؟ قَالُوا أيُّ شَيءٍ رَضِي بِهِ مِنْكَ ؟ قَالَ : أَتَيْتُه وَأنَا كَافِرٌ ، فَشَهِدْتُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّهُ رَسُولُ اللهِ فَخَلَّى عَنّي فأخَذُوهُ فَقَتَلُوهُ .

٤٦١ ـ * روى أحمد عن أبي سعيد الخدري ، أن أبا بكر الصديق جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسولَ الله إني بواد كذا وكذا فإذا رجل مُتَخَشّعٌ حَسَنُ الهيئةِ يُصلي فقال له النبي ﷺ : « اذهب فاقْتُله » . قال : فذهب إليه أبو بكر فلما رآه على تلك الحال كره أن يَقْتُلَهُ فَرَجَعَ إلى رسول الله ﷺ . فقال النبي ﷺ لعمر : « اذهب فاقتله » فذهب عمر فرآه على الحال الذي رآه أبو بكر فيه ، قال فرجع . فقال : يارسول الله إني رأيته يصلي متخشعًا فكرهت أن أقتلَه . قال : ياعلي « اذهب فاقتله » . فذهب علي فلم يَرَه فرجَعَ علي فقال : يارسول الله لم أره . قال : فقال النبي ﷺ : « إن هذا وأصحابَه يقرؤون القرآنَ لا يجاوزُ تَراقِيَهم يَمرقُون من الدين كما يَمرقُ السَّهْمُ من الرمية ثم لا

---

٤٥٩ ـ المعجم الكبير (٨ / ٣٢٥) .

مجمع الزوائد (٦ / ٢٣٣) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات . و (٦ / ٣٢٧) وقال : إسناده جيد .

(١) آل عمران : ١١٨ .

٤٦٠ ـ مجمع الزوائد (١ / ٢٦) وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح .

(الأزارقة) : من الخوارج نسبوا إلى نافع بنَ الأزرق .

٤٦١ ـ مسند أحمد (٣ / ١٥) .

مجمع الزوائد (٦ / ٢٢٥) وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات .

فوق السهم : موضع الوتر منه .

يعودون فيه حتى يعودَ السهم في فُوقِهِ فاقتُلوهم هم شرُّ البرية » .

أقول : أمر رسول الله ﷺ بقتل هذا الشخص وحيًا ، أمّا نحن فلا يحل لنا أن نقتل إلا على بينة ، وقد رأينا أن عليا لم يقتل الخوارج ولم يقاتلهم إلا بعد أن بدأوا بسفك الدماء المعصومة واستحلال الأموال المعصومة وحيازاتها ، والفقهاء يعتبرون فعل علي في شأن البغاة هو الأصل الذي يرجع إليه لأنّه القدوة فيه فهو الخليفة الراشد .

٤٦٢ ـ * روى أحمد عن شَريك بنِ شِهَاب قال : كنتُ أتمنى أن ألقى رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ يُحَدِّثني عن الخوارج فلَقِيت أبا بَرْزَة في يوم عَرفَةَ في نفرٍ من أصحابه فقلت : يا أبا بَرْزَةَ حَدِّثنا بشيء سَمِعتَه من رسول الله ﷺ يقوله في الخوارج قال : أُحَدِّثك بما سمعتْ أذناي ورأت عيناي ، أُتي رسولُ الله ﷺ بدنانير فكان يقسمُها وعنده رجلٌ أسودُ مطمومُ الشعر عليه ثوبان أبيضان بين عينيه أثرُ السجود فتَعَرَّضَ لرسولِ الله ﷺ فأتاه من قِبل وجهه فلم يُعطِه شيئًا ، فأتاه من قبل يمينه فلم يعطه شيئًا ، ثم أتاه من خلفه فلم يعطه شيئًا ، فقال : والله يا محمدُ ما عَدَلْتَ في القِسمة منذ اليوم. فَغَضِبَ رسول الله ﷺ غَضَبًا شديدًا ثم قال : « والله لا تجدون بعدي أحدًا أعْدَلَ عليكم مني » قالها ثلاثًا ، ثم قال : « يخرج من قِبل المشرق رجالٌ كأن هذا منهم ، هديهم هكذا ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يرجعون إليه » . ووضعَ يدَه على صدره « سيماهم التحليقُ لا يزالون يخرجون حتى يخرجَ آخِرُهم مع الدجّال فإذا رأيتموهم فاقتُلُوهم » ، قالها ثلاثًا « شر الخلق والخليقة » قالها ثلاثًا ، وقال حماد : لا يرجعون فيه .

أقول : هذا الحديث يدل على أن الخارجية متجددة الظهور في الأمة الإسلامية . وقوله عليه السلام : « فإذا رأيتموهم فاقتلوهم » : يفيد أن القتل متوقف على رؤية هؤلاء الموصوفين بهذه الصفات يقينًا ، لأن القتل لا يجوز بالظن ، والمعرفة اليقينية متوقفة على

---

٤٦٢ ـ مسند أحمد (٤ / ٤٢١) .

مجمع الزوائد (٦ / ٢٢٨) . وقال : رواه أحمد . والأزرق بن قيس وثقه ابن حبان ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

المستدرك (٢ / ١٤٦) . وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وسكت عنه الذهبي .

الحقيقة والآثار ، وحقيقة ما في القلوب مغيبة عنا فلم يبق إلا الآثار التي تبيح القتل ، والأصل : أن نحسن الظن بالمسلم . ولا يخالف هذا الأصل إلا بأدلة تبيح ذلك ، فكيف بالقتل وقد غلب في العصور المتأخرة التسرع في القتل بحجة الخارجية ، والذي نراه لقارئ النصوص الواردة في الخوارج أن يتهم نفسه وأن يحترس في اتهام الآخرين إلا إذا وصل عن طريق العلم الصحيح إلى يقين ، ومع ذلك فإن هذا اليقين لا يكفي للقتل إلا إذا تصرف هؤلاء التصرفات التي تبيح قتلهم وقتالهم ، وقد رأينا تفصيلات ذلك .

٤٦٣ - * روى الطبراني عن عبدِ اللهِ بن عمرو ، قال : سمعت رسولَ الله ﷺ يقولُ « يخرجُ ناسٌ من قِبَل المشْرق يقرؤون القرآن لا يُجاوزُ تَراقِيَهم كلما قُطِعَ قَرنٌ نشأ قرْنٌ حتى يكونَ مع بقيتهم الدجالُ » .

٤٦٤ - * روى الطبراني عن عامر بن واثلةَ قال : لما كان يومُ حُنينٍ أتى رسولَ الله ﷺ رجلٌ مَجْزوزُ الرأس أو محلوقُ الرأسِ قال : ما عَدَلْتَ . فقال له رسول الله ﷺ : « فمن يعدِلُ إذا لم أعْدلْ أنا ؟ » قال : فغفل عن الرجل فذهب . فقال : « أينَ الرجل » ؟ فطُلِبَ فلم يُدْرَكْ . فقال : « إنه سيخرج في أمتي قوم سيماهم سيما هذا يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر في قِدْحه فلم يَر شيئًا ، ينظر في رِصافه فلم ير شيئًا ، ينظر في فُوقِه فلم ير شيئًا » .

(القِدْح) : السهم قبل أن يراش ويركب نصله .

أقول : من مظاهر الخارجية : الورع الجاهل والتشدد المنبعث عن قوة نفس لا عن قوة إيمان ، ومن مظاهرها : سوء الأدب مع من يجب لهم التوقير والاحترام كما في فعل هذا : إذ يأمر رسول الله ﷺ بالعدل ، ولقد فشا سوء الأدب ، وهذا مما ينبغي أن يفطن له المربون ولا يعالج هذا الأمر إلا بأن يكون الكبير جديرًا بالاحترام ، وتصرفاته حكيمة وأقواله مستقيمة وأن يربي الصغير على توقير الكبير .

---

٤٦٣ - مجمع الزوائد (٦ / ٢٣٠) . وقال : رواه الطبراني وإسناده حسن . ا هـ وللحديث شواهد .

٤٦٤ - (٦ / ٢٣٠) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات . ا . هـ . وسبق له شاهد نحوه .

٤٦٥ ـ * روى البزار عن عقبةَ بن وساج قال : كان صاحِبٌ لي يحـدثني عن عبـد الله بن عمرو في شأن الخوارج ، فحجَجْتُ ، فلَقيتُ عبدَ الله بن عمرو ، فقلت : إنـك بقيـةُ أصحـاب رسول الله ﷺ ، وقد جعلَ الله عندك علمًـا ، إن نـاسًـا يَطْعَنون على أمرائهم ويَشهَـدون عليهم بالضَّلالَةِ . قالَ : على أولئك لعنة الله والملائكة والناسِ أجمعين . أُتيَ رسولُ الله ﷺ بسِقَاية من ذهب أو فضة فجعل يَقْسِمها بينَ أصحابه فقام رجلٌ من أهل البادية فقال : يا محمدُ لئن كانَ اللهُ أمرَك بالعَدْلِ فلم تعْدِل . فقال : « ويلَـكَ فمن يَعـدِل عليكم بعـدي » ؟ فلما أدبر قال رسـول الله ﷺ : « إن في أمتي أشبـاه هـذا يقرؤون القرآن لا يجـاوز تراقيهم فـإنْ خرجوا فاقتلوهم ثم إن خرجوا فاقتلوهم » . قال ذلك ثلاثًا .

أقـول : نفهم من كـلام ابن عمرو : أن الطعن في الأمراء والحكام من أخـلاق الخـوارج ، وهذه القضية لها تفصيلاتها . فـأمراء العـدل تجب علينـا طـاعتهم ، وتحرم علينـا غيبتهم لأن هذا يؤدي إلى خلخلة الثقة ، وفي ذلك مـا فيـه من إفسـاد العبـاد والبلاد ، أمـا أمراء الجور والكـذب والضلال فهؤلاء ننصحهم إن استطعنـا أو نجفوهم ، ويصـح الكـلام فيهم إذا صحت النية وتحققت المصلحة كإبعاد مسلم عن تصـديقهم في كـذب أو طـاعتهم في بـاطل أو ظلم إلى غير ذلـك ، ولا يعرف حـدود ذلـك إلا عليم حكيم زكي النفس ، ولـذلـك كان من مهمات الرسل عليهم الصلاة والسلام : تلقين العلم والحكمة وتزكية الأنفس ، والمسلمون بحاجـة مستمرة إلى البيئات التي يجتمع لهم فيها تلقن العلم والحكمة وتزكية الأنفس .

٤٦٦ ـ * روى الحاكم عن شداد بن عبد الله أبي عمار قال شهدت أبا أُمَـامـةَ البـاهِلي رضي الله عنه وهو واقفٌ على رأسِ الحرورِيـة عنـد بـاب دمشقَ وهو يقول : كلاب أهل النـار ـ قالها ثلاثًا ـ خيرُ قتلى من قَتَلوه . ودَمَعَتْ عيناه . فقال لـه رجل يا أبا أمامة أرأيت قولـك هؤلاء كلابُ النارِ أشيء سمعْتَه من رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم أو من رأيـك ؟ قـال إني إذًا لجريء ، لو لم أسمعه من رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا مرة أو مرتين أو ثلاثـًا

---

٤٦٥ ـ كشف الأستار (٢ / ٣٥٩) .

مجمع الزوائد (٦ / ٢٢٨) . وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

٤٦٦ ـ المستدرك (٢ / ١٤٩) . وصححه الذهبي .

وعدّ سَبع مرا ما حدثتكوه . قال له رجل : إني رأيتك قد دَمعتْ عيناك قال : إنهم لما كانوا مؤمنين وكفروا بعد إيمانهم ، ثم قرأ ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات ﴾ [1] الآية فهي لهم مرتين .

أقول : ليس المراد بالكفر هنا الكفر الحقيقي ، فالإمام علي نفسه لم يكفر الخوارج ، وإنما هو كفر نعمة الوحدة والائتلاف ، وقد رأينا أن أهل السنة لم يكفروا من الخوارج إلا بعض فرقهم الذين استحلوا الحرام القطعي .

والملاحظ : أن أبا أمامة حدث عن خوارج خرجوا في العهد الأموي ، ومن موقف أبي أمامة هذا ندرك أن الخروج المسلح على الحكام هو على شفتا خطرٍ إلا إذا وجد الكفر البواح أو وجدت الفتوى البصيرة من أهلها ، والفتوى في هذه الحالة محكومة بموازنات متعددة ، وحتى في حالة الكفر البواح فإن القتال لا تجب مباشرته إلا إذا توافرت شروط ولا يبعد أن تكون مباشرته من فروض الكفاية في بعض الأحوال ، ولكن ذلك كله يخضع للفتوى البصيرة من أهلها ، وما أقل الذين يعرفون الفتوى ، والذين يعرفون أن يفتوا في مثل هذه الشؤون على ضوء فهوم الراسخين في العلم وأئمة الاجتهاد ، وقد ذكر ابن عابدين - من فقهاء الحنفية - في كتاب الجهاد من حاشيته : « أن الجهاد قد يكون فريضة عينية ولا يأثم من لم يباشره » ، وضرب أمثلة على ذلك .

٤٦٧ - * روى ابن ماجه عن أبي أمامة يقول شَرُّ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ أديم السَّماء وَخَيْرُ قَتيلٍ مَنْ قَتَلُوا ، كِلابُ أَهْلِ النَّارِ ، قَدْ كَانَ هَؤُلاءِ مُسْلِمينَ فَصَارُوا كُفَّارًا قُلْتُ يَاأَبَا أُمَامَةَ هَذَا شَيْءٌ تَقُولُهُ ؟ قال : بَلْ سَمِعْتُه مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ .

٤٦٨ - * روى الإمام أحمد عن أنس قال : ذُكر لي أن رسول الله ﷺ قال ولم أسمعه منه:

---

(١) آل عمران : ١٠٥ .

٤٦٧ - ابن ماجه (١ / ٦٢) المقدمة ١٢ - باب ذكر الخوارج .

وإسناده حسن .

٤٦٨ - مسند أحمد (٣ / ١٨٣) .

مجمع الزوائد (٦ / ٢٢٩) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

« إن فيكم قوما يَتعبَدون فَيـدأبون حتى يَعجَبَ بهم النـاسُ وتُعْجبُهم أنفسُهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية » .

٤٦٩ ـ * روى الإمام أحمد عن عبد الملك بن مُلَيْلِ السَليحي قال : كنتُ جالسًا قريبًا من المنبر يوم الجمعة فخرجَ محمد بن أبي حذيفة فاستوى على المنبر فخطب ثم قرأ عليهم سورة من القرآن وكان من أقرأ الناس فقال عقبةُ بنُ عامر : صدق الله ورسولـه ، سمعت رسول الله ﷺ يقـول : « ليقرأن القرآن رجـال لايجـاوز تراقيهم يمرقـون من الـدين كما يمرق السهم من الرمية » .

أقول : محمد بن أبي حذيفة ممّن خرج على عثان رضي الله عنه ، ولذلـك وصفـه عقبـة بن عامر بما وصف به الخوارج .

٤٧٠ ـ * روى الإمام أحمد عن سعيـد بن جُمْهَـان قـال لقيت عبـد الله بن أبي أوفى وهو محجوب البصر فسلمتُ عليه فقـال : من أنت؟ قلت : أنا سعيد بن جهـان . قـال : مـا فعل والدك ؟ قلت : قتلته الأزارقة قال : لعن الله الأزارقة ، حـدثنـا رسول الله ﷺ أنهم كلاب النار . قال : قلت الأزارقة وحدهم أم الخوارج كلها قـال : بل الخوارج كلهـا . قـال : قلت : فإنَّ السلطانَ يظلم الناسَ ويفعل بهم ويفعل بهم . قال : فتناول يدي فغمزها غمزةً شديـدة ثم قال : ويحك يـاابن جهـان عليـك بـالسواد الأعظم ـ مرتين ـ إن كان السلطـان يسمع منـك فائته في بيته فأخبره بما تعلم فإن قبل منك وإلا فدعه فإنك لست بأعلم منه .

أقول : هذا في سلطان يقيم الصلاة ولا يعلن الكفر البواح ، ويقيم في النـاس كتـاب الله على خلل في العمل أو في التطبيق ، لكن الفقهاء قالوا : إذا فسق السلطان استحق العزل ما لم يكن في عزله فتنة أكبر من إبقائه ، وبعضهم قال : ينعزل الإمام بمجرّد فسوقه ، فلا تجب

---

٤٦٩ ـ مسند أحمد (٤ / ١٤٥) .

المعجم الكبير باختصار (١٧ / ٣٢٥) .

مجمع الزوائد (٦ / ٢٣١) . وقال : رواه أحمد والطبراني باختصار ورجالهما ثقات .

٤٧٠ ـ مسند أحمد (٤ / ٣٨٢) .

مجمع الزوائد (٥ / ٢٣٠) وقال : رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات .

بذلك طاعته شرعًا ، وإن لم يستطع المسلمون عزله فلا عليهم .

٤٧١ ـ * روى الإمام أحمد عن مِقْسَم بن بُجْرة مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : خرجتُ أنا وتَلِيدُ بنُ كلاب الليثي حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص وهو يطوف بالبيت مُعلِّقًا نعليه بيده ، فقلنا له : هل حضرت رسول الله ﷺ حين كلمه التميمي يوم حنين قال : نعم ، أقبل رجل من بني تميم يقال له ذو الخويصرة فوقف على رسول الله ﷺ وهو يعطي الناس فقال : يا محمدُ قد رأيتُ ما صنعتَ منذ اليوم فقال رسول الله ﷺ : « أجل فكيف رأيت ؟ » قال : لم أرك عَدَلْتَ قال : فغضب رسول الله ﷺ قال : « ويحك إن لم يكن العدل عندي فعند من يكون ؟ » فقال عمر بن الخطاب رحمه الله : ألا نقتله . قال : « لا ، دعوه فإن له شيعةً يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ينظر في النصل فلا يجد شيئًا ثم في القدح فلا يوجد شيء ثم في الفوق فلا يوجد شيء سوى الفرث والدم » .

٤٧٢ ـ * روى الحاكم عن أبي بُرْدة قال كنت جالسًا عند عُبَيْد الله بن زياد فأُتِيَ برؤوس الخوارج كلما جاء رأس قلت : إلى النار . فقال عبد الله بن يزيد الأنصاري أو لا تعلم يا ابن أخي أني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إنَّ عذابَ هذه الأمةِ جعل في دنياها » .

أقول : من المعروف أن عُبَيْد الله بن زياد من عتاة الأمراء ، وهو الذي كان أميرًا على العراق يوم قتل الحسين رضي الله عنه ، فهو الذي أرسل الجيش لقتاله ، وكلام أبي بردة في خوارج خرجوا عليه تتحقق فيهم صفات الخوارج لكن ردَّ عبد الله بن يزيد الأنصاري بما يفيد « أن القتل كفارة تمنع من النار » يشير إلى ما ذكره الفقهاء فيما بعد أن البغاة هم

---

٤٧١ ـ مسند أحمد (٢ / ٢١٩) .

مجمع الزوائد (٦ / ٢٢٧) . وقال : رواه أحمد والطبراني باختصار ، ورجال أحمد ثقات .

قوله : (سوى الفرث والدم) : إشارة إلى أنه لا يُرى منهم إلا ما قبح ، فأعمالهم سيئة ودعاواهم فارغة وعباداتهم معلولة وإيمانهم لا يصل إلى قلوبهم .

٤٧٢ ـ المستدرك (١ / ٤٩) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولا أعلم له علة ولم يخرجاه وله شاهد صحيح . ووافقه الذهبي .

الخارجون على الإمام الحق بغير الحق ، فإذا ما خرج نـاس بـالحق على الإمـام الحق فليسوا ببغـاة. ويجب على الإمام أن يتراجع ، وإذا ما خرج ناس على الإمام غير الحق فليسوا ببغاة ، ولمثل هذه المعاني أراد عبد الله بن يزيد الأنصـاري أن يُشْعِرَ أبـا بردة بـأن هؤلاء ليسوا من كلاب النار ، بل قد يكونون من الناجين عند الله .

* * *

الفقرة الخامسة
في :
ضرورة لزوم الجماعة
وفي :
التعرف على الفرقة الناجية
وفيها :
مقدمة ونصوص ونقول

النصوص كثيرة في المنع عن مفارقة الجماعة وفي الحض على لزومها ، وتأتي الجماعة في اصطلاح الشارع والمراد بها ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ، ومن ههنا وجد اصطلاح : (أهل السنة والجماعة) . ولأهل السنة والجماعة عقائدهم ومذاهبهم الأصولية والفقهية ويجمعهم إيمان بالكتاب والسنة وما ينبثق عنهما ، وضوابط في فهم الكتاب والسنة ، وما لم يكن الإنسان هذا شأنه في الاعتقاد فليس من أهل السنة والجماعة ، وإذا لم يوجد أمثال هؤلاء فلا جماعة على أي نوع من الاصطلاح .

وتأتي كلمة الجماعة ، يراد بها أهل الحق والعدل الذين التقوا على إمام راشد قد نفذت أحكامه ، فمن دخل في هؤلاء وكانت عقيدته سليمة فهو في جماعة ، وتأتي كلمة الجماعة ويراد بها التجمع الإسلامي فهي تقابل الانفراد في البادية لأنه من خلال اللصوق بمراكز التجمع تقوم الجمعة والجماعة .

وتأتي الجماعة بمعنى التمسك بالحق ولو كان صاحب ذلك فردًا ، قال تعالى : ﴿ **إن إبراهيم كان أمة** ﴾ [1] وكما قال ابن مسعود في أثر صحيح عنه : (الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك) أخرجه ابن عساكر .

وقال الترمذي : وَتَفْسِيرِ الْجَمَاعَةِ عِنْدَ أَهْلِ العلْمِ هُمْ أَهْلُ الفقْهِ وَالْعِلْمِ وَالْحَديث ، قَالَ وسَمِعْتُ الْجَارُودَ بْنَ مُعَاذٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحَسَنِ يَقُولُ : سَأَلْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ الْمُبَارَكِ

---

(١) النحل : ١٢٠ .

مَنِ الجَمَاعَةُ ؟ فَقَالَ : أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ قِيلَ لَهُ : قَدْ مَاتَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، قَالَ : فُلَانٌ وَفُلَانٌ ، قِيلَ لَهُ قَدْ مَاتَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ المُبَارَكِ : أَبُو حَمْزَةَ السُّكَّرِيُّ جَمَاعَةٌ .

قَالَ الترمذي : وَأَبو حَمْزَةَ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَيْمُونٍ ، وَكَانَ شَيْخًا صَالِحًا ، وَإِنما قَالَ هذَا في حَيَاتِهِ عِنْدَنَا .

وإذا فقدت الخلافة الراشدة أو دولة العدل فههنا قد يختار المسلم ، وعندئذ ماذا يفعل ؟ أن يكون مع أهل الضلال فذلك لا يجوز ، وعليه إذن إما العزلة وإما البحث عن أهل الحق مهما قلّوا ليضع يده بيدهم فيكون بذلك من الطائفة التي أخبرت عنها النصوص المتضافرة ، فلكي لا تضيع المعالم بالمرة فقد جعل الله في هذه الأمة طائفة على الحق مستمرة ، هذه الطائفة تحمل الحق وتجاهد من أجله ، وأنواع الجهاد متعددة : فمنه جهاد اللسان ، ومنه جهاد المال ، ومنه جهاد اليد . ومن ههنا فإن هذه الطائفة يدخل فيها المقاتلون في سبيل الله والدعاة والفقهاء والأولياء والمحدثون ، والذين يمدون هؤلاء وهؤلاء بالمال ، وقد يلتبس الحال فقد يقاتل ويدعو من ليس على بصيرة ، ولذلك فإن معرفة الحق هي التي تدلنا على هذه الطائفة كما قال علي : (اعْرِفِ الحقَّ تَعْرِفْ أهلَه) ومن ههنا كان لابد من موازين نعرف بها هؤلاء ، وأول هذه الموازين هي سلامة الاعتقاد ، وتوافر شروط الفهم الصحيح ، ومظنة ذلك الربانيون من أهل العلم والولاية .

وقد حاول بعضهم أن يقصر هذه الطائفة على أن المراد بها أهل الحديث فضيقوا واسعًا ، وهذا منقوض بشيئين :

الأول : أن هذه الطائفة مقرها الشام ، ولا يشك أحد بأن نور الدين وصلاح الدين يدخلان في مثل هذه الطائفة .

الثاني : أن بعض النصوص الواردة في هذه الطائفة تذكر القتال والجهاد ، بل إن كثيرين من المحدثين ذكروا حديث الطائفة هذا تحت عنوان الجهاد والقتال .

وإن كان بالإمكان أن نحمل قول ابن المديني أن أهل الطائفة هم أهل الحديث بمعنى أنهم الذين يسلمون بالسنة النبوية أصلاً من أصول التشريع ويعتبرونها حَكَمًا في كل ما اختلف

فيه ، فيكون المراد بالطائفة هنا هم أهل السنة والجماعة ، وعندئذ فقَصرُ اسم الطائفة على المشتغلين بالحديث يكون خطأً في الفهم ، فالمشتغلون في الحديث من أهل السنة والجماعة هم من الطائفة وليسوا كلها .

ولذلك بَوب المحدثون لأحاديث الطّائفة تحت أكثر من عنوان والبخاري نفسه بَوب لحديث الطائفة تحت عنوان : « أهل العلم » والمطلوب من المسلم :

١ ـ أن يكون مذاهبه الاعتقادية والأخلاقية والفقهية مذاهب أهل السنة والجماعة .

٢ ـ أن يلازم الجمعة والجماعات فلا يعتزل جمع المسلمين وجماعاتهم في مساجدهم إلا لعذر قاهر .

٣ ـ أن يلزم الإمام الراشد ومن معه إذا كان للمسلمين خليفة راشد أو سلطان عادل وإلا فليحاول أن يكون من الطائفة حاملاً للحق ، عارفًا به ، عالمًا بالشريعة مجاهدًا من أجل ذلك بأنواع الجهاد المتاحة .

٤ ـ أن يحاول المسلم في نفسه في كل الظروف والأحوال أن يكون مظهرًا لحمل الحق اعتقادًا وسلوكًا فيكون بذلك حجة على خلق الله .

٥ ـ وفي كل الأحوال ينبغي أن يكون للمسلم إخوانٌ في الله يجمعه وإياهم الحب في الله والاجتماع عليه والتزاور فيه والتباذل فيه .

وها نحن نجول بك جولةً فنذكر نصوصًا ، وننقل نقولاً تضعك على لباب في بعض هذه الأمور ، لأن بعضها يذكر في مواطن أخرى من هذا الكتاب ، وسنركز على تعريفك بما يجمع أهل السنة والجماعة وهو عَلَمٌ عليهم .

وابتداء نذكر لك نصوصًا ثلاثة من القرآن الكريم تعرف من خلالها أهل الحق من غيرهم وتعرف بالتالي ما إذا كان عليك أن تعتزل أو أن تصحب .

النص الأول : قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُم عَن دِينِهِ فَسَوفَ يَأْتِي اللهُ بِقَومٍ يُحِبُّهُم وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى المُؤمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيم * إِنَّمَا

وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ والَّذِينَ ءامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُون * وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ ﴾ (المائدة) الآيـات : ٥٤ ـ ٥٦.

النص الثاني : قوله تعالى : ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ * مَا كَانَ لأَهْلِ المَدِينَةِ وَمَنْ حَولَهُم مِّنَ الأَعرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللهِ وَلا يَرغَبُوا بِأَنفُسِهِم عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُم ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَطَئُونَ مَوطِئًا يَغِيظُ الكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيلاً إلا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أجرَ المُحسِنِينَ * وَلا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إلا كُتِبَ لَهُم لِيَجزِيَهُم اللهُ أَحسنَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ * وَمَا كَانَ المُؤمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَولا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرقَةٍ مِنهُم طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَومَهُم إِذَا رَجَعُوا إِلَيهِم لَعَلَّهُم يَحذَرُونَ ﴾ (التوبة) الآيات : ١١٩ : ١٢٢ .

لقد جاء بعد الأمر كلام عن المجاهدين والعلماء العاملين ، فدل السياق على أن مظنة الصدق الذي ينبغي أن نكون مع أهله هم أهل الجهاد والعلم .

النص الثالث : قوله تعالى :

﴿ فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنيَا وَمَا عِندَ اللهِ خَيرٌ وَأَبقَىٰ لِلَّذِينَ ءامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثمِ وَالفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُم يَغفِرُونَ * وَالذِينَ استَجَابُوا لِرَبِّهِم وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمرُهُم شُورَىٰ بَينَهُم وَمِمَّا رَزَقنَاهُم يُنفِقُونَ * وَالَّذِين إِذَا أَصَابَهُمُ البَغيُ هُم يَنتَصِرُونَ * وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثلُهَا فَمَن عَفَا وَأَصلَحَ فَأَجرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعدَ ظُلمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيهِم مِّن سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظلِمُونَ النَّاسَ وَيَبغُونَ فِي الأَرضِ بِغَيرِ الحَقِّ أُولَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِن عَزمِ الأُمُورِ ﴾ (الشورى) الآيات : ٣٦ ـ ٤٣ .

إن مجيء قوله تعالى : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ في سياق هذه الآيات يدل على أن النص يصف الأخلاقية العامة للأمة الإسلامية ، فمن تحقق بها فهو الذي تتمثل به هذه الأمة.

ولننتقل إلى النصوص الحديثية :

النصوص الحديثية

٤٧٣ - * روى البخاري ومسلم عن بُسْرِ بن عبدِ الله قال : قال أبو إدْريسَ الخَوْلانيُّ ، أنه سمع حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قال : كان الناسُ يَسألون رسولَ الله ﷺ عن الخير ، وكنتُ أسألُهُ عن الشر مخافةَ أن يُدْرِكَني ، فقلتُ : يا رسولَ الله ، إنّا كنا في جاهلية وشرٍّ ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعدَ هذا الخير من شرٍّ ؟ قال : « نعم » قلتُ : وهل بعدَ ذلك الشرِّ مِنْ خَيْرٍ ؟ قال : « نعم ، وفيه دَخَنٌ » . قلتُ : وما دَخَنُهُ ؟ قال : « قومٌ يَسْتَنُّون بغير سُنَّتي ، وَيَهْدُون بغير هَدْيي تَعْرِفُ منهم وتُنْكِرُ » فقلت : فهل بعدَ ذلك الخير من شرٍّ ؟ قال : « نعم ، دُعاةٌ على أبوابِ جهنم ، مَنْ أجابَهم إليها قَذَفوه فيها » فقلتُ : يا رسولَ الله ، [صِفْهم لنا ، قال : « نعم من جِلْدتنا ، ويتكلّمون بألسِنَتنا] » فقلتُ : يا رسول الله فما ترى - وفي رواية : فما تأمُرُني - إن أدركني ذلك ؟ قال : « تلزمُ جماعةَ المسلمين وإمامهم ؟ » قلتُ : فإن لم يكنْ لهم جماعة ولا إمام قال : « فاعتزل تلك الفِرقَ كُلَّها ، ولو أن تَعَضَّ بأصلِ شجرةٍ ، حتى يُدْرِكَكَ الموتُ وأنت على ذلك » .

ولمسلم نحوَه [١] ، وفيه قلتُ : ما دَخَنُهُ ؟ قال : « قوم لا يستنُّون بِسُنَّتي ، وسيقوم فيهم رِجَالٌ قُلُوبُهم قلوبُ الشياطين في جُثْمانِ إنْسٍ » قلت : كيف أصنع يا رسولَ الله إن أدركتُ ذلك ؟ قال : « تَسْمَع وتُطيع ، وإن ضُرِبَ ظهرُك ، وأُخذ مالُك ، فاسْمَعْ وأَطِع » .

قال حذيفةُ : تعلَّم أصحابي الخيرَ وتعلَّمت الشرَّ .

وفي روايةِ أبي داود [٢] قال سُبيعُ بنُ خالدٍ : أتيتُ الكوفةَ في زَمَنٍ فُتِحَت تُسْتَرُ ،

---

٤٧٣ - البخاري (٦ / ٦١٥) ٦١ - كتاب المناقب ٢٥ - باب علامات النبوة في الإسلام .

ومسلم (٣ / ١٤٧٥) ٣٣ - كتاب الإمارة ١٣ - باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ... إلخ .

(١) مسلم (٣ / ١٤٧٦) نفس الكتاب والباب .

(٢) أبو داود (٤ / ٩٥) كتاب الفتن - باب ذكر الفتن ودلائلها .

أجْلِبُ منها بِغَالاً ، فدخلتُ المسجدَ ، فإذا صَدْعٌ من الرجال ، وإذا رجلٌ جالسٌ ، تعرفُ إذا رأيتَهُ أنَّهُ من رجال الحجاز ، قلتُ : مَنْ هذا ؟ فَتَجَهَّمني القومُ ، وقالوا : ما تَعْرِفُهُ ؟ هذا حُذيفةُ صاحِبُ رسولِ الله ﷺ ، فَسَمِعتُه يقول : إن الناس كانوا يسألون رسولَ الله ﷺ عن الخيرِ ، وكنتُ أسألُه عن الشر ، فأحدَقَهُ القومُ بأبصارهم ، فقال : إني قد أرى الذي تُنكِرون إني قلتُ : يا رسولَ الله ، أرأيتَ هَذا الخيرَ الذي أعطاناه اللهُ ، أيكون بعده شرٌ ، كما كان قبلَه ؟ قال : « نعم » قلت : فما العِصْمَة من ذلك ؟ قال : « السيفُ » قلتُ : فهل للسَّيفِ مِنْ تقيَّة ؟ قال « نعم » .

وفي رواية [1] : بعد السيف : « تَقيَّة على أقذاءٍ ، وهُدْنَةٌ على دَخَنٍ » . قال : قلتُ : يارسولَ الله ، ثم ماذا ؟ قال : « إن كان لله خليفةٌ في الأرض فضرب ظهرك ، وأخذ مالك ، فأطِعْهُ ، وإلا فَمُتْ وأنتَ عاضٌّ بجِذْل شجرةٍ » : قلت : ثم ماذا ؟ قال : « ثم يخرج الدجال ، معه نهرٌ ونارٌ ، فمن وقع في ناره ، وجب أجره وحُطَّ وِزْرُهُ ، ومن وقع في نهره وجب وِزْرُهُ ، وحُطَّ أجْرُهُ » قال : قلت : ثم ماذا ؟ قال : : « ثم هي قيامُ الساعة » .

= (الصَّدْعُ) : [بسكون الدال ، وربما حُرِّك] : الخفيف من الرجال الدقيق . وقال الخطابي : هو من الرجال : الشاب المعتدل القناة .

(تجهَّمت فلانًا) : أي : كَلَحتُ في وجهه ، وتقبَّضتُ عند لقائه .

(فاحدقوه) : يقال : أحدق به الناس ، أي : أطافوا به ، وأحدقوه بأبصارهم ، أي : حقَّقوا النظر إليه ، وجعلوا أبصارهم محيطة به .

(العصمة) ما يعتصم به ، أي يستمسك .

(١) أبو داود (٤ / ٩٦) نفس الكتاب والباب السابقين .

(تقيَّةٌ) : التَّقية والتقاة بمعنى ، تقول : اتقى يتقي تُقاةً وتَقية .

(أقذاء) جمع القذى ، والقذاء جمع القذاة ، وهو ما يقع في العين من الأذى ، وفي الشراب والطعام من تراب أو تبن . أو غير ذلك ، والمراد به في الحديث : الفَسَاد الذي يكون في القلوب ، أي : إنهم يتقون بعضهم بعضًا ويظهرون الصلح والاتفاق ، ولكن في باطنهم خلاف ذلك .

(هدنة على دخن) : الهدنة والدخن ، قد ذكرا ، وقد جاء في الحديث تفسير الدخن ، قال : « لا ترجع قلوب قوم على ما كانت عليه » وأصل الدَّخن : أن يكون في لون الدابة كُدورة إلى سواد ، ووجه الحديث : أن تكون القلوب كهذا اللون ، لا يصفو بعضها لبعض .

(جذل الشجرة) : أصلها ، وجذل كل شيء أصله .

وفي رواية بهذا الحديث [(١)] ، وقال : « فإن لم تجد يومئذ خليفةً ، فاهْرُبْ حتى تموت وأنتَ عاضٌ » ـ وقال في آخره : قلتُ : فما يكون بعد ذلك ؟ قال : « لو أن رَجُلاً نَتَجَ فرسًا لم تُنْتَجْ له حتى تقومَ القيامةُ » .

وفي أخرى له : [(٢)] قال نصرُ بنُ عاصمٍ الليثي : أتينا اليَشْكُرِيَّ في رَهْطٍ من بني ليث ، فقال : مَن القومُ ؟ فقلنا : بنو الليثِ ، أتيناك نَسألُكَ عن حديث حُذيفة ، قال : أقبلنا مع أبي موسى قافلين ، وغَلَتِ الدوابُّ بالكوفة ، فسألتُ أبا موسى أنا وصاحبٌ لي ، فأذِنَ لنا ، فَقَدِمْنَا الكوفَةَ ، فقلتُ لصاحبي : أنا دَاخِلٌ المَسْجِدَ ، فإذا قامت السُّوقُ خرجتُ إليك ، قال : فدخلتُ المسجدَ ، فإذا فيه حَلْقَةٌ ، كأنما قُطِعَتْ رُؤوسُهم ، يستمعون إلى حديثِ رجلٍ ، قال : فقمتُ عليهم ، فجاء رجلٌ ، فقام إلى جنبي ، فقلتُ : من هذا ؟ قال : أَبَصْرِي أنتَ ؟ قلت نعم . قال : قد عرفتُ ، ولو كنتَ كوفيًا ، لم تسألْ عن هذا ، قال : فدنوتُ منه ، فسمعتُ حذَيفَة يقول : كان الناسُ يسألونَ رسولَ الله ﷺ عن الخير ، وكنتُ أسأله عن الشر ، وعرفتُ أن الخيرَ لن يَسْبِقَني ، قلتُ : يا رسولَ الله ، هل بعد هذا الشر خير ؟ قال : « يا حذيفةُ تعلَّم كتابَ الله ، واتَّبِعْ ما فيه » ـ ثلاث مرات ـ قلتُ : يارسول الله [هل] بعد هذا الخير شرٌّ ؟ قال : « فتنةٌ وشَر » قال : قلتُ : يا رسول الله [هل] بعدَ هذا الشَّر خيرٌ ؟ قال : « يا حذيفةُ ، تعلَّمْ كتابَ الله ، واتَّبع ما فيه » ـ ثلاث مرات ـ قلتُ : يا رسولَ الله ، [هل] بعد هذا الشَّر خير ؟ قال : « هُدْنَةٌ على دَخَن ، وجماعةٌ على أقذاء فيها ، أو فيهم » قلتُ : يا رسولَ الله ، الهدنة على الدَخن ما هي ؟ قال : « لاَ تَرْجِعُ قلوبُ أقوام على الذي كانت عليه » قلت : يارسولَ الله هل بعد هذا الخير شر ؟ قال : « يا حذيفة ، تعَلَّمْ كتاب الله ، واتَّبِعْ ما فيه » ـ ثلاث مرات ـ قلتُ : يا رسول الله ، بعد هذا الخير شر ؟ قال : « نعم فِتْنَةٌ عَمْياءُ صَمَّاءُ ، عليها دُعَاةٌ على أبواب النار ، فإن مُتَّ يا حذيفةُ وأنتَ عاضٌّ على جِذْلِ شَجرةٍ خيرٌ لك من أن تَتَّبِعَ أحدًا منهم » .

---

(١) أبو داود : الموضع السابق .

(٢) أبو داود : الموضع السابق .

أقول : للعلماء في تفسير الطائفة التي ورد ذكرها في أحاديث كثيرة كلام كثير ، ويكاد الجميع يتفقون على : أن أهل العلم من أهل السنة والجماعة يدخلون في هذه الطائفة وبعضهم لم يدخل معهم غيرهم فيها وبعضهم أدخل معهم غيرها ، ومما يدل على أن أهل العلم هم هذه الطائفة أو منها : استعمال كلمة الطائفة في قوله تعالى : ﴿ **وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم** ﴾ [1] ومن كلام العلماء في هذه الطائفة ما ذكره النووي في شرح مسلم فقال : (إن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين ، منهم شجعان مقاتلون ، ومنهم محدثون ومنهم زهاد ، آمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض) ا . هـ .

ومن كلام العلماء في هذه الطائفة ما ذكره البخاري وعلق عليه ابن حجر وهذا كلامهما :

قال البخاري : (باب وكذلك جعلناكم أمة وسطًا ، وما أمر النبي - ﷺ - من لزوم الجماعة وهم أهل العلم) ا . هـ .

قال ابن حجر : (فعرف أن المراد بالوصف المذكور أهل السنة والجماعة ، وهم أهل العلم الشرعي ، ومن سواهم ولو نسب إلى العلم ، فهي نسبة صورة لا حقيقية) ا . هـ .

٤٧٤ - * روى الطبراني في الأوسط عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله ﷺ : « رَحِمَ اللهُ من سَمِعَ مَقالتي حتى يُبَلِّغَها غيرَه ، ثلاث لا يُغِلُّ عليهن قلبُ امرئ مسلم ؛ إخلاص العمل لله ، والنصحُ لأئمة المسلمين ، واللزوم لجماعتهم ، فإنَّ دُعاءَهم يحيط من ورائهم إنه من تكن الدنيا نيته يجعل اللهُ فَقرَه بين عينيه ، ويُشَتِّتُ عليه ضَيعَتَهُ ولا يأتيه منها إلا ما كُتب له ، ومن تكن الآخرةُ نيتَه يجعل الله غناه في قلبه ، ويكفيه ضيعته وتأتيه الدنيا وهي راغمة » .

---

(١) التوبة : ١٢٢ .

٤٧٤ - مجمع الزوائد (١٠ / ٢٤٧) . وقال : روى ابن ماجه بعضه - رواه الطبراني في الأوسط ورجاله وثقوا .

وروى القسم الأول منه البزار عن أبي سعيد الخدري [١] والدارمي عن أبي الدرداء [٢] وعن جبير بن مطعم [٣] وأخرجه بنصه عن زيد بن ثابت [٤] .

٤٧٥ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « مَنْ كَرِهَ مِنْ أميرِهِ شَيْئًا فَلْيَصبِرْ ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ من السُّلطانِ شبرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً » .

وفي رواية [٥] : « فَلْيَصبِرْ عليه ، فإنه مَنْ فارقَ الجَماعَةَ شِبرًا فماتَ فَمِيتَتُه جَاهِلِيَّةٌ » .

٤٧٦ - * روى البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا يزالَ ناس من أُمتي ظَاهرين حتى يأتِيَهم أمْرُ الله وهم ظاهرون » .

وفي رواية[٦] « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين ... » وذكره قال أبو عبد الله : هم أهل العلم .

وفي أخرى [٧] « لن يزالَ قومٌ من أُمتي ظاهرين على الناس ... » وذكره .

---

(١) كشف الأستار (١ / ٨٥) . وهو في مجمع الزوائد (١ / ١٣٧) .

(٢) الدارمي (١ / ٧٦) المقدمة ٢٣ - باب الاقتداء بالعلماء .

(٣) الدارمي (١ / ٧٤) الموضع السابق .

(٤) الدارمي (١/ ٧٥) المقدمة الموضع السابق .

٤٧٥ - البخاري (١٣ / ٥) ٩٢ - كتاب الفتن ٢ - باب قول النبي ﷺ « سترون بعدي أمورا تنكرونها » .

مسلم (٣ / ١٤٧٨) ٣٣ - كتاب الإمارة ١٣ - باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ... إلخ .

(٥) البخاري ومسلم : نفس الموضعين السابقين .

قال ابن الأثير : ومعنى قوله : « فَميتَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ » ، أي : على ما مات عليه أهلُ الجاهلية قبل مبعث النبي ﷺ ، من الجهالة والضلالة .

٤٧٦ - البخاري (٦ / ٦٣٢) ٦١ - كتاب المناقب ٢٨ - باب حدثنا محمد بن المثنى ...إلخ .

مسلم (٣ / ١٥٢٣) ٣٣ - كتاب الإمارة ٥٢ - باب قوله ﷺ « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين ... إلخ .

(٦) البخاري (١٣ / ٢٩٣) ٩٦ - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ١٠ - باب قول النبي ﷺ « لا تزال طائفة من أمتي ...إلخ .

(٧) البخاري (١٣ / ٤٤٢) ٩٧ - كتاب التوحيد ٢٩ - باب قول الله تعالى : ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه ﴾ .

٤٧٧ ـ * روى أبو داود عن عِمران بن حُصين رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا تزالُ طائفةٌ من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتِلَ آخِرُهم المسيحَ الدَّجالَ » .

٤٧٨ ـ * روى البخاري ومسلم عن معاوية بن أبي سفيانَ رضي الله عنه ، قال : ـ وهو يَخطُب ـ سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « لا تزالُ من أمتي أُمَّةٌ قائمةٌ بأمر اللهِ لا يَضُرُّهم مَنْ خَذَلَهم ولا مَن خالَفهم حتى يأتيَ أمر الله وهم على ذلك » .

قال ابنُ يُخامِر : سمعت معاذاً يقول : هم أهل الشام ـ أو بالشام ـ فقال معاوية : هذا مالكُ بنُ يُخامِرَ يَزْعُمُ أنَّهُ سَمِعَ معاذًا يقول : وهم بالشام .

وفي روايةٍ [1] قال : قال لي رسولُ الله ﷺ : « مَن يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ ، ولا تزالُ عِصَابَةٌ من المسلمين يقاتلون على الحق : ظاهرين على من ناوَأَهُمْ إلى يوم القيامة » .

٤٧٩ ـ * روى الطبراني عن عُمَر قال : قال رسول الله ﷺ :« لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعةُ » .

٤٨٠ ـ * روى الإمام أحمد عن جابرِ بن سَمُرَةَ قال : نُبِّئْتُ أن النبي ﷺ قال : « لا يزالُ هذا الدينُ قائماً تقاتلُ عليه عِصابةٌ من المسلمين حتى تقوم الساعةُ » . وفي رواية عن جابر بن سمرة عن مَنْ حدثه عن رسول الله ﷺ فذكره .

---

٤٧٧ ـ أبو داود (٣ / ٤) كتاب الجهاد ـ باب في دوام الجهاد .

وهو حديث صحيح .

٤٧٨ ـ البخاري (٦ / ٦٣٢) ٦١ ـ كتاب المناقب ٢٨ ـ باب حدثنا محمد بن المثنى ... إلخ .

مسلم (٣ / ١٥٢٤) ٣٣ ـ كتاب الإمارة ٥٣ ـ باب قوله ﷺ « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين » ...إلخ .

(١) مسلم في الموضع السابق

(ناوأهم) : المناوأة : المعاداة .

٤٧٩ ـ مجمع الزوائد (٧ / ٢٨٨) وقال : رواه الطبراني في الصغير والكبير ورجال الكبير رجال الصحيح .

٤٨٠ ـ مسند أحمد (٥ / ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٨) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٨٨) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

٤٨١ ـ * روى البزار عن أبي هريرةَ عن النبي ﷺ قال : « لا يزالُ هذا الأمر أو على هذا الأمر عصابةٌ من أمتي لا يضرهم خلافُ منْ خالفهم حتى يأتِيهم أمر الله » .

٤٨٢ ـ * روى الإمام أحمد عن سَلَمَةَ بن نُفَيل قال : إنّه أتى النبي ﷺ فقال : إني سئمتُ الخيلَ ، وألقيتُ السلاحَ ، ووضعتِ الحربُ أوزارَها ، قلت : لا قتالَ ، فقال له النبي ﷺ : « الآن جاء القتالُ ، لا تزالُ طائفةٌ من أمّتي ظاهرين على الناس يرفعُ اللهُ قلوبَ أقوام يقاتلونهم ، ويرزقُهم الله منهم حتى يأتيَ أمرُ الله عز وجل وهم على ذلك ألا إنَّ عُقْرَ دار المؤمنين الشامُ ، والخيلُ معقودٌ في نَواصِيها الخيرُ إلى يوم القيامة » .

٤٨٣ ـ * روى ابن ماجه عن أبي هريرة : أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال : « لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتي قَوَّامَةً على أمْرِ اللهِ لاَ يَضُرُّهَا مَنْ خَالَفَهَا » .

٤٨٤ ـ * روى ابن ماجه عن معاويةَ بن قُرَّةَ عَنْ أبيه ، قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لا يَضُرهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ » .

٤٨٥ ـ * روى ابن ماجه عن عمرو بن شعيبٍ عن أبيه ، قال : قام معاويةُ خطيبًا فَقَالَ : أيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ سَمِعتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يَقُول : « لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ إلا وَطَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِيْ ظَاهِرونَ عَلَى النَّاسِ لا يُبَالونَ مَنْ خَذَلَهمْ وَلا مَنْ نَصَرَهُمْ » .

٤٨٦ ـ * روى ابن ماجه عن أبي عِنَبَةَ الخَوْلانِيِّ ـ وَكَانَ قَدْ صَلَّى القِبلَتَين مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ـ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « لاَ يَزَالُ اللهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّين

---

٤٨١ ـ كشف الأستار (٤ / ١١١) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٨٨) وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير زهير بن محمد بن قمير وهو ثقة .

٤٨٢ ـ مسند أحمد (٤ / ١٠٤) . وهو حديث صحيح .

٤٨٣ ـ ابن ماجه (١ / ٥) المقدمة ١ ـ باب اتباع سنة رسول الله ﷺ .

وهو صحيح .

٤٨٤ ـ السابق . وهو صحيح . وفي رواية : خذلان من خذلهم .

٤٨٥ ـ السابق . وهو حديث حسن .

٤٨٦ ـ السابق . وهو حديث حسن .

غَرْسا يَسْتعمِلهم في طَاعَتِهِ » .

٤٨٧ - * روى البزار عن فَضَالَـة بن عُبَيْـدٍ عن رسـولِ اللهِ ﷺ قـال « ثـلاثـةٌ لا يُسألُ عنهم رجلٌ فَارقَ الجماعةَ وعصى إمامَه ومات عـاصيًـا وأمَـةٌ أو عبـد أبَقَ من سيده فمات ، وامرأةٌ غاب عنهـا زوجُهـا وقـد كفـاهـا أمرَ الـدنيـا فتزوجت [وفي روايـة : فتبرجت] بعـده . وثلاثـة لا يُسـألُ عنهم رجل نـازعَ الله رداءه ، فـإن رداءه الكِبْرياءُ وإزارَه العِـزُّ ، ورجل كان في شكٍ من أمرِ الله والقنوطُ من رحمة الله » .

٤٨٨ - * روى النسـائي عن أسـامـة بن شريـك رضي الله عنـه ، قـال : قـال رسول الله ﷺ : « أيُّما رَجُلٍ [خَرَجَ] يُفرِّقُ أُمَّتي فاضْرِبُوا عُنُقَهُ » .

٤٨٩ - * روى الإمام أحمد عن رِبعي بنِ حِراش قـال : انطلقتُ إلى حـذيفـة بـالمدائنِ ليالي سارَ الناسُ إلى عثمانَ فقال : ياربعي مـا فعل قومُـك ؟ قـال : قلت عن أيهم تسـألُ ؟ قال : من خرج منهم إلى هذا الرجل ؟ قال : فسميت رجالا ممن خرج إليه . فقـال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من فارقَ الجمـاعـةَ واسـتـذلَّ الإمـارة لقيَ الله ولا وجـهَ لـه عنده » .

٤٩٠ - * روى الإمام أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه (رفعـه) : « من فـارق الجمـاعـةَ شبرًا فقد خلعَ رِبقَةَ الإسلام من عُنقه » .

---

٤٨٧ - كشف الأستار (١ / ٦١) وقال : رجاله ثقات .

المعجم الكبير (١٨ / ٣٠٦) .

مجمع الزوائد (١ / ١٠٥) وقال : رواه البزار والطبراني في الكبير فجعلهما حديثين ورجاله ثقات .

٤٨٨ - النسائي (٧ / ٩٣) ٣٧ - كتاب تحريم الدم ٦ - باب قتل من فارق الجماعة .

وفي سنـده زيد بن عطاء بن السائب لم يوثقه غير ابن حبان وباقي رجاله ثقات وللحديث شاهد .

٤٨٩ - مسند أحمد (٥ / ٣٨٧) .

مجمع الزوائد (٥ / ٢٢٢) وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات .

٤٩٠ - مسند أحمد (٥ / ١٨٠) .

أبو داود (٤ / ٢٤١) كتاب السنة - باب في قتل الخوارج .

المستدرك (١ / ١١٧) . وهو حديث صحيح .

٤٩١ ـ * روى الترمذي عن عبدِ الله بن عباسٍ رضي الله عنهما أن رسولَ الله ﷺ قال : « يَدُ اللهِ مع الجماعةِ » .

٤٩٢ ـ * روى الطبراني عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما عن النبي ﷺ : « لن تَجتمعَ أمتي على ضلالة فعليكم بالجماعة فإنَّ يدَ الله على الجماعة » .

٤٩٣ ـ * روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرَ رضي الله عنهما ، قال : خَطَبَنَا عُمَرُ بالجابية ، فقال : يا أيُّها الناسُ ، إني قمتُ فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا قال : « أُوصيكُم بأصحابي ، ثم الذين يلُونهم ، [ثمَّ الذين يلُونهم] ، ثم يفْشو الكذبُ حتى يَحْلِفَ الرَّجُلُ ولا يُسْتَحْلَفُ ، وَيشهدَ الشاهدُ ولا يُسْتَشهدُ ، ألا لا يَخْلُونَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا كان ثالِثَهما الشيطانُ ، عليكم بالجماعة ، وإيَّاكم والفُرْقَةَ ، فإن الشيطانَ مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعدُ ، مَنْ أراد بُحْبُوحَةَ الجنةِ فَلْيَلْزَمِ الجماعةَ ، مَنْ سَرَّتْهُ حسنتُه ، وساءَتْهُ سيِّئَتُه : فذلكم المؤمن » .

٤٩٤ ـ * روى الحاكم عن ابن عباس يحدث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا يَجمعُ اللهُ أُمّتي » أو قال : « هذه الأمةَ على الضَّلالَةِ أبدًا ويد الله على الجماعة » .

قال السخاوي في المقاصد تحت حديث : (لا تجتمع أمتي على ضلالة) متنه مشهور وله أسانيدُ كثيرة ، وشواهدُ عديدةٌ في المرفوع وغيره ، وأورد روايات عديدة نحوه .

---

٤٩١ ـ الترمذي (٤ / ٤٦٦) ٣٤ ـ كتاب الفتن ٧ ـ باب ما جاء في لزوم الجماعة . وقال : هذا حديث حسن غريب .

٤٩٢ ـ المعجم الكبير (١٢ / ٤٤٧) .

مجمع الزوائد (٥ / ٢١٨) وقال : رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات رجال الصحيح خلا مرزوق مولى آل طلحة وهو ثقة .

٤٩٣ ـ الترمذي (٤ / ٤٦٥) ٣٤ ـ كتاب الفتن ٧ ـ باب ما جاء في لزوم الجماعة . وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب . قال محقق الجامع : وإسناده حسن .

مسند أحمد (١ / ١٨) .

المستدرك (١ / ١١٤) وقال : صحيح على شرط الشيخين . ووافقه الذهبي . والحديث صحيح .

(يفْشو) : فشا الشيء : إذا ظهر وانتشر .

(بُحْبُوحَةِ) : بُحبوحة الجنة : وسطها ، وبُحبوحة كل شيء : وَسَطُه وخيارهُ .

٤٩٤ ـ المستدرك (١ / ١١٦) .

٤٩٥ ـ * روى الطبراني عن الحارثِ بن قيس ، قال : قال لي عبد الله بن مسعود يا حارثُ بنَ قيسٍ أليسَ يَسرُّك أن تسكن وسط الجنة ؟ قال : نعم . قال : فالْزَم جَماعةَ الناسِ .

٤٩٦ ـ * روى الحاكم عن يسير بن عمرو ، أن أبا مسعود لما قتل عثمان احتجب في بيته ، فأتيته فسألته عن أمر الناس ، فقال : عليك بالجماعة فإنّ الله لم يجمعْ أمةَ محمدٍ ﷺ على ضَلالة ، واصْبِرْ حتى يستريحَ بَرٌّ ويُستراحَ من فاجر . وفي رواية عن يسير قال : لقيت أبا مسعود حين قتل علي فتبعته فقلت له : أَنْشُدُكَ الله ما سمعتَ من النبي ﷺ في الفتن ؟ فقال : إنا لا نَكْتُمُ شيئًا ، عليك بتقوى الله والجماعةِ ، وإياك والفُرقةَ فإنها هي الضلالةُ ،وإن الله لم يكن ليجمعَ أمةَ محمدٍ ﷺ على ضلالة .

* * *

---

٤٩٥ ـ مجمع الزوائد (٥ / ٢٢٢) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

٤٩٦ ـ المستدرك (٤ / ٥٠٦) وقال : صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبي .

المعجم الكبير (١٧ / ٢٣٩) .

مجمع الزوائد (٥ / ٢١٨) وقال : رواه كله الطبراني ورجال هذه الطريقة الثانية ثقات .

النقول

لقد ذكرنا في بدايات هذا الفصل النصوص التي تتحدث عن افتراق الأمة الإسلامية إلى ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة ، وسار بنا الحديث من نقطة إلى نقطة والهدف كله هو : الفرز والتعرف ، نفرز الفرقة الناجية عن غيرها ، وأن نتعرف على الفرقة الناجية وعلاماتها وصور وجود أهلها ، وبعد هذه السياقات كلها فقد آن الآوان لنتعرف على الإطار النظري للفرقة الناجية وهم أهل السنة والجماعة ، واخترنا أن يكون هذا التعرف من خلال كلام عبد القاهر البغدادي في كتابه (الفَرْق بين الفِرَق) لأنه أحد أعلام عصره في هذا العلم .

فقد حاول الشيخ عبد القاهر البغدادي رحمه الله في كتابه المذكور أن يبين أركان التصورات التي تجعل الإنسان من أهل السنة والجماعة ، وذكر أصناف الخلق الذين يدخلون في أهل السنة والجماعة .

ا ـ أركان التصورات التي تجعل الإنسان من أهل السنة والجماعة :

قال الشيخ عبد القاهر البغدادي رحمه الله :

(قد اتفقَ جمهورُ أهل السنة والجماعة على أصول من أركان الدين ، كلٌّ ركنٍ منها يجب عَلَى كل عاقلٍ بالغ معرفةُ حقيقته ، ولكل ركن منها شُعَب ، وفي شُعَبِها مَسَائل اتفق أهل السنة فيها على قول واحد ، وضَلّلُوا مَنْ خالفهم فيها .

(١) وأول الأركان التي رأوها من أصول الدين : إثباتُ الحقائق والعلوم ، على الخصوص والعموم .

(٢) الركن الثاني : هو العلم بحدوث العالم في أقسامه ، من أعراضه وأجسامه .

(٣) والركن الثالث : في معرفة صانع العالم وصفات ذاته .

(٤) والركن الرابع : في معرفة صفاته الأزلية .

(٥) والركن الخامس : في معرفة أسمائه وأوصافه .

(٦) والركن السادس : في معرفة عَدْلِه وحكمته .

(٧) والركن السابع : في معرفة رسله وأنبيائه .

(٨) والركن الثامن : في معرفة معجزات الأنبياء ، وكرامات الأولياء .

(٩) والركن التاسع : في معرفة ما أجْمَعَت الأمة عليه ، من أركان شريعة الإسلام .

(١٠) والركن العاشر : في معرفة أحكام الأمر والنهي ، والتكليف .

(١١) والركن الحادي عشر : في معرفة فَناء العباد وأحكامهم في المَعَاد .

(١٢) والركن الثاني عشر : الخلافة والإمامة ،وشروطه الزعامة .

(١٣) والركن الثالث عشر : في أحكام الإيمان والإسلام في الجملة .

(١٤) والركن الرابع عشر : في معرفة أحكام الأولياء ، ومراتب الأئمة الأتقياء .

(١٥) والركن الخامس عشر : في معرفة أحكام الأعداء من الكَفَرة وأهل الأهواء فهذه أصول اتفق أهل السنة على قواعدها ، وضللوا منْ خالفهم فيها ، وفي كل ركن منها مسائل أصولٍ ومسائل فروعٍ ، وهم مجمعون على أصولها وربما اختلفوا في بعض فروعها اختلافًا لا يوجب تضليلاً ولا تفسيقًا) . ا . هـ .

وقد تكلم الشيخ عبد القاهر في مضمونات هذه الأركان ، وكتابه كله تفصيل لمذاهب أهل السنة ومن خالفهم ، وقد ترك هذا الكتاب بصماته على كل كتاب أُلّف بعده في العقائد ، رغم أن بعض كلامه متأثر بثقافة عصره الكونية ، ولذلك حذفنا ما كان من هذا القبيل لأن الحقائق العلمية في عصرنا اتجهت اتجاهًا آخر ، ولكن هذا الكتاب يبقى من أمهات الكتب التي ينبغي لطالب العلم أن يمعن النظر فيها بعد أن يكون قد درس بعض كتب عقائد أهل السنة والجماعة كسلّم يرتقي بها إلى هذا الكتاب .

وقد شرح في أواخر هذا الكتاب الأركان التي تعتبر قاسمًا مشتركًا بين أهل السنة والجماعة وبين غيرهم ، والتي ذكرناها منذ قليل . وهذه مقتطفات من شروحه ، قال في شرحه للركن الأول :

(وقالوا : إن الأخبار التي يلزمنا العمل بها ثلاثة أنواع : تواتر ، وآحاد ومتوسط بينهما مستفيض .

فالخبر المتواتر الذي يستحيل التواطؤ على وَضْعِه يوجبُ العلم الضروريَّ بصحة مخبره ، وبهذا النوع من الأخبار علمنا البُلْدَانَ التي لم ندخلها ، وبها عرفنا الملوك والأنبياء والقُرُون الذين من قبلنا ، وبه يعرف الإنسانُ والديه اللذين هو منسوبٌ إليهما) .

أقول : وقد أكفر أهل السنة كل من أنكر متواترًا أو أوّله على غير الفهم الضروري ، ومن ههنا وغيره أكفروا القاديانية التي نفت نزول المسيح عليه السلام مع التواتر الصريح في نزوله وأولوا ما ورد في ذلك على غير الفهم الضروري وهذه إحدى كفرياتهم .

وقال : (وأما أخبار الآحاد فمتى صح إسنادُها وكانت مُتُونُها غير مستحيلة في العقل كانت موجِبَةً للعمل بها ، دون العلم [القطعي الذي يكفر منكره] ، وكانت بمنزلة شهادة العُدُول عند الحاكم في أنه يلزم الحكم بها في الظاهر) .

(وبهذا النوع من الخبر أَثْبَتَ الفقهاء أكْثَرَ فروع الأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات وسائر أبواب الحلال والحرام ، وضللوا مَنْ أسقط وجوبَ العمل بأخبار الآحاد في الجملة ، من الرافضة والخوارج وسائر أهل الأهواء) .

(وأما الخبر المستفيض المتوسط بين التواتر والآحاد فإنه يُشارك التواتر في إيجابه للعلم والعمل ، ويُفارقه من حيث إن العلم الواقع عنه يكون علمًا مكتسبًا نظريًا ، والعلم الواقع عن التواتر يكون ضروريًا غير مكتسب) .

(وضللوا مَنْ خالف فيها من أهل الأهواء ، كتضليل الخوارج في إنكارها الرجْمَ ، وتضليل مَنْ أنكر من النَّجَدَات حد الخمر ،وتضليل من أنكر المسحَ على الخفين ، وتكفير من أنكر الرؤية ، والحوض ، والشفاعة ، وعذاب القبر .

وكذلك ضللوا الخوارج الذين قطعوا يَدَ السارق في القليل والكثير من الحِرْزِ وغير الحرز ؛ لِرَدِّهِم الأخبارَ الصحاحَ في اعتبار النصاب والحِرْزِ في القطع .

وكما ضللوا من رَدَّ الخبر المستفيض ، ضللـوا من ثبت على حكم خبر اتفـق الفقهـاء من فريقي الرأي والحديث على نَسْخِه ، كتضليل الرافضـة في المُتْعَـة التي قـد نُسخت إباحَتُها .

واتفقوا على أن أصول أحكام الشريعة : القرآن ،والسنة ، وإجماع السلف) .

(وأما **الركن الثاني** - وهو الكلام في حدوث العـالم - فقـد أجمعوا على أن العـالم كل شيء هـو غير الله عـز وجـل ، وعلى أن كلَّ مـا هـو غير الله تعـالى وغير صفـاتـه الأزليـة مخلـوق مصنوع ،وعلى أن صانعـه ليس بمخلوق ولا مصنوع ، ولا هو من جنس العـالم ولا من جنس شيء من أجزاء العالم) .

(وقالوا بإثبات الملائكة والجن والشياطين) .

(**وقالوا في الركن الرابع** - وهو الكلام في الصفـات القـائمـة بـالله عز وجل - إن علم الله تعالى وقدرته وحياته وإرادته وسمعه وبصره وكلامه صفاتٌ له أزلية ونعوت له أبدية) .

(وقـالوا في الفرق بين الرسول والنبي : إن كلَّ من نزل عليـه الوحْيُ من الله تعـالى على لسان مَلَك من الملائكة وكان مؤيَّدًا بنوع من الكرامـات النـاقضـة للعـادات فهو نبي ، ومَنْ حصلت له هذه الصفة وخُصَّ أيضًا بشرع جـديـد أو بنسخ بعض أحكام شريعـة كانت قبلـه فهو رسول) .

(وقالوا : يجوز ظهور الكرامات على الأولياء ، وجعلوهـا دلالـة على الصـدق في أحوالهم كما كانت معجزات الأنبياء دلالة على صدقهم في دعاويهم .

وقالوا : على صاحب المعجزة إظهارها والتحدّي بها ، وصـاحب الكرامات لا يتحدَّى بهـا غيره ، وربما كتَمَها ، وصـاحب المعجزة مـأمون العـاقبـة ، وصـاحب الكرامـة لا يـأمن تغير عاقبته كما تغيرت عاقبة بَلْعَم بن باعورا بعد ظهور كراماته)

(وقالوا : أصولُ أحكام الشريعة ، الكتابُ ، والسنـة ، وإجمـاع السلف ، وأكفروا منْ لم ير إجماع الصحـابـة حجـة ، وأكفروا الخوارجَ في ردهم حجج الإجمـاع والسنن ، وأكفروا من قال من الروافض لا حُجَّـة في شيء من ذلك ، وإنما الحجة في قول الإمام الذي ينتظرونـه) .

(**وقالوا في الركن العاشر** - المضاف إلى الأمر والنهيَ - إن أفعال المكلفين خمسة أقسام : واجب ، ومحظور ، ومسنون ، ومكروه ، ومُبَاح .

فالواجب : ما أمَرَ الله تعالى به على وجه اللزوم ، وتاركُه مستحق للعقاب على تركه .

والمحظور : ما نَهَى الله عنه ،وفاعلُه يستحقُّ العقاب على فعله .

والمسنون : ما يُثَاب فاعله ، ولا يعاقب تاركه . والمكروه : ما يُثاب تاركه ولا يعاقب فاعله) .

أقول : الكراهة التحريمية عند الحنفية كالحرام ، فصاحبها يستحق العقاب .

(والُمباح : ما ليس في فعله ثواب ولا عقاب ، ولا في تركه ثواب ولا عقاب) .

أقول : إلا إذا وجدت في المباح نية صالحة فإنها تنقله إلى أن يكون عبادة يؤجر عليها . (وهذا كله في أفعال المكلفين ، فأما أفعال البهائم والمجانين والأطفال فإنها لا تُوصَفُ بالإباحة والوجوب والحظر بحال) .

(**وقالوا في الركن الثاني عشر** - المضاف إلى الخلافة والإمامة - إن الإمامة فرض واجب على الأمة لأجل إقامة الإمام ، ينصب لهم القُضَاةَ والأمناءَ ويضبط ثغورهم ، ويُغْزِي جيوشهم ، ويَقْسِم الفَيءَ بينهم ، وينتصف لمظلومهم من ظالمهم .

وقالوا : إن طريق عقد الإمامة للإمام في هذه الأمة الاختيار بالاجتهاد) .

(**وقالوا في الركن الثالث عشر** - المضاف إلى الإيمان والإسلام - إن أصل الإيمان المعرفة والتصديقُ بالقلب ، وإنما اختلفوا في تسمية الإقرار وطاعات الأعضاء الظاهرة إيمانًا ، مع اتفاقهم على وجوب جميع الطاعات المفروضة ، وعلى استحباب النوافل المشروعة) .

(وقالوا : إن اسم الإيمان لا يزول بذنب دون الكفر ، ومن كان ذنبه دون الكفر فهو مؤمنٌ وإن فَسَقَ بمعصية .

وقالوا : لا يحل قتل امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : من رِدَّة ، أو زِنًا بعد إحصان ، أو

قصاص بمقتول هو كفؤه ، وهذا خلاف قول الخوارج في إباحة قتل كل عاص لله تعالى) .

أقول : قضية كفاءة المقتول للقاتل فيها تفصيل وخلاف بين أهل السنة والجماعة .

(**وقالوا في الركن الرابع عشر - المضاف إلى الأولياء والأئمة - إن الملائكة معصومون عن** الذنوب ، لقول الله تعالى فيهم : ﴿ **لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [الآية ٦ سورة التحريم] .

(وقالوا بفضل الأنبياء على الأولياء من الأمم) .

أقول : وقد كَفَّروا من فضل الأولياء على الأنبياء كبعض الشيعة وبعض الصوفية .

(وقالوا أيضًا بموالاة كل مَنْ مات على دين الإسلام ، ولم يكن قبل موْته على بِدْعَة من ضلالات أهل الأهواء الضالة) .

(**وقالوا في الركن الخامس عشر المضاف إلى أحكام أعداء الدين** - إن أعداء دين الإسلام صنفان : صنف كانوا قبل ظهور دولة الإسلام ، وصنف ظهروا في دولة الإسلام وتستروا بالإسلام في الظاهر ، وكادوا المسلمين ، وابتغَوْا غَوَائِلَهم) .

(وأجمع فقهاء الإسلام على استباحة ذبائح اليهود والسامرة والنصارى ، وعلى جواز نكاح نسائهم ،وعلى جواز قبول الجزية منهم) .

(وأما الكفرة الذين ظهروا في دولة الإسلام ، واسْتَتَرُوا بظاهر الإسلام ، واغتالوا المسلمين في السر - كالغُلاة من الرافضة السَّبَئِيَّة ، والبيانية ، والمغيرية ، والمنصورية ، والجَنَاحية ، والخطَّابية ، وسائر الحُلُولية ، والباطنية ، والمقنعية المبيضة بما وراء نهر جَيْحُون ، والمحمرة بأذربيجان ، ومحمرة طبرستان ، والذين قالوا بتناسخ الأرواح من أتباع ابن أبي العَوْجَاء ، ومن قال بقول أحمد بن خابط من المعتزلة ، ومن قال بقول اليزيدية من الخوارج الذين زعموا أن شريعة الإسلام تنسخ بشرع نبي من العجم ، ومن قال بقول الميمونية من الخوارج الذين أباحوا نكاح بنات البنين وبنات البنات ، ومن قال بمذاهب العذافرة من أهل بغداد ، أو قال بقول الحلاجية الغُلاة في مذهب الحلولية ، أو قال بقول البابكية أو الرزامية

المفرطة في أبي مسلم صاحب دولة بني العباس ، أو قال بقول الكاملية الذين أكفروا الصحابة بتركها بيعة علي ، وأكفروا عليًا بتركه قتالهم ـ فإن حكم هذه الطوائف التي ذكرناها حكم المرتدين عن الدين ، ولا تحلّ ذبائحهم ،ولا يحل نكاح المرأة منهم ،ولا يجوز تقريرهم في دار الإسلام بالجزية ، بل يجب استتابتهم فإن تابوا وإلا وجب قتلهم واستغنام أموالهم .

واختلفوا في استرقاق نسائهم وذَرَاريهم ، فأباح ذلك أبو حنيفة وطائفة من أصحاب الشافعي ، ومنهم أبو إسحاق المروزي صاحب ابن سريج ، ومن أباح ذلك استدلّ بأن خالد ابن الوليد لما قاتل بني حنيفة وفَرَغَ من قتل مُسَيْلمة الكذاب صالح بني حنيفة على الصفراء والبيضاء ، وعلى ربع السبي من النساء والذرية ، وأنفذهم إلى المدينة ، وكان منهم خَوْلَة أم محمد بن الحنفية) .

* * *

(أهْلُ السنة لا يكفّر بعضهم بعضًا ، وليس بينهم خلاف يوجب التبري والتكفير . فهم إذَنْ أهلُ الجماعة القائمون بالحق ، والله تعالى يحفظ الحق وأهله ، فلا يَقَعُونَ في تَنَابُذ وتناقض ، وليس فريق من فرق المخالفين إلا وفيهم تكفير بعضهم لبعض ، وتبري بعضهم من بعض) .

(وقالوا بموالاة أقوام وردت الأخبار بأنهم من أهل الجنة ، وأن لهم الشفاعة في جماعة من الأمة ، ومنهم أوَيْس القَرَني ، والخبر فيهم مشهور .

وقالوا بتكفير كل من أكْفَرَ واحدًا من العشرة الذين شهد لهم النبيُّ ﷺ بالجنة .

وقالوا بموالاة جميع أزواج رسول الله ﷺ ، وأكفروا من أكفرهن أو أكفر بعضهن) .

أقول : ومن أصول عقائد أهل السنة والجماعة : محبة الصحابة وتعديلهم والاعتذار لما وقع بينهم ، وحمله على أحسن تأويل .

(وقالوا بموالاة الحسن والحسين والمشهورين من أسباط رسول الله عليه الصلاة والسلام ، كالحسن بن الحسن ، وعبد الله بن الحسن ، وعلي بن الحسين زين العابدين ، ومحمد بن علي ابن الحسين المعروف بالباقر ، وهو الذي بَلَّغه جابر بن عبد الله الأنصاري سَلامَ رسول الله

ﷺ ، وجعفر بن محمد المعروف بالصادق ، وموسى بن جعفر ، وعلي بن موسى الرضا ، وكذلك قولهم في سائر أولاد علي من صُلْبه ، كالعباس ، وعمر ، ومحمد بن الحنفية ، وسائر من دَرَج على سَنَن آبائه الطاهرين ، دون من مال منهم إلى الاعتزال أو الرَّفْض ، ودون من انتسب إليهم وأسْرَفَ في عدوانه وظلمه كالبرقعي الذي عَدَا على أهل البصرة ظلمًا وعدوانًا ،وأكثر النسابين على أنه كان دَعِيًّا فيهم ولم يكن منهم .

قالوا بموالاة أعلام التابعين للصحابة بإحسان ، وهم الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ **يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم** ﴾ .

وقالوا ذلك في كل مَنْ أظهر أصول أهل السنة .

وإنما تبرءوا من أهل الملل الخارجة عن الإسلام ، ومن أهل الأهواء الضالة مع انتسابها إلى الإسلام كالقَدَرية ، والمرجئة ، والرافضة ، والخوارج ، والجَهْمِيّة ، والنجّارية ، والمجسّمة) .

ومن كلام الشيخ عبد القاهر في من يدخل في أهل السنة والجماعة ويعتبر منهم :

(اعلموا ـ أسعدكم الله ـ أن أهل السنة والجماعة ثمانية أصناف من الناس :

(١) **صِنْفٌ منهم** : أحاطوا علمًا بأبواب التوحيد والنبوة ، وأحكام الوعد والوعيد ، والثواب والعقاب ، وشروط الاجتهاد ، والإمامة ، والزعامة ، وسلكوا في هذا النوع من العلم طُرُقَ الصفاتية من المتكلمين الذين تبرءوا من التشبيه والتعطيل ، ومن بدع الرافضة والخوارج والجهمية والنّجّارية ، وسائر أهل الأهواء الضالة .

(٢) **والصنف الثاني منهم** : أئمة الفقه من فَرِيقَي الرأي والحديث ، من الذين اعتقدوا في أصول الدين مذاهبَ الصفاتية في الله وفي صفاته الأزلية ، وتبرءوا من القَدَر والاعتزال ، وأثبتوا رؤية الله تعالى بالأبصار من غير تشبيه ولا تعطيل ، وأثبتوا الْحَشر من القبور ، مع إثبات السؤال في القبر ، ومع إثبات الحَوْض والصراط والشفاعة وغفران الذنوب التي دونَ الشرك .

(وقالوا : بدَوَامِ نعيم الجنة على أهلها ، ودوام عذاب النار على الكَفَرَة ، وقالوا : بإمامة أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وأحسنوا الثناء على السلف الصالح من الأمة ، ورأوا وجوب الجمعة خلف الأئمة الذين تبرءوا من أهل الأهواء الضالة ، ورأوا وجوب استنباط أحكام الشريعة من القرآن والسنة ومن إجماع الصحابة ، ورأوا جواز المَسْح على الخفين ، ووقوع الطلاق الثلاث ، ورأوا تحريمَ المُتْعَة ، ورأوا وجوب طاعة السلطان فيما ليس بمعصية .

ويدخل في هذه الجماعة أصحاب مالك ، والشافعي ، والأوزاعي ، والثوري ، وأبي حنيفة ، وابن أبي ليلى ، وأصحاب أبي ثَوْر ، وأصحاب أحمد بن حنبل ، وأهل الظاهر ، وسائر الفقهاء الذين اعتقدوا في الأبواب العقلية أصولَ الصفاتية ، ولم يخلِطوا فقهه بشيء من بِدَعِ أهل الأهواء الضالة .

(٣) والصنف الثالث منهم : هم الذين أحاطُوا علمًا بطُرقِ الأخبار والسُّنَن المأثورة عن النبي عليه السلام ، وميزوا بين الصحيح والسقيم منها ، وعرفوا أسباب الجَرْحِ والتَّعْدِيل ، ولم يخلِطوا علمهم ذلك بشيء من بِدَعِ أهل الأهواء الضالة .

(٤) والصنف الرابع منهم : قوم أحاطوا علمًا بأكثر أبواب الأدب والنحو والتصريف ، وجَرَوْا على سَمْت أئمة اللغة ، كالخليل ، وأبي عَمْرو بن العلاَء وسِيبَوَيْهِ ، والفَرَّاء ، والأخفش ، والأصمعي ، والمازني ، وأبي عُبَيد ، وسائر أئمة النحو من الكوفيين والبصريين ، الذين لم يَخلِطوا علَمهم ذلك بشيء من بِدَعِ القَدَرية أو الرافضة أو الخوارج ، وَمَنْ مال منهم إلى شيء من الأهواء الضالة لم يكن من أهل السنة ، ولا كان قوله حُجَّة في اللغة والنحو .

(٥) والصنف الخامس منهم : هُم الذين أحاطُوا علمًا بوجوه قراءات القرآن ، وبوجوه تفسير آيات القرآن ، وتأويلها على وَفق مذاهب أهل السنة ، دون تأويلات أهل الأهواء الضالة .

(٦) والصنف السادس منهم : الزهَّاد الصوفية الذين أبْصَرُوا فأقْصَرُوا واختبروا فاعْتبروا ، ورضُوا بالمقدر ، وقنعوا بالمَيْسُور ، وعلموا أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك

مسئول عن الخير والشر ، ومحاسَبٌ على مثاقيل الذر ، فأعدُّوا خير الإعداد ، ليوم المَعَاد ، وجَرَى كَلامُهم في طريقي العبارة والإشارة على سَمْت أهل الحديث ، دون من يشتري لهو الحديث ، لا يعملون الخير رِيَاء ، ولا يتركونه حَيَاء ، دينُهم التوحيد ونَفْي التشبيه ، ومذهبهم التفويضُ إلى الله تعالى ، والتوكُّلُ عليه ، والتسليم لأمره ، والقناعة بما رُزقوا ، والإعراض عن الاعتراض عليه : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

(٧) والصنف السابع منهم : قوم مُرَابطون في ثُغُور المسلمين في وجوه الكَفَرَة ، يجاهدون أعداء المسلمين ، ويَحمُون حمى المسلمين ويذبُّونَ عن حريمهم وديارهم ، ويُظْهِرُون في ثُغُورهم مذاهبَ أهل السنة والجماعة ، وهم الذين أنزل الله تعالى فيهم قوله : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ زادهم الله توفيقًا بفضله ومنه .

(٨) والصنف الثامن منهم : عامة البلدان التي غَلَبَ فيها شعار أهل السنة دون عامة البقاع التي ظهر فيها شعار أهل الأهواء الضالة . ا . هـ .

* * *

وإنما أردنا بهذا الصنف من العامة الذين اعتقدوا تصويب علماء السنة والجماعة في أبواب العدل والتوحيد ، والوعد والوعيد ، ورجعوا إليهم في مَعَالِم دينهم ، وقلَّدوهم في فروع الحلال والحرام ، ولم يعتقدوا شيئًا من بِدَعِ أهل الأهواء الضالة ، وهؤلاء هم الذين سمتهم الصوفية « حَشْو الجنة » .

فهؤلاء أصناف أهل السنة والجماعة ومجموعهم ، أصحاب الدين القويم ، والصراط المستقيم ، ثَبَّتهم الله تعالى بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، إنه بالإجابة جدير ، وعليها قدير) ا . هـ الشيخ عبد القاهر .

وبعد :

إن الأصل الأصيل أن يُحصّل الإنسان الاعتقاد الحق والعمل المنسجم مع هذا الاعتقاد ، فإذا حصّل ذلك كان من أهل السنة والجماعة ، فإذا كان مظهرًا حقيقيًا لمذاهب أهل الحق واعتقادهم كان عَلَمًا على الجماعة فبهداه يُهتدى ، ومن ههنا كان في هذه الأمة أعلام أجمعت الأمة على اعتبارهم أئمة هدى ، فليحاول المسلم أن يكون كذلك فيكون حجة الله على الخلق وذلك يكون بعلم وعمل وحال وسمت حسن ، ثم إن كان لأهل السنة والجماعة إمام عدل نافذ السلطان يقودهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فليبايع وليلزم وليستقم على ذلك ، فإن لم يوجد خليفة راشد فسلطان راشد ، فإن لم يكونا فليكن مع أهل العلم والجهاد ليكون مع الطائفة الظاهرة على الحق وإنما كانت كذلك لحملها الحق والدعوة له والعمل من أجله على بصيرة ولذلك فسر البخاري المراد بالطائفة بأنهم أهل العلم ، وبعضهم فسر المراد بها بأنهم أهل الحديث ، وبعض النصوص تصف هذه الطائفة بالجهاد ، فمن وجد أحدًا من مظنته أن يكون من هذه الطائفة فليلزم غرزه ولا يتسرع حتى يجتمع له طمأنينة العلم والاستخارة والاستشارة وانشراح الصدر ببرد اليقين ، وإلا فليحب الخير وأهله دون التزام ، وليحذر من جهل الصالحين ، وفسوق العالمين فضلاً عن حذره من جهل الجاهلين وغلط العاملين ، والتمسك بكتاب الله هو العاصم ، فليعمل على بصيرة وليدع على بصيرة ، فإذا لم يكن أمامه إلا عزلة أو متابعة على غير هدى فليعتزل ، والمتابعةُ على غير هدى تكون إذا تابع دعاة كفر أو ضلال أو بدعة أو أهل جهل وهوى :

« إذا رأيت شحًا مطاعًا وهوى متبعًا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع عنك أمر العوام » [1] .

وفي حديث حذيفة قال : فإن لم يكن للمسلمين جماعة ولا إمام ؟ قال : « فاعتزل تلك الفرق كلها » [2] .

---

(١) أبو داود (٤ / ١٢٣) كتاب الملاحم - باب الأمر والنهي .
الترمذي (٥ / ٢٥٧) ٤٨ - كتاب التفسير ٦ - باب ومن سورة المائدة .
وقال : حسن غريب . وهو حديث حسن بشواهده وطرقه .

(٢) هو جزء من حديث حذيفة أخرجه البخاري (١٣ / ٣٥) ٩٢ - كتاب الفتن ١١ - باب الأمر إذا لم تكن جماعة . =

ولكن قد تتجسد الجماعة بفردٍ فليُلازمه وليعملا معًا في نصرة الإسلام .

ومع حبنا لدعاة الإسلام كلهم ، ومع حبنا لكل مسلم ، ومع إعطائنا الولاء والإخاء للمسلمين جميعًا ، فإننا نستشعر أن المحاولات الجادة لاستئناف الحياة الإسلامية الراشدة يتوضع حولها وفي بنائها كثير من الأغاليط التي تحتاج إلى بصيرة نافذة كي لا يكون الإنسان شريكًا فيها أو داخلاً في دوامتها ، ومن ههنا نقول : (اعرف ثم التزم) فلقد قال أحد العارفين لتلميذه : (يابني كن محدثًا صوفيًا ولا تكن صوفيًا محدثًا) فمن تصوف قبل العلم تعصب وتحزب وحمل النصوص على ما يوافق الهوى ولم يحمل الهوى على ما يوافق النصوص وكذلك من التزم بشيء قبل العلم ولم يكن التزامه على ضوء العلم خيف عليه ، وخيف منه على الصف الإسلامي ، ثم إنه في موضوع الالتزام نفسه تغلب أغاليط ، فهناك فارق بين الالتزام بخليفة راشد أو سلطان راشد وبين التزام بإخاء للتعاون على خير ، فهذا له أحكامه وهذا له أحكامه ، وكثيرًا ما رأينا أفرادًا يلتبس عليهم هذا الأمر فيفهمون الالتزام الثاني على أنه الالتزام الأول ، ولا يعطون الالتزام الأول حقوقه فتلتبس الأمور وتختلط المفاهيم وتحدث المشقة التي تستتبع الخلاف والاختلاف والعصيان .

* * *

= ومسلم (٣ / ١٤٧٥) ٢٣ - كتاب الإمارة ١٣ - باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ... إلخ .

الفصل الثاني والعشرون

في :

الاختلاف الجائز والاختلاف الممنوع

وفيه :

التقليد الجائز والتقليد الممنوع

مقدمة ونصوص



المقدمة

هذا الفصل فرضه علينا السياق وإلا فمحله مواطن في فنون التأليف ، وسنحاول تفصيله إن شاء الله تعالى في كتاب (الأساس في قواعد المعرفة وضوابط الفهم) ، وههنا نشير إليه إشارة فنقول :

لقد اختلف أئمة أهل السنة والجماعة في كثير من المسائل ومن قبلهم اختلف أصحاب رسول الله ﷺ بعد وفاته في كثير من الاجتهادات ، بل إن بعضهم كان يجتهد في القضية الواحدة ثم يغير رأيه ، وهذا كله لا خطر فيه ، لأنه اجتهاد حيث يحتمل الاجتهاد ، واختلاف حيث تحتمل النصوص اختلافًا في الفهم ، أو أنه اختلاف حيث تسكت النصوص ، فهذا النوع من الاختلاف في الفروع إذا كان من أهله فالعذر فيه واضح ولا يؤثر على أصل العقيدة ، فالاختلاف في الأصول هو الذي يدخل صاحبه في دائرة المذموم ، أما الاختلاف في الفروع من أهله فذلك موجود في هذه الأمة .

وعلى هذا نحمل الكلمة المشهورة : (نجتمع على ما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه) ، وإنما اشترطنا في الاختلاف ليكون محمودًا أن يكون من أهله أي مجتهدي أهل السنة والجماعة لأنهم هم الذين يعرفون الأصول التي لا تجوز مخالفتها ويعرفون الإجماع الذي لا تجوز مخالفته ، ويعرفون أن يحملوا النصوص على محاملها الصحيحة ويعرفون روح الشريعة وأسرارها ، فيضعون كل شيء في محله ، فهؤلاء لهم حق الاجتهاد إذا توافرت شروطه فيهم ، وهم في اختلافهم معذورون ، ومن أخذ بفتوى واحد منهم أو بفتوى من يحسن استنباط الفتوى على مذاهبهم فلا عليه من حرج ، أما من اجتهد ولم تتوافر فيه شروط الاجتهاد فهو إمام ضلالة ولا تجوز متابعته فيما شذّ فيه عن أقوال المجتهدين وأئمة الفتوى ، فليس هو معذورًا في خلافه واختلافه ، وليس من تابعه معذورًا في الخلاف والاختلاف .

وههنا تأتي مسألة التقليد المباح أو الواجب أو المحرم : فالأصل الأصيل أن التقليد في الحياة البشرية له محله ، فهذا الذي يأخذ الدواء ولا يعرف عنه إلا أنه وصفة طبيب ، فإنه

مقلّد ، والطبيب نفسه مقلّد لشركات الدواء ،والمزارع مقلد في كثير من الأمور ، وهكذا قُلْ في أشياء كثيرة . فإذا أتينا إلى الشريعة ، فالشريعة مبناها على النصوص ، والنصوص مبناها على النقل ، والنقل مبناه على الرجال ، وكثيرون من الذين يشتغلون في الحديث يقلدون في الحكم على الرجال غيرهم من أئمة الجرح والتعديل ، فمن ههنا نعرف أن ما يحاربه بعض المتشددين من أهل الحديث من تقليد الرجال هم أول الواقعين فيه ، ولا ننكر عليهم ذلك ، بل نُنْكِرُ عليهم أن يُنْكِروا على من قلّد أئمة الاجتهاد .

فتقليد أئمة الاجتهاد في المسائل الفقهية شيء عادي ، فما كل إنسان يحسن استخراج الحكم الشرعي في كثير من الأحوال ، ولذلك فإن علماءنا اعتبروا التقليد في الأصول مذمومًا واعتبروه في المسائل المشتبهة التي أشار إليها الحديث الصحيح : « وبين ذلك أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس » واعتبروا التقليد في مثل هذا واجبًا ، فهذا تقليد محمودٌ ، ولقد كتبنا كتابنا (جولات في الفقهين الكبير والأكبر) مناقشين فيه أهل التشذد في هذه الشؤون لأنهم يخالفون البدهيات ، فليس كل مسلم مجتهدًا ، وللاجتهاد شروطه ، وهم يتصدون للاجتهاد وليسوا مؤهلين له ، فلو قلدهم مقلد لم ينكروا عليه ، وإذا قلد أئمة الاجتهاد المعتبرين خطّأوه أو ضللوه ، مع أن أئمة الاجتهاد لم يحرموا حلالاً ولم يحللوا حرامًا ، وإنما بحثوا في المشتبهات ليعطوا حصيلة اجتهادهم على ضوء النصوص ، ولترصيع هذا الفصل ببعض الآثار والنصوص التي لها علاقة فيه نذكر الروايات التالية :

النصوص

٤٩٧ ـ * روى أبو داود عَنْ أبي الدَّرْداء ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ، ﷺ ، يَقُولُ : « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ ، وَإِنَّ المَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَها لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِما يَصْنَعُ ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِر لَهُ مَنْ في السَّمَاوَاتِ وَمَنْ في الأَرْضِ حَتَّى الحِيتَانُ في المَاءِ ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ على الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ، وَإِنَّ الْعُلَماءَ وَرَثَةُ الأَنْبِياءِ ، وَإِنَّ الأَنْبِياءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا وَإِنَّما وَرَّثُوا الْعِلْمَ . فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ » .

أقول : إن اتباع أئمة الهدى من العلماء هو اتباع لرسول الله ﷺ في المآل ، إلا أن العلماء غير معصومين ، ولكن أئمة الاجتهاد هم أعرف الخلق بالهدي الإسلامي ولذلك فإن اتباعهم هداية .

٤٩٨ ـ * روى أبو داود عَنْ أبي هُرَيرَةَ ، رَضِيَ اللهُ عَنهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلمٍ فَكَتَمَهُ ، أُلجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نارٍ » .

هذا يدل على أنه لا تخلو الحياة الإسلامية من سؤال وجواب ، وهذا يقتضي أن يوجد العالم الذي يُسأل والجاهل الذي يَسأل .

٤٩٩ ـ * روى البخاري ومسلم عن سَهْلِ بن سَعْدٍ ، رَضيَ اللهُ عَنه ، أَنَّ النَّبي ﷺ ، قَالَ لِعَليٍّ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « فواللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِن حُمْرِ النَّعَمِ » .

---

٤٩٧ ـ أبو داود (٣ / ٣١٧) كتاب العلم ـ باب الحث على طلب العلم .
الترمذي (٥ / ٤٨) ٤٢ ـ كتاب العلم ١٩ ـ باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة .
وابن حبان ـ الإحسان (١ / ١٥١) .

٤٩٨ ـ أبو داود (٣ / ٣٢١) كتاب العلم ـ باب كراهية منع العلم .
الترمذي (٥ / ٢٩) ٤٢ ـ كتاب العلم ٣ ـ باب ما جاء في كتمان العلم . وقال : حديث حسن .
والحديث إسناده صحيح .

٤٩٩ ـ البخاري (٦ / ١٤٤) ٥٦ ـ كتاب الجهاد ١٤٣ ـ باب فضل من أسلم على يديه رجل .
مسلم (٤ / ١٨٧٢) ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ٤ ـ باب من فضائل علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه .

وهذا يدل على أن هناك دعاة ومدعوين ، وأن لدعاة الحق هداية لمن اهتدى بهم فهو على صراط مستقيم ، ولا شك أن الأئمة المجتهدين من هؤلاء الدعاة المهتدين الذين يهدون إلى ما هداهم الله إليه بثاقب فهمهم وقوة ورعهم .

٥٠٠ ـ * روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى ، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ ، لا يَنْقُص ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا . وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلالَةٍ ،كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ ، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثامِهم شَيْئًا » .

أقول : ههنا تابع للحق ومتبوع بالحق ، وللتابع أجره وللمتبوع أجور من اتبعوه على هدى ، وأئمة الاجتهاد يدخلون في هذا المقام .

٥٠١ ـ * روى الإمام أحمد عن أبي أمامةَ الباهلي رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ما ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كانوا عليه إلا أُوتُوا الجَدَلَ » . ﴿ **مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلا جَدَلاً بَلْ هُم قومٌ خصِمُون** ﴾ [(١)] .

(الجدال والمراء) : المخاصمة والمحاجة ، وطلب المغالبة . والمراد ههنا الجدال بالباطل أو الجدال بأكثر مما تقتضيه إقامة الحجة ، أو الجدال لإقامة الحجة بنية غير صالحة ، أما أصل الجدال لإقامة الحجة بالحق لله فهذا دأب الدعاة . ومن الآية التي وردت في النص ندرك أن الجدال ههنا جدل المشركين الذين يدفعون الحق بالباطل .

---

٥٠٠ ـ مسلم (٤ / ٢٠٦٠) ٤٧ ـ كتاب العلم ٦ ـ باب من سن سنة حسنة أو سيئة ... إلخ .

٥٠١ ـ مسند أحمد (٥ / ٢٥٢) .

الترمذي (٥ / ٣٧٨) ٤٨ ـ كتاب تفسير القرآن ٤٥ ـ باب ومن سورة الزخرف .

وقال : حسن صحيح .

ابن ماجه (١ / ١٩) المقدمة ٧ ـ باب اجتناب البدع والجدل .

وإسناده صحيح .

ورواه الحاكم في المستدرك (٢ / ٤٤٨) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(١) الزخرف : ٥٨

٥٠٢ ـ * روى الإمام أحمد عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « المِراءُ في القرآنِ كُفْرٌ » .

قال الخطابي : قال بعضهم : معنى المراء هاهنا : الشك فيه والارتياب به .

وقال بعضهم : أراد الشك في القراءة التي لم يسمعها الإنسان ، وتكون صحيحةً ، فإذا أنكرها جاحدًا لها ، كان متوعَّدًا بالكفر لينتهي عن مثل ذلك .

وقال بعضهم : إنما جاء هذا في الجدال والمراء في الآيات التي فيها ذِكرُ القَدر ونحوه من المعاني ، على مذهب أهل الكلام ، دون ما تضمَّنته من الأحكام وأبواب التحليل والتحريم ، فإن ذلك قد جرى بين الصحابة رضي الله عنهم ومَنْ بعدهم من العلماء ، وليس ذلك محظورًا . والله تعالى أعلم .

أقول : ويمكن أن يراد بالمراء مراءُ أصحاب الأهواء الذين كفروا بأهوائهم ويجادلون بفهمهم الكافرِ أهلَ الحق .

٥٠٣ ـ * روى البخاري ومسلم عن جُنْدَب بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قُلُوبكم ، فإذا اختلفتم فيه فقوموا » .

أقول : إذا كان هناك اختلاف في فهم ، ولم يكن هناك مرجع يرجع إليه المختلفون فيحسم الخلاف في الحق فيجب عليهم أن يسكتوا حتى لا يقولوا بغير علم فيقعوا بسبب ذلك في كفر أو ضلال أو فسوق .

---

٥٠٢ ـ مسند أحمد (٢ / ٢٨٦) .
أبو داود (٤ / ١٩٩) كتاب السنة ـ باب النهي عن الجدال في القرآن .
وإسناده حسن .
(المراءُ في القرآن كفر) : هو أن يكون في لفظ الآية روايتان مشتهرتان من السبع ، أو في معناها ، وكلاهما صحيح مستقيم ، وحق ظاهر ، فَمُنَاكَرَةُ الرَّجُلِ صاحبه ومُجاهَدَتُهُ إياه في هذا مما يَزِلُّ به إلى الكفر .
٥٠٣ ـ البخاري (٩ / ١٠١) ٦٦ ـ كتاب فضائل القرآن ٣٧ ـ باب اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم .
مسلم (٤ / ٢٠٥٣) ٤٧ ـ كتاب العلم ١ ـ باب النهي عن اتباع متشابه القرآن ... إلخ .

٥٠٤ ـ * روى أبو داود عن أبي أمامةَ رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ : « أنا زعيمٌ ببيتٍ في رَبَضِ الجنـة لمن ترك المِرَاءَ وإن كان مُحِقًّا ، وببيت في وَسَطِ الجنـة لمن ترك الكَذِبَ وإن كان مازحًا ، وببيت في أعلى الجنة لمن حَسُنَ خُلُقه » .

أقول : إنما يترك صاحب الحق الجدال بعد أن يقيم الحجة ، فإذا قـامت الحجـة وسعـه أن يسكت وهو مـأجور ، لأن ضبـط نفسـه عن متـابعـة الجـدال يؤجر بـه فهـو نـوعُ مجـاهـدة للنفس ، لأن النفس قد تبدأ كلامها لله ويستجرها الجدال إلى الرغبة في الغلبة فتجادل لحظ النفس لا لنصرة الدين .

٥٠٥ ـ * روى البخـاري ومسلم عن عـائشـةَ رضي الله عنهـا ، قـالت : قـال رسـولُ الله ﷺ : « إنَّ أبغض الرجالِ إلى الله تَعالى : الأَلَدُّ الخَصِمُ » .

٥٠٦ ـ * روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قال : هَجَّرْتُ إلى رسولِ الله ﷺ يومًا ، فَسَمِعَ أصواتَ رجلين اخْتَلَفـا في آيـةٍ فَخَرَجَ رسولُ الله ﷺ يُعْرَفُ في وجهه الغَضَبُ ، فقال : « إنَّما هَلَكَ مَنْ كانَ قبلكم باختلافهم في الكتاب » .

٥٠٧ ـ * روى الترمـذي عن أبي هريرةَ رضي الله عنـه ، قـال : خرج رسـولُ الله ﷺ ونحن نتنـازعُ في القـدر ، فغضب ، حتى كأنَّما فُقِـئَ في وجهـه حبُّ الرُّمَّـانِ حُمْرَةً من الغضب ، فقـال : « أبهـذا أُمرتُم ؟ أم بهـذا أُرسلتُ إليكم ؟ إنَّما أَهْلَـكَ من كان قبلكم

---

٥٠٤ ـ أبو داود (٤ / ٢٥٣) كتاب الأدب ـ باب في حسن الخلق .

وإسناده حسن .

ومن رواية أنس عند الترمذي (٤ / ٣٥٨) ٢٨ ـ كتاب البر والصلة ٥٨ ـ باب مـا جـاء في المراء . وقـال : حـديث حسن .

٥٠٥ ـ البخاري (١٣ / ١٨٠) ٩٣ ـ كتاب الأحكام ٣٤ ـ باب الألد الخصم .

مسلم (٤ / ٢٠٥٤) ٤٧ ـ كتاب العلم ٢ ـ باب في الألد الخصم .

(الألد الخصم) : الأَلَدُّ : الشديدُ الخصومة ، والخَصِمُ : الذي يَخْصِم أقرانه ويحاجهم بالباطل .

٥٠٦ ـ مسلم (٤ / ٢٠٥٣) ٤٧ ـ كتاب العلم ١ ـ باب النهي عن اتباع متشابه القرآن ... إلخ .

(هَجَّرْتُ) : هَجَّرْتُ إليه : بَكَّرْتُ وَقَصَدْتُ ، ويجوزُ أن يكون من الهاجرة ، أي : قصدتُه وقتَ الهـاجرة ، وهو شـدة الحر .

٥٠٧ ـ الترمذي (٤ / ٤٤٣) ٣٣ ـ كتاب القدر ١ ـ باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر .

وقال : حديث غريب . ا . هـ . وللحديث شواهد يرتقي بها إلى رتبة الحسن .

كثرةَ التَّنازعِ في أمرِ دينهم ، واختِلافُهم على أنبيائهم » .

وفي روايةٍ : « إنَّما هلكَ مَنْ كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمرِ عزمْتُ عليكم ، عَزَمْتُ عليكم : أن لا تَنازَعُوا فيه » .

٥٠٨ ـ * روى الدارمي عن مروان بن الحكم ، قال : قال لي عثمان بن عفان : إن عمرَ قال لي : إني قد رأيت في الجَدِّ رأيًا فإن رأيتم أن تَتَّبعوه فاتبعوه . قال عثمان : إن نَتَّبِعْ رأيك فإنه رشد وإن نتبع رأي الشيخ قبلَك فنعم ذو الرأي كان ، قال : وكان أبو بكر يجعله أبا .

أقول : هذا دليل على أنه منذ عصر الصحابة كان يوجد أكثر من اجتهاد في بعض المسائل ، ولا يرون في ذلك حرجًا ولا يرون في الأخذ بأحد الرأيين بأسًا ، ومن ههنا استقرت الأمة في النهاية على أن يتبع الإنسان أي إمام مجتهد بلا حرج .

٥٠٩ ـ * روى الدارمي عن حُميدٍ ، قال : قيل لعمرَ بنِ عبد العزيز : لو جمعتَ النّاس على شيء فقال : ما يَسُرُّني أنهم لم يختلفوا . قال : ثم كتب إلى الآفاق أو إلى الأمصار : لِيَقْضِ كلُّ قوْمٍ بما اجتمع عليه فقهاؤهم .

٥١٠ ـ * روى الدارمي عن عونِ بن عبد الله قال : ما أُحِبُّ أن أصحاب النبي ﷺ لم يختلفوا فإنهم لو اجتمعوا على شيء فتركه رجل تَركَ السنةَ ولو اختلفوا فأخذ رجل بقول أحدٍ أخذ السنة .

= (عزمتُ) : عزمتُ عليكم ، بمعنى : أقسمتُ عليكم .

٥٠٨ ـ الدارمي (٢ / ٣٥٤) كتاب الفرائض ـ باب في قول عمر في الجد . وإسناده صحيح .

٥٠٩ ـ الدارمي (١ / ١٥١) كتاب العلم ـ باب اختلاف الفقهاء . وإسناده صحيح .

٥١٠ ـ الدارمي في الموضع السابق . وفي أحد رواته تفصيل ، والمعنى صحيح فمتابعة أئمة الهدى لا حرج فيها .



الفصل الثالث والعشرون

في:

التحذير من مواطأة الأمم في انحرافاتها

وفيه:

مقدمة ونصوص وتعقيب



المقدمة

قال تعالى : ﴿ ويهديكم سنن الذين من قبلكم ﴾ [١] .

﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصّديقين والشهداء والصالحين ﴾ [٢] .

﴿ اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضّالين ﴾ [٣] .

﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدّقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ﴾ [٤] .

﴿ ثمّ جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾ [٥] .

﴿ ونزّلنا عليك الكتاب تبيانًا لكلّ شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ [٦] .

﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ [٧] .

إن كتاب ربنا وسنة نبينا عليه الصلاة والسلام قد جمعا الخير كله وبينا لنا الشرّ كلّه ، وكما طالبنا ربنا عز وجل في اتباع الخير وأهله فقد نهانا أن نتابع الشرّ وأهله ، وكما أمرنا بالاقتداء بالرسل والأنبياء والصدّيقين والشهداء فقد نهانا عن متابعة أهل الأهواء ، وقد بين لنا انحرافات أمم أنزل عليها وحي فانحرفت عنه ، وبين لنا رفض بعض الأمم لما أنزل عليهم من وحي أصلاً ، ولكنّ الطبيعة البشرية هي الطبيعة البشريّة تتشابه على مدار الأزمنة والأمكنة والأجيال ﴿ تشابهت قلوبهم ﴾ [٨] ومن ثمّ فإنّ هذه الأمّة على ما أكرمها الله عز وجل من كتاب معصوم معجز ومن سنّة محفوظة باقية سيظهر فيها ما ظهر في الأمم من انحرافات ، فلا عجب والأمر كذلك أن نرى أفرادا أو جماعات من هذه الأمّة تواطئ

---

(١) النساء : ٢٦ .
(٢) النساء : ٦٩ .
(٣) الفاتحة : ٦ ، ٧ .
(٤) المائدة : ٤٨ .
(٥) الجاثية : ١٨ .
(٦) النحل : ٨٩ .
(٧) الأنعام : ٩٠ .
(٨) البقرة : ١١٨ .

انحرافات الأمم وتتخذ من هذه الأمم في انحرافاتها قدوة ، فالنصوص النبوية ذكرت أن هـذا واقع ، وذكرها له تحذير منه ، وعلى الربانيين والمصلحين أن يعملوا ليجـدّدوا حيـاة الإسلام وحيويته ، ولينقذوا المتأثرين بالفكر الغريب والسلوك المنحرف أو المريب .

إن هناك انحرافات بشريّة فرديّة ، وهناك انحرافات جماعيّة ، وهناك انحرافـات محليّـة ، وانحرافات عالميّة ، وهناك مسرى للانحراف قد يكون فرديًا أو محليًا أو عالميًـا ، وقـد تتعـدد مَسريـات الانحراف عنـد الأمم وهنـاك مسرى منحرف لأهـل الأديـان البـاطلـة في الجملـة ، وهناك مسرى منحرف خاص بأهل كل دين ، وهناك مسريات منحرفة لمن لا دين له .

والأمّة الإسلاميّة معرّضة لأن يسري إليها ذلك كلّه ، ومن ههنا كان الإسلام بحـاجـة إلى تجديد في كل جيل من أجيال هذه الأمّة ، وكان من رحمة الله بهذه الأمّـة ألا تنقطع سلسلـة المجدّدين .

إنّ المسرى السياسي العام للعالم هو السير نحو العلمانية بألا يكون للدين علاقة في الحيـاة السياسية ، تجد ذلك قاسمًا مشتركًا عند أتباع الأديان الباطلة من بوذية أو كونفوشيوسيـة أو برهميـة أو زرادشتيـة أو يهوديـة أو نصرانيـة أو وثنيـة ، وتجـد أن هـذا المسرى قـد اختطف الكثيرين من أبنـاء الأمـة الإسـلاميـة حتى غلب ولا زال يغلب على الكثير من أقطـارهـا ، وتجد أن بعض أهل الأديان وصلوا إلى إعطـاء أحبـارهم ورهبـانهم صفـة العصمـة ، فتجـد أن ذلك سرى إلى كثير من أبنـاء الأمـة الإسلاميـة ، وأكثر مـا ظهر ذلـك عنـد طوائف الشيعـة وبعض المتصوفة .

وتجد أن اتباع الأهواء وكسب الملذّات والـدعوة إلى حريـة الإنسـان في ذلـك قـد غلبت على العالم وسرى ذلك للكثيرين من أبناء الإسلام .

وهذا وأمثالـه قـد أخبرنـا رسـول الله ﷺ عـن وقوعـه وحـذّرنـا منـه وعلّمنـا الله أن ندعوه في كل صلاة أن يجنبنا ذلك ﴿ **اهدنـا الصراط المستقيم * صراط الـذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضّـالين** ﴾ [1] والمغضوب عليهم هم اليهود والضّـالون هم النصـارى ،

---

(١) الفاتحة : ٦ ، ٧ .

فإذا حذّرنا من متابعة انحرافات هؤلاء وهما الأشهر في الديانة والتدين فمن باب أولى غيرهم ، ولذلك وجب على المسلم أن يفتش في ذاته وفي سلوكه وفي ولاءاته وفي انتماءاته وفي أعماله وأقواله وفي بيته وفي مواقفه عمّا إذا كان يواطئ غير المسلمين في شيء من انحراف عن الإسلام .

لقد كان من سنّة رسول الله ﷺ أن يخالف سنّة اليهود والنصارى والمجوس ليعلّمنا الحذرَ من المواطأة إلا فيما أجازته شريعتنا .

لقد أخبرنا الله عز وجل أنه لم يترك أمة إلا أرسل لها رسولا : ﴿ وإن من أمّة إلا خلا فيها نذير ﴾ [1] .

وقال عليه السلام : « أنتم تتمّون سبعين أمّة أنتم خيرها وأكرمها على الله » [2] .

والنصوص لم تصف كل الأمم التي أرسل لها رسل إلا ما ذكر عن بني إسرائيل وعن النصارى وبعض الأقوام ، والديانات المعروفة قديمًا وحديثًا كثيرة :

فهناك النصرانية واليهودية والبوذية والكونفوشيوسية والمجوسية ......

وهناك أديان بادت وانقرضت كالديانات المصرية القديمة والديانات اليونانية ، والمعروف عنها أنّها ديانات شِركيّة ، وهناك الديانات الوثنية والشّركيّة ، وبعضها لا زال موجودًا ، ولئن لم يحدّثنا القرآن عن كل الأديان فقد ذكر لنا ما نعرف به من خلال المذكور ما غاب عنّا ، فلا يغيب عمّن قرأ القرآن وفهمه أن يعرف الهدى من الضلال ، ليس في باب الديانات فحسب بل في باب المذاهب الفلسفية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها سواء في ذلك ما انتهى ودرس أو ما زال موجودًا .

---

(١) فاطر : ٢٤ .

(٢) الترمذي (٥ / ٢٢٦) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ٣ - باب ومن سورة آل عمران .

وقال : هذا حديث حسن ..

والمستدرك (٤ / ٨٤) . وقال : صحيح الإسناد .

وقال الحافظ عنه : حسن صحيح .

فهناك ديانات اندرست ، فإذا ما قرأ المسلم عنها لا يفوته مواطن الكفر والانحراف فيها كالديانات اليونانية والمصرية والرومانية ، وهناك ديانات لا زالت موجودة لا يغيب عن المسلم أن يعرف مواطن الكفر والضلال فيها كالبوذية والكونفوشيوسية والبرهمية واليهودية والنصرانية والصابئية والمانوية والزرادشتية ، وهناك مذاهب فلسفية واجتماعية ظهرت قديمًا كالفلسفة اليونانية والإباحية المزدكيّة ، وهناك فلسفات معاصرة أو وسيطة ومذاهب اجتماعية واقتصادية وسياسية ، وكل ذلك لا يغيب عن المسلم العارف بدينه أن يعرف مواطن الكفر والانحراف فيها .

قال تعالى : ﴿ **ونزّلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين** ﴾ [1] .

وقد كلّف الله عز وجل الإنسان أن يؤمن بالله وأن يكفر بالطاغوت : ﴿ **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى** ﴾ [2] .

ومن ههنا كان من معالم الإسلام الكبرى ألا يتابع المسلم أحدًا فيما يدخل في باب الديانات . وقد أعطانا الله عز وجل نموذجين تفصيليين على انحرافات أمتين أنزل عليهما وحي وهما اليهود والنصارى ، ولقد استمرّت الانحرافات عند اليهود والنصارى بعد نزول القرآن الكريم حتى وصلوا إلى الإلحاد وإلى اللادينية والإباحية في الفكر الرأسمالي والفكر الشيوعي ، فانحراف يوصل إلى انحراف وهكذا .

ولما كانت هذه الانحرافات أثرًا عن أهواء أو جهل ، ولما كان الإنسان مَظِنَّةَ الجهل والهوى : ﴿ **وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولا** ﴾ [3] فإن احتمال أن تسري على أمتنا انحرافات الأمم قائم ، ومن ههنا أخبرنا عنه رسول الله ﷺ ونبّهنا على ذلك وحذّرنا منه وفيما يلي نصوص في ذلك .

---

(١) النحل : ٨٩ .
(٢) البقرة : ٢٥٦
(٣) الإسراء : ٧٢ .

النصوص

٥١١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كان قبلكم شِبْرًا بِشِبْرٍ ، وذراعًا بِذراعٍ حتى لو دَخَلُوا جُحْرَ ضبٍّ لَتَبِعْتُموهم » . قلنا : يا رسول الله اليهودَ والنصارى ؟ » قال : « فَمَنْ ؟ » .

٥١٢ - * روى البزار عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كان قَبلَكم شِبرًا بشِبر وذِراعًا بذراع وباعًا بباع ، حتى لو أنَّ أحدَهم دخلَ جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتم ، وحتى لو أن أحدهم جامَعَ أمَّه لفعلتم » .

٥١٣ - * روى الطبراني في الأوسط عن المسْتَورد بن شداد ، أن رسول الله ﷺ قال : « لاَ تَتْرُكُ هذه الأمةُ شيئًا من سَنَنِ الأولين حتى تأتِيَهُ » .

٥١٤ - * روى البخاري عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « لا تقومُ الساعةُ ، حتى تَأخذَ أُمَّتِي مأخَذَ القُرونِ قَبْلَها شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِراعٍ » قيل له : يا رسولَ الله ، كفَارِسَ والرومِ ؟ قال : « مَنِ الناسُ إلا أولئك ؟ » .

٥١٥ - * روى الترمذي عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه ، أنّ رسول الله ﷺ لما خرج

---

٥١١ - البخاري (١٣ / ٣٠٠) ٩٦ - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ١٤ - باب قول النبي ﷺ « لتتبعن سنن من كان قبلكم » .

ومسلم (٤ / ٢٠٥٤) ٤٧ - كتاب العلم ٣ - باب اتباع سنن اليهود والنصارى .

(جُحْرَ ضبٍّ) : الضَّب : هذا الحيوان المعروف .

(وجُحْرُهُ) : ثَقْبُه الذي يأوى إليه ، يعني لو دخلوا إلى ثقب الضبِّ مبالغةً لدخلتموه .

٥١٢ - كشف الأستار (٤ / ٩٨) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٦١) . وقال : رواه البزار ورجاله ثقات .

٥١٣ - مجمع الزوائد (٧ / ٢٦١) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات .

قوله (من سنن الأوّلين) : أي من طرائقهم المنحرفة وسننهم السيئة في الاعتقادات والأقوال والأفعال .

٥١٤ - البخاري (١٣ / ٣٠٠) ٩٦ - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ١٤ - باب قول النبي ﷺ « لتتبعن سنن من كان قبلكم » .

٥١٥ - الترمذي (٤ / ٤٧٥) ٣٤ - كتاب الفتن ١٨ - باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم .

وقال : هذا حديث حسن صحيح . وإسناده صحيح .

=

إلى غزوة حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ للمشركين كانوا يُعَلِّقُونَ عليها أسلحتَهُمْ ، يقال لها : ذاتُ أَنْواطٍ ، فقالوا : يا رسول الله ، اجعلْ لنا ذاتَ أنواطٍ ، كما لهم ذَاتُ أنواط . فقال رسولُ الله ﷺ : « سبحانَ اللهِ ! هذا كما قال قومُ موسَى : اجعل لنا إلَهًا كما لهم آلهة ، والذي نفسي بيده : لتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَن كَانَ قَبْلَكُم » .

٥١٦ - * روى الطبراني عن أبي موسى : قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ بني إسرائيل كَتَبُوا كتابًا فاتَّبعُوه وتَرَكُوا التَّوْراة » .

أقول : إن بني إسرائيل يعتمدون التلمود أكثر ممّا يعتمدون أسفار موسى الخمسة التي هي الأسفار الأولى في كتب العهد القديم والتي يطلق عليها بعضهم اسم التوراة ، ويبدو أن التوراة جزء منها ، وقد داخل هذه الأسفار كلها من التحريف والتبديل الكثير ، ومحل التلمود عندهم في العمل أقوى وإن كانت التوراة أقوى في الاعتبار .

٥١٧ - * روى الطبراني عن أبي الزّعْراء الأزدي قال : قال عبدُ الله بن مسعود : لا تَسألوا أهلَ الكتابِ عن شيء فإنهم لن يَهْدُوكم ، وقد أَضَلُّوا أنفسَهم ، إما أن يُحَدِّثُوكم بصِدْقٍ فتكذّبوهم أو بباطل فتُصَدّقُوهم .

* * *

التعقيب :

إن أدب المسلم وهو يقرأ كتاب الله أو سنّة رسوله ﷺ أن يقيم الأمر ويجتنب النهي ، كما أن من آدابه إذا مرّ بآية أو حديث يتحدّث عن كفر أو ضلال أو بدعة أو فسوق أن يتجنب ذلك كي لايواطئ أهل ذلك في شيء ومن ههنا نهينا عن التشبه ، وسن لنا رسول الله ﷺ مخالفة المشركين والكافرين في كل ما يدخل في باب الديانات ، وقد ضلت الأمم السابقة ابتداءً عن التوحيد والشرائع كما ضلّوا بالتفرق بسبب البغي والابتداع ، ومع الضلال

= (أنواط) : جمع نَوْط ، وهو مصدر نُطْتُ به كذا وكذا أَنُوطُ نَوْطًا : إذا علقتَه به ، ويسمّى المَنوط بالنَّوْط .

٥١٦ - مجمع الزوائد (١ / ١٩٢) . وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات .

٥١٧ - المعجم الكبير (٩ / ٤١٣) .

مجمع الزوائد (١ / ١٩٢) . وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون .

عن أصل الـدين والتفرق فيـه والفسوق والغلو والابتـداع فقـد أضـاعوا الوحي أو حرّفـوه أو ألغوه ، وكل ذلك ممّا ينبغي أن يحذره المسلم .

* * *



الفصل الرابع والعشرون

في:

التحذير من الفتن والأهواء وأهلها

وفيه:

مقدمة ونصوص وتعقيب



المقدمة

رأينا أن الأمة الإسلامية ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، ومن ههنا فإن أهل الإيمان عليهم أن يحذروا من متابعة فرقة من فرق الضلال ، أو أن يواطؤوها في فكرة من أفكارها الخاطئة ، ومن ههنا اشتد كثير من الأئمة على بعض أهل السنة والجماعة بسبب تخوفهم من فكرة خاطئة سرت إليه أو يمكن أن تسري إليه .

ومع وجوب الحذر من متابعة أهل الأهواء من الفرق الضالة فهناك الفتن التي تعصف في الأمة مما لا يستبان وجه الحق فيها فهذه كذلك يجب على المسلم أن يحذرها .

ومن ههنا فإن على المسلم أن يحذر :

من متابعة أهل الهوى ، ومن المشاركة في فتنة يستعمل فيها السلاح أو اللسان دون أن يكون مُتَبَيِّنًا وجه الحكم الشرعي ، أما إذا استبان له وجه الحكم الشرعي فعندئذ يقدم ولو كان ذلك قتالاً ، وعلى مثل هذا يحمل إقدام الصحابة على القتال في الفتنة : بين علي من جهة ، وبين عائشة وطلحة والزبير ثم معاوية من جهتين أخريين .

والفتنة في اصطلاح الشارع أوسع مدى مما ذكرناه ، فهي على أنواع ، وكل واحدة منها ينبغي أن يكون للمسلم موقف منها . فكلمة الفتنة في اصطلاح الشارع تطلق على الصراعات الداخلية غير المبصرة بين المسلمين ، كما تطلق على نشر الآراء الشاذة ، وتطلق على الاضطهاد الذي يسلطه الكافرون أو الظالمون على المؤمنين ، كما تطلق على الفوضى وعلى الخوض بلا تبين في المعارك السياسية والعصبيات والهجوم والتهجّم بسببها ، وتطلق الفتنة على ما يفتن الإنسان في دينه من مال أو جاه أو خواطر باطنة أو اتجاهات باطلة ، ويدخل في اسم الفتنة التحريش بين الناس ، والتفريق بين المتحابين .

وكل أنواع الفتن ينبغي أن يحذرها المسلم ، وأن يكون له موقفه من كل واحدة منها .

فالمسلم مطالب في الصراعات الداخلية بين المسلمين أن يتبين ، وفي الآراء الشاذة أن يرفضها وأن يتمسك بقول أهل الحق ، والأصل أن يدعو المسلم إلى الله ولا يطالب أن يعرض

نفسه إلى اضطهاد لا يتحمله إلا إذا تعين عليه موقف شرعًا ، فإذا أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو دعا إلى خير فاضطهد أو أوذي ابتداءً بسبب عقيدته فهو بين خيارين : أن يصبر حتى يستشهد أو يأخذ بالرخصة إذا كان الإكراه ملجئًا ، والأصل في المسلم أن يجاهد الكفار وأن يقاتل أهل البغي مع الإمام الحق ، أما إذا وقعت الفوضى فأدبه أن يعتزل حتى يجد مسلكًا صحيحًا فيمضي فيه ، وأما الأهواء السياسية والعصبيات والقبليات فالمسلم منها حَذِر ، وأما ما يعرض على القلوب من فتنة فالمسلم يأباها وبذلك يسلم له قلبه .

وإذ كانت هذه الأمور من الأهمية بمكان ، فقد عقدنا لها هذا الفصل لنذكر فيه بعض النصوص في بعض هذه الشؤون :

النصوص

٥١٨ ـ * روى الإمام أحمد عن أبي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ ، لا أعلمه إلا عن النبي ﷺ قال : « إنما أخشى عليكم شهواتِ الغَيِّ في بطونكم وفروجكم ومُضلاَّتِ الفِتَن » .

وفي رواية : « ومضلاَّت الهوى » .

٥١٩ ـ * روى الإمام أحمد عن كُرْز بن عَلْقَمَةَ الخُزاعي ، قال : قال رجل : يا رسول الله هل للإسلام من منتهى ؟ قال : « نعم أيُّما أهلُ بيتٍ من العربِ أو العجمِ أرادَ اللهُ بهم خيرا أَدخلَ عليهم الإسلام ، ثم تقع الفتن كأنها الظُّلَلُ » قال : كلا والله إنْ شاء اللهُ. قال : « بلى والذي نفسي بيده ، ثم تعودون فيها أساوِدَ صُبًّى يَضرب بعضُكم رِقابَ بعضٍ ».

وفي رواية[1] « فأولُ الناس مُؤمنٌ مُعتزلٌ في شِعْبٍ من الشِّعابِ يتقي ربه تبارك وتعالى ويَدَعُ الناسَ من شَرِّه » .

٥٢٠ ـ * روى البخاري عن خَلَفِ بن حَوْشَبٍ رحمه الله ، قال : كانوا يَسْتَحِبُّونَ أن يَتَمَثَّلوا بهذه الأبيات عند الفِتَن :

الحربُ أولُ ما تكونُ فَتِيَّةً ... تَسْعَى بزينتها لكلِّ جَهُولِ
حتى إذا اشتَعلتْ وشَبَّ ضِرامُها ... وَلَّتْ عجوزًا غيرَ ذاتِ حَليلِ

---

٥١٨ ـ مسند أحمد (٤ / ٤٢٠) .

مجمع الزوائد (٧ / ٣٠٥) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(شهوات الغي) : شهوات الضلال والانهماك في الباطل .

٥١٩ ـ مسند أحمد (٣ / ٤٧٧) .

كشف الأستار (٤ / ١٢٤) .

(١) مسند أحمد : الموضع السابق .

مجمع الزوائد (٧ / ٣٠٥) . وقال : رواه أحمد والبزار والطبراني بأسانيد وأحدها رجاله رجال الصحيح .

(الأساود الصب) : الحيات السوداء إذا اقتتلت مع بعضها .

٥٢٠ ـ البخاري (١٣ / ٤٧) ٩٢ ـ كتاب الفتن ١٧ ـ باب الفتنة التي تموج كموج البحر . معلقًا .

قال الحافظ في الفتح : وصله البخاري في « التاريخ الصغير » عن عبد الله بن محمد المسندي عن سفيان بن عيينة عن خلف بن حوشب .

شَمطـــاءَ يُنكَـرُ لـونُهـــا وتغيَّـرتْ   مكروهـــــةً للشَّـــمِّ والتَّقْبيـــلِ

٥٢١ ـ * روى البخاري ومسلم عن أسَامَـةَ بنِ زيـدٍ رضي الله عنهما ، قـال : أشرفَ النبيُّ ﷺ على أُطُم من آطَـامِ المـدينَـةِ ، فقَـالَ : « هل ترَوْنَ مـا أرى ؟ » قـالُوا : لا . قـالَ : « فإني لأرَى مَوَاقِعَ الفِتَنِ خِلاَلَ بيوتكم كَمَوَاقِعِ القَطْرِ » .

٥٢٢ ـ * روى البخـاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنـه ، قـال : قـال رسـول الله ﷺ : « ستَكُونُ فِتَنٌ ، القاعِدُ فيها خيرٌ من القائمِ ، والقائمُ فيهـا خيرٌ من المـاشي ، والماشي فيهـا خيرٌ من السَّـاعي ، مَنْ تَشَرَّف لَهـا تَسْتَشْرِفْـهُ ، ومَنْ وَجـدَ مَلْجـأً أو مَعاذًا فَلْيَعُذْ به ».

وفي أخرى لمسلم [1] : « تكون فتنةٌ ، النـائمُ فيهـا خَيْرٌ من اليَقْظـان ، واليقظـانُ فيهـا خيرٌ من القـائم ، والقـائم فيهـا خير من السـاعِي ، فمن وَجَـدَ مَلْجـأً أومَعـاذًا فليَسْتَعِذْ » .

٥٢٣ ـ * روى مسلم عن عثمانَ الشَّحَّام : قـال انطلَقْتُ أنـا وفَرْقَـدٌ السَّبَخي إلى مسلم بن أبي بَكْرةَ وهو في أرضه ، فدخَلْنا عليه ، فقلت : هل سَمِعتَ أباك يُحدِّث في الفِتَن حديثًا ؟ فقال : نعم ، سمعت أبا بَكْرَةَ يحدِّث قال : قال رسول الله ﷺ : « إنها ستكون فِتَنٌ ، ألا

---

٥٢١ ـ البخاري (١٣ / ١١) ٩٢ ـ كتاب الفتن ٤ ـ باب قول النبي ﷺ : « ويل للعرب من شر قد اقترب » .

ومسلم (٤ / ٢٢١١) ٥٢ ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ٣ ـ باب نزول الفتن كمواقع القطر .

(أشرف على أطم) : أشرف : علا وارتفع ، والأطم : هو القصر والحصن والجمع آطام .

(كمواقع القطر) : التشبيه بمواقع القطر في الكثرة والعموم . أي : أنها كثيرة وتعم الناس لا تختص بها طائفة ، وهـذا إشـارة إلى الحروب الجـاريـة بينهم ، كوقعـة الجمل وصفين ، والحرة ومقتـل عثمان ومقتـل الحسين رضي الله عنهما وغير ذلك ، وفيه معجزة ظاهرة للنبي ﷺ / النووي على مسلم (١٨ / ٧) .

٥٢٢ ـ البخاري (١٣ / ٣٠) ٩٢ ـ كتاب الفتن ٩ ـ باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم .

ومسلم (٤ / ٢٢١٢) ٥٢ ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ٣ ـ باب نزول الفتن كمواقع المطر .

(١) مسلم في الموضع السابق .

(من تشرّف لها تستشرفه) : أي : من تطلع إليها وتعرض لها أتته ، ووقع فيها .

(الملجأ والمعاذ) : أخوان ، وهما الشيء الذي يُحتمى به ويُركَن إليه .

٥٢٣ ـ مسلم في الموضع السابق .

ثُمَّ تكونُ فِتنـةٌ ، القـاعـدُ خيرٌ من المـاشي فيهـا ، والمـاشي فيهـا خيرٌ من السَّـاعي إليها ، ألا فإذا نَزَلَتْ ، أَوْ وَقَعَتْ ، فمن كان له إبل فَلْيَلْحَقْ بـإبلـه ، ومن كان لـه غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بغنمه ، ومن كانت لـه أرضٌ فليلحق بـأرضـه » قـال : فقـال رجل : يـا رسولَ الله ، أرأيتَ من لم تكُن له إبلٌ ولا غنم ولا أرضٌ ؟ قال : « يَعْمِد إلى سيفِهِ فَيَـدُقُّ على حَـدِّه بِحَجَر ثم لِيَنْـجُ إن استطـاع النَّجَـاءَ ، اللهم هـل بَلَّغتُ ؟ اللهم هـل بلغت ؟ اللهم هل بلغت ؟ » قـال : فقـال رجل يـارسولَ الله ، أرأيتَ إنْ أُكرِهتُ حتى يُنْطَلَقَ بِي إلى أحـد الصَّفَّيْن ، أو إحـدى الفئتين ، فضربني رجـل بسيفـه ، أو يجيء سَهْمٌ فيقتُلُني ؟ قال : « يبوءُ بإثمه وإثمك ، ويكونُ من أصحاب النار » .

ولـفظ أبـي داود [١] قـال : « إنهـا ستكون فِتْنَـة يكون المضطجعُ فيهـا خيرًا من الجالس ، والجـالسُ خيرًا من القـائم ، والقـائمُ خيرًا من المـاشي ، والمـاشي خيرًا من الساعي » قالوا : يا رسولَ الله ، ما تأمُرنا ؟ قال : « من كانت له إبلٌ فليلحق بإبلـه ، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه » قال : فمن لم يكن له شيء من ذلك ؟ قال : « يَعْمِدُ إلى سيفه ، فيضرب بحدِّه على حَرَّة ، ثم لِيَنْجُ ما استطاع النجاءَ » .

أقول :

هذا الحديث وأمثاله محول على ما إذا لم يكن للمسلمين إمام راشـد قـائم بـالحق ، أمـا إذا وجد الإمام الراشد القـائم بـالحق فـالأصل أن يجـاهـد الإنسـان معـه وأن يقـاتل أهل البغي الخارجين عليه ، ومع أن الإمام عليًا كان خليفة راشدًا قائمًا بالحق فإن بعض الصحابـة وقفوا ضده لعدم تبينهم أنّه هو الإمام الحق القائم بالحق ، وبعضهم استباح الاعتزال فلم يقاتل أخذًا بظواهر مثل هذه النصوص ، لكن بعضهم ندم على عدم قتاله معه بعـد أن تبين لـه أنـه على الحق والصواب بعد مقتل عمار من قبل فئة معاوية كما حدث لابن عمر رضي الله عنهما .

---

(١) أبو داود (٤ / ٩٩) كتاب الفتن والملاحم - باب في النهي عن السعي في الفتنة .

(الحرة) : الأرض ذات الحجارة السود ، والمراد به هاهنا : نفس الحَجَر ، أي : ضرب حدّ سيفه بحجر يَفُلُّ غَرْبـه لئلا يقاتل .

٥٢٤ ـ * روى الترمذي عن سعدِ بن أبي وقاص رضي الله عنه ، قال : عندَ فتنةِ عثمان ابنِ عفانَ ـ أشهدُ أن رسول الله ﷺ قال : « إنها ستكونُ فِتْنَةٌ القاعدُ فيها خيرٌ من القائم ، والقائمُ خيرٌ من الماشي ، والماشي خيرٌ من السّاعي » . قال : أفرأيتَ إن دَخَلَ عَلَيَّ بَيْتي ، وَبَسَطَ يَدَهُ إليَّ ليَقْتُلَني . قال : « كُنْ كابنِ آدمَ » .

ولفظ أبي داود [1] عن حُسَيْنِ بن عبدِ الرحمنِ الأشْجَعي : أنه سَمِع سعدَ بن أبي وقاصٍ عن النبي ﷺ ، في هذا الحديث ، قال : فقلت : يا رسول الله ، أرأيتَ إن دَخَلَ عليَّ بيتي ، وبسط يَدَه إليَّ ليقتُلَني ؟ قال : فقال رسول الله ﷺ : « كن كابْنَيْ آدم » وتلا يزيدُ ـ يعني ابنَ خالدِ الرملي ـ : ﴿ لئن بَسَطتَ إليَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَني ﴾ الآية [2] .

٥٢٥ ـ * روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « يُوشِكُ أن يكونَ خيرَ مال المسلم غَنَمٌ يَتْبَعُ بها شَعَفَ الجبال ومواقِعَ القَطْرِ ، يَفرُّ بدِينه من الفتن » .

وللبخاري [3] قال عبدُ الرحمنِ بنُ أبي صعصعة : قال لي أبو سعيد : إني أراكَ تُحبُّ الغنم وتتخذُها ، فأصْلِحْها وأصلحْ رُعَامَها ، فإني سمعت النبي ﷺ يقول : « يأتي على

---

٥٢٤ ـ الترمذي (٤ / ٤٨٦) ٣٤ ـ كتاب الفتن ٢٩ ـ باب ما جاء تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم .
وقال : هذا حديث حسن . وهو كما قال .

(١) أبو داود (٤ / ٩٩) كتاب الفتن والملاحم ـ باب في النهي عن السعي في الفتنة .
وهو حديث صحيح .

(٢) المائدة : ٢٨ .

٥٢٥ ـ البخاري (١ / ٦٩) ٢ ـ كتاب الإيمان ١٢ ـ باب من الدين الفرار من الفتن .
والموطأ (٢ / ٩٧٠) ٥٤ ـ كتاب الاستئذان ٦ ـ باب ما جاء في أمر الغنم .
وأبو داود (٤ / ١٠٣) كتاب الفتن ـ باب ما يرخص فيه من البداوة في الفتنة .
والنسائي (٨ / ١٢٣) ٤٧ ـ كتاب الإيمان ٣٠ ـ باب الفرار بالدين من الفتن .
وابن ماجه (٢ / ١٣١٧) ٣٦ ـ كتاب الفتن ١٣ ـ باب العزلة .

(٣) البخاري (٦ / ٦١١) ٦١ ـ كتاب المناقب ٢٥ ـ باب علامات النبوة في الإسلام .
(مواقع القَطْر) : المواضع التي ينزل بها المطر .
(رُعامها) : الرعام : المخاط الذي يسيل من أنف الشاة من داء أصابها والشاة رعوم .

النـاس زمـان تكونُ الغنمُ فيـه خيرَ مـالِ المسلمِ ، يَتْبَعُ بهـا شَعَفَ الجبـال . ومواقع القَطْرِ ، يَفرُّ بدينه من الفتن » .

٥٢٦ ـ * روى أبـو داود عن أبي هريرةَ رضي الله عنـه ، أن النبي ﷺ قـال : « وَيْـلٌ للعرب من شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ ، أَفلحَ من كفَّ يدَه » .

٥٢٧ ـ * روى الترمذي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، أن رسولَ الله ﷺ قـال في الفتنـة : « كسِّرُوا فيهـا قِسِيَّكُمْ ، وقَطِّعُوا فيهـا أوتـارَكم ، والزمـوا فيهـا أَجْوافَ بيُوتكم ، وكُونُوا كابنِ آدمَ » .

ورواه أبـــو داودَ بزيـادة في أولـه [1] ، قـال : قـال رسولُ الله ﷺ : « إن بينَ يَـدَيِ السـاعـةِ فِتَنًـا كقِطَعِ الليل المظلم ، يُصبحُ الرجـلُ فيهـا مـؤمنًـا ، ويُمسي كافرًا ، ويمسي مؤمنًا ويُصْبِح كَافِرا ، القاعدُ فيها خيرٌ من القـائم ، والمـاشي فيهـا خيرٌ من السـاعي ، فَكَسِّرُوا قِسِيَّكُم ، وقطِّعوا أوتـارَكم ، واضربوا سُيُوفَكم بـالحجـارة ، فـإن دُخِلَ على أحدٍ منكم فليكن كخير ابْنَيْ آدمَ » .

ورواه أبـو داود [2] أيضًـا إلى قوله : « خَيرٌ من السَّاعي » قالوا : فما تأمُرنـا ؟ قـال : « كونوا أحلاسَ بُيُوتِكم » .

---

٥٢٦ ـ أبو داود (٤ / ٩٧) كتاب الفتن ـ باب ذكر الفتن ودلالتها .

وإسناده صحيح .

٥٢٧ ـ الترمذي (٤ / ٤٩١) ٣٤ ـ كتاب الفتن ٣٣ ـ باب ما جاء في اتخاذ سيف من خشب في الفتنة .

وقال : حسن غريب صحيح .

(١) أبو داود (٤ / ١٠٠) كتاب الفتن ـ باب في النهي عن السعي في الفتنة .

(٢) أبو داود (٤ / ١٠١) الكتاب والباب السابقان . وهو حديث صحيح .

(قِطَع الليل) : طائفة منه ، أراد : فتنة مظلمة سوداء . تعظيمًا لشأنها .

(كابن آدم) : أراد بقوله : كابن آدم ، وقوله : (كخير ابني آدم) : هو ابن آدم لصلبه هابيل الذي قتله أخوه قابيل ، وما قال الله تعالى في أمرهما : ﴿ لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك ﴾ وقوله : ﴿ إنّي أريدُ أن تبوءَ بإثمي وإثمكَ فتكون من أصحاب النار ﴾ .

(أحلاسَ بيوتكم) : فلان حِلْسُ بيته : إذا لَزِمَه لا يُفارِقُه ، مأخوذ من الحِلس ، وهو الكساء الذي يكون على ظهر البعير . أي الزموا بيوتكم .

٥٢٨ - * روى ابن ماجه عن حذيفةَ بن اليمانِ قال : قال رسول الله ﷺ : « تَكُونُ فِتَنٌ عَلَى أبوابها دُعَاةٌ إلَى النَّارِ فَأَنْ تَمُوتَ وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَى جِذْلِ شَجَرَةٍ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أنْ تَتَّبِعَ أحَدًا مِنْهُم » .

٥٢٩ - * روى الترمذي عن أمِّ مالكٍ البهزيةِ رضي الله عنها ، قالت : ذكر رسول الله ﷺ فِتْنَةً ، فَقَرَّبها ، قالت : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ، مَنْ خَيْرُ الناس فيها ؟ قال : « رجلٌ في ماشيةٍ يُؤدِّي حَقَّها ، ويَعْبُدُ رَبَّه ، وَرَجُلٌ آخِذٌ برأس فَرَسِه يُخيفُ العَدُوَّ ويُخَوِّفُونَه » .

أقول : هكذا شأن المسلم أنه على بصيرة ، فإذا وقعت فتنة بين المسلمين ولم يتبين له وجه الحقّ والصواب فيها فهو إمّا معتزل وإمّا متوجّه لجهاد لا خلاف فيه وهو قتال الكفار .

٥٣٠ - * روى البخاري عن ابنِ عَمرٍو قال : شَبَّكَ النبيُّ ﷺ أصابعه ، وقال : « كيفَ أنتَ يا عبدَ الله بنَ عمرٍو ، إذا بَقِيتَ في حُثَالَةٍ قد مَرِجَتْ عُهودُهم وأماناتُهم ، واختَلَفُوا فصاروا هكذا » قال : فكيف [أصنع] يارسول الله ؟ قال : « تأخذُ ما تعرِفُ ، وتَدَعُ ما تُنْكِرُ ، وتُقْبِلُ على خاصَّتِك ، وتَدَعُهم وعوامَّهم » .

---

٥٢٨ - ابن ماجه (٢ / ١٣١٨) ٣٦ - كتاب الفتن ١٣ - باب العزلة . وله متابعات عند البخاري ومسلم وأبي داود يتقوى بها .

(جذل الشجرة) : أصلها .

٥٢٩ - الترمذي (٤ / ٤٧٣) ٣٤ - كتاب الفتن ١٥ - باب ما جاء كيف يكون الرجل في الفتنة .

وقال : حسن غريب من هذا الوجه .

قال محقق الجامع :

وفي سنده جهالة ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب من هذا الوجه . وقال أيضًا : وفي الباب عن أم مبشر ، وأبي سعيد الخدري ، وابن عباس . وقال : وللفقرة الأولى منه شاهد عند البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وللفقرة الثانية منه شاهد عند الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنه ، فالحديث حسن بشواهده . ا.هـ .

٥٣٠ - البخاري (١ / ٥٦٥) ٨ - كتاب الصلاة ٨٨ - باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره مختصرًا .

وقد عزاه في الفتح للحميدي في الجمع بين الصحيحين .

أبو داود (٤ / ١٢٣ ، ١٢٤) كتاب الملاحم - باب الأمر والنهي .

(المرج) : الاختلاط والاختلاف ، مرجت عهودهم : إذا اختلفت .

٥٣١ ـ * روى أبو داود عن أبي ذرٍّ الغِفاري رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يـا أبـا ذرٍّ » . قلت : لَبيْـكَ يـارسولَ الله وسَعـدَيْـكَ . قـال : « كيف أنت إذا رأيتَ أحجار الزيت قد غَرِقَتْ بالدَّم ؟ » قلت : مـا خـارَ اللهُ لي ورسولُـه . قـال : « عليـكَ بمن أنتَ منـه » . قلتُ : يـارسول الله ، أفلا آخُذُ سيفي فـأضَعُهُ على عـاتقي ؟ قـال : « شاركتَ القومَ إذًا » . قلت: فما تأمُرُني ؟ قال : « تَلْزَمُ بَيْتَـكَ » قلتُ : فإن دُخِلَ عليَّ بيتي ؟ قال : « إن خَشِيتَ أن يَبْهَرَكَ شُعـاعُ السَّيف ، فـألْقِ ثوبَـك على وجهـك ، يَبُوءُ بإثمِكَ وإثمِهِ » .

٥٣٢ ـ * روى أبو داودَ عن سعيدِ بن زيدٍ رضي الله عنـه ، قـال : كنَّـا عنـدَ رسول الله ﷺ ، فذكر فتنةً عَظَّمَ أمْرَها ، فقلنا ـ أو قالوا ـ يـارسولَ الله لئن أدْرَكتنـا هـذه لَتَهلِكَنَّ ، فقال رسول الله ﷺ : « كلا إنَّ بِحَسْبِكُم القتلَ » .

قال سعيد : فرأيت إخواني قُتلوا .

قولهم : لئن أدركتنا هذه لنهلكن : هكذا في الجامع وفي الأصل : لَتُهْلِكُنا . قال صاحب عون المعبود : (أي تهلك تلك الفتنةُ دنيانا وعاقبتنـا) ، ومعنى الحـديث أن هـذه الفتنـة لو أدركتكم يكفيكم فيهـا أنكم مقتولون ، والضرر الـذي يحصـل لكم منهـا ليس إلا القتـل ، وأمـا هلاك عاقبتكم فكلا بل يرحمكم الله ويغفر لكم .

٥٣٣ ـ * روى مسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنـه ، قـال : قـال رسـول الله ﷺ :

---

٥٣١ ـ أبو داود (٤ / ١٠١) كتاب الفتن ـ باب في النهي عن السعي في الفتنة .

وابن ماجه (٢ / ١٣٠٨) ٣٦ ـ كتاب الفتن ١٠ ـ باب التثبت في الفتنة .

وهو حديث حسن .

(أحجار الزيت) : موضع بالمدينة .

(عليك بمن أنت منه) : أي أهلك وعشيرتك . وقيل : الإمام الحق الذي بايعته .

(يَبْهَرك) : ضوء باهر : يغلب عينك ويغشى بصرها .

(يبوء) : باء بالإثم يبوء : إذا رَجَعَ به حاملاً له .

٥٣٢ ـ أبو داود (٤ / ١٠٥) كتاب الفتن ـ باب ما يرجى في القتل .

وإسناده صحيح .

٥٣٣ ـ مسلم (٤ / ٢٢٣١) ٥٢ ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ١٨ ـ باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل... إلخ

« لَيأْتِيَنَّ على الناس زمانٌ ، لا يَدري القَـاتِلُ في أيِّ شيء [قَتَلَ] ، ولا يـدري المقتولُ في أي شيء قُتِـل » قيـل : وكيف ؟ قـال : « الهَرْجُ : القَـاتِـلُ والمقتـولُ في النـار ».

أقول : فهذا هو قتال الفتنة ، قتال على غير تبيّن أو اجتهادٍ صحيح من أهله .

٥٣٤ - * روى أبو داود عن أبي أميـةَ الشعباني ، قـال : سـألتُ أبـا ثعلبـةَ الخُشَنِيَّ رضي الله عنه قـال : قلتُ : يـا أبـا ثعلبـةَ ، كيف تقول في هـذه الآيـة : ﴿ عَلَيْكُم أنفسكُم ﴾ ؟ [المائدة : ١٠٥] قال : أمَا والله لقد سألتَ عنها خبيرًا سألتُ عنها رسول الله ﷺ ، فقال : « ائتَمِروا بـالمعروفِ ، وانْتَهُـوا عن المُنْكَرِ ، حتى إذا رأيتم شُحًّـا مُطـاعًـا ، وهـوى مُتَّبَعًا ودُنيا مُؤْثَـرَةً ، وإعجابَ كلِّ ذي رأي برأيه ، فعليكَ بنفسِـكَ ، ودَعْ عَنْـكَ العَوَامَّ ، فإنَّ مِنْ ورائِكم أيامَ الصَّبْرِ ، الصَّبْرُ فيهنَّ مثلُ القَبْضِ على الجَمْرِ، للعـامِلِ فيهنَّ مثلُ أجرِ خمسينَ رَجُلاً يعملونَ مِثْلَ عَمَلِكُم » .

وفي زيادة لأبي داود : قيل : يـارسول الله ، أجرُ خمسينَ رجلاً منّـا ، أو منهم ؟ قـال : « بل أجرُ خَمسينَ رجلاً مِنكم » .

قوله : (للعامل فيها أجر خمسين يعملون مثل عملكم) : قال صاحب عون المعبود :

قال في فتح الودود : هذا في الأعمال التي يشق فعلها في تلك الأيام لا مطلقًا وقـد جـاءَ « لو أنفق أحدكم مثل أُحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه » ولأن الصحـابي أفضل من غيره مطلقًا انتهى وقال الشيخ عز الدين بن عبـد السلام ليس هـذا على إطلاقـه بل هو مبني على قاعدتين أحدهما أن الأعمـال تَشْرفُ بثمراتها ، والثـانيـة أن الغريب في آخر الإسلام كالغريب في أوله وبالعكس لقوله عليه السلام : « بدأ الإسلامُ غريبًا وسيعود غريبًـا كما

---

٥٣٤ - أبو داود (٤ / ١٢٣) كتاب الملاحم - باب الأمر والنهي .

والترمذي (٥ / ٢٥٧) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ٦ - باب ومن سورة المائدة . وقال : حسن غريب .

وابن ماجه (٢ / ١٣٣٠) ٣٦ - كتاب الفتن ٢١ - باب قوله تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ﴾ .

وإسناده ضعيف ، ولكن له شواهد يتقوى بها .

(الشحّ) : البخل الشديد ، وطاعَتُهُ : أن يتبع الإنسان هوى نفسه لبخله ، وينقاد له .

(دنيا مؤثرة) : أي : محبوبة مشتهاة مقدمة عند أصحابها على ما هو واجب شرعًا .

بدأ فطوبى للغرباء من أمتي » ، يريد المنفردين عن أهل زمانهم . إذا تقرر ذلك فنقول : الإنفاق في أول الإسلام أفضل لقوله عليه السلام لخالد بن الوليد رضي الله عنه : « لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه » أي مُدَّ الحنطة والسبب فيه أن تلك النفقة أثمرت في فتح الإسلام وإعلاء كلمة الله ما لا يثمر غيرُها وكذلك الجهاد بالنفوس لا يصل المتأخرون فيه إلى فضل المتقدمين لقلة عدد المتقدمين وقلة أنصارهم فكان جهادُهم أفضل ولأن بذلَ النفس مع النصرة ورجاء الحياة ليس كبذلها مع عدمها ، ولذلك قال عليه السلام . « أفضل الجهاد كلمةُ حقٍّ عند سلطان جائر » جعله أفضل الجهاد ليأسه من حياته وأما النهي عن المنكر بين ظهور المسلمين وإظهار شعائر الإسلام فإن ذلك شاق على المتأخرين لعدم المعين وكثرة المنكر فيهم كالمنكر على السلطان الجائر ولذلك قال عليه السلام : « يكون القابضُ على دينه كالقابض على الجمر » لا يستطيع دوام ذلك لمزيد المشقة فكذلك المتأخر في حفظ دينه ، وأما المتقدمون فليسوا كذلك لكثرة المعين وعدم المنكر فعلى هذا يَنَزِّل الحديثَ انتهى كذا في مرقاة الصعود . ا . هـ .

أقول : قد يؤجر غير الصحابي على عمل ما أكثر من أجر الصحابي في هذا العمل ، ولكن الخصوصية لا تقتضي الأفضلية ، فالصحابة هم الأفضل لكمال الأداء عندهم ، ثم إن كل من جاء بعدهم في صحائفهم والجميع في صحيفةَ رسول الله ﷺ ، وإذا كان هذا شأن الصحابة فمن يلحق بهم ؟!

٥٣٥ - * روى البخاري ومسلم عن عبدِ الله بن مسعودٍ رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « سِبابُ المسلمِ فُسُوقٌ ، وقِتالُه كُفرٌ » .

٥٣٦ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عُمَرَ رضي الله عنهما ، قال : سمعت

---

٥٣٥ - البخاري (١ / ١١٠) ٢ - كتاب الإيمان ٣٥ - باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر .

ومسلم (١ / ٨١) ١ - كتاب الإيمان ٢٨ - باب بيان قول النبي ﷺ : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » .

والترمذي (٥ / ٢١) ٤١ - كتاب الإيمان ١٥ - باب ما جاء سباب المسلم فسوق . وقال : حسن صحيح .

والنسائي (٧ / ١٢١) ٣٧ - كتاب تحريم الدم ٢٧ - باب قتال المسلم .

٥٣٦ - البخاري (٦ / ٥٤٠) ٦١ - كتاب المناقب ٥ - باب حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث ... إلخ .

ومسلم (٤ / ٢٢٢٨) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ١٦ - باب الفتنة من المشرق ... إلخ .

رسولَ الله ﷺ يقول وهو على المنبر : « ألا إن الفِتنـةَ هـاهنـا » ويشيرُ إلى المشْرِق « مِن حيث يَطْلُعُ قَرْنُ الشيطانِ »

وللبخاري [١] بزيادة في أوله : أن النبي ﷺ قال : « اللهم باركْ لنا في شامِنـا اللهمَّ باركْ لنا في يَمَنِنَا » قالوا : وفي نجدنا ، قـال : « اللهم بـارك لنـا في شـامنـا ، اللهم بارك لنا في يمننا » قالوا : وفي نجدنا ؟ قـال : « اللهم بـارك لنـا في شـامنـا ، اللهم بارك لنا في يمننا » قالوا : يارسول الله ، وفي نجدنا ؟ فأظنه قال في الثالثة : « هنـالـك الزلازلُ والفِتنُ ، ومنها يَطْلُعُ قَرْنُ الشيطان » .

وفي أخرى [٢] عن سالم : أنه قال : يـا أهلَ العراقِ ، مـا أَسـأَلَكُمْ عن الصغيرة ، وأركَبَكم للكبيرة ! ! سمعتُ أبي ، عبـدَ الله بنَ عمرَ يقـول : سمعتُ رسـول الله ﷺ يقـول : « إن الفتنةَ تجيء من هاهنا » وأوْمأَ بيده نحو المشْرِق - « من حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَ الشيطـان » وأنتم يَضْرِبُ بعضكم رقابَ بعض ، وإنما قَتَلَ موسى الـذي قَتَلَ من آل فرعون خطـأ ، فقـال الله له : ﴿ وقتلتَ نفسًا فنجّيناك من الغم وفتنَّاك فُتونا ﴾ [طه : ٤٠] .

٥٣٧ - * روى مسلم عن جُنْـدُب بن عبـدِ الله رضي الله عنـه ، قـال : قـال النبيُّ ﷺ : « من قُتِلَ تحتَ رايةٍ عِمِّيَّةٍ يَدعُو عَصَبيَّةً ، أو يَنْصُر عَصَبيَّةً ، فقِتْلَةٌ جاهِليَّةٌ » .

٥٣٨ - * روى النسـائي عن عبـدِ الله بن الزبير ، رضي الله عنـه ، أن النبي ﷺ قـال :

---

(١) البخاري (١٣ / ٤٥) ٩٢ - كتاب الفتن ١٦ - باب قول النبي ﷺ : « الفتنة من قبل المشرق ... » إلخ .

(٢) مسلم (٤ / ٢٢٢٩) الكتاب والباب السابقان .

٥٣٧ - مسلم (٣ / ١٤٧٨) ٣٣ - كتاب الإمارة ١٣ - باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ... إلخ .

والنسائي (٧ / ١٢٣) ٣٧ - كتاب تحريم الدم ٢٨ - باب التغليظ فين قاتل تحت راية عمية .

(العِمِّيَّة) : بتشديدتين : الجهالة والضلالة ،وهي فعيلة من العمى .

(فقِتْلَة) : بكسر القاف : حالة القتيل ، أي فقتلُه قتلٌ جاهليٌّ .

(عصبية) : العصبية : الحاماة والمدافعة عن الإنسان الـذي يلزمـك أمره ، أو تلتزمـه لغَرضٍ بصرف النظر عن الحق والصواب .

٥٣٨ - النسائي (٧ / ١١٧) ٣٧ - كتاب تحريم الدم ٢٦ - باب من شهر سيفه ثم وضعه في الناس .

والمستدرك (٢ / ١٥٩) . وقال : صحيح على شرط الشيخين . وأقره الذهبي .

وأخرجه النسائي موقوفًا أيضًا . قال ابن حجر : والذي وصله ثقة ا . هـ . وهو حديث صحيح . =

« مَنْ شَهَرَ سَيْفَهُ ثم وَضَعَهُ فدَمُهُ هَدْرٌ » .

٥٣٩ - * روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « من حَمَل علينا السلاحَ فليس مِنّا » .

٥٤٠ - * روى مسلم عن عبدِ الله بنِ عمرو بن العاصِ رفعه : « إنه لم يَكُنْ نَبِيٌّ قبلي ، إلا كان حقا عليه أن يدُلَّ أمته على خيرِ ما يعلمه لهم ، ويُنذرَهم شَرَّ ما يعلَمُه لهم وإن أُمَّتكم هذه جُعِل عافيتُها في أولها ، وسيصيبُ آخرَها بلاءٌ وأُمورٌ تُنْكِرُونها ، وتجيء فتنةٌ فَيُزْلِقُ بعضُها بعضًا ، وتجيء الفتنةُ ، فيقولُ المؤمنُ : هذه مُهْلِكَتِي ، ثم تنكشفُ ، وتجيء الفتنةُ فيقول المؤمن : هذه هذه ، فمَنْ أحبَّ أن يُزَحْزَحَ عن النار ، ويُدْخَلَ الجنة ، فلتأته مَنِيَّتُهُ وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذي يحبُّ أن يؤتى إليه ، ومن بايَعَ إمامًا فأعطاه صَفْقَةَ يده وثمرةَ قَلْبِهِ ، فليُطِعْهُ ما استطاعَ ، فإن جاء آخرُ ينازعُه فاضربوا عُنُقَ الآخرِ » .

٥٤١ - * روى البخاري عن سعيدِ بن جبيرٍ رحمه الله قال : خَرَجَ علينا عبدُ الله بنُ عمرَ رضي الله عنه ، فرجَوْنا أن يُحَدِّثَنا حديثًا حسنًا ، فبادَرَنا إليه رجل يقال له : حكيم ، فقال : يا أبا عبدِ الرحمن ، حَدِّثْنَا عن القتال في الفتنة وعن قوله تعالى : ﴿ **وقاتِلُوهُم حتّى لا تكونَ فِتْنة** ﴾ [البقرة : ١٩٣] قال : وهل تدري ما الفتنةُ ؟ ثَكِلَتك أُمُّكَ ، إنَّما كان محمدٌ ﷺ يقاتلُ المشركينَ ، وكان الدخولُ في دينهم فِتْنَةً ، وليس كقتالكم على المُلْك .

= (ثمّ وضعه) : أي من قاتل به ، ويقال : وضع الشيء من يده : إذا ألقاه فكأنّه ألقاه في الضَّريبة .

(فدمه هدر) : باطل ليس فيه قود ولا عَقْلٌ . أي لم يُدْرك بثأره .

٥٣٩ - البخاري (١٣ / ٢٣) ٩٢ - كتاب الفتن ٧ - باب قول النبي ﷺ : « من حمل علينا السلاح فليس منا » .

ومسلم (١ / ٩٨) ١ - كتاب الإيمان ٤٢ - باب قول النبي ﷺ « من حمل علينا السلاح فليس منا » .

٥٤٠ - مسلم (٣ / ١٤٧٢) ٣٣ - كتاب الإمارة ١٠ - باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول .

والنسائي (٧ / ١٥٢) ٣٩ - كتاب البيعة ٢٤ - باب البيعة فيما يستطيع الإنسان .

(فيزلق) : أزلقتْ بعضها بعضًا : دَفَع بعضها بعضًا ، كأن الثانية تزحم الأولى ، لسرعة ورودها عليها ، ويزلق بعضها بعضًا : يعجّلها ، والإزلاق : الإعجال ، في هذا الحديث إخبار من النبي ﷺ بما لم يكن ، وهو في علم الله أمر كائن .

٥٤١ - البخاري (١٣ / ٤٥) ٩٢ - كتاب الفتن ١٦ - باب قول النبي ﷺ « الفتنة من قبل المشرق » .

أقول : يفهم من الأثر أن المشاركة في القتال على الملك المجرّد دون ملحظ ديني أخروي هو من الفتن كما بيّن لنا الحديث معنى الفتنة في الآية : وهي أن يَفْتِن الكافرون المؤمنين عن دينهم ليجعلوهم يرتدّون .

٥٤٢ ـ * روى البخاري ومسلم عن جرير بن عبد الله البَجَلي رضي الله عنه ، قال : قال لي رسولُ الله ﷺ في حَجّةِ الوَداع : « استَنْصِتْ لِيَ النـاسَ » ثم قـال : « لا تَرجِعوا بعدي كُفَّارًا ، يضربُ بعضُكم رِقابَ بعضٍ » .

٥٤٣ ـ * روى الترمذي عن عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا ترجعوا بعدي كفارًا يضربُ بعضُكم رقابَ بعضٍ » .

٥٤٤ ـ * روى النسائي عن عبدِ اللهِ بنِ مَسْعودٍ رَضيَ اللهُ عَنهُ ، أنْ رسولَ الله ﷺ قالَ : « لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكم رِقَابَ بَعْضٍ ، وَلاَ يُؤخَذُ الرَّجلُ بجَرِيرَةِ أَبيهِ ، ولاَ جريرةِ أخيهِ » .وفي أُخْرَى : « لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَّالاً ، يَضْرِبُ بَعْضُكم رِقَابَ بَعْضٍ » .

٥٤٥ ـ * روى الترمذي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، أنَّ رسول الله ﷺ

---

٥٤٢ ـ البخاري (١٣ / ٢٦) ٩٢ ـ كتاب الفتن ٨ ـ باب قول النبي ﷺ : « لا ترجعوا بعدي كفارًا ... » إلخ .
ومسلم (١ / ٨١) ١ ـ كتاب الإيمان ٢٩ ـ باب بيان معنى قول النبي ﷺ « لا ترجعوا بعدي كفارًا ... » إلخ .
والنسائي (٧ / ١٢٧) ٣٧ ـ كتاب تحريم الدم ٢٩ ـ باب تحريم القتل .
(استنصتُ القوم) : إذا قلت لهم : أنصتوا ، أي : اسكتوا لتستمعوا .

٥٤٣ ـ الترمذي (٤ / ٤٨٦) ٣٤ ـ كتاب الفتن ٢٨ ـ باب ما جاء لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض .
وقال : حسن صحيح .
لا ترجعوا بعدي كُفّارًا : قال الخطابي : له تأويلان ، أحدهما : أنه أراد بالكفر : المتكفّرين في السلاح ، أي : المستترين فيه ، وأصل الكفر : الستر . وقيل : معناه : لا ترجعواْ بعدي فِرقًا مختلفة يقتل بعضكم بعضًا ، فتشبهون الكفار ، يريد أن الكفار يقتل بعضهم بعضًا لعداوتهم ، بخلاف المسلمين فإنهم مأمورون بحقن دمائهم ،وأن لا يقتل بعضهم بعضًا .

٥٤٤ ـ النسائي (٧ / ١٢٦) ٣٧ ـ كتاب تحريم الدم ٢٩ـ باب تحريم القتل .وهو حديث صحيح .
(بجريرة) الجريرة : الجناية والذنب الذي يفعله الإنسان فيطالب به .

٥٤٥ ـ الترمذي (٤ / ٥٢٣) ٣٤ ـ كتاب الفتن ٦٩ ـ باب حدثنا محمد بن بشار ... إلخ . وقال : حسن صحيح غريب .
والنسائي (٧ / ١٩٥) ٤٢ ـ كتاب الصيد ٢٤ ـ باب اتباع الصيد .

قال : « مَنْ سَكَنَ البادية جَفَا ، وَمَنِ اتَّبَعَ الصَّيدَ غَفَلَ ، ومن أتى أبوابَ السلطـان افْتُتِنَ » .

وعندأبي داود [(١)] : « ومن أتى السلطان افتُتِنَ » .

وفي أخرى [من حديث أبي هريرة] [(٢)] : « ومن لَزِمَ السلطانَ افْتُتِنَ ، ومـا ازداد عبدٌ من السلطان دُنُوًّا إلا ازداد من الله بُعْدًا » .

٥٤٦ ـ * روى مسلم عن مَعْقِل بنِ يَسارٍ رضي الله عنـه أن النبي ﷺ قـال : « العِبَـادَةُ في الهَرْجِ كهجرةٍ إليَّ » .

٥٤٧ ـ * روى ابن ماجه عن أبي أمـامـةَ ، أن رسول الله ﷺ قـال : « مِنْ شَرِّ النَّـاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيامَةِ عَبْدٌ أَذْهَبَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ » .

٥٤٨ ـ * روى مسلم وابن ماجه واللفـظ لـه عَنْ ثَوْبَـانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ قـال : « زُوِيَتْ لِيَ الأَرْضُ حَتَّى رَأَيْتُ مَشَـارِقَهَـا ومَغَـارِبَهَـا . وَأُعْطِيتُ

---

(١) أبو داود (٣ / ١١١) كتاب الصيد ـ باب في اتباع الصيد .

(٢) أبو داود في نفس الموضع .

قال محقق الجامع : وإسناده ضعيف ومع ذلك فقد قال الترمذي : هـذا حـديث غريب ، وقـال المنـاوي « في فيض القدير » له عند البزار سند حسن .

٥٤٦ ـ مسلم (٤ /٢٢٦٨) ٥٢ ـ كتاب الفتن وأشراط السـاعة ٢٦ ـ باب فضل العبادة في الهرج . .

والترمذي (٤ / ٤٨٩) ٣٤ ـ كتاب الفتن ٣١ ـ باب ما جاء في الهرج والعبادة فيه . وقال : حسن صحيح .

٥٤٧ ـ ابن ماجه (٢ / ١٣١٢) ٣٦ ـ كتاب الفتن ١١ ـ باب إذا التقى المسلمان بسيفيهما .

قال في الزوائد : هذا إسناد حسن .

٥٤٨ ـ مسلم (٤ / ٢٢١٥) ٥٢ ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ٥ ـ باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض .

وأبو داود (٤ / ٩٧) كتاب الفتن ـ باب ذكر الفتن ودلائلها .

والترمـذي (٤ / ٤٧٢) ٣٤ ـ كتـاب الفتن ١٤ ـ بـاب مـا جـاء في سؤال النبي ﷺ ثلاثًـا في أمتـه . وقـال : حسن صحيح .

وابن ماجه (٢ / ١٣٠٤) ٣٦ ـ كتاب الفتن ٩ ـ باب ما يكون من الفتن .

ومسند أحمد (٥ / ٢٧٨) .

(زويت) : أي جمعت وضم بعضها إلى بعض .

(مشارقها) : أي البلاد المشرقة منها ، وكذا مغاربها .

(وأعطيت) : على بناء المفعول . وقد أعطاه الله تعالى مفاتيح الخزائن المفتوحة على الأمة .

=

الكَنْـزَيْنِ : الأَصْفَرَ (أَو الأَحْمَرَ) وَالأَبْيضَ (يَعْنِي الـذَّهَب وَالْفِضَّـةَ) وَقِيـلَ لِي : إِنَّ مُلْكَـكَ إِلَى حَيْثُ زُوِيَ لَـكَ . وإِنِّي سَـأَلْتُ اللهَ عَزَّ وَجَـلَّ ثَـلاَثًـا : أَنْ لاَ يُسَلِّـطَ عَلَى أُمَّتِي جُوعًا فَيُهْلِكَهُمْ بِهِ عَامَّةً . وأَنْ لاَ يَلْبِسَهُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعضَهُمْ بَأسَ بَعْضٍ . وَإِنَّهُ قِيلَ لِي : إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً ، فَلاَ مَرَدَّ لَهُ . وَإِنِّي لَنْ أُسَلِّطَ عَلَى أُمَّتِـكَ جُوعًـا فَيُهْلِكَهُمْ فِيـهِ . وَلَنْ أَجْمَـعَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِ أَقْطَـارِهَـا ، حَتَّى يُفْنِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًـا ، وَيَقْتُـلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًـا . وَإِذَا وُضِـعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي ، فَلَنْ يُرْفَـعَ عَنْهُم إِلى يَـوْمِ القِيَـامَـةِ . وَإِنَّ مِمَّـا أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي أَئِمَّـةً مُضِلِّينَ . وَسَتَعْبُـدُ قَبَـائِـلُ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ . وَسَتَلْحَقُ قَبَـائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِـالْمُشْرِكِينَ . وَإِنَّ بَيْنَ يَـدَيِ السَّـاعَـةِ دَجَّـالِينَ كَذَّابِينَ . قَرِيبًا مِنْ ثَلاَثِينَ . كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ . وَلَنْ تَزَالَ طَـائِفَـةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَـقِّ مَنْصُـورِينَ ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَـالَفَهُمْ حَتَّى يَـأْتِيَ أَمْرُ اللهِ ، عَـزَّ وَجَـلَّ ».

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : لَمَّا فَرَغَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ ، قَالَ : مَا أَهْوَلَهُ !!

٥٤٩ ـ * روى الإمام أحمد عن أم حَبيبَـةَ عَن النبي ﷺ أنه قـال : « رأيتُ مـا تَلْقَى أُمَّتِي بعدي وَسفْكَ بَعْضِهِم [دِماءَ بَعض] وَسَبَقَ ذلك من الله عز وجل كما سَبَقَ في الأمم قَبلَهم فسألتُه أن يُوَلِّيَنِي شفاعةً يومَ القيامة فيهم ففعل » .

٥٥٠ ـ * روى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرةَ عن النبي ﷺ ، قال : « سألتُ ربي

= (الأصفر) : وفي بعض النسخ الأحمر ، والمراد الذهب .

(والأبيض) : أي الفضة .

(به) : أي بالجوع . (عامة) أي حال كون الجوع سنة عامة ، أي شاملة لكل الأمة .

(وأن لا يلبسهم) : لا يخلطهم .

(ويذيق بعضهم بأس بعض) : بالمحاربة : أي لا يجمعهم متحاربين .

(وإذا وضع السيف في أمتي) : أي إذا ظهرت الحرب بينهم تبقى إلى يوم القيامة .

٥٤٩ ـ مسند أحمد (٦ / ٤٢٨) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٢٤) وقال : رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجالهما رجال الصحيح .

٥٥٠ ـ مجمع الزوائد (٧ / ٢٢٢) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات .

ورواه البزار (٤ / ١٠٠) . إلا أنه قال : سألت ربي ثلاثًا .

وللحديث شواهد أخرى بألفاظ مختلفة .

لأمتي أربعَ خِلالٍ فمنعني واحدةً وأعطاني ثلاثًا ؛ سألته أن لا تَكْفُرَ أمتي صفقةً واحدةً فأعطانيها ، وسَألتُه أن لا يُسَلِّطَ عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها ، وسألتُهُ أن لا يُعَذِّبَهم بما عَذَّبَ به الأممَ قبلَهم فأعطانيها ، وسألته أن لا يَجعلَ بأسَهم بينَهم فمنعنيها » .

٥٥١ ـ * روى أبو يعلى عن عامر الشَّعْبي قال : لما قاتلَ مروانُ الضَّحَاكَ بنَ قيسٍ أرسلَ إلى أيمن بن خُرَيم الأسدي فقال : إنا نحبُ أن تُقاتلَ معنا فقال : إن أبي وعمي شَهدا بدرًا فعهدا إليّ أن لا أقاتلَ أحدًا يشهد أن لا إله إلا الله فإن جئتني ببراءة من النار قاتلتُ معك . فقال : اذهب . ووقع فيه وسبه فأنشأ أيمنُ يقول :

ولستُ مُقاتِلا رجلاً يُصلي ... على سُلطانِ آخَرَ مِن قُريشِ
أقاتِلُ مسلمًا في غيرِ شيءٍ ... فليسَ بنافعي ما عشتُ عيشي
لهُ سُلطانُهُ وعليَّ إثمي ... معاذَ اللهِ مِن جَهلٍ وَطَيشِ

وفي رواية الطبراني أنه قال : لستُ أقاتلُ رجلا يصلي . وقال : معاذَ الله من فَشَلٍ وطَيْشٍ ، وقال : أأقتلُ مسلمًا في غير جُرْم .

٥٥٢ ـ * روى الطبراني عن عِصْمةَ بنِ قيسٍ السُّلَمي صاحب رسول الله ﷺ أنه كان يتعوذُ من فِتنةِ المشْرق ، قيل له : فكيف فتنة المغرب ؟ قال : « تلكَ أعظمُ وأعظمُ » .

وفي رواية عنده أيضًا [1] أنه كان يتعوذ في صلاته من فتنة المغرب .

لقد كان بدء دعوة العبيديين من الباطنية في المغرب العربي ثم اكتسحوا مصر فالشام فغيرهما من البلدان فترة من الزمان ونشروا ضلالاتهم .

فهل المراد بهذه الفتنة فتنة المغرب ؟ أو المراد ما هو أوسع من ذلك مما نراه في عصرنا

٥٥١ ـ مجمع الزوائد (٧ / ٢٩٦) . وقال : رجال أبي يعلى رجال الصحيح غير زكريا بن يحيى رحمويه وهو ثقة .

٥٥٢ ـ المعجم الكبير (١٧ / ١٨٧) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٢٠) . وقال : رجاله ثقات .

(١) المصدران السابقان : نفس الموضع .

من تأثر بالفكر الغربي حتى ارتد بذلك خلق كثيرون ؟

٥٥٣ ـ * روى الطبراني في الأوسط عن محمدِ بنِ مَسْلَمةَ قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا رأيتَ الناسَ يَقْتَتِلون على الدنيا فاعْمِدْ بسيفك على أعظمِ صَخْرَة في الحَرَّةِ فاضربْه بها حتى يَنْكَسِرَ ثم اجلِسْ في بيتك حتى تأتيكَ يدٌ خَاطئةٌ أو مَنيةٌ قاضيةٌ » ففعلت ما أمرني به رسول الله ﷺ .

٥٥٤ ـ * روى الطبراني عن ابن عباس أن النبي ﷺ أعطى محمد بن مسلمةَ سيفًا ، فقال : « قاتلِ المشركينَ ما قُوتِلُوا فإذا رأيتَ سَيْفَيْنِ اخْتَلَفا بين المسلمين فاضربْ حتى يَنْثَلِمَ واقْعُدْ في بيتك حتى تأتيكَ مَنيّةٌ قاضيةٌ أو يد خاطئةٌ » ثم أتيت ابنَ عمرَ فحذا لي على مثاله عن النبي ﷺ .

٥٥٥ ـ * روى الإمام أحمد عن أبي عِمْرانَ قال ؛ قلت لِجُنْدُبٍ : إني قد بايعت هؤلاء ـ يعني ابنَ الزبير ـ وإنهم يريدونَ أن أخرجَ معهم إلى الشام . فقال : أمسِكْ . فقلت : إنهم يأبَوْن . قال : افْتَدِ بمالك . فقلت : إنهم يأبَون إلا أن أضْرِبَ معهم بالسيف . فقال جُنْدَبٌ : حدثني فلان أن رسول الله ﷺ قال : « يجيء المقتولُ بقاتله يومَ القيامةِ فيقول ياربٌ سَلْ هذا فيم قَتَلَني » قال شُعبة وأحسبه قال : « على ما قَتَلتَه ؟ فيقول قتلتُه على مُلْكِ فلان » قال ؛ فقال جندب : فاتّقها .

أقول :

ابن الزبير هو الخليفة الراشد ، والقتال معه كان هدًى وصوابًا إلا أن الأمر كان ملتبسًا ، ولذلك اعتبره جندب قتالاً على المُلْك وهو قتال ينأى المسلم عن المشاركة فيه إلا لمُلْحَظٍ

---

٥٥٣ ـ مجمع الزوائد (٧ / ٣٠٠) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات .

٥٥٤ ـ المعجم الكبير (١٢ / ٢٣٠) .

مجمع الزوائد (٧ / ٣٠١) . وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

٥٥٥ ـ مسند أحمد (٥ / ٣٦٧) .

المعجم الكبير (٢ / ١٦٤) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٩٤) . وقال : رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح .

ديني أخروي .

٥٥٦ - * روى مسلم عن عَرْفَجَةَ رضي الله عنه ؛ سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « ستكونُ هَناتٌ وَهَناتٌ ، فمن أراد أن يُفَرِّقَ أمر هذه الأُمَّة وهي جميعٌ ، فاضْرِبُوهُ بالسيف كائنًا من كان » .

وفي رواية [1] : « فاقْتُلُوه » .

وفي رواية أبي داود [2] : « وَهَناتٌ » مَرَّةً أخرى .

ورواه النسائي [3] ، وله في أخرى قال : رأيتُ النبي ﷺ على المِنْبَرِ يَخْطُبُ النَّاس ، فقال : « إنَّها ستكونُ بعدي هَناتٌ وَهَناتٌ ، فمن رأيتموه فارَقَ الجماعة - او يريد أن يُفَرِّقَ أُمَّةَ محمدٍ - كائنًا من كان فاقتلوه ، فإن يَدَ الله على الجماعة ،والشيطانُ مع مَنْ فَارق الجماعَة يركُضُ » .

٥٥٧ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « يُهْلِكُ أُمَّتي هذا الْحَيُّ مِنْ قُرَيشٍ » . قالوا : فما تأمُرنا يا رسول الله ؟ قال : « لو أن الناسَ اعْتَزَلُوهم ؟ » .

أقول : وذلك إذا تنافسوا على المُلْكِ للمُلْكِ .

٥٥٨ - * روى ابن ماجه عن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ قال : أَقْبَلَ عَلَينا رَسُولُ اللهِ ﷺ ،

---

٥٥٦ - مسلم (٣ / ١٤٧٩) ٣٣ - كتاب الإمارة ١٤ - باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع .

(١) مسلم :نفس الموضع .

(٢) أبو داود (٣ / ٢٤٢) كتاب السنة - باب في قتل الخوارج .

(٣) النسائي (٧ / ٩٢) ٣٧ - كتاب تحريم الدم ٦ - باب قتل من فارق الجماعة .

(هَنات) : جمع هَنة ، وهي الخصلة من الشَّرّ ، ولا تقال في الخير .

قال ابن الأثير : (يد الله على الجماعة) : أي سكينته ورحمته مع القوم المتفقين المجتمعين .

(فإذا تفرقوا واختلفوا) : أزال السكينة عنهم وأوقَعَ بأسهم بينهم .

٥٥٧ - البخاري (٦ / ٦١٢) ٦١ - كتاب المناقب ٢٥ - باب علامات النبوة في الإسلام .

ومسلم (٤ / ٢٢٣٦) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ١٧ - باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة .

٥٥٨ - ابن ماجه (٢ / ١٣٣٢) ٣٦ - كتاب الفتن ٢٢ - باب العقوبات . =

فَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ! خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُم بِهِنَّ ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ : لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا ، إلا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا .

وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَان ؛ إلا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ .

وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ ، إلا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ ، وَلَوْلاَ الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا .

وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ رَسُولِهِ ، إلا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ .

وَمَا لَمْ تَحْكُم أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ ، إلا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ » .

٥٥٩ ـ * روى أبو داودَ عن المِقْدادِ بنِ الأسود رضي الله عنه ، قال : وايْمُ الله لقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إن السعيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الفِتَنَ » . قالها ثلاثًا « ولَمَنِ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ » فواهًا .

= قال في الزوائد : هذا حديث صالح للعمل به .

والمستدرك (٤ / ٥٤٠) وقال : صحيح الإسناد . ووافقه الذهبي .

(إذا ابتليتم) : على بناء المفعول : والجزاء محذوف . أي فلا خير . أو : حل بكم من أنواع العذاب الذي يذكر بعده .

(وأعوذ بالله أن تدركوهن) : جملة معترضة .

(لم تظهر الفاحشة) : أي الزنا .

(بالسنين) : أي بالقحط .

(منعوا القطر) : أي المطر .

(عهد الله) : هو ما جرى بينهم وبين أهل الحرب .

٥٥٩ ـ أبو داود (٤ / ١٠٢) كتاب الفتن ـ باب في النهي عن السعي في الفتنة . وإسناده صحيح .

(فواهًا) : واهًا كلمة يقولها المتأسف على الشيء والمتعجب منه

٥٦٠ - * روى أحمد عن أبي سِنان الدُّؤَلي أنه دَخَلَ على عُمَرَ بنِ الخطاب وعنده نفر من المهاجرين الأولين ، فأرسل عمر إلى سَفَطٍ أُتِيَ به من قَلعةٍ ، من العراقِ فكان فيه خَاتَمٌ فأخذَه بعضُ بنيه فأدخله في فيه ، فانتزعه عمر منه ثم بكى عمر رضي الله عنه ، فقال له من عنده : لِمَ تبكِ وقد فتحَ الله عليكَ وأظهركَ على عَدُوِّك وأَقرَّ عينك ؟ فقال عمرُ : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تُفتَحُ الدنيا على أحد إلا أَلْقَى اللهُ عز وجل بينَهم العداوةَ والبغضاء إلى يوم القيامة » . وأنا أُشْفِقُ من ذلك .

٥٦١ - * روى مسلم عن حُذيفةَ بنِ اليمانِ رضي الله عنه ، قال : كنا عند عمرَ فقال : أيكم سمِع رسولَ الله ﷺ يذكر الفِتَنَ ؟ فقال قوم : نحن سمعناه . فقال : لَعَلَّكم تَعْنُون فتنةَ الرجل في أهله وجاره ؟ قالوا : أجل . قال : تلك يُكَفِّرها الصلاةُ والصيامُ والصدقةُ ، ولكن أيُّكم سمع النبي ﷺ يذكر التي تَموجُ مَوجَ البَحْرِ ؟ قال حذيفةُ : فأَسْكَتَ القومُ ، فقلت : أنا . قال : أنت ، لله أبوكَ . قال حذيفةُ : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : « تُعْرَضُ الفتنُ على القلوب كالحصيرِ عودًا عَوْدًا ، فأيُّ قلبٍ أُشْرِبَها نُكِتَ فيه نُكتةٌ سوداءُ ؟ وأيُّ قلب أنكرها نُكِتَ فيه نُكتةٌ بيضاءُ ، حتى تصير على قلبين : أبيضَ مثلِ الصَّفا ، فلا تَضُرُّه فتنةٌ ، ما دامتِ السمواتُ والأرضُ ، والآخر : أسود مُرْبادًّا ، كالكوزِ مُجَخِّيًا ، لا يعرِفُ معروفًا ، ولاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا ، إلا ما أُشْرِبَ من هواه » قال : وحدَّثته : أن بينك وبينها بابًا مُغْلَقًا ، يُوشِكُ أن يُكْسَرَ قال عمر :

---

٥٦٠ - مسند أحمد (١ / ١٦) .

كشف الأستار (٤ / ٢٣٥) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٣٦) وقال : رواه أحمد والبزار وأبو يعلى في الكبير وإسناده حسن .

٥٦١ - مسلم (١ / ١٢٨) ١ - كتاب الإيمان ٦٥ - باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا ... إلخ .

(كالحصير عَودًا عودًا) : قال الحميدي : في بعض الروايات « عَرْضَ الحصير » والمعنى فيها : أنه تحيط بالقلوب كالمحصور المحبوس ، يقال : حصره القوم : إذا أحاطوا به ، وضيَّقوا عليه . قال : وقال الليث : حصير الجَنْبِ : عِرْق يمتد معترضًا على الجَنْب إلى ناحية البطن ، شَبَّه إحاطتَها بالقلب بإحاطة هذا العرق بالبطن ، وقوله « عَوْدًا عَوْدًا » أي مرَّة بعد مرة ، تقول : عاد يعودُ عودةً وعَوْدًا .

(أُشْرِبَها) : أُشْرِب القلب هذا الأمر : إذا دخل فيه وقبِلَهُ وسَكَنَ إليه ، كأنه قد شَرِبه .

(نُكِتَ فيه نكتة سوداء) : أي أثر فيه أثر أسود ، وهو دليل السخط ولذلك قال في حالة الرضا : نكت فيه نكتة بيضاء ، حتى تصير القلوب على قلبين ، أي على قسمين .

=

أكثَرًا ؟ لا أبالك ، فلو أنه فُتِحَ ؟ لعله كان يُعاد . قال : لا ، بل يُكْسَرُ . وحدَّثته أن ذلك الباب رجلٌ يُقْتَلُ أو يموت ، حديثًا ليس بالأغاليطِ . قال ربعي : فقلت : يا أبا مالك - هو سعد بن طارق - ما أسودَ مِرباداً ؟ قال : شِدةُ البياضِ في سوادٍ . قلت : فما الكوزُ مُجَخِّيًا ؟ قال : منكوسًا .

قال النووي : قوله « فتنة الرجل في أهله وجاره تكفرها الصلاة والصيام والصدقة » قال أهل اللغة : أصل الفتنة في كلام العرب الابتلاء والامتحان والاختبار . قال القاضي : ثم صارت في عرف الكلام لكل أمر كشفه الاختبار عن سوء . قال أبو زيد : فتن الرجل يفتن فتونا إذا وقع في الفتنة وتحول من حال حسنة إلى سيئة ، وفتنة الرجل في أهله وماله وولده ضروب من فرط محبته لهم وشحه عليهم وشغله بهم عن كثير من الخير كما قال تعالى : ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ أو لتفريطه بما يلزم من القيام بحقوقهم وتأديبهم وتعليمهم فإنه راع لهم ومسئول عن رعيته ، وكذلك فتنة الرجل في جاره من هذا . فهذه كلها فتن تقتضي المحاسبة ، ومنها ذنوب يرجى تكفيرها بالحسنات كما قال تعالى : ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ . وقوله (التي تموج كما يموج البحر) أي تضطرب ويدفع بعضها بعضًا ، و شبهها بموج البحر لشدة عظمها وكثرة شيوعها . وقوله (فأسكت القوم) هو بقطع الهمزة المفتوحة ، قال جمهور أهل اللغة : سكت وأسكت لغتان بمعنى صمت . وقال الأصمعي : سكت صمت وأسكت أطرق . وإنما سكت القوم لأنهم لم يكونوا يحفظون هذا النوع من الفتنة وإنما حفظوا النوع الأول . وقوله : (لله أبوك) كلمة مدح تعتاد العرب الثناء بها فإن الإضافة إلى العظيم تشريف ، ولهذا يقال : بيت الله وناقة الله . قال صاحب التحرير : فإذا وجد من الولد ما يحمد قيل له لله أبوك حيث أتى بمثلك . ا . هـ النووي .

قال النووي : أما الرجل الذي يقتل فقد جاء مبينًا في الصحيح أنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقوله : « يقتل أو يموت » : يحتمل أن يكون حذيفة رضي الله عنه سمعه

= (مرباداً) : المُرْبادُّ والمُرْبَدُّ : الذي في لونه رُبْدة ، وهي بين السواد والغُبرة .

(كالكوز مجخيًا) : المُجَخِّي المائل عن الاستقامة والاعتدال ها هنا ، وجَخَّى الرجل في جلوسه : إذا جلس مستوفزًا ، وجَخَّى في صلاته : إذا جافَى عضديه عن جوفه ورفع جوفه عن الأرض وخَوى .

من النبي ﷺ هكذا على الشك والمراد به الإبهام على حذيفة وغيره ، ويحتمل أن يكون حذيفة علم أنه يقتل ولكنه كره أن يخاطب عمر رضي الله عنه بالقتل ، فإن عمر رضي الله عنه كان يعلم أنه هو الباب كما جاء مبينًا في الصحيح أن عمر كان يعلم من الباب كما يعلم أن قبل غد الليلة ، فأتى حذيفة رضي الله عنه بكلام يحصل منه الغرض ، مع أنه ليس إخبارًا لعمر بأنه يقتل . وأما قوله (حديثًا ليس بالأغاليط) فهي جمع أغلوطة وهي التي يغالط بها ، فمعناه حدثته حديثًا صدقًا محققًا ليس هو من صحف الكتابيين ولا من اجتهاد ذي رأي بل من حديث النبي ﷺ . والحاصل أن الحائل بين الفتن والإسلام عمر رضي الله عنه ، وهو الباب فما دام حيا لا تدخل الفتن فإذا مات دخلت الفتن وكذا كان والله أعلم. اهـ النووي .

٥٦٢ ـ * روى مسلمٌ عن جابرِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنهما قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إن عَرْشَ إبليسَ على البحر ، فَيَبعثُ سَرَاياه : فَيَفْتِنُونَ النَّاسَ ، فأعظمُهم عندَه أعظمهُم فتنةً ، يَجِيءُ أحدُهم ، فيقول : فعلتُ كذا وكذا . فيقول : ما صَنَعتَ شيئًا ، ثم يجيءُ أحدُهم ، فيقول : ما تركتُه حتى فَرَّقتُ بينَه وبين امرأته . فيُدْنِيهِ منه ، ويلتزمُه ، يقول : نِعْمَ أنتَ » .

٥٦٣ ـ * روى الترمذيُّ عن أبي هريرَةَ : قال رسولُ الله ﷺ : « يكونُ في آخرِ الزمان رجالٌ يَخْتِلُونَ الدُّنيا بالدِّين ، يَلبسُون للناس جُلُودَ الضَّأنِ من اللِّين ، ألسِنَتُهمْ أحْلَى من العسل وقلُوبُهم قلُوبُ الذِّئاب ، يقول الله تعالى : أبي يَغْتَرُّونَ ، أم عليَّ يَجْتَرِئُونَ ؟ في حَلَفْتُ ، لأبعَثَنَّ على أولئك منهم فِتْنَةً تَدَعُ الحليمَ حَيْرانَ » .

---

٥٦٢ ـ مسلم (٤ / ٢١٦٧) ٥٠ ـ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ١٦ ـ باب تحريش الشيطان ... إلخ .

قال النووي :

(العرش) : هو سرير الملك ، ومعناه أن مركزه البحر ومنه يبعث سراياه في نواحي الأرض .

(يلتزمه) : يضمه إلى نفسه ويعانقه .

(نعم أنت) : هي الموضوعة للمدح ، فيمدحه لإعجابه بصنعه وبلوغه الغاية التي أرادها .

٥٦٣ ـ الترمذي (٤ / ٦٠٤) ٣٧ ـ كتاب الزهد ٥٩ ـ باب حدثنا سويد ... إلخ .

وروايـة ابن عمرَ أخْصَرُ من هـذه [١] ، قـال : قـال النبيُّ ﷺ : « إن الله قـال : لقـد خلقتُ خلقًـا ألسنتُهم أحْلَى من العسـل ، وقُلـوبهم أمَرُّ من الصَّبْرِ ، فبي حَلَفْتُ ، لأُتِيحَنَّهم فتنةً تَدَعُ الحليمَ منهم حيرانَ ، فبي يَغْتَرونَ ، أم عليَّ يَجترِئُون ؟ » .

٥٦٤ ـ * روى البخاري ومسلم عن عبد اللهِ بن مسعودٍ رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّهـا ستكُونُ بَعْـدي أَثَرَةٌ وأُمُور تُنكِرُونَهـا » قـالوا : يـارسولَ الله ، كيف تأمرُ مَنْ أدْرَكَ ذلـك مِنّـا ؟ قـال : « تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الـذي عليكم ، وتَسـألُون اللهَ الـذي لكم » .

٥٦٥ ـ * روى الطبراني عن أبي ثَوْرٍ الحُدّاني ، قـال : دفعتُ إلى حـذيفـةَ وأبي مسعود في المسجد ، وأبو مسعود يقولُ : واللهِ ما كنتُ أرَى أن تزيد على عَقِبَيْها ولم يُهْرَقْ فيها مَحْجَمَةٌ من دمٍ . فقال حذيفةُ : لكن قد علمتُ أنها لَتزيدُ على عَقِبَيْهـا وأنـه يُهْراق فيهـا محجمـةٌ من دم ، إن الرجـلَ ليصبـحُ مـؤمنًـا ويمسي كافرًا ، ويمسي مـؤمنًـا ويصبـحُ كافرًا فَيَنْكَسُ قلبـهُ فتعلُوه استُه ، يقـاتلُ في الفتنـةِ اليومَ ويقتُلُه اللهُ غـدًا فقـال أبو مسعودٍ : صَـدَقْتَ ، هكـذا حدثَنا رسول الله ﷺ في الفتنة .

أقول :

من هذا الحوار الذي جرى بين صحابيين ندرك أن الشيء الذي يتصور أنه لن يكون لـه عاقبة سيئة قد تكون له عواقب وخيمـة . فما حـدث بسبب مقتل عثمان رضي الله عنـه ترك آثاره في الأمة الإسلامية إلى قيام الساعة ، وهذا يدعونا للتبصر في كل خطوة عـامـة وفي كل

---

(١) الترمذي في الموضع السابق . وقال : حسن غريب . وهو حديث حسن .

٥٦٤ ـ البخاري (٦ / ٦١٢) ٦١ ـ كتاب المناقب ٢٥ ـ باب علامات النبوة في الإسلام .

ومسلم (٣ / ١٤٧٢) ٣٣ ـ كتاب الإمارة ١٠ ـ باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول .

والترمذي (٤ / ٤٨٢) ٣٤ ـ كتاب الفتن ٢٥ ـ باب في الأثرة وما جاء فيه . وقال : حسن صحيح .

(أَثَرَة) : الأَثَرَةُ : اسْمٌ ، من آثَرَ به يُؤْثِرُ إيثارًا : إذا سَمَحَ به لغيره وفضَّله على نفسه ، والمراد : إنكم ستجدون بعـدي قومًا يُفَضِّلُونَ أنفسهم عليكم في الفيء ونحوه .

٥٦٥ ـ مجمع الزوائد (٧ / ٢٣٣) . وقال : رواه الطبراني ورجـالـه رجـال الصحيح غير أبي ثور وهو ثقـة . ا.هـ . وقـال في التقريب : مقبول .

موقف عام .

ولذلك وحتى يبقى راسخًا في الأذهان أنه لا عجب فيا نراه ولنتأنّى في مواقفنا العامة ختمنا الحديث عن الفتن بهذا الحديث والذي بعده .

٥٦٦ - * روى ابن ماجه عن معاوية قال : سمعت النبي ﷺ يقولُ : « لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنيا إلا بَلاءٌ وَفِتْنَةٌ » .

* * *

التعقيب

إن النصوص التي تتحدث عن الفتن كثيرة ، وهي تتحدث عن أنواع من الفتن ، وترسم للمسلم الطريق الأرق لمواجهة كل نوع من الفتن ، وكثيرون من الناس لا يعرفون أن يضعوا النصوص في مواضعها ولا أن يحددوا الطريق فيما يواجههم من فتن ، وذلك أن بعض النصوص في الفتن تكاد تكون فتوى تنطبق على حالة فردية أو على مرحلة ، أو على توافر شروط قد لا يحسن الإنسان تقدير وجودها ، ثم إن النصوص الواردة في الفتن لابد أن تفهم على ضوء النصوص الأخرى التي تتحدث عن واجبات عينية أو كفائية لا يسع المسلم ولا المسلمين إلا أن يقيموها أو يعملوها بالقدر المتاح الممكن المناسب ، وعلى هذا فإنه لابد من تحديد الفتن وموقف المسلم منها : فهناك فتنة الكافرين للمسلمين في دينهم بالتعذيب فهذه يسع المسلم فيها أن يأخذ بالرخصة التي تنجيه ، والأفضل في حقه أن يصبر حتى يستشهد ، وهناك فتنة الكافرين للمسلمين من خلال الكينونة مع الكافرين بأن تسرى للمسلم أو لذريته أخلاق الكافرين ـ وفقهاء المسلمين قالوا : حيثما خاف المسلم على دينه أو على دين من يرعاهم فقد وجبت عليه الهجرة ، وفقهاء الحنفية يوجبون الهجرة من دار الحرب والبغي أو البدعة أو الردة في كل حال ، وفقهاء الشافعية يستحبون للمسلم أن يقيم في مثل هذه البلدان إذا كان بإمكانه أن يحافظ على دينه ودين أهله ، ويعتبرون إقامتهم عندئذ نوع جهاد ، لأنه حيث أقام توجد دار صغيرة للإسلام .

وهناك فتنة القلوب التي هي أثر عن وساوس الشيطان وهواجس النفس وسماع ما يفتن ومواجهة مواقف تفتن القلب ، فهذه حكم الإسلام فيها أن يجاهد الإنسان هذه الفتن وأن يردها قلبه .

وهناك الفتن التي يثيرها البغاة ضد الخليفة الراشد بغير حق ، فهذه ينبغي أن يكون المسلم فيها مع الخليفة الراشد ، وإذا استنفره لقتال استنفر ، وأما إذا خرج على الإمام الحق بالحق ، فإن على الإمام أن يرجع إلى الحق ، وعلى المسلمين واجب نصحه واعتزال القتال ،

---

٥٦٦ ـ ابن ماجه (٢ / ١٣٣٩) ٣٦ ـ كتاب الفتن ٢٤ ـ باب شدة الزمان .

قال في الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات .

وههنا تكون موازنات تحتاج إلى فتوى بصيرة من أهلها ، كأن يكون للإمام اجتهاد يعذر به ، أو يكون البغاة يرفعون كلمة حق يراد بها باطل ، أو كان الخارجون لو نجحوا تردَّت إلى ما هو أسوأ إلى غير ذلك من احتمالات تحتاج إلى ترجيح في الموقف من خلال فتوى صحيحة من أهلها .

وهناك الفتنة التي يتعرض لها المسلم من إمام مسلم ظالم أو من سلطان مسلم ظالم ، فهذه يجوز للمسلم فيها أن يصبر ويجوز أن ينصح ، وفي حالة ظلم الحاكين وفسوقهم ، فإن كان بالإمكان عزلهم دون أن يترتب على ذلك شر أكبر من وجودهم فللمسلمين عزلهم ، وإلا جاز لهم الصبر وندبوا إلى الأمر بالمعروف والنصيحة . وهناك الفتنة التي يسيطر فيها أهل الكفر على المسلمين ، فهذه يفترض فرضًا عينيًّا على المسلمين أن يواجهوها إذا توافرت شروط ذلك فإن لم تتوافر الشروط لا يأثم من لم يباشر القتال ، وعلى المسلمين أن يعملوا بالوسائل الصحيحة للخلاص من الكفر ، فإذا لم يجد المسلم إمكانية ولم يجد وسائل صحيحة توصل إلى المطلوب ولم يكن بإمكانه أن يفعل شيئًا ، صح له أن يعتزل ، أما إذا وجد المسلم من يتعاون معه على خير دون أن يترتب وقوع في إثم بسبب آخر غير التعاون على الخير ، فإن المطلوب منه أن يضع يده بيد المسلمين الذين يساعدون على إقامة الخير ، ويفهم بعضهم من الأمر الوارد في حديث حذيفة « فاعتزل تلك الفرق كلها » على أن المراد به أن يعتزل العاملين بالحق ممن تنطبق عليهم أوصاف الطائفة المذكورة بالنصوص ، وهذا خطأ كبير ، فالمراد اعتزال فرق الضلالة لا اعتزال أهل الحق فيد الله مع الجماعة .

وهناك الفتن التي هي أثر عن صراع بين مسلمين على حكم ، فهذه يتجنب المسلم خوضها إلا إذا أكره ، فنيته تشفع له عند الله .

وههنا قد توجد موازنات فقهية من أهلها ترجح شيئًا ، وعندئذ يسع المسلم أن تكون له مشاركة أو لا .

وهناك فتنة العصبيات التي لا يتبين فيها وجه الحق فهذه يعتزلها المسلم .

وهناك الفتنة التي هي أثر عن فوضى شاملة ، فهذه يفر منها المسلم إذا استطاع ، ويعتزلها ما أمكن ، ويهاجر إن تيسر له .

وهناك الابتلاءات التي يبتلي الله عز وجل بها عبده في الموقع الذي هو فيه ، من تعامل مع جار أو زوجة أو ولد أو زميل مهنة ، فهذه أدبه فيها إقامة حكم الله .

وهناك الفتنة التي هي أثر عن أمراض نفسية يكثر فيها القيل والقال ، وقد يصل فيها الأمر إلى قتال ، فهذه يعتزلها المسلم ويقبل على إخوانه الذين تجمعهم وإياه أخوة خالصة في الله ، وإن كان عالمًا أقبل على العلم والتعليم وتلقين الحكة وتزكية الأنفس .

وهناك فتنة الدنيا التي تصرف المسلم عن الآخرة وأعمالها ، فواجب المسلم في هذا الشأن أن لا تصرفه الدنيا عن إقامة واجب ، وعليه أن يحدد عين بصيرته نحو الآخرة .

وعلى المسلم أن يلاحظ أن الفتن والموقف منها لا يصح أن يعطل به كتاب الله ، بل كتاب الله يحكم في الفتن وغيرها ، لذلك فقد مرت معنا رواية حذيفة عند أبي داود عن رسول الله ﷺ : أنه كرر عليه ثلاثًا قوله « تعلَّمْ كتاب الله ، واتبع ما فيه » فكتاب الله لم يترك قضية أصلية أو استثنائية إلا عرف المسلم على الحكم فيها ، قال تعالى : ﴿ **ونزّلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء** ﴾ (١) فالعمل بالكتاب لا يعطل في أي حال من الأحوال ، وإنما يكلف المسلم بالعمل قدر الاستطاعة : ﴿ **لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها** ﴾ (٢) فلا يصح بحجة الفتنة أو العزلة مثلا أن يعطل الإنسان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو يستطيع ذلك ، ولا يصح بحجة الفتن أن يهمل المسلم تربية نفسه وتربية أهله وعياله ، ولا يصح بحجة الفتن أن يترك المسلم المطلوبات العينية منه ، ومن ذلك فروض العصر وفروض الوقت ما دام يستطيعُ شيئًا من ذلك .

والأمر منوط بالاستطاعة ، والاستطاعة تحددها الفتوى المبصرة من أهلها ، فما من حالة للإنسان إلا ولله فيها حكم يعرفه الراسخون في العلم .

وبهذا ننهي الباب الأول من هذا القسم ، قسم العقائد الإسلامية .

فإلى الباب الثاني وهو في الإيمان بالغيب .

* * *

---

(١) النحل : ٨٩ .　　(٢) البقرة : ٢٨٦ .

الفهرس

الموضوع | الصفحة

* * *





